

نظائر الآيات

في تناسب الآيات والسُّور

للإمام المفسر

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي

الترقي سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي

بالقاهرة

سورة الشعراء

سورة الشعراء

مقصودها أن هذا الكتاب بين في نفسه باعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس، ومن / ذلك بيان آخر التي قبلها بتفصيله، و تنزيله^٢ على أحوال الأمم و تمثيله، و تسكين أسفه صلى الله عليه و سلم خوفا [من -^٣] أن يعم أمته الهوان، بعدم الإيمان، و أن يشتد قصدهم لا يتابعه^٥ بالأذى و العدوان، بما تفهمه "سوف" من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان، و رحمة من أراده للهداية و الإحسان، و تسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعراء من علو مقامه، و استقامة مناججه و عز مرامه، و صدق وعده و وعيده، و عدل تبشيريه و تهديده،^١ و كذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل ١٠

٧١٢ /

(١) السادسة و العشرون من سور القرآن الكريم، مكية مع ورود استثناء بعض الآيات، و عدة آياتها مائتان و سبع و عشرون آية في الكوفي و الشامي و المدني الأول، و مائتان و ست و عشرون في الباقي - راجع روح المعاني ٦ / ١٨٠ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: تزيلمه - كذا (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ: بعد (٥) في ظ: الشعر (٦) العبارة من هنا إلى «لن يبارزه بالعصيان» متأخرة في الأصل عن «طسم»، و الترتيب من ظ و مد.

في يانه،^١ أو أدل في جميع شأنه، من المقادير التي دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال والميزان. وأحرق من الظلة^٢ لمن يارزوه بالعصيان .

(بسم الله) الذي دل علو كلامه، على عظمة شأنه وعز مرامه

(الرحمن)^٣ الذي لا يعجل على من عصاه (الرحيم)^٤ الذي يجي قلوب أهل وده بالتوفيق لما يرضاه (ظسّم)^٥ [لعله إشارة إلى الطهارة

الواقعة بندى طوى من طور سيناء وطية ومكة وطيب ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بما يجمع ذلك كله - كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ما يرشد إلى ذلك، وإلى خلاص نبي إسرائيل بما سمعه موسى عليه السلام من الكلام القديم و باتمام أمرهم بتهيئتهم لللك باغراق فرعون و جنوده ونصرهم على من ناوهم في ذلك الزمان بعد تطهيرهم بطول البلاء الذى أرسلهم إلى ذل العبودية، وذلك كله إشارة إلى تهديد قرش بأنهم إن لم يتركوا لدمهم فعل بهم ما فعل بفرعون و جنوده من الإذلال بأى وجه أراد. و خلاص عباده منهم. و أعزم على كل من ناوهم -^٤] .

ولما فرق سبحانه في تلك بين الدين الحق و المذهب الباطل، و بين ذلك غاية البيان، و فصل عباد الرحمن من^٥ عباد الشيطان، و أخبر أنه عم برسالته صلى الله عليه وسلم جميع الخلائق، و ختم بشديد الإنذار

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : او (٢) من مد، وفي الأصل : المظلمة ،
 وفي ظ : انظلمة (٣) وقع في الأصل تفسير « الرحمن » موضع تفسير « الرحيم »
 وكذا العكس ، والترتيب من ظ و مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ
 ومد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : على .

لاهل الإدبار، بعد أن قال " فقد كذبتم " وكان حين نزولها لم يسلم
 منهم إلا القليل، وكان ذلك ربما أوم قرب إهلاكهم وإتزال البطش
 بهم، كما كان في آخر سورة مريم، وأشارت الأحرف المقطعة إلى مثل
 ذلك، فأوجب الأسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالإيمان،
 والحفظ عن نوازل الحدثان، وكان ذلك أيضا ربما أوجب أن يظن ه
 ظان، أن عدم إسلامهم لنقص في البيان، أزال ذلك سبحانه أول هذه
 فقال: ﴿ تلك ﴾ أى الآيات العالية المرام، الحائزة أعلى مراتب التمام،
 المؤلفة من هذه الحروف التى تتناطقون بها وكلمات لسانكم ﴿ آيت الكتب ﴾
 أى الجامع لكل فرقان ﴿ المين ه ﴾ أى الواضح فى نفسه أنه معجز،
 وأنه من عند الله، وأن فيه كل معنى جليل^٢، الفارق لكل مجتمع ملتبس؛
 بقاية البيان، فصح أنه فرقان كما ذكر فى التى قبلها، فان الإبانة هى
 الفصل والفرق. فصار الإخبار بأنه فرقان مكتنفاً. الإنذار أول السورة
 التبع قبل و آخرها - والله الموفق

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما عرفت سورة الفرقان بشنيع
 مرتكب الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد، كان ذلك ١٥
 مظنة لإشفاقه عليه الصلاة والسلام وتأسفه على فوت إيمانهم، لما جبل
 عليه من الرحمة والإشفاق، فافتتحت السورة الأخرى بتسليته عليه الصلاة
 (١) زيد فى الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٢) سقط
 من ظ (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « المؤلفة »، والترتيب من
 ظ و مد (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: مكشفاً.

و السلام ، و أنه سبحانه 'لو شاء' لانزل عليهم آية تبهرهم و تذلل جبارتهم
 فقال سبحانه "لملك باخع نفسك" - الآيتين ، و قد تكرر هذا المعنى
 عند إرادة تسليته عليه الصلاة و السلام كقوله تعالى " و لو شاء الله
 لجمعهم على الهدى^٢ " ، " و لو شئنا لآتينا كل نفس هديها^٣ " ، " و لو
 شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا^٤ " ، " و لو شاء الله / ما فعلوه^٥ " .
 ثم أعقب سبحانه بالتنبيه و التذكير " او لم يروا الى الارض كم ابتقنا فيها
 من كل زوج كريم^٦ " ، " و اذ نادى ربك موسى^٧ " و قلما نجد في
 الكتاب العزيز ورود تسليته عليه السلام لإلمعية^٨ بقصص موسى عليه
 السلام و ما كابد من بنى إسرائيل و فرعون ، و في كل قصة منها إحراز ما
 لم تحرزه الأخرى من الفوائد و المعاني و الأخبار حتى لا نجد قصة تكرر
 و إن ظن ذلك من لم يعم النظر ، فما من قصة من القصص المتكررة
 في الظاهر إلا و لو سقطت أو قدر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل
 من غيرها ، و سيوضح هذا في التفسير بحول الله ؛ ثم أتبع جل و تعالى
 قصة موسى بقصص^٩ غيره من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مع أهمهم
 ١٥ على الطريقة المذكورة ، و تأنيسا له عليه الصلاة و السلام حتى لا يهلك
 نفسه أسفا على فوت إيمان قومه ؛ ثم أتبع سبحانه ذلك بذكر^{١٠} الكتاب

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سورة ٦ آية ٢٥ (٣) سورة ٢٢
 آية ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٩ (٥) سورة ٦ آية ١٣٧ (٦) في ظ : تقبه .
 (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يجده (٨) من ظ و مد ، و في الأصل :
 بقصة (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : تذكر .

- وعظيم النعمة به فقال "وانه لتنزيل رب الغلرين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون" فإلها كرامة تقصر الالسن^١ عن شكرها، وتعجز العقول عن تقديرها، ثم أخبر تعالى أنه "بلسان عربي مبين"، ثم أخبر سبحانه بعلي أمر هذا الكتاب وشائع ذكره على السنة الرسل والانبيا فقال "وانه لني زبر الاولين، وأخبر أن علم نبي إسرائيل من أعظم آية وأوضح^٢ برهان وبينته، وأن تأمل ذلك كاف، واعتباره شاف، فقال "اولم يكن لهم آية ان يعلمه علموا نبي اسرائيل" كعب الله بن سلام وأشباهه، ثم وبخ تعالى متوقفي العرب فقال "ولو نزلته على بعض الاجميين"^٣ - الآية^٤، ثم أتبع ذلك بما يتعظ به المؤمن الخائف من أن الكتاب - مع أنه هدى ونور - قد يكون محته في حق طائفة كما قال تعالى "يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا"^٥، "واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم"^٦ فقال تعالى في هذا المعنى "كذلك سلكته في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم"^٧ - الآيات، ثم عاد الكلام إلى تنزيه الكتاب وإجلاله عن أن تتصور الشياطين^٨ على شيء منه أو تصل^٩ إليه فقال سبحانه "وما نزلت به الشيطان وما يفتنى لهم^{١٠} وما يستطيعون"^{١١} أي ليسوا أهلا له ولا يقدرون على استراق سمعه^{١٢}، بل هم معزولون عن السمع، مرجومون بالشهب، ثم وصى تعالى
- (١) في مد: الالسنه (٢) زيد في ظ: به (٣) سقط من ظ (٤) سورة آية ٢٦ - (٥) سورة ٩ آية ١٢٥ (٦-٦) من ظ ومد، وفي الأصل: يتصور الشيطان . (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: اتصل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد . (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: السمع لسمعه .

فيه صلى الله عليه وسلم - والمراد المؤمنون - فقال: "فلا تدع مع الله
 الها آخر فتكون من المعذنين" ثم أمره بالإنذار ووصاه بالصبر فقال
 "وانذر عشيرتك الاقربين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين"
 ثم أعلم تعالى بموقع ما توهموه^٢، وأهلية ما تخيلوه، فقال "هل انبئكم
 ٥ على من تنزل الشيطين تنزل على كل افاك انيم" ثم وصفهم، وكل
 هذا تزيه / لنيه صلى الله عليه وسلم عما تقولوه، ثم هددهم وتوعدهم
 فقال "وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون" - انتهى .

/٧١٤

و لما كان قد قدم في تلك أنه عم برسائه جميع الخلائق، وختم
 بالإنذار على تكذيبهم في تخلفهم، مع إزاحة جميع العلل، ونفى كل
 ١٠ خلل، وكان ذلك مما يقتضى شدة أسفه صلى الله عليه وسلم على المتخلفين
 كما هو من مضمون "ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا" على ما
 تقدم. وذلك لما عنده صلى الله عليه وسلم من مزيد الشفقة، وعظيم
 الرحمة، قال تعالى يسليه^٣، ويزيل من أسفه و يعزبه، على سبيل الاستئناف،
 مشيرا إلى أنه لا نقص في إنذاره ولا في كتابه الذى يندر به يكون
 ١٥ سببا لوقوفهم عن الإيمان، وإنما السبب في ذلك محض إرادة الله تعالى:
 (لملك باع نفسك) أى مهلكها غما، وقاتلها أسفا، من بجمع^٤ نشاة

(١) من ظ ومد، وفى الأصل و، (٢) زيد فى ظ: انه (٣) فى ظ: توهمون .
 (٤) زيد فى الأصل: ان، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لخدماعا (٥) من ظ
 ومد، وفى الأصل: مزاييد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: تسلية .
 (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: قابلها (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: يجمع .

إذا بالغ في ذبحها حتى قطع البخاع، بكسر الموحدة، وهو عرق باطن في الصلب وفي القفا، وذلك أقصى حد الذابح، [وهو -^١] غير النخاع^٢ بتثنية النون فانه الحيط الأبيض في جوف الفقار (أن) أى لأجل [أن -^١] (لا يكونوا) [أى كونا كأنه جيلة لهم -^١] (مؤمنين ه) أى راضين في الإيمان، فكان كأنه قيل: هذا الكتاب في غاية البيان ه في نفسه والإبادة للغير، وقد تقدم في غير موضع أنه ليس عليك إلا البلاغ، أتخاف وتشفق على نفسك من الهلاك غما^٣ تأسفا على عدم إيمانهم والحال أنا لو شئنا لهديناهم طوعا أو كرها، والظاهر أن جملة الإشفاق في موضع حال من اسم الإشارة كما أن الآية التي بعدها في موضع الحال منها^٤، أى نحن نشير إلى الآيات المبينة لمرادنا فيهم والحال أنك - لمزيد حرصك ١٠ على قطعهم - بحال يشفق فيها عليك من لا يعلم الغيب من أن تقتل نفسك غما لإيمانهم^٥ الإيمان والحال أنا لو شئنا اتيناهم بما يقهرهم ويذلهم للإيمان وغيره .

ولما كان المحب ميالا^٦ إلى ما يريد حبيبه، أعلمهم^٧ أن كل ما هم فيه^٨ بإرادته فقال^٩: (أن تشاء) وعبر بالمضارع فيه وفي قوله: (نزل) ١٥ إعلاما بدوام القدرة . ولما كان ذلك الإنزال من باب التمسر، والجبروت

(١) زيد من ظ و مد (م) من ظ و مد، وفي الأصل: النجاع (٣) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ و مد فخذناها (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: فيها (ه) زيد في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: ميلا (٧) في ظ و مد: أعلم (٨) سقط من ظ .

و القهر، قال: ﴿عليهم﴾ و قال محققا^١ للراد: ﴿من السماء﴾ أى
التي جعلنا فيها بروجاً للنافع؛ و أشار إلى تمام القدرة بتوحيدها فقال:
﴿آية﴾ أى قاهرة كما فعلنا ببعض من قبلهم بفتح الجبل و نحوه؛
و أشار إلى تحقق أثرها بالتعبير بالماضى فى قوله عطفاً على "نزل" لأنه
• فى معنى 'أززلنا': ﴿فضلت﴾ أى عقب الإنزال من غير مهلة^٢
﴿اعتاقهم﴾ التى هى موضع الصلاة، و عنها تنشأ حركات الكبر
و الإعراض ﴿لها﴾ أى للآية دائماً، ولكنه عبر بما يفهم النهار لأنه
موضع القوة على جميع ما يراد من التغلب و الحيل و المدافعة
﴿خاضعين﴾ جمعه كذلك لأن الفعل لاهلها ليدل على أن ذلم لها
١٠ يكون مع كونهم جميعاً، و لا يفتى جمعهم؛ و إن زاد شيئاً، و الأصل:
فظلوا، ولكنه ذكر الأعناق لأنها موضع الخضوع^٣ فانه يظهر لينها^٤
بعد صلابتها، / و انكسارها بعد شماختها، و للإشارة إلى أن الخضوع^٥
يكون بالطبع من غير تأمل لما أبتهم و حيرهم من عظمة الآية، فكان
الفعل للأعناق لا لهم؛ و الخضوع: التظلمن و السكون^٦ و اللين
١٥ ذلاً و انكساراً ﴿وما﴾ أى هذه صفتنا و الحال أنه ما ﴿ياتيهم﴾
أى الكفار^٧ ﴿من ذكر﴾ أى شيء^٨ من الوعظ و التذكير و التشريع^٩

/٧١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقيقاً (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
فى غير مهملة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لذلك (٤) فى ظ: بجمعهم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فانها (٦-٦) من مد، و فى الأصل: ليظهر
تبيينها (٧) العبارة من ه فانه يظهر ه إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد،
و فى الأصل: السكوت (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الكفارة.
(١٠-١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد.

يذكر وتنا به، فيكون سبب ذكركم و شرفهم (من الرحمن) أى الذى أنكره مع إحاطة نعمه بهم (محدث) أى بالنسبة إلى تنزيله و علمهم به؛ و أشار إلى دوام كبرهم بقوله: (إلا كانوا) أى كونا هو كالمخلوق لهم؛ و أشار بتقديم الجار المؤذن بالتخصيص إلى ما لهم من سعة الأفكار و قوة المهتم لكل ما يتوجهون إليه، و إلى أن لإعراضهم عنه 'من القوة' ه ما يعد الإعراض معه عن^٢ غيره عدما [فقال - ٢]: (عنه) أى خاصة (معرضين ه) أى إعراضا هو صفة لهم لازمة .

و لما كان حال المعرض عن الشيء حال المكذب به قال^٤: (فقد) أى قسب عن هذا الفعل منهم أنهم قد (كذبوا) أى حققوا التكذيب و قربوه كما تقدم آخر تلك، [و استهزأوا مع التكذيب ١٠ بآياتنا - ٢] .

و لما كان التكذيب بالوعيد سببا فى إيقاعه، و كان حالهم فى تكذيبهم له صلى الله عليه و سلم حال المستهزئ لأن من كذب بشيء خف عنده قدره^٥، فصار عرضة للهزء، قال مهددا: (فسياتيهم) سيبه بالفاء و حققه بالسين، و قلل التنفيس عما فى آخر الفرقان ليعلوا أن ما كذبوا به واقع. ١٥ و أنه ليس موضعا للتكذيب بوجه^٦ (نبؤا) أى عظيم أخبار و عواقب (ما) أى العذاب الذى (كانوا -) أى كونا كأنهم جبلوا عليه (به) أى خاصة لشدة إمعانهم فى حقه و حده (يستهزون^٥) أى يهزؤون،

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) فى ظ: من (٣) زيد من ظ و مد .

(٤) فى ظ: فقال (ه-ه) من ظ و مد، وفى الأصل: بالشئ قدرة خف عنه .

(٦) سقط من ظ (٧) تقدم فى الأصل على أى خاصة ه والترتيب من ظ و مد .

ولكنه عبر بالسین إشارة إلى أن حالهم في شدة الرغبة في ذلك الموهو حال الطالب له، [وقد ضموا إليه التكذيب، فالآية من الاحباك: ذكر التكذيب أولاً دليلاً عنلى حذفه ثانياً، والأستهزاء ثانياً دليلاً على حذف مثله أولاً - ١].

٥ ولما كانت زويتهم للآيات السماوية والأرضية الموجبة للاقتياد والخضوع موجبة لإنكار تخلفهم عما تدعو إليه فضلاً عن الاستهزاء، وكان قد تقدم آخر تلك الحث على تدبر بروج السماء وما يتبعها من الدلالات، فكان التقدير: ألم يروا إلى السماء كم أودعنا في بروجها وغيرها من آيات نافعة وضارة كالأمطار والصواعق، عطف عليه ما ينشأ عن ذلك في الأرض في قوله معجبا منهم: (أو لم يروا).

ولما كانوا في عمى عن تدبر ذلك، عبر للدلالة عليه بحرف الغاية فقال: (إلى الأرض) أى على سعتها واختلاف نواحيها وتربها؛ ونبه على كثرة ما صنع من جميع الأصناف فقال: [(كم ابتنا) أى بما لنا من العظمة (فيها) بعد أن كانت يابسة ميتة لآبات بها - ١]

١٥ (من كل زوج) أى صنف مشاكل بعضه لبعض، فلم يبق صنف يليق بهم في العاجلة إلا أكثرنا من الإنبات^٢ منه (كرهمه) أى جم المنافع، محمود العواقب، لا خباثة فيه، من الأشجار والزرور وسائر النباتات على اختلاف ألوانها في زهورها وأنوارها، [و - ١] طعومها وأقدارها،

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الإنبات.

و منافعها و أرواحها - إلى غير ذلك من الأمور لا يحيط بها خدا ولا يحصيها خدا، إلا الذى خلقها، مع كونها تسقى بماء واحد؛ و التكرم وصف لكل ما يرضى فى بابه و يحمده، و هو ضد التميم .

٧١٦/ ولما كان ذلك باهرا / للعقل منها^١ له فى كل حال على عظيم
 اقتدار صانعه، و بديع اختياره، وصل به قوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى ٥
 الامر العظيم من الإنبات و ما تقدمه^٢ من العظاات على كثرتة ﴿ لاية^٣ ﴾
 أى علامة عظيمة جدا [لهم -^٤] على تمام القدرة على البعث و غيره،
 كافية فى الدعاء إلى الإيمان، و الزجر عن^٥ الطغيان، و لعله و أحدهما على
 كثرتها إشارة إلى أن الدوال^٦ عليه متساوية الأقدام فى الدلالة، فالراشحون
 تغنيهم^٧ واحدة، و غيرهم لا يرجعون لشيء^٨ ﴿ و ﴾ الحال أنه^٩ ١٠
 ﴿ ما كان ﴾ فى^{١٠} المشاكلة^{١١} التى خلقتهم^{١٢} عليها ﴿ أكثرهم ﴾ أى البشر
 ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين فى الإيمان، لأنه « ما يؤمن أكثرهم [بالله -^{١٣}]
 الا وهم مشركون ، ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أن ﴿ ربك ﴾ أى الذى أحسن
 إليك بالإرسال، و سخر لك قلوب الأصفياء، و زوى عنك اللد الأشقياء
 ﴿ هو ﴾ .

١٥

(١) سقط من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : نبها (٣) فى ظ : يديه .
 (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : على (٦) فى ظ : بشيء .
 (٧) فى ظ : انهم (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : من (٩) من مد، وفى
 الأصل و ظ : المشاكلة (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : خلقهم (١١) زيد
 من ظ ومد و القرآن الكريم ١٢/١٠٦ .

و لما كان المقام لإنزال الآية القاهرة، قدم قوله: ﴿ العزيز ﴾ أي
القادر على كل من قسرم على الإيمان و الانتقام منهم ﴿ الرحيم ﴾ في
أنه لم يعاجلهم بالنقمة، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقا بهم، و بيانا لما يرضاه
ليقيم به الحجة على من أريد للهوان، و يقبل بقلوب من يختصه منهم للإيمان،
٥ قال أبوحيان: و المعنى أنه عز في نقمته من الكفار، و رحم
مؤمني كل أمة - انتهى . و من هنا شرع سبحانه و تعالى في تمثيل آخر
الفرقان في إظهار القدرة بالبطش عند النقمة حيث لم يشكر النعمة بأن
أبي المدعو الإجابة لدعوة الرسل، و ترك الداعي - عقب الانقياد [من - ١]
الشدايد - التضرع للرسل، و قص أخبار الأمم على ما هي عليه بحيث
١٠ لم يقدر أحد من أهل الكتاب الذين هم بين ظهرانيهم على إنكار شيء من
ذلك، و من ثم قرع أسماعهم أول شيء بقصتهم من فرعون و موسى
عليه السلام، فصح قطعاً أن هذا الكتاب جلي الأمر، على القدر، ليس
بكهانة و لا شعر، كما سيؤكد ذلك عند إظهار النتيجة في آخرها، بل
هو من عند رب العالمين، على لسان سيد المرسلين، و صح أن أكثر الخلق
١٥ مع ذلك هالك و إن قام الدليل، و وضح السبيل. لأن سلك الذكر
في قلوبهم شبيه في الضيق بنظم السهم فيما يرمى به، و صح أنه سبحانه
يملي لهم و ينعم عليهم بما فيه حياة أديانهم بارسال الرسل و إنزال الكتب،
و ما فيه حياة أديانهم بالإيتاء من كل ما يحتاجونه إظهاراً لصفة الرحمة.

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ .

ثم ينتقم منهم بعد طول المهلة، وتماديمهم في سكرات الغفلة، كسفا لصفة العزة، كل ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخفيفاً عليه وإعلاماً بأنه لا قصور في بيانه، ولا تقصير لديه .

ولما اقتضى وصف العزة الإهلاك، ووصف الرحمة الإمهال^٢،

وكان الأول مقدماً، وكانت^٣ عادتهم تقديم ما هم به أم، وهو^٤ لهم ه أعى، خيفت^٥ غائلته، فأتبع ذلك أخبار هذه الأمم، دلالة على الوصفين معا ترغيباً وترهيباً، ودلالة على أن الرحمة سبقت الغضب، وإن قدم الوصف اللائق به، فلا يعذب إلا بعد البيان مع طول الإمهال، وأخلى قصة أيهم إبراهيم عليه السلام من ذكر الإهلاك إشارة إلى البشارة بالرفق بينه^٦ العرب في الإمهال كما رفق بهم^٧ في الإنزال والإرسال^٨، ولما كان ١٠

مع ذلك في / هذه القصة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه من الأذى والتكذيب، وكانت التسلية بموسى وإبراهيم عليهما السلام^٩ أم، لما لهما من القرب، والمشاركة في الهجرة، والقصد إلى الأرض المقدسة، وكان قد اختص موسى عليه السلام^٩ بالكتاب الذي ما بعد القرآن مثله والآيات التي^٩ ما أتى بمثلها^٩ أحد قبله، وإقرار عينه بهداية قومه، وحفظهم ١٥

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تحقيقاً (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الإمهال (٣) في ظ: كان (٤) في ظ: هم (٥) في ظ: خيفت (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: سه - بدون النقط (٧ - ٧) في ظ و مد: بالارسال والانزال (٨ - ٨) سقط ما بين الرقعين من ظ (٩ - ٩) من ظ و مد، وفي الأصل: ما أتى مثلها .

بعده بالكتاب، وسياسة الانبياء المجددين لشريعته، وعدم استصالحهم
 بالعذاب^١ والانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم، وفتح بلاد الكفرة
 على أيديهم بعده صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه
 الأمة منسج مجاورتهم للعرب حتى في دار الهجرة، وموطن النصره،
 ٥ ليكون في إقرارهم^٢ على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة، و آتم
 دلالة، قدمها^٣ مقدما لموسى - عليها السلام، والنجيه والإكرام -
 فان كان القصد تسكين ما أورثه^٤ آخرتلك من خوف الملازمة بالعذاب
 نظرا إلى وصف العزة، فالتقدير: اذكر أثر رحمتنا بطول إمهالنا لقومك
 - وهم على أشد ما يكون من الكفر والضلال في أيام الجاهلية -
 ١٠ برحمتنا الشاملة بارسالك إليهم وأنت أشرف الرسل، وإنزال هذا الكتاب
 الذي هو أعظم الكتب ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ﴾ وعلى تقدير التسلية يكون
 العطف على تلك لأن المراد بها التنبيه، فالتقدير: خذ آيات الكتاب
 و اذكر إذ ﴿نادى ربك﴾ أى المحسن إليك بكل ما يمكن الإحسان
 به في هذه الدار، وعلى تقدير التهيب يكون التقدير: أولم يروا إذ
 ١٥ نادى ربك، وعدوا راثين لذلك لأن اليهود في بلادهم وفي حد القرب^٥
 منهم، فاما أن يكونوا عالمين^٦ بالقصة بما سمعوه منهم، أو متهيين

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: للعذاب (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
 قرارهم (٣) في ظ: قدمها (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: اورده. .
 (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: العرب (٦) من ظ و مد، وفي
 الاصل: عالمون .

لذلك لإمكانهم من سؤا لهم ؛ ثم ذكر المنادى فقال : (موسى) و أتبعه ما كان له النداء فقال مفسرا^١ لأن النداء في معنى القول^٢ : (ان ائت القوم) أى الذين فيهم قوة و أى قوة (الظلمين) أى بوضعهم^٣ قوتهم على النظر الصحيح المؤدى للإيمان في غير موضعها .

و لما كان كأنه قيل : أى قوم ؟ قال مبديا إشارة إلى أن العبارتين هـ

موادهما^٤ واحد لأنهم عريقون في الظلم ، لظلمهم أنفسهم بالكفر و غيره ، و ظلم بنى إسرائيل و غيرهم من العباد : (قوم فرعون) .

و لما كان المقصود بالرسالة تخويفهم من الله تعالى ، و إعلامهم بحلاله ،

استأنف قوله معلما بذلك في سياق الإنكار عليهم ، و الإيذان بشديد

الغضب منهم ، و التسجيل عليهم بالظلم ، و التعجيب من حالهم في عظيم

عسفهم فيه ، و أنه قد طال إمهاله لهم^٥ و هم لا يزدادون إلا اعتوا و لزوما

لللوبيقات : (الايتقون هـ)^٦ أى يحصل منهم تقوى^٧ .

و لما كان من المعلوم أن من أتى / الناس بما يخالف أهواهم . ٧١٨ /

لم يقبل ، أخبر [من تشوف إلى معرفة جوابه - ٧] أنه أجاب بما يقتضى

الدعاء بالمعونة ، لما عرف من خطر هذا المقام ، بقوله ملتفتا إلى نحو "رب ١٥

ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا : (قال رب) أى^٨ أيها الرفيق بى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تفسيرا (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن

الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بوضع (٤) من

ظ و مد ، و فى الأصل : موادهما (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم .

(٦-٦) تكرر ما بين الرقنين فى الأصل فقط بعد « للوبيقات » (٧) زيد من ظ

و مد (٨) سقط من ظ .

(اقى اخاف ان يكذبون^٥) أى فلا يترتب^١ على إتيانهم^٢ أثر،
ويغنون لى^٣ العوائل، فاجعل لى قبولا ومهابة تحرسنى بها من يريدنى
بسوء، ويجوز أن يريد بـ"اخاف" أعلم^٤ أو 'أظن'، فيكون 'أنه'
مخففة، فيكون الفعلان معطوفين على 'يكذبون'، فى قراءة الجمهور بالرفع
مع جواز العطف على "اخاف" [فيكون التقدير -^٥]: (و) أخاف
أنه، أو قال: إني^٥ (يضيق صدرى) عند تكذيبهم أو خوفى من
تكذيبهم لى انفعالا كما هو شأن أهل المروءات، وأرباب علو الهمم،
لما غرز فيهم من الحدة والشدة فى العزيمة إذا لم يجدوا مساعدا
(ولا ينطلق) ونصب يعقوب الفعلين عطفا على "يكذبون"^٦ على
١٠ أن "أن" ناصبة (لسانى) [أى -^٧] فى التعبير عما ترسلنى^٨ إليهم به،
لما فيه من الحبسة فى الأصل بسبب تعقده لتلك الجرة التى لدغته فى حال
الطفولية، فاذا وقع التكذيب أو خوفه وضاق القلب، انقبض الروح
إلى باطنه فازدادت الحبسة، فست الحاجة إلى معين يقوى القلب فيعين^٩
على إطلاق اللسان عند الحبسة لئلا تحتل الدعوة (فارسل) أى قسب
١٥ عن ذلك الذى اعتذرت به عن المبادرة إلى الذهاب عند الأمر أنى
أسألك فى الإرسال (الى هرون^{١٠}) أخى، ليكون رسولا من عندك

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: فلا يترتب - كذا (٢) سقط من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الى (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو
فى ظ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: على إذ (٧) من ظ و مد، وفى الأصل:
تكذبوك - كذا (٨) فى ظ: يرسلنى (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فتعين -

فيكون لى عضدا 'على ما' أمضى له من الرسالة فيعين على ما يحصل من ذلك، وليس اعتذاره بتعلل في^٢ الامتثال، وكفى بطلب العون دليلا على التقبل، لا على التعلل.

ولما ذكر ما توثره^٣ الرسالة، وقدم الإشارة إلى استكشافه لأنه أهم، أتبعه ما يترتب على مطلق التظاهر لهم فضلا عن مواجهتهم بما يكرهون^٥ فقال: ﴿ ولهم على ﴾ أى بقتلى نفسا منهم؛ وقال: ﴿ ذنب ﴾ وإن كان المقتول غير معصوم تسمية له بما يزعمونه، ولذلك قيده بـ 'ولهم'، وأيضا فلكونه ما كان أتاه فيه من الله تعالى أمر بخصوصه؛ ﴿ فاخاف ﴾ [سبب ذلك -^٥] ﴿ ان يقتلون ﴾ أى بذلك^٦، مع ما أضمه إليه من التعرض لهم، فلا أمكن من أداء الرسالة، فاذا كان هارون معى عاضدى^{١٠} فى إبلاغها، وكل ذلك استكشاف واستدفاع للبلاء، واستعلام للعافية، لا توقف فى القبول - كما^٧ مضى التصريح به فى سورة طه .

ولما استشرفت النفس إلى معرفة جوازه عن^٨ هذه الأمور المهمة 'شنى عناءها' بقوله، إعلاما بأنه سبحانه استجاب له فى كل ما سأل: ﴿ قال ﴾ قول كامل القدرة شامل العلم كما هو^٩ وصفه سبحانه: ١٥

- (١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: الى من (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٣) فى ظ: توفره (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بخصوصية (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ: على (٨) فى ظ: من . (٩-٩) من مد، وفى الأصل: بى عناده، وفى ظ: عناوها - كذا . (١٠) سقط من ظ .

(كلا ٤) أى ارتدع عن هذا الكلام، فانه لا يكون شئ مما خفت، لا قتل ولا غيره - وكأنه لما كان التكذيب مع ما قام على الصدق من البراهين، المقوية لصاحبها، الشارحة لصدوره، المعلقة لأمره، عدّ عما - وقد أجبناك إلى الإغانة بأخيك (فاذهباً) أى / أنت وهو متعاضدين، إلى ما أمرتك به، مؤيدين (بأينتنا) الدالة على صدقنا على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ ثم علل تأمينه له بقوله: (انا) بما لنا من العظمة (معكم) أى كائنون عند وصولكم إليهم فيمن اتبعنا من قومكم؛ ثم أخبر خبراً آخر بقوله: (مستمعون) أى سامعون بما لنا من العظمة فى القدرة وغيرها من صفات الكمال، إلى ما تقولان لهم ويقولون لكما، فلا نقيب عنكم ولا تغيبون عنا، فنحن نفعل معكم من المعونة والنصر فعل القادر الحاضر لما^١ يفعل بحبيبه المصطفى له بجهدده، ولذلك عبر بالاستماع؛ قال أبو حيان: وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير يرجح أن يكون أريد بصورة الجمع [الثنى-٢] والخطاب لموسى^٢ وهارون فقط، لأن لفظة «مع» تبين من يكون كافراً، فانه لا يقال: ١٥ الله معه، وعلى أنه أريد بالجمع التثنية حملة سيويه^٣ كأنهما لشرفهما^٤ عند الله تعالى عاملهما فى الخطاب معاملة الجمع إذ^٥ كان ذلك جائزاً أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته - انتهى . وهو كلام نفيس مؤيد

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل: يقولان (٢) فى ظ: بما (٣) زيد من البحر ٨/٧ (٤) من البحر ، وفى الأصول: موسى (ه-ه) من ظ و مد و البحر، وفى الأصل: كانه لشرفه (٦) من ظ و مد و البحر، وفى الأصل: اذا .

بتقديم الظرف، و يكون حيثذ خطابها مشاكلا لتعظيم المتكلم سبحانه
نفسه، لان المقام للعظمة، وعظمة الرسول من عظمة المرسل، على أنه
يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البشارة بمن يتبعها كما قدرته، ويجوز
أن تكون المعية للكل كما في قوله تعالى "ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
رابعهم" - الآية .

- و لما نفي سبحانه أن يكون شيء مما خافه موسى عليه السلام على
هذا الوجه المؤكد، وكان ظهور ذلك في مقارعة الرأس أدل وأظهر،
صرح به في قوله: ﴿فأتيا﴾ أى قسبب عن ذلك الضمان بالحراسة
والحفظ أنى أقول لكما: اتيا ﴿فرعون﴾ نفسه، وإن عظمت مملكته،
وجلت جنوده ﴿فقولاً﴾ أى ساعة وصولكما له ولمن عنده: ١٠
﴿انارسل﴾ أفرده مریدا به الجنس الصالح للآتين، إشارة بالتوحيد
إلى أنها في تعاضدهما و اتفاقهما كالنفس الواحدة، ولا تخالف لانه
إما وقع مرتين كل واحدة^٢ بلون، أو مرة بما يفيد التثنية و الاتفاق،
فساغ التعبير بكل منهما، ولم يثن هنا لأن المقام لا اقتضاء له للتثنية
على طلب نبينا صلى الله عليه وسلم الموازنة بخلاف ما مر في سورة ١٥
ظة ﴿رب العالمين﴾ أى المحسن إلى جميع الخلق المدبر لهم؛ ثم ذكر
[له - °] ما قصد من الرسالة إليه فقال معبرا بأداة التفسير لأن الرسول
(١) من ظ و مد، وفي الأصل: بالحراطة (٢) زيد في الأصل: اى، ولم
تكن الزيادة في ظ و مد لمخذناها (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: مرة .
(٤) من ظ و مد، وفي الأصل: للتسليه (٥) زيد من مد، وفي ظ: لهم .

فيه معنى الرسالة التي تتضمن القول: (ان ارسل) أى خلّ وأطلق؛
و أعاد الضمير على معنى "رسول" فقال: (معنا نبيّ اسراءيل) أى قومنا
الذين استعبدتهم ظلما، ولا سبيل لك عليهم، نذهب بهم إلى الارض
المقدسة التي وعدنا الله بها على السنة الانبياء من آباءنا عليهم الصلاة
و السلام .

ولما كان من المعلوم أنها امتثالا ما أمرها الله، فآتيه وقال له
ما أمرا به، تشوفت النفس إلى جوابه لها، فقال / تعالى الغانا إلى مثل
قوله في التي قبلها "وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام"، "وان يتخذونك
الاهزوا" ونحو ذلك تسليّة لهذا النبي الكريم و تحقيقا لمعنى قوله تعالى.
١٠ "كلا"، و "مستمعون" من أن فرعون وإن بالغ في الإبراق والإرعاد
لا يروع موسى عليه السلام شيء منه : (قال) أى فرعون حين
أبلغاه الرسالة مخاطبا لموسى عليه السلام علما منه أنه الاصل فيها، وأخوه
إنما هو وزير، منكرنا عليه مواجهته بمثل هذا و ماتا' عليه ليكف من
جرأته' بتصويب مثل هذا الكلام إليه : (الم نريك) أى بعظمتنا
١٥ التي شاهدها (فينا وليدا) أى صغيرا قريب عهد بالولادة (ولبثت فينا)
أى لا في غيرنا. باعتبار انقطاعك إلينا، و تعززك في الظاهر بنا'

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : فذهب (٢) في ظ : انبيانا (٣) زيد في
الأصل : بها، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، وفي
الأصل : ماتا (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : جوابه (٦) سقط من ظ و مد.
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل : منا .

(من عمرك سنين ١٠) أى كثيرة، فلنا عليك^١ بذلك من الحق^٢ ما ينبغي أن يتمتع من مواجهتها^٣ بمثل هذا، وكأنه عبر بما يفهم السكند كناية عن مدة مقامه عنده بانها^٤ كانت نكدة لأنه وقع فيما كان يخافه، وفاته ما كان يحتاط به من ذبح الأطفال .

ولما ذكره منة تحمله على الحياء منه، ذكره ذنباً^٥ هو أهل لأن ه يخاف من عاقبته فقال مهولاً له بالكناية عنه : (و فعلت فعلتك) أى من قتل القبطنى، ثم أكد نسبه إلى ذلك مشيراً إلى أنه عامله بالحلم تحجيلاً له فقال : (التى فعلت و أنت) أى و الحال أنك (من الكافرين ه) أى لنعمتى^٦ و حق تربيتى^٧ بقتل من^٨ ينسب إلى^٩، أو عده منهم لسكوته عنهم إذ ذاك، لأنه لم يكن قبل الرسالة مأموراً فيهم بشيء، فكان مجاملاً ١٠ لهم، فكأنه قال : و أنت منا . فإلك الآن تنكر^{١٠} علينا و تنسبنا إلى الكفر؟ (قال) مجيباً له^{١١} على طريق^{١٢} النشر المشوش، واثقاً بوعده الله بالسلامة^{١٣} مقراً بما دندن عليه من القتل لأنه لم يكن متحققاً لذلك، و ما ترك^{١٤} قتله إلا التماساً للينة : (فعلتها إذاً) أى إذ قتلته (و أنا من الضالين ه)

- (١) سقط من ظ (٢) زيد في الأصل : في الظاهر، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها (٣) زيد في الأصل : بمثل ذلك ولا، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفناها . (٤) من ظ و مد، وفي الأصل : لأنها (ه) من ظ و مد، وفي الأصل : ذنب . (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : انعمتى (٧-٧) من ظ و مد، وفي الأصل : بالقتل لمن (٨) من ظ و مد، وفي الأصل : تنكير (٩) سقط من ظ و مد . (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل : طريقة (١١) من ظ و مد، وفي الأصل : فيهم (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل : نزل .

[أى - ١] لا أعرف ديناً، فأنا واقف عن^٢ كل وجهة حتى يوجهني
 ربي إلى ما يشاء - قال ابن جرير^٣: و العرب تضع الضلال موضع
 الجهل [و الجهل - ٤] موضع الضلال - انتهى. وقد تقدم في الفاتحة للحرالي
 في هذا كلام نفيس - على أن هذه الفعلة كانت منى خطأ (فقرت)
 ٥ أى فتسبب عن فعلها و تمقبه أنى فرت (منكم) أى منك لسطوتك
 [و من قومك لإغرائهم إياك على^١ - ١] (لما خفتكم) [على نفسى أن
 تقتلونى بذلك القتل الذى قتلته خطأ مع كونه كافراً مهدر الدم - ١]
 (فوهب لى ربي) [الذى أحسن لى بتريقى عنديكم تحت كف أى
 آتته بما أحدثتم من الظلم خوفاً منى - ١] (حكماً) أى علماً أعمل به عمل
 ١٠ الحكام الحكما (وجعلنى من المرسلين^٥) أى فاجهد الآن جهدك فانى
 لا أخافك لقتل^٥ ولا غيره .

ولما اجتمع فى كلام فرعون من و تعبير، بدأ بجوابه عن التعبير
 لانه [الآخر فكان أقرب، و لانه - ١] أم، ثم عطف عليه جوابه
 عما من به، فقال موجأله مكثاً^١ منكراً عليه غير أنه حذف حرف
 ١٥ الإنكار إجمالاً فى القول و إحساناً^٢ فى الخطاب: (و تلك) أى
 التربة [الشنعاء العظيمة فى الشناعة - ١] التى ذكرتها^١ (نعمه تمنها على)

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: على (٣) راجع من تفسيره الجزء ١٩/٣٨ .
 (٤) زيد من ظ و مد و التفسير (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: القتل (٦) من
 ظ و مد، وفى الأصل: منكثاً (٧-٧) من ظ و مد، وفى الأصل: العون
 و انكاراً (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: ذكرتها .

و لما كان سيها ظله لقومه ، جعله نفسها فقال مبدا منها [نديها
على إحباطها ، وإعلاما بأنها - بكونها تقمه - أولى منها في عدما نعمة -^١] :
(ان عدت) [أى تعيدك و تذليلك على ذلك الوجه البديع المبعد -^١]
قوى (بنى اسرآيل^ه) أى جعلتهم عيدا ظلما و عدوانا و هم أبناء الأنبياء ،
و لسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة - باحياء نفوسكم / أولا ، ٥ / ٧٢١ /
و عتق رقابكم ثانيا - ما لا تقدررون له على جزاء أصلا ، ثم ما كفاك
ذلك حتى فعلت^٢ ما لم يفعله مستعبد^٣ ، فأمرت بقتل أبنائهم ، فكان ذلك
سبب وقوعى إليك لاسلم من ظلك - كما مريانه و يأتى [إن شاء الله
تعالى -^١] مستوفى فى سورة القصص .

و لما كلم اللثيم الذميم الكليم العظيم بما رضى أن يكفه^٤ عن مواجهته ١٠
بما^٥ يكره ، و يرجعه إلى مداراته . فلم يفعل ، و فهم ما فى جوابه هذا
الآخير من الذم [له -^١] و التعجيز ، و إثبات القدرة التامة و العلم
الشامل لله ، بما دبر فى أمر موسى عليه السلام ، و أنه لا ينهض لذلك
بجواب و لا يحمد له فيه^٦ قول ، عدل [عنه -^١] إلى جوابه عن الرسالة
بما يموه به أيضا على قومه لثلا يرجعوا عنه ، فأخبر تعالى عن محاورته ١٥
فى ذلك بقوله على طريق الجواب لمن كأنه قال : ما قال له جوابا
لهذا الكلام ، الذى كأنه السهام ؟ : (قال فرعون) حائدا عن جواب

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٣) من ظ و مد ،
وفى الأصل : مستبعد (٤) من ظ و مد . وفى الأصل : يكفيه (٥) فى ظ : ما .
(٦) سقط من ظ و مد .

موسى عليه السلام لما فيه من تأنيبه و تعجيزه^١. منكرا لخالفه على سبيل
التجاهل، كما أنكر هؤلاء الرحمن متجاهلين وهم^٢ أعرف الناس بغالب
أفعاله، كما كان فرعون يعرف، لقول موسى عليه السلام " لقد
علت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض^٣ " (وما رب العلين^٤)
٥ [أى -^٤] الذى زعمت أنكما رسولة. فسأل به وما^٥ عن حقيقته
وإنما أراد فى الحقيقة إنكاره .

[و لما كان تعريف حقيقته سبحانه بنفسها محالا لعدم التركيب، فكان
تعريفها لا يصح إلا بالخارج اللازم الجلى، تشوف السامع إلى ما يجب به
عنه، فاستأنف قوله إخبارا عنه -^٤] : (قال) أى موسى [معرضا
١٠ عن التعريف بغير الأفعال إعلاما بأنه لا شبيه له، وأنه مبين وجوده
لوجود كل شيء سواه -^٤]، معرفا له سبحانه بأظهر أفعاله مما لا يقدر
أحد^٥ على ادعاء المشاركة فيه، مشيرا إلى خطابه فى طلب الماهية بأنه
لا مماثل له : أقول لك ولمن أردت بطلب الحقيقة التمويه عليهم :
هو (رب) [أى خالق و مبدع و مدر -^٤] (السموات)
١٥ [كلها -^٤] (و الارض^٥) [و إن تباعدت أجزاؤها بعضها عن
بعض -^٤] (وما بينهما^٥) و ذلك أظهر العالم الذى هو صنفته و أنتم
غير مستغنين عنه طرفة عين، فهذه هى المنة، لا متك على^٥ بالترية إلى

(١) من ظ و مد، وفى الأصل : يعجزه (٢) فى ظ : هو (٣) من ظ و مد،
وفى الأصل : لقوم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل :
بها (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : بما اظهر (٧-٧) فى ظ : يقار احدا.

حين استغيت عنك، وهذا هو الاستعداد^١ بالإحسان، مع العصيان
 بالكفران، لا استعدادك لقرمى باهلاكهم وهم في طاعتك، ولسلفهم^٢
 عليكم من المنة ما^٣ لا تجهلون^٤ (ان كنتم) [أى كونا راسخا-^٥]
 : (موقنين ه) أى متصفين بما عليه أهل العلم بأصول الدين من الثقة بما
 تعتقدون [اتصافا ثابتا-^٦]، والجواب: علمت ذلك، وعلمت أنه لا جواب ه
 أسد^٧ منه، لأن المذكور متغير، فله مغير^٨ لا يتغير، وهو هذا الذى
 أرسلنا، أى إن كان لكم يقين^٩ فأنتم تعرفونه. لشدة ظهوره، وعموم
 نوره (قال) ^{١٠} أى فرعون^{١١} (لمن حوله) من أشرف قومه بموها
 أيضا: (الاستمعون ه) أى تصفون إليه بجميع^{١٢} جهدكم، وهو كلام
 ظاهره أنه نبههم^{١٣} على الإنكار، لأنه سأل عن الماهية، فأجيب بغيرها، ١٠
 ويحتمل غير ذلك لو ضيق فيه، فهو من خفي مكره .

ولما وبخ اللعين في جوابه، وكان ربما ادعى أن الخافقين وما بينهما
 من الفضاء غير مخلوق، فتشوف^{١٤} السامع إلى جواب يلزمه، استأنف
 [الشفاء-^{١٥}] لى هذا السؤال بقوله: (قال) أى موسى، مخصصا بعد
 ما عمم [بشيء لا يمكن المنازعة فيه لمشاهدة وجود أفرادها بعد أن لم تكن-^{١٦}]: ١٥
 (ربكم) أى الموجد لكم والمرئى والمحسن (رب الأبائكم الاولين ه)

- (١) فى ظ : الاستعداد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : لسلفه (٣) من ظ ومد،
 وفى الأصل : بما (٤) ريد من ظ ومد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ : اشد.
 (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : معين (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : لجمع (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : ينهزم.
 (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : فتشوق

و فرعون - الذى تقرون بأنه^١ ربكم - كان إذ ذاك عدما محضاً، أو مآه
 صرفاً^٢ فى ظهر أبيه، فبطل كون^٣ أحد منهم^٤ ربا لمن بعده / كما بطل
 كون أحد^٥ ممن قبلهم من الهالكين ربا لهم، لأن الكل عدم .
 فلما أوضح بذلك بطلان ما حملهم على اعتقاده من ربوبيته لم يتمالك
 ٥ أن (قال^٦ ان رسولكم) على طريق التهمك، إشارة إلى أن الرسول
 ينبغى أن يكون^٧ أعقل الناس؛ ثم زاد الأمر [وضوحاً] بقوله:
 (الذى أرسل اليكم) أى وأنتم أعقل الناس (لمجنون^٨) حيث لا يفهم
 أنى أسأله عن حقيقة^٩ مرسله فكيف يصلح^{١٠} للرسالة من^{١١} الملوك .
 فلما أساء الأدب، [فاشتد تشوف السامع إلى معرفة جوابه عنه،
 ١٠ استأنف تعالى الإخبار بذلك، فخكى أنه-^{١٢}] ذكر له ما لا يمكنه أن يدعى طاعته
 له، [وهو أكثر تغيراً وأعجب تنقلاً-^{١٣}] بأن (قال رب المشرق والمغرب)
 أى الشروق والغروب و وقتها وموضعها (وما بينهما) أى من الناس
 الذين ليسوا فى طاعتكم، والحيوان والجماد، بسبب ما ترون من قدرته على
 قلب النيرات من بزوغ الشمس والقمر والنجوم وأفولها [وما يظهر
 ١٥ عنها من الليل والنهار-^{١٤}] على^{١٥} تصاريف مختلفة، وحركات متقاربة^{١٦}،
 (١) من مد، وفى الأصل وظ : أنه (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : صرفنا .
 (٣-٤) من ظ ومد، وفى الأصل : احكم (٥) من ظ ومد، وفى الأصل :
 احكم (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) زيد فى الأصل : عاقلاً، ولم تكن الزيادة
 فى ظ ومد فحذفناها (٧-٨) فى ظ : رسالة فكيف يصح (٨) من ظ ومد،
 وفى الأصل : عن (٩) زيد من ظ ومد (١٠-١٠) سقط ما بين
 الرقنين من ظ ومد .

- الولا هي لما علمت شيئا من أموركم، ولا تمكنتم من أحوالكم، وهذا
الدليل أمين الكل لتكرر الحركة فيه وغير ذلك من معالنه، ولذلك
بهت نمرود لما ألقاه عليه الخليل عليه الصلاة والسلام .
- ولما [دعاه صلى الله عليه وسلم باللين - ٢] فأساء؛ الأدب عليه
في الجواب الماضي، ختم هذا البرهان بقوله: ﴿ ان كنتم تعقلون ٥ ﴾ أى ٥
فأنتم تعلمون ذلك، فغيرهم بين الإقرار بالجنون أو العقل، بما أشار إليه
من الأدلة فى مقابلة ما نسبوه إليه من الجنون بسكوتهم^٦ وقول عظيمهم
بغير شبهة، ردا لهم عن الضلالة، وإنقاذا من واضح الجهالة، [فكان
قوله أنكأ مع انه أطف، وأوضح مع انه أستر وأشرف - ٢] .
- فلما علم أنه قد قطعه بما أوضح^٧ من الأمر، ووصل معه ١٠
فى الغلظة إلى ما إن سكت عنه أو هن^٨ من حاله، وقر من عزائم
رجاله، [تكلم بما السكوت أولى منه، فأخبر تعالى عنه بقوله - ٢] :
﴿ قال ﴾ عادلا عن الحجاج بعد الخوض فيه إلى المغالبة التى هى أبين
علامات الانقطاع: ﴿ لئن اتخذت الها غيرى ﴾ أى تعمدت أخذه
[وأفرده تنوجه جميع قصدك إليه - ٢] ﴿ لاجعلنك من المسجونين ٥ ﴾ ١٥
أى واحدا ممن هم^٩ فى سجونى على ما تعلم [من حالى فى اقتدارى، ومن
-
- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: لهذا .
(٣) ريد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: اساء (٥) من ظ
ومد، وفى الأصل: القرآن (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: بشكوتهم .
(٧) ريد فى الأصل: به . ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحدقتها (٨) من ظ
ومد، وفى الأصل: أوضح (٩) فهظ: هو .

يجونى فى فظاعتها، ومن حال من فيها من شدة الجمر، والفظ: فى
الحجر - [١] (قال) مدافعا بالتي هى أحسن إرخاء للعنان، لإرادة
البيان، حتى لا يبق عذر لإنسان، رجاء النزوع^١ عن الطغيان، والرجوع
إلى الإيمان، [لأن من العادة الجارية السكون إلى الإنصاف، والرجوع
٥ إلى الحق والاعتراف - [١] (اولو) أى أتسجنى ولو (جئتك بشئ مبین ٥)
أى لرسالتى (قال) طمعا فى أن يجدر موضعا للتكذيب أو التليس^٢:
(فات به) أى تسبب عن قولك هذا أنى أقول لك: ائت بذلك
الشيء. (ان كنت) [أى كونا أنت راسخ فيه - [٥] (من الضدقين ه)
[أى فيما ادعيت من الرسالة والبيئة - [١]، وهذا إشارة إلى أنه بكلامه
١٠ المتقدم قد صار عنده فى غير عدادهم، [ولزم عليه أنه لا يأتى بالمعجزة
إلا الصادق لأنها تصديق من الله للدعى، وعادته سبحانه وتعالى جارية فى
أنه لا يصدق الكاذب - [١] (فالتى) أى فتسبب عن ذلك وتعقبه أن التى.
[ولما كان الكلام مع - [١] موسى عليه السلام، [فكان إضماره
غير ملبس، لم يصرح باسمه اكتفاء بضميره فقال - [١]: (عصاه)
١٥ أى التى تقدم فى غير سورة أن الله تعالى أراه آياتها (فاذا هى ثعبان)
أى حية فى غاية الكبر (مبين ٥) أى ظاهر الثعبانية، لا شك عند
رأيه فيه، لا كما يكون عند الأمور السحرية [من التخيلات والتشبهات - [١]
(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفى الأصل: الروغ، وفى ظ:
الزراع (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عن (٤) زيد فى ظ: قال -
(٥) زيد من مد.

(و نزع يده) أى التى كانت احترقت لما أخذ الحجر و هو فى حجر
 فرعون، و بذل فرعون جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الأطباء
 فجز عن إبرائها، نزعها من جيبه بعد أن أراه^١ إياها على ما يمهده
 منها^٢ ثم أدخلها فى جيبه (فإذا هى) بعد النزع (بيضاء للنظرين)؛
 / أى يابضا^٣ تتوفر الدواعى على نظره لخروجه عن العادة بأن له نورا كنور
 الشمس يكاد يغشى الأبصار (قال) أى فرعون (للاحوالة) لما
 وضع [له -^٤] الأمر، يموه [على -^٥] عقولهم خوفا من إيمانهم:
 (ان هذا لسحر عليم لا) أى شديد المعرفة بالسحر، و خص فى هذه
 السورة إسناد هذا الكلام إليه لأن السياق كله لتخصيصه بالخطاب لما
 تقدم، و نظرا إلى "ظلت اعتاقهم لها خضعين" لأن^٦ خضوعه هو
 خضوع من دونه، فدلالته على ذلك أظهر، و لا يبنى ذلك أن يكون
 قومه قالوه إظهارا للطواغية - كما مضى فى الأعراف^٧.

و لما أوقفهم بما خيلهم به، أحامم لأنفسهم فقال^٨ ملقيا للجلباب
 الأبنقة لما^٩ قهره من سلطان المعجزة: (يريد ان يخرجكم من ارضكم)
 أى هذه التى هى قوامكم (بسحره تماء) أى بسبب ما أتى به منه، فإنه
 ١٥ يوجب استتباع الناس فيتمكن بما يريد [بهم -^{١٠}]؛ ثم قال لقومه - الذين
 كان يزعم أنهم عبيده وأنه إلههم - ما دل على أنه خارت قواه،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ابراه (٢) فى ظ: منه (٣) فى ظ: بيضا.
 (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ووه (٦) راجع آية ١٠٩.
 (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و قول (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد من مد.

فط عن منكيه كبرياء الربوية، وارتعدت فرائضه حتى جعل نفسه
 مأمورا بعد أن كان يدعى كونه أمرا بل إليها قادرا: (فماذا تامرون •)
 أي في مدافعتهم عما يريد بنا (قالوا) أي الملا الذين كانوا يأتمرون
 به قبل الهجرة ليقتلوه: (ارجه) أي أخره (واخاه) ولم يأمروا
 ٥ بقتله ولا بشيء مما يقاربه - فسجان من يلقى الروح من أمره على من
 يشاء من عباده فيها به كل شيء ولا يهاب هو غير خالقه
 (وابتعث في المدائن حشرين لا) أي رجلا يحشرون السحرة، وأصل
 الحشر الجمع بكثرة (ياتوك) وكأنهم فهموا شدة قلقه فسكنوه بالتعبير
 باداة الإحاطة وصيغة المبالغة فقالوا: (بكل صحار) أي بليغ السحر
 ١٠ (عليمه) أي متناه في العلم به بعد ما تناسى في التجربة؛ وعبر بالبناء
 للمفعول إشارة إلى عظمة ملكه فقال: (فجمع) أي بأيسر أمر لما له
 عندهم من العظمة (السحرة) كما تقدم غير مرة (ليلقات يوم معلوم لا)
 في زمانه ومكانه، وهو ضحى يوم الزينة كما سلف في طه^١، وعن ابن
 عباس^٢ رضى الله عنهما أنه وافق يوم السبت في أول يوم من سنتهم،
 ١٥ وهو يوم النيروز (وقيل) أي بقول من يقبل لكونه عن فرعون
 (للناس) أي كافة حثا لهم على الإسراع إلى الاجتماع بأمر فرعون،
 وامتحانا لهم هل رجعوا عن دينه. علما منه بأن ما ظهر من المعجزة

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: يهابه (٢) راجع آية ٥٠ (٣) ذكر قوله في معالم
 التنزيل - راجع هامش الباب ٥ / ٩٦ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: على .
 (٥) في ظ: الى .

- التي منها عجزه عن نوع أذى لمن واجهه بما لا مطمع في مواجهته
 بأدائه - لم يدع لبسا في أنه مريب مفهور، وأن ذلك موجب 'لاتباع
 موسى عليه السلام: ﴿ هل أتم مجتمعون ﴾^١ أي [اجتماعا أتم راسخون
 فيه لكونه بالقلوب كما هو بالأبدان -^٢] ، كلمم ليكون أهيب لكم ،
 [و زين لهم هذا القائل البقاء على ما كانوا عليه من الباطل بذكر جانب ه
 السحرة وإن كان شرط فيه الغلبة، ولم يسمح بذكر جانب موسى
 عليه السلام فقال -^٣]: ^٢ ﴿ لعلنا تتبع السحرة ﴾ لأن من امثل أمر
 الملك كان حاله حال من يرجى منه اتباع حزبه ^٢ ﴿ ان كانوا هم ﴾
 [أي خاصة -^٢] ﴿ الغلبين ﴾ أي [غلبة لا يشك في أنها ناشئة عن مكنة -^٢]
 و نعرض عن أمر موسى الذي تنازع الملك في أمره، [وهذا مرادهم ١٠
 في الحقيقة، و عبر بهذا كناية عنه لأنه أدل على عظمة الملك -^٢] ،
 و عبر بأداة الشك إظهارا للانصاف، و استجلابا للناس، مع تقديرهم
 لقطعهم بظفر السحرة، لما رسخ في أذهانهم في الأزمنة المتطابقة / من
 الضلال الذي لا غفلة لإبليس عن تزيينه مع أن تغيير المألوف أمر في غاية
 العسر، و قال: ﴿ فلما ﴾ بالفاء إيدانا بسرعة حشرهم، إشارة إلى ضخامة ١٤
 ملكه، و وفور عظمته ﴿ حآء السحرة ﴾ أي الذين كانوا في جميع بلاد
 مصر ﴿ قالوا لفرعون ﴾ مشرطين^١ الأجر في حال الحاجة إلى الفعل
 ليكون ذلك أحدر^٢ بحسن الوعد، و نجاح القصد - إن لنا لأجرا ﴿

(١) في ظ: يوجب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٤) من ظ و مد . و في الأصل: تعريضهم (٥) في ظ: ترتيبه ، و في مد: ترتيبه .
 (٦) في ظ و مد: مشرطين (٧) زيد في الأصل: إلى الغلبين ، و لم تكن
 الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

وساقوه مساق الاستفهام أديا معه، وقالوا: ﴿ان كنا﴾ أي كونا نحن
 راسخون فيه ﴿نحن﴾ خاصة ﴿الغلبين﴾ بأداة الشك مع جزمهم بالغلبة
 تخويضاً له بأنه [إن - ١] لم يحسن في وعدم لم ينصحواله، ثم قيل في
 جواب من كأنه سأل عن جوابه: ﴿قال﴾ بجيباً إلى ما سألوا:
 ﴿نعم﴾ أي لكم ذلك؛ وزاد لم ما لا أحسن منه عند أهل الدنيا مؤكداً له
 فقال: ﴿وانكم اذا﴾ أي إذا غلبتم ﴿لمن المقربين﴾ أي عندي، وزاد
 "إذا" هنا زيادة في التأكيد لما يتضمن ذلك من إبعاده عن الإيمان
 من وضوح البرهان، تخفيفاً على المخاطب بهذا كله صلى الله عليه وسلم،
 تسلياً له في الحمل على نفسه أن لا يكون من يدعم مؤمنين، و^٢ ما بعد
 ذلك^٢ من مسارعة السحرة للإيمان - بعد ما ذكر من إقسامهم بعزته
 بغاية التأكيد - تحقيق لآية / "فظلت اعناقهم لها خضعين" .

و لما تشوف السامع إلى جواب نبي الله تعالى موسى عليه الصلاة
 والسلام، اجيب بقوله: ﴿قال لهم موسى﴾ عليه السلام، أي مريدا
 لإبطال سحرهم لأنه لا يمكن منه إلا بالقائهم، لا لمجرد إلقائهم، غير مبال
 ١٥ بهم في كثرة ولا علم [بعد - ١] ما خيروه - كما في غير هذه السورة:
 ﴿القوا ما آتمم ملقون﴾ كائنا ما كان، ازدراء له^٤ بالنسبة إلى أمر الله
 ﴿فالقوا﴾ أي فتسبب عن قول موسى عليه السلام و تعقبه ان القوا
 ﴿حياهم و عصيهم﴾ التي أعدوها للسحر ﴿وقالوا﴾ مقسمين:

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : ما (٣-٣) في ظ : ما نعه ذلك (٤-٤) سقط
 ما بين الرقنين من ظ و مد . سقط من ظ .

(بعضة فرعون) يؤكدين بأنواع التأكيد (انالحن) أى خاصة لانستى (الغلبون) قول واثق من نفسه مزعم على أن لا يدع بابا من السحر يعرفه إلا آتى به، فكل من حلف بغير الله كأن يقول: و حياة فلان، و حق رأسه - ونحو ذلك، فهو تابع لهذه الجاهلية .

ولما قدم^١ إضمار اسم موسى عليه السلام فى الإلقاء الأول لان الكلام ه كان معه، فلم يكن إلباس^٢ فى أنه الفاعل، و^٣ كان الكلام^٢ هنا فى السحرة، و ختموا بذكر فرعون و عزته، صرح باسم موسى عليه الصلاة والسلام لنى اللبس فقال: (فالتى) أى قسب عن صنع^٤ السحرة و تعقبه أن ألقى (موسى) و قابل جماعة ما القوه بمفرد ما ألقى، لأنه أدل على المعجزة، فقال: (عصاه) أى التى جعلناها آية له، و تسبب عن إلقائه قوله: ١٠ (فاذا هى تلفف) أى تتلف فى الحال بسرعة و نهمة (ما يافكون مليح) أى بصرفونه عن وجهه و حقيقته التى هى الجمادية بحيلهم و تخيلهم إلى ظن أنه حيات تسعى (فالتى) أى عقب فعلها من غير^٥ تلبث (السحرة نسجدين) [أى فسجدوا بسرعة عظيمة -^٦] حتى كأن ملقيا ألقاهم [بغير اختيارهم -^٦] من قوة إسرائعهم، علما منهم بأن هذا من ١٥ عند الله، فأمسوا أتقياء بررة، بعد ما جاؤا فى صبح ذلك اليوم سحرة .
ولما كان كأنه قيل: هذا فعلهم، فما كان قولهم؟ قيل:

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: تقدم (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: البالى
- كذا (٣-٢) من ظ و مد، وفى الأصل: بان للكلام (٤) فى ظ: مواضع
- كذا (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد .

(قالوا 'أنا / رب العالين') أى الذى دعا إليه موسى عليه السلام أول ما تكلم؛ ثم خصوه كشفاً لتلبس فرعون بما لا يحتمل غيره فقالوا 'يانا: (رب) ولم يدع داع هنا إلى العدول عن الأصل، فقال عبارة عن كلامهم: (موسى' و'هرون) أى اللذين أحسنا إلينا بالنتية عليه، والهداية إليه، وصدقها بما أجرى على أيديهما .

و لما خاف فرعون اتباع الناس لهم، لما يرون بما هالمهم من أمرهم، وكان قد تقدم ما^١ يعرف أن المنكر عليهم فرعون نفسه، قال تعالى مخبراً عنه: (قال) من غير ذكر الفاعل - أى فرعون - لعدم اللبس، [ومقصود السورة غير مقتض للتصريح كما فى الاعراف^٢ بل ملائم^٣ ١٠. للاعراض عنه و الإراحة منه -^٤]، منكرها مبادراً موهماً لأنه إنما يعاقب على المبادرة بغير إذن، لا على نفس الفعل، وأنه ما غرضه إلا التثبيت ليؤخر^٥ بهذا التخيل الناس^٦ عن المبادرة بالإيمان إلى وقت ما (أمنتم له) أى لموسى^٧ عليه السلام، أفردته بالضمير لأنه الأصل فى هذه الرسالة، و حقيقة الكلام: أوقعتم^٨ التصديق بما أخبر به عن الله لأجله إعظاماً له ١٥. بذلك (قبل ان أذن لكم) أى فى الإيمان؛ ثم علل فعلهم بما يقتضى أنه عن مكر و خداع، لا [عن^٩ -^{١٠}] حسن اتباع، فقال: (انه) أى

(١) فى ظ: فيما (٢) راجع آية ١٢٣ (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد، وفى الأصل: هذا التخيل للناس (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: موسى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: فى (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: أوقعه (٨) زيد من مد .

موسى عليه السلام ﴿لكيركم﴾ .

ولما كان هذا مشعرا^١ بنسبته له^٢ إلى السحر، وأنه أعلم منهم به، فلذلك غلبهم، أوضح بقوله: ﴿الذى علمكم السحر^٣﴾ فتواعدتم^٤ معه على هذا الفعل، فنزعوا الملك من أربابه، هذا وكل من سمعه^٥ يعلم كذبه قطعا، فان موسى عليه السلام ما ربي إلا فى بيته، واستمر^٥ حتى فر منهم إلى مدين، لا يعلم سحرا، ولا ألم بساحر، ولا سافر إلا إلى مدين، ثم لم يرجع إلا داعيا إلى الله، ولكن الكذب غالب على قطر مصر، وأهلها أسرع شئ سماعا له واقتيادا به .

ولما أوقف السامعين بما خيلهم به من هذا الباطل المعلوم البطلان لكل ذى بصيرة، أكد المنع بالتهديد فقال: ﴿فلسوف تعلمون^٦﴾ أى ما ١٠
أفعل بكم، أى قسب عما فعلتم أنى أعاقبكم عقوبة محققة عظيمة، وأنى بأداة التنفيس خشية من أن لا يقدر عليهم فيعلم الجميع عجزه فيؤمنوا، مع ما فيها فى الحقيقة على السحرة من التأكيد فى الوعيد الذى لم يؤثر عندهم فى جنب ما أشهدهم^٧ الله من الآيات التى مكنتهم فى مقام الخضوع؛ ثم
فسر ما أبهم بقوله: ﴿لاقطن﴾ بصيغة التفعيل لكثرة القطع والمقطوعين ١٥
﴿أيديكم وارجلكم﴾ [ثم - ٦] بين كيفية تقطيعها فقال:
﴿من خلاف﴾ وزاد فى التهويل فقال^٧: ﴿ولاوصلبكم اجمعين﴾

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: مشعر (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: فتواجدتم.
(٤) من ظ ومد، وفى الأصل: يسمعه (٥) من ظ ومد، وفى الأصل:
أشهدتهم (٦) زيد من ظ ومد (٧) فى ظ: قال .

ثم استأنف تعالى حكاية 'جوابهم بقوله' : ﴿ قالوا ﴾ .
 [ولما كان قد تقدم هنا أنهم أثبتوا له عزة توجب مزيد الخوف
 منه، حسن قولهم - ٢ : ﴿ لا ضير ﴾ أى لا^٢ ضرر أصلا علينا 'تحصل
 به المكتة منا'] فيما هددتنا به ، بل لنا فى الصبر عليه إن وقع أعظم
 ٥ الجزء من الله، وورد - ٢ [النفي الشامل فى هذه السورة] إذانا بأنه
 لم يقدر فرعون على عذابهم ، تحقيقا لما فى أول القصة من الإشارة إلى
 ذلك بـ " كلا " و " مستمعون " فان الإمكان من تابعى موسى عليه السلام
 يؤذيه ويضيق صدره ، ولما يأتى فى القصص^٥ من صريح العبارة فى قوله
 " اتما ومن اتبعك / الغلبون " . [ثم - ٢] عللوا ذلك بقولهم :
 ١٠ ﴿ انا ﴾ أى بفعلك ذلك فينا إن قدرك الله عليه ﴿ الى ربنا ﴾ أى المحسن
 إلينا وحده ﴿ منقلبون ٤ ﴾ أى ولا بد لنا من الموت ، فلنكن على ما
 حكم به ربنا من الحالات ، وإنما حكمت على هذا الجسد ساعة من نهار ،
 ثم لاحكم على الروح إلا لله^٦ الذى هو جدير بأن يثبنا على ذلك نعيم
 الأبد ، وذلك معنى قولهم معلمين ما قبله : ﴿ انا نطمع ان يغفر ﴾ أى
 ١٥ يستر سرا بليغا ﴿ لنا ربنا ﴾ الذى أحسن إلينا بالهداية ﴿ خطيئا ﴾ أى
 التى قدمناها على كثرتها ؛ ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم :
 ﴿ ان كنا ﴾ أى كوننا هو لنا كالجليلة ﴿ اول المؤمنين ٤ ﴾ أى من أهل
 هذا المشهد ، وعبروا بالطمع إشارة إلى أن جميع أسباب السعادة منه تعالى ،

/٧٢٦

(١-١) من ظ ومد ، وفى الأصل : ضر - كذ (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط
 من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٥) آية ٣٥ (٦) فى ظ : الله .
 فكأنه (٩) ٢٦

فكأته لا سب منهم أصلا .

ولما قص سبحانه من حال الدعاء ما كفى في التسلية من قصد هذين
الدينين بالأذى والتهمك بمن دعوا إليه، وجعلهما الأعلىين، [و-١] لم يضرهما
ضعفهما وقلتها، ولا نفع عدوهما قوته وكثرته، شرع يسلي^٢ بما
أوقعه في حال السير، فقال طاويا^٣ ما بقي^٤ منه لأن هذا ذكر به، عاطفا^٥
على [هذه-٢] القصة: (و اوجيناً) أى بما لنا من العظمة حين أردنا فصل
الأمر وإنجاز الموعود (الى موسى^٦ ان اسر^٧) أى سر ليلا، حال
اشتغال فرعون و جنوده بموت أبنائهم^٨ وتجهيزهم لهم (بعبادى) أى
بنى إسرائيل [الذين كرمتهم-١] مصاحباً^٩ لهم إلى ناحية بحر القلزم،
غير مبال بفرعون ولا منزعج^{١٠} منه، وتزودوا باللحم والخبز الفطير
للاسراع، والطخوا أعتابكم بالدم، لأنى أوصيت الملائكة الذين يقتلون
الابكار أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم: ثم علل أمره له بالسير^{١١} في الليل
بقوله^{١٢}: (انكم متبعون) أى لا تظن أنهم لكثرة ما رأوا من الآيات
يكفون عن اتباعكم، فأسرع بالخروج لتبعدوا عنهم إلى الموضع الذى
قدرت في الأزل أن يظهر فيه مجدى^{١٣}، والمراد توافيهم عند البحر، ١٥

- (١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : يشكى (٣-٣) من ظ ومد، وفى الأصل :
بالتى (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : حين (٦) من ظ ومد، وفى الأصل :
انكارهم (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : صاحباً (٨) من ظ ومد، وفى
الأصل : تزعج (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : فى امره (١٠) من ظ ومد،
وفى الأصل : فى قوله (١١) من ظ ومد، وفى الأصل : مجرى .

[و-١] لم يكتم اتباعهم عن موسى عليه السلام لعدم تأثره^٢ به لما

تحقق عنده من الحفظ لما تقدم به الوعد الشريف بذلك التأكيد .

ولما كان التقدير : فأسرى بهم امثالا للأمر بعد نصف الليل ،

عطف عليه قوله : ﴿ فأسر فرعون ﴾ أي لما أصبح وأعلم بهم

﴿ في المدائن حشرين ﴾ أي رجالا يجمعون الجنود بقوة و سطوة وإن

كرهوا ، ويقولون تقوية^٣ لقلوبهم وتحريكا لهمهم : ﴿ ان هؤلاء ﴾

إشارة بأداة القرب تحقيرا لهم إلى أنهم في القبضة وإن بدوا ، لما بهم

من العجز ، وبأل فرعون من القوة ، فليسوا بحيث يخاف قوتهم ولا

باجتئهم ﴿ لشردمة ﴾ أي طائفة وقطعة من الناس .

١٠ ولما كانت قلتهم^٤ إنما هي بالنسبة إلى [كثرة - ١] آل فرعون

وقوتهم وما لهم عليهم من هية الاستعداد^٥ ، وكان التعبير بالشردمة

موهما لأنهم في غاية القلة ، أزال هذا الوم بالتعبير بالجمع دون المفرد

ليفيد أنه خبر بعد خبر ، لا صفة ، وأن التعبير بالشردمة إنما هو

للاشارة إلى تفرق القلوب ، والجمع ولا سيما ما للسلامة مع كونه / أيضا

/٧٢٧

١٥ للقلة أدل على أنهم أوزاع ، وفيه أيضا إشارة إلى أنهم مع ضعفهم

بقلة العدد آيسون^٦ من إسعاف بمدد ، وليس لهم أهبة لقتال لعدم العدة^٧

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : قآره (٣) من ظ

ومد ، وفي الأصل : بقواه (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : قتلهم (٥) في ظ :

الاستبعاد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : ايسرت (٧) من ظ و مد ،

وفي الأصل : القوة .

لأنهم لم يكونوا قط في عداد^١ من يقاتل كما تقول لمن يزدريه : هو أقل من [أن -^٢] يفعل كذا، فقال : (قليلون^٣) أى بالنسبة إلى مالنا من الجنود التى لا تحصى وإن كانوا فى أنفسهم كثيرين، فلا كثرة لهم تتممك أيها المحشورون من اتباعهم^٤؛ قال البغوى^٥ عن ابن مسعود رضى الله عنها: كانوا ستمائة ألف^٦ و تسعين ألفا، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون - ه انتهى . وكل هذا بيان لأن فرعون مع تنهى عظمته لم يقدر على أثر ما فى موسى عليه السلام ولا^٧ من اتبعه تحقيا لما^٨ تقدم من الوعد به أول القصة^٩ .

ولما ذكر ما يمنع الخوف من اتباعهم، ذكر ما يوجد الحث عليه ويحذر من التقاعس عنه فقال : (وانهم لنا) ونحن على ما نحن ١٠ عليه من الكثرة والعظمة (لعلآظون^{١١}) أى بما لجعونا به من أنفسهم وما استعاروه من الزينة من أرائى الذهب والفضة وفاخر الكسوة، فلا رحمة فى قلوبكم تحميمهم^{١٢} .

ولما كان مدار مادة شرذم^{١٣}، على التقطع . فكان فى التعبير بها إشارة إلى أنهم مع القلة متفرقون ليسوا على قلب واحد، وذكر أن ١٥

- (١) فى ظ : عدد (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل : اتباعم
(٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٩٧/٥ (٥) ليس فى المعالم (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : لا (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : لمن (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : العصمة (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : تجميمهم .
(١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : شرذمة .

في اتباعهم شفاء الغلل^١، أتبعه ما^٢ ينفي عن المتقاعد العلل، فقال:
(وانا لجميع) أي أنا وأنتم جماعة واحدة مجتمعون بإيالة الملك على
قلب واحد.

ولما أشار بهذا الخبر إلى ضد^٣ ما عليه بنو إسرائيل مع قتلهم لما
هو سبب للجرأة عليهم، أخبر بخبر ثان يزيد الجرأة عليهم، وفيه مضادة
لما أشير إليه به قليلون، من الاستضعاف فقال: (احذرون^٤) أي
ونحن - مع إجماع قلوبنا - من شأنا وطبعنا الحذر، فنحن لا نزال
على أهبة القتال، ومقارعة الأبطال، لاعتاق لنا عنه بسفر ولا بغيره،
أما من جهتي فبإضافة^٥ الأموال عليكم، وإدرار الأرزاق فيكم^٦، ووضع
١٠ الأشياء في مواضعها في الأرض والرجال، وأما من جهتم فباستعمال
الإمانة من طاعة الملك في وضع كل ما يعطيكم في مواضعه من إعداد
السلاح والمراكب والزاد، وجميع ما يحتاج إليه المحارب، مع ما لكم
من^٧ العزة والقوة وشاخة الأنوف وعظم النفوس مع الجرأة والإقدام
والثبات في وقف^٨ الحقائق، المحفوظ بالعقل المحوط بالجزم^٩ المانع من
١٥ اجترأه الأخصام عليكم، ومكرهم لديكم، فانه يحكى أنه [كان -^{١٠}] يتصرف
في خراج مصر بأن يجزئه أربعة أجزاء: أحدها لوزرائه وكتابه وجنده،

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: العليل (٢) في ظ: بما (٣) في ظ: حذر.
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: فبإضافة (٥) في ظ: عليكم (٦) سقط من
ظ (٧) في ظ: وقت (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: بالغزم والحزم.
(٩) زيد من ظ ومد.

و الثاني لحفر الأنهار و عمل الجسور ، و الثالث له و لولده ، و الرابع يفرق في مدن الكور ، فان لحقهم ظمًا أو استبحار أو فساد علة أو موت عوامل قوام به^٢؛ روى أنه قصدته قوم فقالوا: نحتاج [إلى -^٢] أن نحفر

٧٢٨ /

خليجا [لنعم -^٢] ضياعنا ، فأذن في ذلك / و استعمل عليهم عاملا^١ فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحية إلى بيت المال ، فسأل [عن مبلغ -^٢] ه ما أنفقوه على خليجهم ، فاذا هو مائة ألف دينار ، فأمر بحملها إليهم فامتعوا من قبولها ، فقال : اطرحوها عليهم ، فان الملك إذا استغنى بمال^٥ رعيته افتقر و افتقروا ، و أن الرعية إذا استغنت بمال ملكهم استغنى و استغنوا .

و لما كان التقدير : فأطاعوا أمره^٦ ، و نفروا على كل صعب ذلول^٧ ، عطف عليه قوله معلما بما آل إليه أمرهم : ﴿ فاخرجهم ﴾ [أى -^٢] بما ١٠ لنا من القدرة ، إخراجا حثيثا بما لا يسمح أحد بالخروج منه ﴿ من جنت ﴾ أى بسائين يحق لها أن تذكر ﴿ و عيون^٨ ﴾ لا يحتاج معها إلى نيل و لامطر ﴿ و كنوز ﴾ من الأموال تعرف بمقدار ما هم فيه من النعم الفاضلة عنهم ، [مع -^٢] ما هم فيه من تمام الاستعداد لمثل هذا المراد ﴿ و مقام ﴾ من المنازل ﴿ كرم^٩ ﴾ [أى على صفة ترضى الرائي له -^٢] لأنه على النهاية ١٥ من الحسن لا يقال فيه : ليه كان كذا ، أو كان فيه كذا .

و لما كان الخروج عن مثل هذا مما يستنكر^{١٠} ، أشار إلى عظمة القدرة

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : امرا ظلما (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ : غلاما (٥) تكرر في الأصل فقط (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : ذلوا (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : يستنرم .

عليه بقوله: ﴿كذلك^١﴾ أى مثل ذلك الإخراج العجيب الذى أرادته
 فرعون من قومه فى السرعة وكمال الهيبة^٢ أخرجناهم^٣ نحن بأن ينزلنا له
 ولهم ذلك ، ووفرنالهم الأسباب ، لما اقتضته حكمتنا ، أو مثل ذلك
 الخروج الذى قصصناه عليك أخرجناهم^٤ ، أى كان الواقع من خروجهم
 مطابقا لما عبرنا به عنه^٥ ، أو الأمر الذى قصصناه كله كما قلنا [و-^٦] أولها
 أقصدها وأحسنها وأجودها (و اورثناها) أى تلك النعم السرية بمجرد
 خروجهم بالقوة وباهلاكهم بالفعل (فى اسراءيل^٧) أى جعلناهم
 بحيث يرثونها^٨ لانا لم نبق لهم مانعا يمنعهم منها بعد أن كانوا مستعبدين^٩
 تحت أبدي أربابها ، وأما إرثهم لها بالفعل ففيه نظر لقوله فى الدخان^{١٠}
 ١٠ . قوما آخرين .

ولما وصف الإخراج ، وصف أثره فقال مرتبا عليه بالفعل وعلى
 الإيراث بالقوة: ﴿فاتبعهم﴾ أى جعلوا أنفسهم تابعة لهم (مشرقين^{١١})
 أى داخلين فى وقت شروق الشمس ، أى طلوعها من صيحة الليلة التى
 سار فى نصفها^{١٢} بنو إسرائيل ، و لولا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك
 ١٥ للعادة لم يكن على حكم العادة فى أقل من عشرة^{١٣} أيام ، فانه "أمر يعجز"
 الملوك مثله ، فبالله من حشر ما أسرع^{١٤} و جهاز ما أوسع^{١٥} واستمروا
 (١) فى مد : الهبة (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : عنهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : يورثونها (٦) فى ظ : مستعبدين .
 (٧) راجع آية ٢٨ (٨) فى ظ : بضعها (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : عشر .
 (١٠-١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : من العجز .

إلى أن لحقوهم عند بحر القلزم كما تقدم في الأعراف شرح ذلك عن
 التوراة، و تقدم سر تسييرهم في تلك الطريق (فلما ترآه الجمعن) أى
 صاراً بحيث يرى كل منهما الآخر (قال اصحب موسى) ضعفاً و عجزاً
 استصحاباً لما كانوا فيه عندهم من الذل، و لأنهم أقل منهم بكثير بحيث
 يقال: إن طليعة آل فرعون كانت على عدد بنى إسرائيل، و ذلك محقق ٥
 لتقليل فرعون لهم، و كأنه عبر عنهم بـ « اصحب » دون « بنى إسرائيل »
 لأنه كان قد آمن كثير من غيرهم: (انا لمدركون) أى لأنهم قد
 وصلوا و لا طريق لنا و قد صرنا بين سدين من حديد و ماء، العدو
 و راءنا و الماء أمامنا (قال) أى موسى عليه الصلاة و السلام و ثوقاً

بوعده الله، ناطقاً بمثل ما كلفه به / ربه في أول القصة من قوله: ١٠ / ٧٢٩
 (كلا) أى لا يدركونكم أصلاً؛ ثم علل ذلك تسكيناً لهم بقوله:
 (ان معى ربي) فكأنهم قالوا: « ما ذا عساه يفعل و قد وصلوا؟
 قال: (سيهدين) أى بوعده مؤكداً عن قرب، إلى ما أفعل
 عما فيه خلاصكم، و تقدم في براءة سر تقديم المعية و خصوصها و التعبير
 باسم الرب (فأوحيناً) أى فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة أنا ١٥
 أوحيناً؛ و نوه باسمه الكريم جزاء له على ثقته [به -] سبحانه

(١) من ظ و مد، و في الأصل: شرع (٢-٢) في ظ: ذلك الطريقة (٣) من
 ظ و مد، و في الأصل: كان (٤) في ظ: انهم (٥) في ظ: او (٦) من ظ
 و مد، و في الأصل: و نوق (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ
 و مد، و في الأصل: على (٩) في ظ: ما (١٠) من ظ و مد، و في الأصل:
 باسم (١١) زيد من ظ و مد.

قال: ﴿ الى موسى ﴾ وفسر الوحى الذى فيه معنى القول بقوله:
 ﴿ ان اضرب بعصاك البحر ﴾ أى الذى أمامكم، وهو بحر القلزم
 الذى يتوصل أهل مصر منه إلى الطور وإلى مكة المشرفة وما والاها
 ﴿ فانطلق ﴾ أى^١ فضربه فانشق [بسبب ضربه -^٢] لما ضربه امثالاً
 لأمر الله و صار اثني عشر فرقا على عدد أسباطهم ﴿ فكان كل فرق ﴾
 أى جزء^٣ وقسم عظيم منه ﴿ كالطود ﴾ أى الجبل فى إشرافه وطوله
 وصلابته بعدم السيلان ﴿ العظيم ﴾ المتطاوّل فى السماء الثابت لا يتزلزل،
 لأن الماء كان منبسّطاً فى أرض البحر، فلما انفرق [وانكشفت فيه
 الطرق -^٤] انضم بعضه إلى بعض فاستطال وارتفع فى السماء .

١٠ و لما كان التقدير: فأدخلنا كل شعب منهم فى طريق من تلك
 الطرق، عطف عليه: ﴿ وازلفنا ﴾ أى قربنا بعظمتنا من قوم موسى عليه
 السلام؛ قال البغوى^٥ . قال أبو عبيدة: جمعنا، ومنه ليلة المزدلفة، أى
 ليلة الجمع .

و لما كان هذا الجمع فى غاية العظمة وعلو الرتبة، أشار إلى ذلك
 ١٥ بأداة البعد فقال: ﴿ ثم ﴾ أى هنالك، فانها [ظرف -^٦] مكان للبعيد
 ﴿ الآخرين ﴾ أى فرعون و جنوده ﴿ وانجينا موسى ومن معه ﴾
 وهم الذين اتبعوه من قومه وغيرهم ﴿ اجمعين ﴾ أى لم نقدر على أحد

(١) وقع فى الأصل قبل « لما ضربه » و الترقيب من ظ و مد (٢) زيد من ظ
 و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جنة (٤) راجع معالم التنزيل بهامش
 الباب ٥ / ٩٨ .

منهم الهلاك .

- ١ ولما كان الإغراق بما به الإنجاء - مع كونه أمرا هائلا - عجيبا
 وبعيدا، عبر بأداة البعد فقال: ﴿ ثم اغرقنا ﴾ أى إغراقا هو على حسب
 عظمتنا ﴿ الآخرين ﴾ أى فرعون وقومه أجمعين، لم يفلت منهم أحد .
- ٥ ولما قام عذر موسى عليه السلام فيما استدفعه أول القصة من
 كيد فرعون بما ثبت له من العظمة والمكنة في كثرة الجند وعظيم
 الطاعة منهم له في سرعة الاجتماع الدالة على مكنتهم في أنفسهم، وعظمتهم
 في قلوبهم، رغبة ورهبة، وظهر مجد الله في تحقيق ما وعد به سبحانه
 من الحراسة، وزاد ما أقر به العيون، وشرح به الصدور، وكان ذلك
 أمرا يهز القوى سماعه، ويروع الأسماع، تصوره وذكره، قال منها ١٠
 على ذلك: ﴿ ان في ذلك ﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة من قصة
 موسى وفرعون وما فيها من العظات ﴿ الآية ﴾ أى علامة عظيمة على
 ما قال الرسول موجبة للإيمان به من أن الصانع واحد فاعل بالاختيار،
 قادر على كل شيء، وأنه رسوله حقا ﴿ وما كان أكثرهم ﴾ أى الذين
 شاهدوها والذين وعظوا بساعها ﴿ مؤمنين ﴾ أى متصفين بالإيمان الثابت، ١٥
 أما القبط فما آمن منهم إلا السحرة ومؤمن آل فرعون وامرأة فرعون
-
- (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد،
 وفي الأصل: تهز (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الافهام (٥) من ظ ومد،
 وفي الأصل: في (٦-٦) في ظ: الذى شاهدوه و الذى غطوا - كذا .

و المرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام - ' على ما يقال' ، و أما

بنو إسرائيل فكان كثير منهم / مزلزلا بتغنت كل قليل ، و يقول و يفعل

/٧٣٠

ما هو كفر ، حتى تداركهم^٢ الله تعالى على يدي موسى عليه السلام

و من بعده ، و أول ما كان من ذلك سؤالهم إثر مجاززة البحر أن

يجعل لهم^٣ إلها كالاصنام التي مروا عليها ، و أما غيرهم ممن تأخر عنهم

فخالهم معروف ، و أمرهم مشاهد مكشوف (و ان ربك) أي المحسن

إليك بأعلاء أمرك ، و استنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك

(لهُ العزیز) أي القادر على الانتقام من كل فاجر (الرحيم)

أي الفاعل فعل البليغ الرحمة ، فهو يمهل و يدر النعم ، و يحوط من النقم ،

١٠ و لا يهمل ، بل يرسل رسلا ، و ينزل معهم ما بين به ما يرضيه و ما

يسخطه ، فلا يهلك إلا بعد الإعدار ، فلا تستوحش^٥ ممن لم يؤمن ،

و لا يهمنك ذلك .

و لما آتم سبحانه ما أراد من قصة موسى عليه السلام ، أتبعه دلالة على

رحيميته قصة إبراهيم عليه السلام لما تقدم أنه^٦ شاركه فيه بما يسلي عما وقع

١٥ ذكره عنهم من التعنتات^٧ في الفرقان^٨ ، و لما اختص به من مقارعة آية

و قومه في الآوثان ، و هو أعظم آباء العرب ، ليكون ذلك حاملا لهم

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ و مد (٢) في مد : تداركهم (٣) سقط من

ظ و مد (٤) في ظ : الذي (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فلا يستوحش .

(٦) سقط من ظ (٧) في ظ : النفشات (٨) من ظ و مد ،

و في الأصل : القرآن .

على تقليده في التوحيد إن كانوا لا ينفكون عن التقليد، و زاجرا عن
استعظام تسفيه آباؤهم في عبادتها، و تعبيره سبحانه^١ للسياق قبل و بعد،
و تعبيره بقوله - : ﴿ و اتل ﴾ أى اقرأ قراءة متتابعة - مرجح^٢ للتقدير
الأول في " واذ^٣ " من جملة ' اذكر ' و تغييره^٤ في التعبير بها لسياق
ما تقدم و ما تأخر لتنيه العرب على اتباعه لما لهم به من الخصوصية^٥
﴿ عليهم ﴾ أى على هؤلاء المغتربين بالأوثان ، المنكرين لرسالة البشر
﴿ نيا ابراهيم ؟ ﴾ أى خبره العظيم في مثل ذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين
﴿ قال لايه و قومه ﴾ منها لهم على صلاحهم ، لا مستعلما^٦ لأنه كان عالما
بحقيقة حالهم : ﴿ ما ﴾ [أى - ^٧ أى شئ] ، و صور لهم حالهم
تنيها لهم على قباحتها فعبّر بالمضارع فقال - ^٨ [: ﴿ تعبدون ؟ ﴾ أى ١٠
تواظبون على عبادته ﴾ قالوا ﴾ متبهجين^٩ بسؤاله ، مظهرين الافتخار^{١٠} في
جوابهم باطالة الكلام : ﴿ نعد اصناما فنظل ﴾ أى فيتسبب عن عبادتنا
لها أنا نوفي حق العبادة بأن ندوم ﴿ لها عكفين ؟ ﴾ أى مطيفين بها على
سبيل المواظبة متراكمين بعضنا^{١١} خلف بعض حاسبين^{١٢} أنفسنا تعظيما

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : رجح (٣) في ظ : اذا (٤) من ظ و مد ، وفي
الأصل : تعبيره (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : مستعملا (٦) زيد من مد .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ ، وفي الأصل : متبهجين ، وفي مد :
متبهجين - كذا (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : للافتخار (١٠) من ظ
و مد ، وفي الأصل : بعضهم (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : حاسبين .

ها، فجزوا على منوال مؤلاء في [داء - ١] التقليد الناشئ عن الجهل
 بنفس العبادة [و - ١] بظنهم مع ذلك أنهم على طائل كبير، وأمر
 عظيم، ظفروا به، مع غفلة الخلق عنه - كما دل عليه خطابهم^٢ في هذا
 الكلام الذي كان يعنى عنه كلمة واحدة، وهذا [هو - ٢] الذي أوجب
 تفسير الظلول بمطلق الدوام وإن كان معناه الدوام بقيد النهار، وكانهم
 قصدوا بما يدل على النهار - الذي هو موضع الاشتغال و السهرة^٣ - الدلالة
 على الليل من باب الأولى، مع شيوع استعماله أيضا مطلقا نحو "فلت
 اعناقهم لها خاضعين"، [وزاد قوم إبراهيم عليه السلام أن استروا
 على ضلالهم وأبوه معهم فكانوا حطب النار، ولم يتمكن من إقازم من
 ذلك، ولم تكن لهم حيلة إلا دعاؤهم، فهو أجدر بشديد الحزن و ييخ
 نفسه عليهم و هو موضع التسلية - ١] .

ولما فهم عنهم هذه الرغبة، أخذ يزهدهم فيها بطريق الاستفهام
 الذي لا أنصف منه عن أوصاف يلجئهم السؤال إلى الاعتراف بسلبها^٤
 عنهم، مع علم كل عاقل إذا تعقل أنه لا تصح رتبة الإلهية مع فقد
 ١٥ / ٧٣١ واحدة منها، فكيف مع فقدها كلها؟ فقال تعالى / مخبرا عنه: (قال)
 معبرا عنها إصافا بما^٥ يعبر به عن العقلاء لتزليلهم إياها منزلتهم:

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: خطابتهم - كذا.
 (٣) في ظ و مد: الشهرة (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: الدانة (٥) من ظ
 و مد، وفي الأصل: سلبها (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: لا .

(هل يسمعونكم) أى دعاهم مجرد سماع؛ ثم صور لهم حالهم ليمتنوا^١ الفكر فيه، فقال معبرا بظرف ماض وفعل مضارع تنديها على استحضار جميع^٢ الزمان ليكون ذلك أبلغ فى التبكيت: (اذ تدعون^٣) أى استحضروا أحوالكم معهم من أول عبادتكم لهم وإلى الآن: هل سمعوكم وقتا ما؟ ليكون ذلك مرجيا^٤ لكم لحصول نفع منهم فى وقت ما.

وما كان الإنسان قد يعكف على الشيء - وهو غير سامع - لكن لنفعه له فى نفسه أو ضره لعدوه كالتار مثلا، وكان محط حال العابد والداعى بالقصد الأول وبالذات بجلب النفع، قال: (أو ينفعونكم) أى على العبادة^٥ كما ينفع أقل شيء تقنتونه (أو يضرون^٦) أى الترك (قالوا): لا والله ليس عندهم شيء من ذلك (بل وجدنا آباءنا كذلك)^{١٠} أى مثل فعلنا هذا^٧ العالى الشأن؛ ثم صوروا حالة آباتهم فى قوسهم تعظيما لامرهم فقالوا: (يفعلون^٨) أى فحن فعل كما فعلوا لأنهم حقيقون^٩ منا بأن لا يخالفهم، مع سبقهم لنا إلى الوجود، فهم أرضن منا عقولا، وأعظم تجربة، فلولا أنهم رأوا ذلك حسنا، ما واطبوا عليه،

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: ليمتنوا - كذا.

(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: رجوع (٤) من ظ و مد، وفى الأصل:

موجبا (٥) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها.

(٦) زيد فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٧) زيد فى

الأصل: الفعل، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٨) من ظ و مد،

وفى الأصل: حقيقون.

[هذا = ١] مع أنهم لو سلكوا طريقا حسية^١ حصل لهم منها ضرر حسي^٢ ما سلكوها قط، ولكن^٣ هذا الدين^٤ يهون على الناس فيه التقليد بالباطل قديما وحديثا .

ولما وصلوا إلى التقليد^٥ المحض الخالي عن أدنى نظر كما تفعل

٥ البهائم والطيور في تبعها^٦ لا ولها^٧ (قال) معرضا عن جواب كلامهم

بنقص، إشارة إلى أنه ساقط لا يرتضيه من شم^٨ رائحة الرجولية:

(افهمتم) أي تسبب عن قولكم هذا أني أقول لكم: أرايتم، أي إن

لم تكونوا رأيتهم^٩ رؤية موجبة لتحقيق أمرهم فانظروهم نظرا شافيا

(ما كنتم) أي كونا هو كالجلة لكم (تبدون لا) مواظبين على

١٠ عبادتهم (انتم) .

ولما أجابوه بالتقليد، قال لهم^{١١} ما معناه، رقاوا تقليدكم هذا إلى

أقصى غاياته، فان التقدم والاولوية لا تكون برهانا على الصحة، والباطل

لا ينقلب حقا بالقدم، وذلك مراده من^{١٢} قوله: (و اباؤكم الاقدمون ربي)

أي^{١٣} الذين هم أقدم ما يكونون: هل لهم وصف غير ما أقرتم به

(١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ: حسنة (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: حتى .

(٤ - ٤) من ظ ومد، وفي الأصل: هكذا الذي (٥) من ظ ومد، وفي

الأصل: التقلية (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: نظرها اتبعها - كذا (٧) من

ظ ومد، وفي الأصل: ثم (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: رايتموه (٩) زيد

في الأصل: كلا، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لغذفتها (١٠) من ظ ومد،

وفي الأصل: في (١١) زبدت الواو في الأصل، ولم تكن

في ظ ومد لغذفتها .

من عدم السماع والنفع والضرر؟ (فانهم) أى قسب عن رؤيتكم
ووصفكم لهم بما ذكرتم أنى أخبركم إخباراً مؤكداً أنهم .

ولما كانت صيغة 'فعل للبالغة، أغنت 'في العدو' والصدق عن

صيغة الجمع ولا سيما وهى شبيهة' بالمصادر كالقبول والصهيل، قال مجزراً

عن ضمير الجمع: (عدولى) أى أناصفهم' بالسوء وأعاملهم' فى إبطالهم

ومحقتهم معاملة الأعداء وكل من عدم كما قال فى الآية الأخرى:

" لقد كنتم أنتم و'اباؤكم فى ضلل مبين "، " أف لكم ولما تعبدون من
دون الله " و " تالله لا كيدن اصنامكم " .

ولما كانوا^٢ هم مشركين^١، وكان فى آباتهم الأقدمين من عبد الله

وحده، قال: (الارب العلين^٣) أى مدبر هذه الأكوان كلها ١٠

- كما قال موسى عليه السلام - لأن ذلك أشهر الأوصاف وأظهرها،

فانه ليس بدوى، بل هو ولى ومعبودى؛ ثم شرع يصفه بما [م-^٤]

به / عالمون من أنه على الضد الأقصى من كل ما عليه أصنامهم فقال: ٧٣٢ /

(الذى) ولما لم يكن أحد يدعى الخلق لم يحتج إلى ما يبدل على

الاختصاص فقال: (خلقنى) أى أوجدنى على هيئة التقدير والتصوير ١٥

(١) فى ظ: صفة (٢ - ٣) من ظ ومد، وفى الأصل: التصرف (٣) من ظ

ومد، وفى الأصل: شبيته (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: اناصبهم (٥) من ظ

ومد، وفى الأصل: اعاطيهم (٦) راجع من سورة الأنبياء آية ٤٤ و ٦٧

و ٧٥ (٧) فى ظ: كانت (٨) من مد، وفى الأصل: مشتركين، وفى ظ:

مشركون (٩) زيد من ظ ومد .

(فهو) أى قسب عن تفرده بخلق^١ أنه هو لا غيره (يهدين^٢) أى^٣ إلى الرشاد، ولأنه لا يعلم باطن المخلوق و يقدر على كمال التصرف فيه غير خالقه، [و لا يكون خالقه إلا سمياً بصيراً ضاراً نافعا، له الكمال كله، ولا شك أن الخلق للجسد، والهداية للروح، وبالخلق والهداية يحصل جميع المنافع، والإنسان له قلب من عالم الخلق، و قلب^٤ من عالم الأمر، و تركيب القلب مقدم -^٥] كما ظهر بهذه الآية، [و لقوله "فاذا سويته و نفخت فيه من روحي" و أمثال ذلك، و ذكر الخلق بالماضى لأنه لا يتجدد فى الدنيا، و الهداية بالمضارع لتجدها و تكررها دينا و دنيا -^٦ (و الذى هو) أى لا غيره (يطعمنى و يسقنى^٧) و لو أراد لأعدم ١٠ ما آكل و ما أشرب^٨ أو أصابنى بأفة لا أستطيع معها أكل و لا شربا . و لما كان المرض ضررا، نزهه عن نسبه إليه أدبا و إن كانت نسبة الكل إليه سبحانه معلومة، بقوله : (و اذا مرضت) باستيلاء بعض الأخلاط على بعض لما بينها^٩ من التنافر الطبيعى (فهو) أى وحده (يشفين^{١٠} لره) بسبب تعديل المزاج بتعديل^{١١} الأخلاط و قسرها على ١٥ الاجتماع و الاعتدال . لا طيب^{١٢} و لا غيره . و إن تسببت أنا فى أمراض نفسى يبرد أو حر أو طعام أتناوله أو غير ذلك لأنه قادر على ما يريد .

(١) فى ظ و مد : بمخقه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل و مد : قلب .
 (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ : شرب (٦) من مد، وفى الأصل و ظ : بينهما (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : تسبب عن تعديل .
 (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : طيب .

ولما كان الإنسان مطبوعاً على الاجتهاد في حفظ حياته وبقائه مهجته،
نسب^١ فعل الموت إليه إعظاماً^٢ للقدرة فقال: ﴿والذي يميتني﴾ أي
حساً وإن اجتهدت في دفع الموت، أو معنى وإن اجتهدت في دفع الجهل^٣.
ولما كان الإحياء حساً بالروح ومعنى بالهداية عظيماً، أتى بأداة
الترأخي لذلك ولطول المكث في البرزخ فقال: ﴿ثم يحييني﴾ للجازاة^٥
في الآخرة كما شفاني من^٤ المرض وإن وصلت إلى حد لا أرجى فيه،
ولم^٦ يأت هنا بما يدل على الحصر لأنه [لا - لا^٧] مدعى للإحياء والإماتة
إلا^٨ ما ذكره سبحانه عن نمرود في سورة البقرة^٩، وأن إبراهيم عليه
السلام أبهته ببيان عجزه في إظهار صورة من مكان^{١٠} من الأمكنة بلا شرط
من روح ولا غيرها، وإذا عجز عن ذلك كان عجزه عن إيجاد صورة^{١٠}
أبين، فكيف إذا انضم إلى ذلك إفادتها روحاً أو سلبها منها، فعد ادعاؤه
لذلك - مع القاطع المحسوس الذي أبهته^{١١} - عدماً، والله أعلم.

ولما ذكر البعث، ذكر ما يترتب عليه فقال: ﴿والذي اطمع﴾
هضاً لنفسه^{١٢} واطراحاً لأعماله وإشارة إلى أنها بالنسبة إلى الحضرة
الأعظمية غير قادرة لها حق قدرها، فان اطمع كما قال الحرالي في البقرة^{١٥}

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: نسب (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اعظا.
(٣-٢) ما بين الرقين بياض في الأصل، ملأناه من ظ ومد (٤) في ظ: في.
(٥) في ظ: لما (٦) زيد من ظ ومد (٧) في ظ: ان (٨) آية ٢٥٨ (٩) من ظ
ومد، وفي الأصل: المكان (١٠) زيد في الأصل: وبهت غيره، ولم تكن
الزيادة في ظ ومد لخذفها (١١) في ظ: الى نفسه.

' يعلق البال ' بالشئ من غير تقدم سبب - انتهى . فذلك لم يعدله عملا (ان يغفر) أى يمحو ويستر .

و لما كان الله سبحانه منزها عن الغرض ، فكانت المغفرة لحظ العبد ليس غير ، قال : (لى) [] و أسند الخطيئة إليه هضمًا لنفسه و تواضعا .
 ٥ [لربه فقال - ٢] : (خطيئتي) أى تقصيرى عن أن أقدره حق قدره ، فان الضعيف العاجز لا يبلغ كل ما ينبغى من خدمة العلى الكبير ، و ما فعله فهو باقداره سبحانه فلا صنع له فى الحقيقة أصلا (يوم الدين)
 أى ٢ / الجزاء .

/ ٧٣٣

و لما أتى [على - ٢] الله تعالى بما [هو - ٢] أهله ، و ختم بذكر
 ١٠ هذا اليوم العظيم ، دعا بما ينبغى من هوله ، فدل صنيعه على أن تقديم الثناء على السؤال أمر مهم ، و له فى الإجابة أثر عظيم ، فقال ملتفتا إلى مقام المشاهدة إشارة * إلى أن الأمر مهول ، و أنه لا يتفقد من خطره إلا عظيم القدرة ، لما طبعت عليه النفس من القائص : (رب) أى ٦ [أيها - ٢] المحسن إلى (هب لى حكما) أى عملا متقنا بالعلم ، و أصله
 ١٥ بناء الشئ على ما توجه الحكمة . و لما كان الاعتماد إنما هو على محض الكرم ، فان من نوقش الحساب عذب ، قال : (و الحقنى بالصلحين)
 أى الذين جعلتهم أئمة للتقنين فى الدنيا و الآخرة ، و هم من كان قوله

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فعلق الباب (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل : يوم الدين يوم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفها (٤) فى ظ : الرسول - كذا (٥) فى ظ : فاشار (٦) سقط من ظ .

وفعله صافياً عن شوب فساد .

ولما كان الصالح قد لا يظهر عمله، وكان إظهار^٢ الله له مجلبة للدعاء^١،
و زيادة في الأجر، قال: ﴿ واجعل لى لسان صدق ﴾ أى ذكر^٣اً جميلاً،
وقبولاً عامماً، وثناءً حسناً، بما أظهرت منى من خصال الخير ﴿ فى الآخرين لا ﴾
أى اللاس الذين يوجدون بعدى إلى يوم الدين، لا كون للتقنين إماماً،
فيكون لى مثل أجورهم، فإن من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر
من عمل بها إلى يوم القيامة، وقد كان ذلك إجابة من الله تعالى لدعائه،
ومن أعظمه أن جعله الله شجرة مباركة فرع منها الانبياء الذين أحى بهم
عليهم الصلاة والسلام^٤ ذكره الذى^٥ من أعظمه ما كان على لسان
أعظمهم النبى الأمى صلى الله عليه وسلم من قوله «صل على محمد كما صليت^٦ على
إبراهيم» إلى آخره .

ولما طلب سعادة الدنيا، وكانت لا نفع لها^٧ إلا باتصالها بسعادة
الآخرة التى هى الجنة، وكانت الجنة لا تنال إلا بمنه^٨، لا بشيء من ذلك،
ولذلك شبه إدخالها بالإرث^٩ الذى يحصل بغير اكتساب من الوارث
وهو أقوى أسباب الملك، قال^{١٠}: ﴿ واجعلنى ﴾ أى مع ذلك كله ١٥

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: مصافياً (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: اظهر .
(٤) فى ظ: بالدعاء (٥) فى مد: ذكر (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: اى .
(٧-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: كثرة الدين (٨) من ظ ومد، وفى
الأصل: بها (٩) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد لخذفتها .
(١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: بالارض (١١) فى ظ: فقال .

بفضلك ورحمتك (من ورثة جنة النعيم^١) .

ولما دعا لنفسه، تى بأحق الخلق^١ يره فقال: (واغفر لابي)

ثم علل دعاءه بقوله: (انه كان) في أيام حياته (من الصالحين^٢)

والظاهر أن هذا كان قبل معرفته بتأييد شقائه^٣، ولذلك قال:

(ولا تخزني) أى تهنى بموته على ما يوجب دخوله النار^٤ ولا بغير

ذلك (يوم يمشون^٥) أى هؤلاء المنكرون للبعث، وكان هذا الدعاء

كان بمضورهم في الإنكار عليهم في عبادة الأصنام، والظاهر أن تخصيص

الدعاء بأبيه لأن أمه كانت آمنت كما ورد عن ...^٦ فقد صح أنه يقول يوم

القيامة: يارب ا إنك^٧ وعدتني ألا تخزني، أى خزي^٨ أخزي من أبى

١٠ الأبعد، فيبدل الله صورة أبيه صورة ذئب ثم يلتقى به في النار - كما رواه

البخارى في غير موضع^٩ عن أبى هريرة رضى الله عنه، وأن الله تعالى

يقول له: إني حرمت الجنة على الكافرين . ولو كانت أمه كافرة

لسأله^{١٠} فيها .

ولما / نبه على أن المقصود هو الآخرة، صرح بالتزويد في الدنيا

/٧٣٤

١٥ بتحقيق^١ أجل ما فيها فقال: (يوم لا ينفع) أى أحدا (مال) أى

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الحق (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:

شقائه (٣) في ظ: للنار (٤) بياض في الأصول يسارى عشر كلمات (٥) في ظ

و مد: قد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: تخزي - كذا (٧) راجع مثلا

باب قول الله عز وجل "واتخذ الله إبراهيم خليلا" من كتاب الأنبياء (٨) من ظ

و مد، وفي الأصل: لسأل (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: تحقيق .

- يفتدى [به - '] أو يذله لشافع أو ناصر مقاهر (ولا بنون لا)
 ينتصر بهم أو يعتضد فكيف بغيرهم (الا من اتى الله) أى الملك الأعظم
 الذى له العنى المطلق فى هذا الوطن (بقلب سليم) أى عن مرض
 غيره عن الفطرة الأولى^٢ التى فطره^٣ الله عليها ، وهى الإسلام الذى
 رأسه التوحيد ، والاستقامة على فعل الخير ، وحفظ طريق السنة كما
 نتج البهيمة بهيمة جمعا ليس فيها من جدعاء فان " المال و البنون " ^٥
 ينفعانه بما تصرف^٥ فيها من خير ،^٦ والاستثناء^٦ مفرغ ، والظاهر أن
 قوله - (وازلفت) أى قربت بأيسر [وجه - '] - حال من واو
 " يعثون " (الجنة للتقين لا) وعرف أهل الموقف أنها لهم خاصة تعجلا
 لسرورهم وزيادة فى شرفهم (وبرزت) أى كشفت كشفا عظيما سهلا
 (الجحيم) أى النار الشديدة التأجج ، وأصلها نار عظيمة فى مهواة بعضها
 فوق بعض (للغبون لا) أى الضالين المالكين بحيث عرف أهل الموقف
 أنها لهم (وقيل لهم) تبكيئا وتنديما وتويخا ، وأبهم القائل ليصلح
 لكل أحد ، تحقيرا لهم ، ولأن المنكى^٧ نفس القول لا كونه من معين :
 (اينما كنتم) بتسلك^٨ الأخلاق التى هى كالجبلات^٩ (تعبدون لا) أى ١٥
- (١) زيد من ظ ومد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : أى (٣) موضعه تقاط
 فى ظ (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فطر (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 يصرف (٦-٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : فالاستثناء (٧) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : بتلك (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : كالجبلات - كذا .

في الدنيا على سبيل التجديد و الاستمرار . ' و حقر معبوداتهم بقوله :
 (من دون) [أى من أدنى رتبة من رتب - ٢] (ا لله) أى الملك
 الذى لا كفوء له ، و كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم و يقولون شر هذا
 اليوم (هل ينصرونكم) فيمنعون عنكم ما برز لكم (او ينصرون)
 أى هم بالدفع عن أنفسهم .

و لما تسب عن هذا التبريز و القول إظهار قدرته تعالى [و - ٢]
 عجزهم بقضهم فيها قال : (فككبوا) أى الأصنام و نحوها ، قلبوا و صرعوا
 و رموا ، قلبا عظيما مكررا سريعا [من كل من أمره الله بقلبهم - ٢]
 بعد هذا السؤال ، إظهارا لعجزهم بالفعل حتى عن الجواب قبل الجواب
 ١٠ (فيها) أى فى مهواة الجحيم قلبا عنيفا مضاعفا كثيرا بعضهم فى أثر
 بعض (م) أى الأصنام و ما شابهها ، مما عبد من الشياطين و نجوهم
 (و الفأون) أى الذى ضلوا بهم (و جنود ابليس) من شياطين الإنس
 و الجن (اجمعون) .

و لما علم بهذا أنهم لم يتمكنوا من قول فى جواب استفهامهم
 ١٥ توبيخا ، و كان من المعلوم أن الإنسان مطبوع على أن يقول فى كل شئ
 يوبه ما يثيره له إدراكه بما يرى أنه يرد من غلته ، و ينفع من علته ،
 تشوف السامع [إلى معرفة - ٢] قولهم بعد الكيبة ، فأشير إلى ذلك

(١-١) ما بين الرقين باض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد .
 (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سهوات (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 شاهما - كذا .

بقوله : (قالوا) أى العبد (وهم فيها) أى الجحيم (يقتصمون لا)
 أى مع 'المعبودات : (تالله) أى الذى له جميع الكمال (ان كنا لنى ضلل ميين)
 أى ظاهرا حدا لمن كان له قلب (اذ) أى حين (نسويكم) فى
 الرتبة (رب العالين) أى الذين فطرم و دبرهم حتى عبدنا كم
 (وما اضلنا) أى ذلك الضلال الميين عن الطريق البين (الا المجرمون)

٧٣٥ /

أى العريقون فى صفة الإجمام ، المقتضى لقطع كل ما ينبغى أن يوصل
 (فما) أى قسب عن ذلك أنه ما (لنا) اليوم ؛ و زادوا فى تعميم
 النفي بزيادة الجار فقالوا : (من شافعين لا) يكونون سببا لإدخالنا الجنة ،
 لأننا صرفنا ما كان يجب علينا لذى الأمر إلى من لا أمر له ؛ ولعله
 لم يفرد الشافع لأنهم دخلوا فى الشفاعة العظمى .

١٠ . ولما كان الصديق قد لا يكون أهلا لأن يشفع ، قالوا تأسفا
 على أقل ما يمكن : (ولا صديق) أى يصدق فى ودنا ليفعل ما يتفعا .
 ولما كان أصدق الصداقة ما كان من القريب قال : (حميم) أى
 قريب ، وأصله المصافى الذى يحرقه ما يحررك ، لأننا قاطعنا بذلك كل
 من له أمر فى هذا اليوم ؛ وأفرد تعميما للنفي وإشارة إلى قلته فى ١٥
 حد ذاته أو عدمه .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : أى (٣) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : الذى (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تلك (٥) سقط من ظ
 و مد (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : الذى (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 يتفع (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : فى (٩) فى ظ : الصافي .

ولما وقعوا في هذا الهلاك، واتفق عنهم الخلاص، تسبب عنه
تمنيهم المحال فقالوا: ﴿فلو ان لنا كورة﴾ أي رجعة إلى الدنيا
﴿فكنون من المؤمنين﴾ أي الذين صار الإيمان لهم وصفا لا زما،
فأزلت لهم الجنة .

٥ ولما كان في هذه القصة أعظم زاجرا عن الشرك، وأمر بالإيمان،
نبه على ذلك بقوله: ﴿ان في ذلك﴾ أي هذا الأمر العظيم الذي قصصته
من قول إبراهيم عليه السلام في إقامة البرهان على إبطال الأوثان، ونصب
الدليل على أنه لا حق إلا الملك الجليل الديان، وترغيبه وترهيبه
وإرشاده إلى التزود في أيام المهلة ﴿لأية﴾ أي عظيمة على بطلان
١٠ الباطل وحقوق الحق ﴿وما﴾ أي والحال أنه ما ﴿كان أكثرهم﴾
أي الذين شهدوا منه هذا الأمر العظيم والذين سمعوه عنه ﴿مؤمنين﴾
أي بحيث صار الإيمان صفة لهم ثابتة، وفي ذلك أعظم تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم بأعظم آياته عليهم الصلاة والسلام ﴿وان ربك﴾
أي المحسن إليك بارسالك وهداية الأمة بك ﴿لهو العزيز﴾ أي القادر
١٥ على إيقاع النعمة بكل من خالفه حين يخالفه ﴿الرحيم﴾ أي الفاعل
فعل الراحم في إمهاله العصاة مع إدرار النعم، ودفح النقم، وإرسال
الرسل، ونصب الشرائع، لبيان ما يرضاه ليتبع، وما يسخطه ليتجنب،
(١) من ظ و مد، وفي الأصل: زاجرا (٢) في ظ: للك (٣) زيدت الزاوا
بعده في الأصل، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و مد، وفي
الأصل: الايام المهلة (٥) سقط من ظ .

فلا يهلك إلا بعد إقامة الحجّة بإيضاح الحجّة .

ولما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الأقرب، أتبعها - دلالة على وصفي العزة والرحمة - قصة الأب الثاني، مقدما لها على غيرها، لما له من القدم في الزمان، إعلاما بأن البلاء قديم، و لأنها أدل على صفتي

الرحمة و النعمة التي هي أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم، ه

ثم تعميم النعمة مع كونهم جميع أهل الأرض فقال: (كذبت) باثبات

التاء اختيارا للتأنيث - وإن كان تذكير القوم أشهر - للتنبية على أن

فعلهم أخس الأفعال، [أو إلى أنهم مع عتوم و كثرتهم كانوا عليه سبحانه

أهون شيء و أضعفه بحيث جعلهم هباء منشورا و كذا من بعدهم -^٢]

(قوم نوح) و هم أهل الأرض كلهم من الآدميين قبل اختلاف الأمم ١٠

بتفرق اللغات (المرسلين عليه) أي بتكذيبهم نوحا عليه السلام، لأنه

أقام الدليل على نبوته بالمعجزة، و من كذب بمعجزة^٣ / واحدة فقد كذب ٧٣٦ /

بجميع المعجزات لتساوي أقدامها في الدلالة على صدق الرسول، و قد

سئل الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن ذلك فقال: من كذب واحدا

من الرسل فقد كذب الكل لأن الآخر جاء بما جاء به الأول - حكاة ١٥

عنه البغوى . و لقد صدق التسليية عبر بالتكذيب في كل قصة (اذ) أي:

حين (قال لهم) لم يتأنوا بطلب دليل، و لا ابتغاء وجه جميل؛ و أشار

إلى نسبة^٤ فيهم بقوله: (أخوهم) زيادة في تسليية هذا النبي الكريم

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: في (٢) زيد من ظ ومد (٣) في ظ: معجزة .

(٤) راجع المعالم على هامش الباب ١٠٠/٥ (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: نسبة .

(نوح) و أشار إلى حسن أدبه، و استجلاهم برقه و لينه، بقوله:
 (الأتقون ٤) أي 'تكون لكم تقوى، و هي' خوف يحملكم على أن
 تجعلوا [بينكم - ٢] و بين بخطه وقاية بطاعته بالتوحيد و ترك الالتفات
 إلى غيره؛ ثم علل أهليته للأمر عليهم بقوله: (إني لكم) [أي - ٢]
 ٥ مع كونى أخاكم يسوءنى ما يسوءكم و يسرنى ما يسركم (رسول)
 أى من عند خالقكم، فلا مندوحة لى عن إبلاغ ما أمرت به (أمين لا)
 أى لا غش عندى كما تعلمون ذلك منى على طول خبرتكم بى، و لا خيانة
 فى شىء من الأمانة، فلذلك لا بد لى من 'إبلاغ جميع' الرسالة .

ولما عرض عليهم التقوى بالرفق، و علل ذلك بما ثبت به أمرها،
 ١٠ تسبب عنه الجزم بالأمر ' فقال: (فاتقوا الله) أى أوجدوا الخوف
 و الحذر و التحرز من الذى ' اختص بالجلال و الجمال، مبادرين إلى
 ذلك بتوحيده لتحرزوا أصل السعادة فتكونوا من أهل الجنة (و اطيعون ٤)
 أى فى كل ما أمركم لتحرزوا ' رتبة الكمال فى ذلك، فلا يمسكم عذاب .
 و لما أثبت أماتته، نفى تهمة فقال: (و ما استلکم علیه) أى
 ١٥ على هذا الحال الذى أتيتكم به؛ و أشار إلى الإعراق فى النفي بقوله:
 (من اجرع) [أى - ٢] ليظن ظان' أنى جعلت الدعاء سبباً له؛ ثم

(١) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
 و مد، و فى الأصل: هو (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و فى
 الأصل: جميع بليغ - كذا (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ و مد؛ للذى .
 (٧) فى ظ: لتحوزوا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: امامته (٩) سقط
 من ظ و مد .

- أكد هذا النفي بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى ﴾ أى فى دعائى لكم ﴿ الا على رب العالمين ٤ ﴾ أى الذى دبر جميع الخلائق ورباهم .
- و لما انتفت التهمة ، تسبب عن انتفائها أيضا ما قدمه ، فأعاده إعلاما بالاهتمام بذلك زيادة فى الشفقة عليهم [و تأكيدا له فى قلوبهم تنبيها على أن الأمر فى غاية العظمة لما يعلم من قلوبهم من شدة الجلافة - ٥]
- فقال : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى حاز جميع صفات العظمة ﴿ و اطيعون ٥ ﴾ .
- و لما قام الدليل على نصحه و أماته ، أجابوا بما ينظر^٢ إلى محض الدنيا كما أجاب من قال من أشرف العرب " ما لهذا الرسول " الآيات ، و قال : لو طردت هؤلاء الضعفاء لرجونا أن تتبعك حتى نزل فى ذلك
- " و لا تطرد الذين يدعون ربهم " و نحوها من الآيات ، بأن ﴿ قالوا ﴾ ١٠
- أى قومه ، منكرين لاتباعه استنادا^٣ إلى داء الكبير الذى ينشأ منه بطر الحق و غمط الناس - أى احتقارهم : ﴿ اتؤمن لك ﴾ أى لاجل قواك هذا و ما أثبتته من أوصافك ﴿ و ﴾ الحال أنه قد^٤ ﴿ اتبعك الارذلون ٥ ﴾
- أى المؤخرون فى الحال و المآل ، و الأحوال و الأفعال ، فيكون إيماننا بك سببا لاستوائنا معهم ، فالو^٥ طردتهم لم يكن لنا عذر فى التخلف عنك ، و لا مانع من اتباعك ، فكان ما متعوا به من العرض الفانى^٦ مانعا لهم عن السعادة الباقية ، و أما الضعفاء فانكسار قلوبهم و خلوها عن شاغل موجب لإقبالها على الخير
-
- (١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : شطر (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : استنادا .
- (٤) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد لخذفها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لو (٦) سقط من ظ .

وقبولها له ، لأن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم ، وهكذا قالت قريش
 في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، 'وما زالت أتباع الرسل كذلك
 حتى صارت / من سماتهم وأماراتهم كما قال هرقل^٢ في سؤاله عن
 أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان مثال المستكبرين مثال شخص كان
 ٥ آخر دونه بدرجة ، فأصبح فوقه بدرجة ، فأنف من أن يرتقى إلى درجته
 ثلثا يساريه ، ورضى لنفسه أن يكون دونه ، فما أسخف^٣ عقله ! وما أكثر
 جهله ! فلا شيء أبين ، من هذا في أن التقدم^٤ في الأمور الدنيوية داء
 لا دواء له إلا إماتة النفس بالتهرؤ منه والبعد عنه .

/ ٧٣٧

ولما كانت الجواهر متساوية في أنها مخلوقات الله ، وإنما تتشرف
 ١٠ بآثارها ، فالأدنى إنما يشرف أو يرذل^٦ بحاله من قوله وفعاله ،
 أشار إلى أنه إنما يعتبر ما^٧ هم عليه الآن من الأحوال الرفيعة ، والأوصاف
 البديعة ، فلذلك ﴿ ذال ﴾ نافية لعمله بما قالوه^٨ في صورة استفهام إنكارى :
 ﴿ وما ﴾ أى و أى شيء ﴿ على بما كانوا يعملون ﴾ أى قبل أن
 يتبعونى ، أى وما لى وللبحث عن ذلك ، 'إنما لى' ظاهرهم الآن وهو

(١) العبارة من هنا إلى « عليه وسلم » ساقطة من ظ (٢) راجع من صحيح
 البخارى بابه الأول (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : استخف (٤) موضعه
 بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : التقديم .
 (٦) من مد ، وفى الأصل : يرذل ، وفى ظ : يزول (٧) من ظ ومد ، وفى
 الأصل : بما (٨) فى ظ ومد : قالوا (٩-٩) فى ظ : اغنانى .

خير ظاهر، فهم^١ الأشرفون وإن كانوا أفقر الناس وأخسهم نسياً، فإن
الغنى غنى الدين، والنسب نسب التقوى؛ ثم أكد أنه لا يبحث عن بواطنهم
بقوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿حسابهم﴾ أى فى الماضى والآتى ﴿الاعلى ربى﴾
المحسن إلىٰ باتباعهم لى [لىكون لى - ٢] مثل أجرهم، المخفف غنى أن
يكلفنى بحسابهم وتعريف بواطنهم، لأنه المختص بضبط جميع الاعمال ه
والحساب عليها^٢ ﴿لو تشعرون﴾ أى لو كان لكم نوع شعور لعلمتم
ذلك فلم تقولوا ما قلتم بما هو دائر على أمور الدنيا فقط، ولا نظره
إلى يوم الحساب .

ولما أفهم قوله رد ما أفهمه قولهم من طردهم، صرح به فى قوله:
﴿ و ما ﴾ أى ولست ﴿ انا بطارد المؤمنين ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم ١٠
وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع فى إيمانكم ولا لغيره من؛ اتباع
شهواتكم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ انا الانذير ﴾ أى
مخذر، لا وكيل مناقش على البواطن . ولا متعنت على الاتباع ﴿ مبین ﴾
أوضح ما أرسلت به فلا أدع^٣ فيه لبسا .

ولما أيأسهم بما أرادوا من طرد أتباعه لما أوهموا من اتباعه ١٥
لو طردهم خداعا، أقبلوا على التهديد، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك
بقوله: ﴿ قالوا لئن لم تنته ﴾ ثم^٤ سموه باسمه جفاء و قلة أدب فقالوا:

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: فيهم الاشراف (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عليها (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: عن .
(٥) فى ظ: فلا اضع (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اى .

﴿ يُنوح لتكونن من المرجومين ه^١ ﴾ أى المقتولين ، و لا ينفك أتباعك هؤلاء الضعفاء .

ولما أيس منهم^١ بما سمع من المبالغة بالتأكيد فى قولهم ، و رأى بما يصدقه من فعلهم ، قال تعالى مخبرا عنه^١ [جوابا لسؤال من يريد تعرف ٥ حاله بعد ذلك - ٢] : ﴿ قال ﴾ شاكيا إلى الله تعالى ما هو أعلم^٢ به منه توطئة للدعاء عليهم و إلهابا إليه و تهيجا ، معرضا عن تهديدهم له صبرا و احتسابا ، لأنه [من - ٢] لازم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، [و اكتفاء عنه بسببه - ٢] : ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلى .
 و لما كان الحال مقتضيا لأن يصدقوه لما له فى نفسه [من الأمانة ، ١٠ و بهم من القرابة ، و لما أقام على ما دعاهم إليه من الأدلة مع ما له فى نفسه - ٢] من الوضوح ، أكد الإخبار بتكذيبهم ، إعلاما بوجوده ، و بأنه تحققه منهم من غير شك فقال : ﴿ ان قومى كذبون على ﴾ أى فلا نية لهم فى اتباعى ﴿ فافتح ﴾ أى احكم ﴿ بينى و بينهم فتحا ﴾ أى حكما يكون لى / فيه فرج ، و به من الضيق مخرج^٣ ، فأهلك المبطلين و أنجز ١٥ حتفهم ﴿ و نجنى و من معى ﴾ أى فى الدين ﴿ من المؤمنين ه^٤ ﴾ بما تعذب به الكافرين .

/ ٧٣٨

(١ - ١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « المنكر » س ٨ ، و الترتيب من ظ و مد إلا أن « بما سمع » ليس فيها (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
 (٤) فى مد : ما (٥) فى ظ : الاختيار (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مخرجا .
 (٧) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .

و لما كان في إهلاكهم وإنجائه من بديع الصنع ما يجعل عن الوصف ،
أبرزه في مظهر العظمة فقال : (فأنجينه و من معه) أى بمن لا يخالفه
في الدين على ضعفهم و قلتهم (في الفلك) و لما كانت سلامة المملوء
جدا أغرب قال : (المشحون ٥) أى المملوء بمن حمل فيه من الناس
و الطير و سائر الحيوان ، و ما حمل من زادهم و ما يصلحهم . ٥

و لما كان إغراقهم كلهم من الغرائب عظمه بأداة البعد [و مظهر
العظمة - ٢] فقال : (ثم اغرقنا بعد) أى بعد حملة الذى هو سبب
إنجائه (البقين ٥) أى من بقى على الأرض و لم يركب معه فى السفينة
على قوتهم و كثرتهم ، [و كان ذلك - ٢] علينا يسيرا .

[و لما - ٢] كان ذلك أمرا باهرا ، عظمه بقوله : (ان فى ذلك) ١٠
أى الأمر العظيم من الدعاء و الإمهال ثم الإنجاء و الإهلاك (لأية ١)
أى عظمة لمن شاهد ذلك أو سمع به ، على أنا ننتقم بمن عصانا ، و نجى
من أطاعنا ، و أنه [لا - ٢] أمر لآحد معنا فيهديه* إلى الإيمان ، و يحمله
على الاستسلام و الإذعان (و ما) أى و الحال أنه ما (كان أكثرهم)
أى أكثر العالمين بذلك (مؤمنين ٥) و قد كان ينبغي لهم إذ فاتهم الإيمان ١٥
لمحض الدليل أن يادروا إليه و يركبوا معه حين رأوا أوائل العذاب أو بعد
أن ألبهم الفرق (و ان ربك) المحسن إليك بارسالك ، و تكثير أتباعك ،

(١) فى ظ : ما (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حمل .

(٤) زيد فى الأصل : و لما كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذفناها .

(٥) فى ظ : فهديه (٦) فى ظ : نحملة .

و تعظيم أشياعك ﴿ لهو العزيز ﴾ أى القادر بعزته على كل من تسمم
على الطاعة، وإهلاكهم فى أول أوقات المعصية ﴿ الرحيم ٤ ﴾ أى
الذى 'يخص من يشاء' من عباده بخالص وداده^٢، ويرسل إلى الضالين
عن حجة العقل القويمة الرسل لبيان ما يجب وما يكره، فلا يهلك إلا بعد
البيان الشافى، والإبلاغ الوافى .

ولما كان كأنه قيل: إن هذا لأمر هائل، فى مثله موعظة،
فما فعل من جاء بعدهم؟ هل انعط؟ أجيب بقوله دلالة على الوصفين معا:
﴿ كذبت عاد ﴾ أى تلك القبيلة التى مكن الله لها فى الأرض بعد قوم
نوح ﴿ المرسلين ١٤ ﴾ بالإعراض عن معجزة هود عليه الصلاة والسلام:
١٥ ثم سلى هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ اذ ﴾ [أى حين - °]
﴿ قال لهم اخوهم هود ﴾ لم يتوقفوا فى تكذيبه ولم يتأخروا عن وقت
دعائه لتأمل ولا غيره، وقد عرفوا صدق إخوانه، وعظيم نصحه ووفائه
﴿ الا ﴾ بصيغة العرض تأدبا معهم وتلطفا بهم ولينا لهم ﴿ تقون ٥ ﴾ أى
تكون منكم تقوى لربكم الذى خلقكم فتعبدوه وحده ولا تشركوا به ما
١٥ لا يضر ولا ينفع؛ ثم علل بقوله: ﴿ انى لكم رسول ﴾ أى فهو الذى
حملنى على أن أقول لكم ذلك ﴿ امين ١٤ ﴾ أى لا أكنتم عنكم شيئا مما أمرت
به ولا أخالف شيئا منه ﴿ فاتقوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لكم:
اتقوا ﴿ الله ﴾ الذى هو أعظم^٦ من كل شىء ﴿ واطيعون ٥ ﴾ أى فى

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و مد، وفى الأصل: خص من شاء (٣) من
ظ و مد، وفى الأصل: وداه (٤) فى ظ و مد: عظة (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) فى ظ: اعلم .

كل ما أمركم به من دوام تعظيمه (وما) أى أنا رسول داع والحال
أنى ما (استلکم علیہ) أى الدعاء (من اجر^١) فتهمونى به (ان)
أى ما (اجرى الا على رب الطلینة) .

ولما فرغ من الدعاء إلى الأصل، وهو الإيمان بالرسول والمرسل،

أتبعه إنكار بعض ما هم عليه مما أرجه الكفر، / وأوجب الاشتغال به ٥ / ٧٣٩

الثبات على النقي، واعظا لهم [بما - ^١] كان لمن ^٢ قبلهم من الهلاك،

مقدمة على زيادة التأكيد فى التقوى والطاعة لأن ^٣ حالهم حال الناس

لذلك الطوفان، الذى أهلك^٤ الحيوان، وهدم^٥ البنيان فقال:

(اتبنون بكل ربيع) أى مكان مرتفع؛ قال أبوحيان^٦؛ وقال أبو عبيدة:

الربيع^٧ الطريق . وقال مجاهد^٨: الفج بين الجبلين^٩، وقيل: السيل سلك^{١٠} .

أم لم يسلك . وأصله فى اللغة الزيادة (أية) أى علامة على شدتكم

لأنه لو كان لهداية أو نحوها لكنفى بعض الأرباع دون كلها .

ولما كان إقامة الدليل على قوتهم بمثل ذلك قليل الجدوى عند

التأمل، قال: (تعشون^{١١}) والعامل ينبغى له ^{١٢} أن يصون أوقاته النفيسة

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل: كان، ولم تكن الزيادة فى ظ

و مد لخذفناها (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: وان (٤) من ظ و مد، وفى

الأصل: اهل (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: هدد (٦) راجع البحر المحيط

٧ / ٢٩ (٧) زيد فى ظ و مد: أيضا (٨) راجع روح المعانى ٦ / ٢١٨ (٩) فى

ظ و مد: جبلين (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: يسلك (١١) فى ظ:

مثل (١٢) سقط من ظ .

عن العيب الذى لا يكون سبب نجاته، وكيف يليق ذلك بمن الموت
من ورائه..

ولما كان من يموت لا ينبغي له إنكار الموت بفعل ولا قول قال:
(وتتخذون مصانع) أى أشياء [بأخذ الماء، أو قصورا مشيدة
و حصونا -^١] تصنعونها، هى فى إحكامها بحيث تأكل الدهر قوة وثباتا،
فلا بينها إلا من حاله حال الراجى للخلود، ولذلك قال:
(لعلكم تتخلدون) وهو^٢ معنى ما فى البخارى^٣ عن ابن عباس رضى الله
عنها من تفسيرها بكنائكم.

ولما بين أن عملهم عمل من لا يخاف الموت، أتبعه ما^٤ يدل على
١. أنهم لا يظنون الجزاء فقال: (وإذا بطشتم) [أى -^١] بأحد، أخذتموه
أخذ سطوة فى عقوبة (بطشتم جبارين) أى غير مبالين بشئ من
قتل أو غيره؛ قال البغوى^٥: والجبار الذى يضرب و يقتل على الغضب.
ولما خوفهم لهذا الإنكار عقاب الجبار، تسبب عنه [أن -^١]
قال: (فاتقوا الله) أى الذى له جميع صفات الجلال والإكرام
١٥ (واطيعون) .

ولما كان إدكار الإحسان موجبا للاذعان، قال مرغبا فى الزيادة
و مرهبا من الحرمان: (واتقوا الذى أمدكم) أى جعل لكم مددا^٦،
(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: هى (٣) راجع كتاب
التفسير ٧٠٣/٢ (٤) فى ظ: بما (٥) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٠٢/٥
(٦-٦) من مد، وفى الأصل و ظ: صفات جميع (٧) فى ظ: حدادا.

وهو اتباع الشيء بما^١ يقويه على الانتظام^٢ (بما تملون^٣) أى ليس فيه نوع خفاء حتى تعذروا فى الغفلة عن تقييده بالشكر .

ولما أجمل ، فصل ليكون أكمل ، قال : (امدكم بانعام) أى تعينكم على الأعمال و تأكلون منها و تبيعون^٤ . ولما قدم ما يقيم الأود ، أتبعه قوله : (و بنين^٥) أى يعينونكم^٦ على ما تريدون عند العجز . ثم أتبعه ما يحصل كال العيش فقال : (و جنت) أى بساتين ملتفة الأشجار بحيث تستر داخلها ، و أشار إلى دوام الرى^٧ بقوله : (و عيون^٨) . ولما كانوا فى إعراضهم كأنهم يقولون : ما الذى تبقيه منه ؟ قال :

(انى أخاف عليكم) أى لأنكم قومي يسومنى ما يسوهم - إن تماديتم على المعصية (عذاب يوم عظيم^٩) و تعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب . (قالوا) راضين بما عندهم من داء الإعجاب ، الموقع فى كل ما عاب : (سواء علينا أوعظت) أى خوفت و حذرت^{١٠} و كنت علامة زمانك فى ذلك بأن تقول منه ما لم يقدر أحد على مثله ، دل على ذلك قوله : (ام لم تكن من الواعظين^{١١}) أى متأهلا لشيء من رتبة الراشخين فى الوعظ ، [معدودا فى عدادهم ، مذكورا فيما بينهم ، فهو أبلغ من أم ١٥ لم تعظ ، أوه تكن واعظا -^{١٢}] ، والوعظ^{١٣} - كما قال البغوى^{١٤} - : كلام

(١) فى مد : ما (٢) فى ظ و مد : انتظام (٣) يياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تبعون (٥) فى ظ و مد : يعينوكم (٦) فى ظ : الرأى (٧-٧) فى ظ : حذرت و خوفت (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : هو (١٠) راجع المعالم بهامش الباب ١٠٢/٥ .

يلين القلب / بذكر^١ الوعد و الوعيد . و المعنى أن الأمر مستوي في الحالتين
 في أنا^٢ لا نطيعك في شيء ؛ ثم طلوا ذلك بقولهم : (ان) أى ما
 (هذا) أى الذى جئنا به (الإخلق) بفتح الحاء و إسكان اللام
 في قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى^٣ (الأولين^٤) أى كذبهم ،
 ٥ أو ما هذا الذى نحن فيه إلا عادة الأولين في حياة ناس و موت
 آخرين ، و عافية قوم و بلاء آخرين ، و عليه تدل قراءة الباقيين بضم
 الحاء و اللام (و ما نحن بمعذبين^٥) لأننا أهل قوة و شجاعة و نجدة و براعة .
 و لما تضمن هذا التكذيب ، سبب عنه قوله : (فكذبوه) ثم
 سبب عنه قوله : (فاهلكنهم^٦) أى بالريح بما لنا من العظمة التى لاتذكر
 ١٠ عندها عظمتهم ، و القوة التى بها كانت قوتهم (ان فى ذلك) أى الإهلاك
 فى كل قرن للمعاصين و الإنجاء للطائعين (لأية^٧) أى عظيمة لمن بعدم
 على أنه سبحانه فاعل ذلك وحده بسبب أنه يحق الحق و يبطل الباطل ،
 و أنه مع أوليائه و من كان معه لا يذل ، و على أعدائه و من كان
 عليه لا يعز (و ما كان أكثرهم) أى أكثر^٨ من كان بعدم (مؤمنين^٩)
 ١٥ فلا تحزن أنت على من أعرض عن الإيمان (و ان ربك) أى المحسن
 إليك بارسالك و غيره من النعم (لهو العزيز) فى انتقامه (الرحيم^{١٠})
 فى إنعامه و إكرامه و إحسانه ، مع عصيانه و كفرانه ، و إرسال المنذرين

(١) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : مذكر (٢) فى ظ : ان (٣) راجع
 نثر المرجان ٤٩/٥ (٤) تقدم فى الأصل على « بفتح الحاء » و الترتيب من ظ
 و مد (٥) فى ظ : فوت (٦) سقط من ظ .

و تأييدهم. بالآيات المعجزة لبيان الطريق الأقوم، و المنهج الأسلم، فلا
 هلك إلا بعد الإعذار بأبلغ الإنذار؛ ثم دل على ذلك لمن قد ينسى إذا
 كان الإنسان مجبولا على النسيان بقوله: ﴿ كذبت ثمود ﴾ و هم أهل
 الحجر (المرسلين عليه) و أشار إلى زيادة التسلية بمفاجأتهم بالتكذيب من
 غير تأمل و لا توقف بقوله: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قال لهم اخوهم ﴾ أى
 الذى يعرفون صدقه و أماته، و شففته و ضيافته ﴿ ضلح ﴾ و أشار
 إلى تطفله بهم بقوله على سبيل العرض: ﴿ الا تقون ﴾ ثم علل ذلك
 بقوله: ﴿ انى لكم رسول ﴾ أى من الله، فلذلك عرضت عليكم هذا لأنى
 مأمور بذلك، و إلا لم أعرضه عليكم ﴿ امين ﴾ لاشئ من الحياة عندى،
 بل أضح لكم فى إبلاغ جميع ما أرسلت به إليكم من خالقكم، الذى
 لا أحد أرحم بكم منه.

و لما قدم ذكر الرسالة فصار له عذر فى المواجهة بالامر، سبب
 عنه قوله: ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق. و لما
 ذكر الأمانة قال: ﴿ واطيعون ﴾.

و لما أثبت ما يوجب الإقبال عليه، نفي ما يستلزم عادة الإدبار
 عنه فقال: ﴿ و ما ﴾ أى إني لكم [٢-] كذا و الحال أنى ما (استلتم عليه)
 و أعرق فى النفي بقوله: ﴿ من اجر ﴾ [٣-] تم زاد فى تأكيد هذا

(١) فى ظ: اذا (٢) فى ظ: فقال (٣) زيد من ظ و مد (٤-٥) فى ظ: عليه
 بالنفى - كذا (٥-٥) تقدم ما بين الرقيين فى الأصل على «و أعرق»،
 والترتيب من ظ و مد.

الذي بقوله [: (ان) أى ما (اجرى) على أحد (الا على رب العالمين)^١ .
أى المحسن إليهم أجمعين ، منه أطلب أن يعطينى كما أعظم .

ولما ثبت^١ الامانة ، و اتقى موجب الحياة ، شرع ينكر عليهم أكل

خيريه و عبادة غيره ، فقال مخوفاً لهم من سطواته ، و مرغبا / فى المزيد

/ ٧٤١

من خيراته . منكرأ عليهم إخلادهم إلى شهوة البطن ، و استنادهم إلى

الرفاهية و الرضى بالفانى : (اتركون) [أى -^٢] من أيدى النواب

التي لا يقدر عليها إلا الله (فى ما ههنا) أى فى بلادكم هذه من النعم

حال كونكم (أمنين)^٣ أى و أنتم تبارزون الملك القهار^٤ بالعظام .

و لما كان للتفسير بعد الإجمال شأن . بين ما أجمل بقوله مذكرأ لهم

١٠ . بنعمة الله ليشكروها : (فى جنت) أى بساتين تستر الداخل فيها و تخفيه

لكثرة أشجارها (و عيون)^٥ تسقيها مع ما لها^٦ من البهجة و غير ذلك

من المنافع (و زروع) و أشار إلى عظم^٧ النخيل و لاسيما ما كان

عندهم بتخصيصها بالذكر بعد دخولها فى الجنات بقوله : (و نخل طلعمها)

أى ما يطلع منها من الثمر ؛ قال الزمخشري^٨ : كمنصل السيف فى جوفه

١٥ شماریخ القنو ، و القنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه و شماریجه .

(هضم)^٩ أى جواد كريم من قولهم : يد هضم - إذا كانت تجود بما

لديها ، و تفسيره^{١٠} بذلك يجمع أقوال العلماء ، و إليه يرجع ما قال أبو عبد الله

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اثبتت (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ

و مد ، القاهر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (٥) من ظ و مد ،

و فى الأصل : عظيم (٦) راجع الكشاف / ٢ / ١٠٠٤ (٧) فى ظ : تفسيرها .

القزاز معناه أنه قد هضم - أى ضغط - بعضه بعضاً لتراكمه^١، فإنه لا يكون كذلك إلا^٢ وهو كثير متقارب النضد^٣، لا فرج بينه، ولطيف لين هش طيب الرائحة، من الهضم بالتحريك، وهو خص البطن ولطف الكشح؛ والهضم وهو ما فيه رخاوة، والهضم: البخور، والمهضومة: طيب يخلط بالمسك واللبان؛ قال الرازي في اللوامع: أو يانع نضيج لين رخو ومتهشم متفتت إذا مس، أو يهضم الطعام، وكل هذا يرجع إلى لطافته .

ولما ذكر اللطيف من أحوالهم^٤، أتبعه الكثيف من أفعالهم، [فقال -^١] عطفاً على "أتركون" أو مبيناً لحال^٢ الفاعل في "أمنين": (وتحتون) أى والحال أنكم تحتون إظهاراً للندرة (من الجبال يوتا فرهين^٣) ١٠ أى مظهرين النشاط والقوة، تعظاً بذلك وبطراً، لا لحاجتكم إلى شيء من ذلك (فاتقوا) أى قدسب عن ذلك أى أقول لكم: اتقوا (الله) الذى له جميع العظمة بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية باتباع أوامره، واجتناب زواجره (واطيعون^٤) أى فى كل ما أمركم به^٥ وأنهاكم^٦ عنه. فإنى لا أمركم إلا بما يصلحكم فيكون سبباً لحفظ ما أنتم فيه وتزدادون^٧ ١٥ (ولا تطيعوا^٨) .

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: لتراكمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: القصد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لطيف (٥) فى ظ: أحوالكم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: كحال . (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٩) فى مد: تزدادون .

ولما كان الانقياد للأمر إنما هو بواسطة ما ظهر من أمره قال:
 (امر المسرفين ١) أى المتجاوزين للحدود الذين صار لهم ذلك خلقاً؛
 ثم وصفهم بما بين إسرافهم، وهو ارتكاب الفساد الخالص المصمت
 الذى لا صلاح معه فقال: (الذين يفسدون فى الارض) أى يعملون
 ما يودى إلى الفساد لكونه غير محكم باستناده إلى الله .

ولما كان ربما ادعى فى بعض الفساد أن فيه صلاحاً، نقي ذلك
 بقوله: (ولا يصلحون هـ) أى لأنهم أسوا أمرهم على الشرك فصاروا
 بحيث لا يصلح لهم عمل وإن ترائى غير ذلك، أو أن المعنى أن المسرف
 من كان عريقاً فى الإسراف يجمع هذين الأمرين .

ولما دعا إلى الله تعالى بما لا يخلل فيه، فعلوا أنهم عاجزون عن
 الطعن فى شيء منه، عدلوا إلى التخيل على عقول الضعفاء بأن (قالوا
 إنما أنت من المسحرين ٤) أى الذين بولغ فى محرم مرة بعد مرة
 مع كونهم آدميين ذوى محور، وهى الرنات، فأثر فىك السحر حتى غلب
 عليك؛ ونقل البغوى ٦ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه: من
 المخلوقين المعلقين بالطعام والشراب، يقال: سحره أى علاه بالطعام
 والشراب . ويؤيده تفسيره بقولهم إشارة إلى أنه لا يصلح للرسالة:

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل: الذى (٢ - ٢) فى ظ و مد: ذلك لهم .
 (٣) فى ظ: باستناده (٤) فى ظ و مد و هـ (هـ) من ظ و مد، وفى الأصل:
 بجميع (٦) فى معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ١٠٢/٥ (٧) من ظ و مد
 و العالم، وفى الأصل: ما .

(ما أنت الا بشر مثلنا) أى فواجه خصوصيتك عما بالرسالة، وهل يكون الرسول من البشر، وإتباعهم [الوصف - ١] الوصف من غير عطف يدل على أنهم غير جازمين بتكذيبه. فالوصفان عديم بمنزلة شيء واحد كما إذا قيل: الزمان حلوحامض، أى مر، و يؤيد كونهم فى رتبة الشك لم يتجاوزوها إلى الجزم أو الظن بالتكذيب قولهم: هـ
 (فات بناية) أى علامة تدلنا على صدقك (ن كنت) أى كونا هو فى غاية الرسوخ (من الصدقين هـ) أى العريقين فى الصدق بخلاف ما يأتى قريبا فى قصة شعيب عليه السلام .

ولما أسرع الله تعالى فى إجابته حين دعاه أن يعطيهم ما اقترحوا، أشار؛ إلى ذلك بقوله: (قال) أى جوابا لاقتراحهم: تعالوا انظروا ١٠ ما آتاكم به آية على صدقى، فأتوا فأخرج الله له من الصخرة ناقة عسراء كما اقترحوا. فقال مشيرا إليها بأداة القرب إشارة إلى سهولة إخراجها وسرعتها: (هذه ناقة) أى أخرجها ربى من الصخرة كما اقترحتم؛ ثم أشار إلى أن فى هذه الآية آية أخرى بكونها^١ تشرب ماء البئر كله فى يوم ووردها^٢ وتكف عنه فى اليوم الثانى لأجلهم، بقوله: (لها شرب) ١٥ أى نصيب من الماء فى يوم معلوم (ولكم شرب يوم) أى نصيب

(١) ريد من ظ و مد (٢) من ظ و مد. وفى الأصل: تر (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عامة (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: إشارة (هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: آتاكم (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لكونها (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: ووردها.

من الماء في يوم ﴿معلوم﴾ لا زحام بينكم و بينها في شيء من ذلك .
 و لما أرشد السياق 'إرشادا بينا' إلى أن المعنى : فخذوا شربكم
 و آركوا لها شربها، عطف عليه قوله : ﴿ و لا تمسوها بسوء ﴾ أي كاتنا
 ما كان و إن قل ، لأن ما كان من عند الله يجب إكرامه ، و رعايته
 و احترامه ؛ ثم خوفهم بما يقسب^١ عن عصيانهم فقال : ﴿ فياخذكم ﴾
 أي يهلككم ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ بسبب ما حل فيه من العذاب ، فهو
 أبلغ من وصف العذاب بالعظم^٢ ، و أشار إلى سرعة عصيانهم بقاء التعقيب
 في قوله : ﴿ فعقروها ﴾ [أي قتلوها بضرب عاقها بالسيف -^٣] .

و لما تسبب عن عقرها^٤ حلول مخايل العذاب ، أخبر عن ندمهم
 ١٠ على قتلها من حيث أنه يفيض^٥ إلى الهلاك ، لا من حيث أنه معصية لله
 و رسوله . فقال : ﴿ فاصبحوا ندمين ﴾ أي على عقرها لتحقق العذاب ؛
 و أشار إلى أن ذلك الندم لا على وجه التوبة / أو^٦ أنه عند رؤية البأس
 فلم ينفع ، أو^٧ أن ذلك كناية عن أن^٨ حالهم صار حال النادم ، لأنه
 وجد منهم " ندم على شيء ما ، فإنه نقل عنهم أنه أتاهم العذاب و هم

١٧٤٣

(١ - ١) من ظ و مد ، وفي الأصل : اشار مييما - كذا (٢) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : تسبب (٣) من ظ و مد . وفي الأصل : العظيم ، و العبارة من
 « فهو أبلغ » إلى هنا تأخرت في الأصل عن « فعقروها » و ترتيب من ظ و مد .
 (٤) زيدا من ظ و مد (٥) زيد في الأصل : لتحقق العذاب ، ولم تكن الزيادة
 في ظ و مد فخذناها (٦) في ظ ؛ عن (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : يفيض .
 (٨) في ظ « و » (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : أي (١٠) سقط من ظ .
 (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : عنهم .

يحاولون أن يقتلوا صالحا عليه السلام، بقوله: ﴿فاخذم العذاب﴾^١
 أى التوعد^٢ به .

ولما كان فى الناقه وفى حلول الخايل كما تقدم أعظم دليل على
 صدق الرسول الداعى إلى الله قال: ﴿ان فى ذلك لآية﴾^٣ أى دلاله
 عظيمة على صحة ما أمروا به عن الله، ﴿وما﴾^٤ أى والحال أنه مع
 ذلك ما ﴿كان أكثرهم مؤمنين﴾^٥ .

ولما كان ربما توم أنه سبحانه غير متصف بالعزة لعدم قسرم على
 الإيمان، أو بالرحمة لإهلاكهم، قال: ﴿وان ربك هو العزيز﴾^٦ أى
 فلا يخرج شىء عن قبضته وإرادته، وهو الذى أراد لهم الكفر
 ﴿الرحيم﴾^٧ فى كونه لم يهلك أحدا حتى أرسل إليهم رسولا فىن لهم
 ما يرضاه سبحانه وما يسخطه، وأبلغ فى إنذارهم حتى أقام الحججة بذلك،
 ثم هو سبحانه يضل من يشاء لما تعلم من طبعه على ما يقتضى الشقاوة،
 و بوق من علم منه الخير لما يرضيه، فيتسبب عن ذلك سعادته، وفى تكبره
 سبحانه هذه الآية آخر كل قصة على وجه التأكيد وإتباعها ما دلت
 عليه من كفر من أى بعد أصحابها، من غير اتعاطى بحالهم، ولانكوب
 عن مثل ضلالهم، خوفا من نظير نكالهم، أعظم تسليه لهذا النبى الكريم،
 وتخويف الكل عليهم حلِيم^٨، واستعطاف لكل ذى قلب سليم، ولذلك^٩

(١) فى ظ: انهم (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: التوعد (٣) من ظ ومد،
 وفى الأصل: لهم (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: علم (٥) سقط ما بين الرقين
 من ظ ومد (٦-٦) ما بين الرقين بياض فى مد (٧) من ظ ومد،
 وفى الأصل: كذلك .

قال واصلا بالقصة: ﴿كذبت﴾ أى دأب من تقدم كانهم تواصلوا به ﴿قوم لوط والمرسلين﴾ لأن من كذب رسولا - كما مضى - فقد كذب الكل؛ لتساوى المعجزات فى الدلالة على الصدق. وقد صرحت هذه الآية بكفرهم بالكذب، و بين إسرائعهم فى الضلال بقوله: ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قال لهم اخوهم﴾ أى فى السكنى فى البلد لا فى النسب لأنه ابن أخى إبراهيم عليه السلام، وهما من بلاد الشرق من بلاد بابل. وكأنه عبر بالاخوة لاختياره لمجاورتهم، ومناسبتهم [بمصاهرتهم - ٢]، وإقامته بينهم فى مدينتهم مدة مديدة، وسنين عديدة، وإتيانه بالأولاد من نسايتهم، مسع موافقتهم فى أنه قروى؛ ثم بينه بقوله: ١٠ ﴿لوط الا تقون﴾ أى تخافون الله فنجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية. ولما كان مضمون هذا الدعاء لهم والإنكار عليهم فى عدم التقوى، علل ذلك بقوله: ﴿انى لكم﴾ أى خاصة ﴿رسول امين﴾ أى لا شىء من غش ولا خيانة عندى، ولذلك سبب عنه قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ [أى - ١] لقدرته على إهلاك من يريد وتعالیه فى عظمته ﴿واطيعون﴾ ١٥ أى لأن طاعنى سبب نجاتكم، لأنى لا أمركم إلا بما يرتضيه، ولا أنهاكم إلا عما يفضيه.

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: وادفا (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: نائه (هـ-هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: بمصاهرتهم. (٦) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: لا.

ولما أثبت الداعي إلى طاعته، نفى الناهي عنها فقال: (وما استلکم علیہ) أي الدعاء إلى الله (من اجزء) أي فتهمونى بسية؛ ونفى سؤاله لغيرهم من الخلائق / بتخصيصه بالخلاق فقال: (ان) أي ما (أجرى الأعلى رب العالمین) أي المحسن إليهم بإيجادهم ثم تربيتهم .

٧٤٤ /

فلما وجدوا مقتضى لاتباعه واتبى المانع، أنكر عليهم ما يوجب عذابهم [من إثارهم شهوة الفرج المخرج لهم إلى ما صاروا به سبة في الخلق - °] . فقال موجها مقرا بياناً لفاحش فعلهم وعظمه: (اتاتون) [أي - °] إتيان المعصية (الذکران) وعلهم كانوا يفعلون بالذكر من غير الآدميين توغلا في الشر وتجاهرا بالتهتك لقوله: (من العالین) أي كلهم^١، أو يكون المعنى: من بين الخلائق، أي أنکم اختصاصتم^{١٠} بإتيان الذکران، لم يفعل هذا الفعل غيرکم [من الناكحين - °] من الخلق (وتدرون^٧) أي تتركون لهذا الغرض (ما خلق لکم) أي للنكاح (ربکم) المحسن إليکم (من ازواجکم) أي و من الإناث، على أن 'من' للبيان، ويجوز أن تكون مبعضة، ويكون المخلوق كذلك^{١١} هو القبل .

١٥

ولما كانوا كأنهم قالوا: نحن لم نترك أزواجنا، حملا لقوله على^{١١}

(١) سقط من ظ (٢) في ظ ثم (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: وجد .
(٤) في ظ: وجب (٥) زيد من ظ ومد (٦) في ظ: كلكم (٧) زيد في الأصل: لكم، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٨) من ظ ومد وفي الأصل: النكاح (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: عنى (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: لذلك (١١) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد .

الترك أصلا و رأسا و إن كانوا^١ قد فهموا أن مراده تركهن حال الفعل في الذكور ، قال مضربا عن مقالهم^٢ هذا المعلوم تقديره لما أراوه به^٣ ، حيدة عن الحق ، و تماذيا في الفجور : (بل أنتم قوم عدون) أي تركتم الأزواج بتعدى الفعل بهن و تجاوزه إلى الفعل بالذكران ، و ليس ذلك يدع من أمركم ، فإن العدوان - الذي هو مجاوزة الحد في الشر - وصف لكم أنتم عريقون فيه ، فلذلك لا تقفون! عند حد حده الله تعالى .

فلما اتضح الحق ، و عرف المراد ، و كان غريبا عندهم ، و تشوف السامع إلى جوابهم ، استوفت الإخبار عنه ، قليل إعلاما بانقطاعهم و أنهم عارفون أنه لا وجه لهم في ذلك أصلا لعدولهم^٤ إلى الفحش : (قالوا) ١٠ مقسمين : (لئن لم تنته) [و سموه باسمه جفاء و غلظة فقالوا -^٥] : (يلوط) عن مثل إنكارك هذا علينا .

و لما كان لئاله من العظمة^٦ بالنبوة و الأفعال الشريفة التي توجب إجلاله و إنكار كل من يسمعهم أن يخرج مثله ، زادوا في التأكيد فقالوا : (لتكونن من المخرجين) أي [من -^٧] أخرجناه من بلدنا [على وجه ١٥ فظيع تصير مشهورا به بينهم -^٨] . إشارة إلى أنه غريب عندهم ، و أن عادتهم المستمرة نقي من اعترض عليهم ، و كان قصدهم بذلك أن يكونوا هم

- (١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل :
فألهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لا تقفون .
(٥) من ظ و مد ، و في الأصل لعدولهم (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) سقط من ظ .

المتولين لإخراجه إهانة له للاستراحة منه ، فكان إخراجه . لكن إخراج
إكرام للاستراحة منهم و النجاة من عذابهم بتولى الملائكة الكرام
(قال) أي جواباً لهم : (أني) مؤكداً لمضمون ما يأتي به (لعمركم)
و لم يقل : قال ، بل زاد في التأكيد بقوله : (من القالين^{هـ}) أي المشهورين
يبغض هذا العمل الفاحش ، العريقين في هذا الوصف ، المذكورين^ز بين
الناس بمنازعة من يفعله ، لا يردني عن إنكاره تهديديكم لي بإخراجه و لا غيره ،
و القلاء : بغض شديد كأنه يقلى الفؤاد .

و لما بادأهم بمثل هذا الذي من شأنه الإفضاء إلى الشر ، أقبل على
من يفعل ذلك لأجله . و هو القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ،
فقال : (رب نجني واهلي مما) أي من الجزاء الذي يلحقهم لما (يعملون^{هـ}) .
و لما قبل سبحانه و تعالى دعاءه ، أشار إلى ذلك بقوله :

(فجئته واهله) مما عذبناهم به بإخراجنا له من بلدهم / حين استخفافهم^{هـ}
له ، و لم يؤخره عنهم إلى حين خروجه إلا لأجله ، و عين سبحانه
المراد مبينا أن أهله كثير بقوله : (اجمعين^و) أي أهل بيته و المتبعين^{هـ} له
على دينه (الاعجوزا) و هي امرأته ، كأنه (في) حكم (الفبرين^ج)
أي الماكثين الذي تلحقهم العبرة بما يكون من الداهية فانتا [لم -^٦]
نتجها لقضائنا بذلك في الأزل ، لكونها لم تتابعه في الدين ، و كان هواها
مع قومها .

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الاستراحة (٢) سقط من ظ (٣) و في ظ :
المذكور (٤) في ظ : استحقاقهم (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : المتقين .
(٦) زيد من ظ و مد .

ولما ذكر نجاة المفهمة لملاكهم ، صرح به على وجه هوله بأداة التراخي لما علم غير مرة أنه كان عقب خروجه ، لم يتخلل بينهما مهلة^١ فقال : (ثم دمرنا) أي أهلكنا ملاكا بقية [صلبا أصم في غاية النكد -^٢] ، وما أحسن التعبير عنهم بلفظ (الآخرين)^٣ لفهام تأخرهم من كل وجه .

ولما كان معنى " دمرنا " : حكنا بتدميرهم ، عطفت عليه قوله : (وامطرا) ودل على العذاب بتعديته^٤ بد على ، فقال : (عليهم مطرا) أي وأي مطرا ولذلك سبب عنه قوله : (فسأ مطر المنذرين) أي ما أسوأ مطر الذين خوفهم لوط عليه السلام بما أشار إليه إنكاره وتعبيره بالتقوى والعدوان .

ولما كان في جرى المكذبين والمصدقين على نظام واحد من الهلاك والنجاة أعظم عبرة وأكبر موعظة ، أشار إلى ذلك بقوله : (ان في ذلك لآية) أي دلالة عظيمة على صدق الرسل في جميع ترغيبهم وترهيبهم .

ولما كان من أتى بعد هذه الأمم كقريش ومن تقدمهم قد علموا أخبارهم ، وضموا إلى بعض الأخبار نظر الديار ، والتوهم^٥ في الآثار .

(١) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحدناها (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : ملة (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : بتدميرهم - كذا (٥) في ظ : وكل - كذا (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : بتعذيبه (٧) في ظ : التوهم .

قال معجبا من حالهم في ضلالهم : (وما) أى والحال أنه ما^١
(كان أكثرهم مؤمنين) .

ولما كان في ذلك إشارة إلى الإنذار بمثل ما حل بهم^٢ من الدمار ،

أتبعه التصريح بالخوف والإطاع فقال : (وان ربك لهو^٣) أى

وحده (العزيز) [أى -^٤] في بطشه بأعدائه (الرحيم) في لطفه .

بأوليائه ، و رقه بأعدائه ، بارسال الرسل ، و بيان كل مشكل : ثم وصل

بذلك دليله ، فقال مذكرا الفعل لشدة كفرهم بدليل ما يأتى من إثبات

الوار في " وما انت الا بشر مثنا " : (كذب اصحب لشكنا) أى

الغيضة ذات الارض الجيدة التى تبتلع^٥ الماء . فذبت الشجر الكثير الملتف

(المرسلين) لتكذيبهم شعبيا عليه السلام فيما أتى به من المعجزة المساوية .

- في خرق العادة و محجز المتحدّين بها عن مقاومتها - لبقية المعجزات

الآتى بها الانبياء عليهم الصلاة و السلام (اذ قال لهم) .

ولما كانوا أهل بدو^٦ و كان هو^٧ عليه السلام قريبا ، قال : (شعيب)

[ولم يقل : أخوم ، إشارة -^٨] إلى أنه لم يرسل نبيا إلا من أهل القرى ،

تشريفا لهم لأن البركة و الحكمة في الاجتماع ، و لذلك نهى النبي صلى الله

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : لهم (٣) تأخر في الأصل

عن «وحده» ، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ

و مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : تبلغ - كذا (٧) من ظ و مد ، وفي

الأصل : بدر (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : هود (٩) من ظ و مد ،

وفي الأصل : الحسا - كذا .

عليه. و سلم عن التعرب بعد الهجرة، و قال: من يرد الله به خيرا ينقله
من البادية إلى الحاضرة. (الأتقون هـ) أى تكونون. من أهل التقوى،
وهى المحاجة من الله سبحانه و تعالى .

ولما كان / كأنه قيل: ما لك ولهذا؟ قال: (ان) و أشار

/ ٧٤٦

٥ إلى تبشيرهم إن أطاعوه بقوله: (لكم رسول) أى من الله، فهو أمرنى
أن أقول لكم ذلك (امين) أى لا غش عندى و لا خداع و لا حياة،
فذلك أبلغ جميع ما أرسلت به، و لذلك سبب عنه قوله: (فاتقوا الله)
أى المستحق لجميع العظمة، وهو المحسن إليكم بهذه الفيضة و غيرها
(واطمعوا) [أى - ٢] لما ثبت من نصحى .

١٠ ولما قدم ما هو المقصود بالذات . عطف على خبر "ان" قوله:

(وما استلکم عليه من اجر) قيا لما يفر عنه؛ ثم زاد فى البراهة بما
يوكس من الطمع فى أحد من الخلق فقال: (ان) أى ما
(اجرى الا على رب العالمين) [أى - ٣] المحسن إلى الخلاق كلهم، فأنا
لا أرجو أبدا أحدا يحتاج إلى الإحسان إليه، وإنما أعلق أملى بالمحسن
١٥ الذى لا يحتاج إلى أحد، و كل أحد سائل من رفته، و آخذ من عنده،
ولقد اتضح أن الرسل متطابقون فى الدعوة فى الأمر بالتقوى و الطاعة
و الإخلاص فى العبادة، مع النصح و العفة، و الامانة و الحشبة و الحسبة .
ولما كان كأنه قيل: ما الذى تنعى فيه؟ قال [ميتا أن داهم

(١) و قدم الحديث فى سورة يوسف عليه السلام (٢) من ظ و مد، و فـ

الأصل: تكونوا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ساير .

حب المال، المفضى بهم إلى سوء الحال - [١]: (أوفوا الكيل) أى
 أتموه إتماماً لا شبهة فيه. إذا كلم كما توفونه إذا اكتمتم لأنفسكم^٢.
 ولما أمرهم بالإيفاء نهام عن النقص على وجه أعم فقال: (ولا تكونوا)
 أى كونا هو^٣ كالجيلة، ولعله إشارة إلى ما يعرض من نحو ذلك من^٤
 الخواطر أو الهيئات التى يغلب الإنسان فيها الطبع ثم يرجع عنها رجوعاً
 يحوها، ولذلك قال: (من المخسرين^٥) أى الذين يخسرون - أى
 ينقصون - أنفسهم أديانها باخسار الناس دينهم بنقص الكيل أو غيره
 من أنواع النقص من كل ما يوجب الفتن، فتكونوا مشهورين بذلك^٦
 بين من يفعله.

ولما أمر بوفاء الكيل، أتبعه بمثل ذلك فى الوزن، ولم يجمعها ١٠
 بل للتفريق من التعريف بمزيد الاهتمام فقال: (وزنوا) أى لأنفسكم وغيركم^٧
 (بالقسطناس) أى الميزان الآقوم؛ وأكده معناه بقوله: (المستقيم^٨).
 ولما أمر بالوفاء فى الوزن، أتبعه نهياً عن تركه عاماً كما فعل فى
 الكيل [ليكون أكد فقال: (ولا تبخسوا) أى تنقصوا (الناس أشياءهم)

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: تماماً (٣) سقط من ظ
 ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: امر (٥) زيد فى الأصل: لكم، ولم تكن
 الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٦) زيد فى الأصل: العوارض، ولم تكن الزيادة
 فى ظ ومد لحذفها (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: و (٨) زيد فى
 الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٩) من ظ ومد، وفى
 الأصل: غيرهم.

أى فى كيل - ١] أو وزن أو غيرهما قصا يكون كالسبغة لافائدة فيه^٢. ثم أتبع ذلك بما هو أعم منه فقال: (ولا تغشوا) أى تصرفوا (فى الارض) عن^٣ غير تأمل 'حال كونكم' (مفسدين^٤) أى فى المال أو غيره، قاصدين بذلك الإفساد - كما تقدم بيانه فى سورة هود^٥ عليه السلام .

و لما وعظهم فأبلغ فى وعظهم بما ختمه بالهوى عن الفساد، خوفهم من سطوات الله تعالى ما^٦ أحـل بين^٧ هو أعظم منهم فقال: (واتقوا الذى خلقكم) أى قاعدامكم أمون شىء^٨ عليه، وأشار إلى ضعفهم وقوة من كان قبلهم بقوله: (و الجبله) أى الجماعة و الأمة (الاولين^٩) الذين كانوا على خلقه و طبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة و صلابه لاسيما قوم هود عليه السلام الذين هم عرب مثلكم، و قد / بلغت بهم الشدة فى أبدانهم، و الصلابه فى جميع أركانهم، إلى أن قالوا " من اشد منا قوة " و قد بلغتكم ما أنزل بهم سبحانه من بأسه، لأن العرب أعلم الناس بأخبارهم .

/٧٤٧

١٥ و لما كان حاصل ما مضى الإعلام بالرسالة، و التحذير "من المخالفة"^{١٠}،

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : له .
 (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : من (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : حالكم
 و كونكم، و فى مد بياض (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : و « (٦) راجع
 آية ٨٥ (٧) سقط من ظ (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : بما (٩) سقط من ظ
 و مد (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : بالمخالفة .

لأنها تؤدي إلى الضلالة، إلى أن ختم ذلك بالإشارة بالتعبير بالجبلية إلى أن عذابه تعالى عظيم، لا يستصغى عليه صغير ولا كبير، أجاوبه بالقدح في الرسالة أولا، وباستصغار الوعيد ثانيا، بأن^١ ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين^٢ ﴾ أى الذين كرر محرم مرة بعد أخرى حتى اختلوا، فصار كلامهم [على^٣] غير نظام، أو من المعلنين بالطعام والشراب كما مضى في صالح عليه السلام، هـ
أى فانت بعيد من الصلاحية للرسالة؛ ثم أشاروا إلى عدم صلاحية البشر مطلقا لها ولو كانوا أعقل الناس وأبدم عن الآفة^٤ بقولهم، عاطفين بالواو إشارة إلى عراقته فيما وصفوه به من جهة السحر والسحر، وأنه لا فرق بينه وبينهم^٥ : ﴿ وما أنت إلا بشر مثنا ﴾ [أى^٦] فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك، والدليل على أن عطف ذلك أبلغ من إتباعه ١٠
من غير عطف جزمهم بظن كذبه^٧ في قولهم : ﴿ وان ﴾ أى وإنا ﴿ ظنك لمن الكذابين^٨ ﴾ أى العريقين في الكذب - هذا مذهب البصريين في أن "ان" مخففة من الثقلة^٩، والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا في أن "ان"^{١٠} نافية، فانهم أرادوا بإثبات الواو [فى^{١١}] "وما" المبالغة فى نفي إرساله بتعداد ما يتأفاه، فيكون مرادهم أنه ليس ١٥
لناظن يتوجه إلى غير الكذب، وهو أبلغ من إثبات الظن به، ويؤيده

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: ان (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: الامة .
(٤-٤) من ظ ومد، وفى الأصل: بينهم وبينه - كذا (٥) من ظ ومد،
وفى الأصل: كذبهم (٦) فى ظ: الثقل (٧) من ظ ومد،
وفى الأصل: ما .

تسيبهم عنه^١ سؤاله استهزاء به وتعجيزا له إزال العذاب بخلاف ما تقدم عن قوم صالح عليه السلام، فقالوا: ﴿ فاسقط علينا كسفا ﴾^٢ باسكان^٣ السين على قراءة الجماعة وتحتها في رواية حفص^٤، وكلاهما جمع كسفة، أى قطعا ﴿ من السماء ﴾ أى السحاب، أو الحقيقة، وهذا^٥ الطلب لتضميمهم على التكذيب^٦، ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه بياهم [فضلا عن طلبه ولاشياء كونه على وجه التهم، ولذلك قالوا - ٧ -]: ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو لك^٨ كالجبة ﴿ من الصدقين^٩ ﴾ أى القريقين فى الصدق، المشهورين فيما بين أهله، [لصدقك - ٧ -] فيما لزم من أمرك - لنا باتخاذ الوقاية من العذاب من التهديد بالعذاب، وما أحسن نظره إلى تهديده لهم^{١٠} بما لله عليهم من القدرة فى خلقهم وخلق من كانوا أشد منهم قوة وإهلاكهم بأواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسله .

ولما كان عذاب العاصى يتوقف على العلم المحيط بأعماله، والقدرة على نكاله، استأنف تعالى الحكاية^{١١} عنه فى تنبيههم على ذلك بقوله:
 ١٥ ﴿ قال ﴾^{١٢} مشيرا إلى أنه لا شىء من ذلك إلا^{١٣} إلى من^{١٤} أرسله، وهو

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: عن (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: باسقاط (٣) راجع نثر المرجان ٦٢/٥ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: و (٥) فى ظ: الكذب (٦) فى ظ و مد: ما (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: له (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: بدا - كذا (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: المكانة (١٢) زيد فى الأصل: لى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا (١٣-١٣) فى ظ: لمن .

٧٤٨/

متصف بكل الوصفين ، وأما هو فانه وإن كان عالما فهو قاصر العلم
 فهو غير قادر : (ربي اعلم) أى منى (بما تعملون ه) لأنه محيط العلم
 فهو شامل القدرة ، فهو يعلم استحقاقكم للعذاب ، و مقدار ما / تستحقون
 [منه - ٢] ٢ و وقت إنزاله ٣ ، فان شاء عذبكم ، و أما أنا فليس على إلا البلاغ
 و أنا مأمور به ، فلم أخوفكم من نفسى و لا ادعيت قدرة على عذابكم ، فطلبكم ه
 ذلك منى ظلم منكم مضموم إلى ظلمكم بالكذب .

ولما كان محط كلامهم كله على تكذيبهم ؛ له من غير قدح في
 قدرة الخالق ، سبب العذاب عن تكذيبهم فقال : (فكذبوه) أى استمروا
 على تكذيبه (فاخذم) أى أخذ ملاك (عذاب يوم الظلة ٤) وهى
 صحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء ، أتتهم بعد حر شديد فالهم حتى ١٠
 من الأسراب فى داخل الأرض أشد مما فالهم من خارجها ليعلم أن
 لا فاعل إلا الله ، وأنه يتصرف كيف شاء ٥ على مقتضى العادة و غير
 مقتضاها فوجدوا من تلك الظلة نسيا باردا . و روحا طيبا ، فاجتمعوا
 تحتها استرواحا [إليها - ٢] و استظللا بها ، فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا
 بنحو مما ٦ اقترحوها و أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، ففقدت فيهم سهام ١٥
 القدرة ، و لم يجدوا من دينها وقاية و لاسترة من غير أن تدعو حاجة
 إلى سقوط شئ من جرم السماء . و لا بما دونها من السماء ٧ .

(١) فى ظ : العذاب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ
 و مد (٤) فى ظ : تكذيبه (٥) من ظ و مد و فى الأصل : يشاء (٦) فى ظ :
 بما (٧) أى السحاب المرتفع أو الكثيف المطر .

ولما كان الحال موجبا للسؤال عن يوم الظلة ، قال تعالى مهولا
لامره و' معظما لقدره: ﴿ انه كان ﴾ فأكد بـ ' إن ، [وعظم بـ
' كان . -] ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وزاده عظما بنسبته إلى اليوم ،
فصار له من الهول ، يديع هذا القول ، ما تجب له القلوب و تعظم
الكروب^٢ .

ولما كان لتوالي الإخبار بأهلاك هذه القرون ، وإيادة من ذكره
من تلك الأمم ، من الرعب ما لا يبلغ وصفه ، ولا يمكن لغيره سبحانه
شرحه ، قال تعالى مشيرا إليه تحذيرا من مثله: ﴿ ان في ذلك ﴾ أى
الامر العظيم من الإنجاء المطرد لكل رسول و من أطاعه ، و الأخذ المطرد
١٠ لمن عصاه في كل عصر بكل قطر ، بحيث لا يشذ من الفريقين إنسان ،
قاص و لادان ﴿ لآية ﴾ أى لدلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل
و أن يكونوا جديرين بتصديق العباد لهم^٦ في جميع ما قالوا من البشائر
و النذائر بأن الله تعالى يهلك من عصاه ، وينجي من والاه ، لأنه الفاعل
المختار ، لا مانع له ، و لاسيما أنت و أنت أعظمهم منزلة ، و أكرمهم رتبة ،
١٥ و لاسيما و قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك
معرفة قبل ذلك ، فكيف^٧ و هم^٨ عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدتهم

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ ، و في الأصل : الكروم ،
و الكلمة مطموسة في مد (٤) في ظ : لتعالى (٥) زيد في الأصل : من هذه
القرون ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٦) سقط من ظ (٧-٧) من
ظ و مد ، و في الأصل : فهم -

لهجة، وأعظمهم أمانة، وأعزهم عقلاً، وأوضحهم نبلاً، وأعلامهم همة،
وأبدهم عن كل دنس - وإن قل - ساحة؛ ثم عجب من توقفهم في
الإيمان مع ما عرفوا من صدق نبيهم وطهارة أخلاقه، ووفور شفقتهم
عليهم، ولم يخافوا من مثل ما تحققوه من إهلاك هذه الأمم فقال: **(وما كان أكثرهم)**
هذه الآيات، وإحلال المثالات حتى لكانهم^٢ تواصلوا بذلك **(مؤمنين ه)**

/ أي عريقين في الإيمان، بل ما يؤمنون إلا وهم^٣ مشركون . ٧٤٩/

ولما كان هذا كله تأسية للداعي صلى الله عليه وسلم، وتهديداً
لمن تمادى على تكذيبه، وترجية لمن رجع^٤ عن ذنوبه، أشار إلى ذلك
بقوله: **(وان ربك)** أي المحسن إليك بكل ما يعلى شأنك، ويوضح^{١٠}
برهانك **(هو العزيز)** فلا يعجزه أحد، ولا ينسب في إهمال عاص إلى
إهمال ولا يعجز **(الرحيم ع)** فلا يأخذ إلا بعد تجاوز الحد، واليأس عن^٦
الرد، مع البيان الشافي، في الإبلاغ الوافي، والتلطف الكافي، وكرر
الختام بهذا الكلام في هذه السورة ثمان مرات فلعل من أسراره الإشارة
إلى سبق الرحمة للغضب، لأن^٧ من السورة - المفتحة بالكتاب القيم والعبد^{١٥}
الكامل بالإضافة إلى الملك الأعظم اللذين هما^٨ رحمة الخالق للخلائق،
وذكر فيها [مع تقديمها في الترهيب -^٩] أهل الرحمة من أهل الكهف

(١) في ظ: لم يخافوه (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: يقال: يقال (٣) في ظ: كأنهم .

(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: أكثرهم (ه) من ظ ومد، وفي الأصل: يرجع .

(٦) من ظ ومد، وفي الأصل: من (٧) في ظ: لا (٨) من ظ ومد،

وفي الأصل: هم (٩) زيد من ظ ومد .

الذين قالوا "هب لنا من لدنك رحمة" [وموسى والخضر عليهما السلام اللذين آتى كلا منهما من لدنه رحمة - ١] ، وذا القرنين الذى آتاه من كل شئ سيبا^٢ فأتبع سيبا^٣ وقال "هذا رحمة من ربى" - إلى سورة الرحمة بانزال الفرقان على عبده المضاف إليه للانذار المؤذن بصفة العزة

٥ - ثماني سور ، فكل منهما ثامنة^٤ الأخرى ، وافتتحت السورة الواية للفرقان تفصيلا لما فى أول الكهف بقوله "لعلك باخع نفسك" و يذكر ما على الأرض من زينة "الم يروا إلى الأرض كم ابتقنا فيها من كل زوج كريم" كل ذلك تذكيرا بما فى تلك من الكتاب الجامع بالرحمة ، وتحذيرا بما فى القرآن من الإنذار الفارق بالعزة ، فلما كان ذلك كررت صفتا العزة

١٠ التى أذنت بها الفرقان ، و الرحمة التى صرحت بها الكهف ثماني مرات بحسب ذلك العدد ، تذكيرا بهذا المعنى البديع ، وترغيبا وترهيبا و تذكيرا بأبواب الرحمة الثمانية مع ما لحتم القصص بذلك من الروعة فى النفس ، و الهية فى القلب ، و الأنس البالغ للروح ، [و قدمت هنا صفة العزة الناظرة للانذار بالفرقان على طريق النشر المشوش مع ما اقتضى ذلك

١٥ من الحلال هنا - ١] و جعلت القصص سبعا تحذيرا من أبواب النعمة السبعة - إلى غير ذلك من الأسرار التى لاتسعها الأفكار .

و لما كانت آثار هذه القصص آيات مرثيات ، و الإخبار بها آيات

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : الله (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .

مسموعات، وكان في اطراد إهلاك العاصي و إنجاز الطائع في كل منهما،
 على تباعد الأعصار، و تنامي الأقطار، و اختلاف الديار، أعظم دليل
 على صدق الرسل، و تقرير الرسالات لتوافقهم في الدعوة إلى الله،
 و تواردهم على التوحيد، و العدل مع العزوف عن الدنيا التي هي شر
 محض، و الإقبال على الآخرة التي هي خير صرف، و التحلي بما أطبق
 العباد على أنه معالي الأخلاق، و محاسن الأعمال، و التخلي^١ عن جميع الدنيا،
 و التنزه عن كل تقص، عطف على قوله أول السورة " و ما يأتيهم من
 ذكر " - الآية الإخبار^٢ رسالة محمد صلى الله عليه و سلم، إشارة إلى ما في
 الإخبار عن آثار هذه القصص بالآيات المسموعات من عظيم الدلالات

على رسالته صلى الله عليه و سلم بما فيها^٣ من الإعجاز من جهة التركيب ١٠

و الترتيب و غير ذلك من عجيب الأساليب الذي [لم - ٦] توته / أمة^٤
 من الأمم السالقات، و من جهة أن الآتي بتلك القصص الغريبة،

و الإنباء البديعة العجيبة، أمي لم يخالط عالما [مع شدة ملامة القرآن
 لخصوص ما في قصة شعيب عليه السلام من العدل في الكيل و الوزن

الذي هو مدار القرآن، و من أنه الظلة الجامعة للخير، و القسطاط الدافع ١٥
 لكل ضير - ٦]، فقال ردا للقطع على المطلع : (و انه) أي الذكر

(١) من ظ و مد، و في الأصل : المتحالي (٢) من ظ و مد، و في الأصل :

الإخبار (٣) من ظ و مد، و في الأصل : عدة (٤) من ظ و مد، و في

الأصل : فيه (٥) في ظ : التي (٦) زيد من ظ و مد (٧) تكرر في

الأصل فقط .

الذى أتاهم بهذه الأخبار وهم عنه معرضون وله تاركون
 ﴿ لتزيل رب العالين ﴾ أى الذى ربه بشمول علمه ، وعظيم قدرته ،
 بما يعجز عن أقل شئ منه غيره لكونه أتاهم بالحق منها على لسان
 من لم يخاط عالما قط . ومع أنه سبحانه غدام نعمته ، ودبره بحكمته ،
 ٥ فاقضت حكمته أن يكون هذا الذكر جامعا لكونه خاتما ، وأن يكون
 معجزا لكونه تاما ، ونزله على حسب التدرج شيئا فشيئا . مكررا فيه
 ذكر القصص سابقا فى كل سورة منها ما يناسب المقصود من تلك
 السورة ، معبرا عما يسوقه منها " بما يلائم " الغرض من ذلك السياق مع
 مراعاة الواقع ، ومطابقة الكائن .

١٠ ولما كان الحال مقتضيا لأن " يقال : من أتى بهذا " المقال ، عن
 ذى الجلال ؟ قال : ﴿ نزل به ﴾ أى بجوما على سبيل التدرج من
 الأفق الأعلى الذى هو محل البركات ، وعبر عن جبرئيل عليه السلام
 بقوله : ﴿ الروح ﴾ دلالة على أنه مادة خير ، وأن الأرواح نجى . بما
 ينزله من الهدى ، وقال : ﴿ الامين ﴾ إشارة إلى كونه معصوما من
 ١٥ كل دنس ، فلا يمكن منه خيانه ﴿ على قلبك ﴾ أى يا محمد الذى هو
 أشرف القلوب وأعلاها ، وأضبطها وأوعاها ، فلا زيغ فيه ولا عوج ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فقط (٢ - ٢) فى ظ : بلام (٣) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : كان (٤) من ! ظ و مد . وفى الأصل : بهذه (٥) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : عن (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : بما تنزله - كذا .

حتى صار خلقا له ، وفي إسقاط الواسطة إشارة إلى أنه - لشدة إلقائه السمع وإحضاره الحس - يصير في تمكنه^١ منه بحيث يحفظه فلا يفنى ، ويفهمه حق فهمه فلا يخفى ، فدخله^٢ إلى القلب في غاية السهولة حتى كأنه وصل إليه بغير واسطة السمع عكس ما يأتي عن المجرمين ، وهكذا كل من وعى شيئا غاية الوعي حفظه كل الحفظ ، انظر إلى قوله تعالى " ولا تعجله^٥ بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه وقل رب زدني علما^٦ " ، " لا تحرك به لسانك لتعجل به " - الآية^٧ .

ولما كان السياق في هذه السورة التحذير ، قال معللا للجملة التي قبله^٨ : (لتكون من المنذرين^٩) أي المخوفين المحذرين لمن أءض عن الإيمان ، وفعل ما نهى^١ عنه من^٦ العصيان .

ولما كان القصد^٥ من السورة التسلية عن^٤ عدم إيمانهم بأنه لسفول شأنهم ، لا للخلل^٩ في يانه ، ولا لتقص في شأنه ، قال تعالى [موضعا لتمكنه من قلبه - ^{١٠}] : (بلسان عربي) . ولما كان في العربي ما هو حوشى لفظا أو تركيبا ، مشكل على كثير من العرب ، قال : (ميين^٤) أي بين في نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك للسا^{١١} عند من تدبره^{١٥}

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : تمكينه (٢) في ظ : بدخوله (٣) سورة ٢٠ آية ١١٤ (٤) - سورة ٧٥ آية ١٦ (٥) بياض في الأصل ، ملأناه من ظ و مد . (٦-٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : عن (٧) في ظ : المقصود (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : على (٩) في ظ : بخل (١٠) زيد من ظ و مد (١١) في ظ : شيئا ، والكلمة متكررة في الأصل .

حق تدبره على ما يتعارفه العرب في مخاطباتها، من سائر لغاتها، بحقائقها
و مجازاتها، على اتساع إراداتها، و تباعد مراميها في محاوراتها، و حسن
مقاصدها في كنياتها و استعاراتها، و من يحيط / بذلك حق الإحاطة غير
العليم الحكيم الخبير البصير، و إنما كانت عريته و إباته موضحة لسبقه
٥ قلبه^١، لأن من تكلم^٢ بلغته - فكيف بالبين^٣ منها - تسبق^٤ المعاني
الألفاظ إلى قلبه، فلو كان أعجميا لكان نازلا على السمع، لأنه يسمع
أجراس حروف لا يفهم معانيها؛ قال الكشاف^٥: و قد يكون الرجل
عارفا بعبدة لغات، فاذا كلم^٦ بلغته التي لقتها أولا^٧ و نشأ عليها و تطبع بها
لم يكن قلبه إلا إلى^٨ المعاني،^٩ و لا يكاد^{١٠} يفظن للألفاظ^{١١}، و إن كلم بغيرها
١٠ و إن كان ماهرا فيها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في معانيها - انتهى .
ففيه تقرير عظيم لمن يعرف لسان العرب و لا يؤمن به^{١٢} .

و لما كان الاستكثار من الأدلة مما يسكن النفوس، و تطمنن به

(١-١) ما بين الرقمين في الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد (٢) في ظ: كلم.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: و اليمين (٤) من ظ و مد، و في الأصل:
تسبق (٥) من ظ و مد، و في الأصل: «الكسائي»، و المراد: صاحب الكشاف،
راجع منه ٢ / ١٠٠٨ (٦) من الكشاف، و في الأصل: تكلم، و في ظ
و مد: كلمته (٧) من ظ و مد و الكشاف، و في الأصل: الا (٨) بياض في
الأصل، ملأناه من ظ و مد و الكشاف (٩-٩) من ظ و مد و الكشاف،
و في الأصل: فلا يكاد (١٠) زيد في ظ: الى قلبه، و زيد في الكشاف:
كيف جرت (١١) من ظ و مد، و في الأصل: بها .

القلوب، قال تعالى: ﴿ وانه ﴾ أى هذا القرآن أصوله وكثير من قصصه
و أمهات فروعه ﴿ لنى زبر ﴾ أى كتب ﴿ الاولين ه ﴾ المضبوطة الظاهرة
فى كونها أتت من السماء إلى أهلها الذين سيكنت النفوس إلى أنه أتتهم
رسل، و شرعت لهم شرائع نزلت عليهم بها كتب من غير أن يخالط
هذا الذى جاء به أحدا منهم أو من غيرهم فى علم ما، وكان ذلك دليلا ه
قاطعا على ٢ أنه ما^٢ أتاه به إلا الله تعالى .

و لما كان التقدير: ألم يكن لهم أمانة على صدق ذلك أن يطلبوا
تلك الزبر فينظروها فيذوقوا ذلك منها ليصلوا إلى حق اليقين؟ عطف
عليه قوله: ﴿ اولم يكن لهم ﴾ .

- [و لما كان هذا أسلوب الاستدلال، اقتضى تقديم الخبر على الاسم ١٠
فى قراءة الجمهور بالتذكير و النصب، فقال بعد تقديم لما اقتضاه من
الحال - ٢]: ﴿ اية ﴾ أى علامة على النسبة إلينا؛ ثم أتبع ذلك الاسم
محلولا إلى 'أن' و الفعل لأنه أخص [و أعرف - ٢] و أوضح من
ذكر المصدر، فقال: ﴿ ان يعله ﴾ أى هذا الذى أتى به نبينا من عندنا؛
'و أنت ابن عامر الفعل و رفع " اية " اسما و أخبر عنها بأن و الفعل ١٥
﴿ علموا بنى اسرائيل ه ﴾ [فيقروا به - ٢] و لا ينكروه، ليؤمنوا به
و لا يهجره، فان قريشا كانوا كثيرا ما يرجعون إليهم و يقولون * فى
-
- (١) من ظ و مد، و فى الأصل: امتهم (٢ - ٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد
من ظ و مد (٤-٤) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (ه) من مد، و فى
الأصل و ظ: يقولون .

الأخبار الإلهية عليهم، فإن كثيرا منهم أسلم^١ و ذكر تصديق التوراة والإنجيل [و الزبور و غيرها من أسفار الأنبياء عليهم السلام -^٢] للقرآن في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي^٣ ذلك ما يؤيد صدقه، و يحقق أمره، و قد عرت الكتب المذكورة بعد ذلك، و أخرج منها علماء الإسلام كثيرا [عما -^٤] أهملوه حجة عليهم، و لافرق في ذلك بين من أسلم منهم و بين غيرهم، فانها حين نزول القرآن كان التبديل قد وقع فيها باخبار الله تعالى، [و -^٥] عن ابن عباس^٦ رضى الله عنهما أن أهل مكة بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذا زمانه، و إنا^٧ لنجد في التوراة صفة . فكان ذلك ملزما لهم باخبار الله تعالى، و كذلك كل ما استخرج من الكتب يكون حجة على أهلها .

و لما كان التقدير: لم يروا شيئا من ذلك آية و لا أمنا، عطف عليه أو^٨ على قوله تعالى أول السورة^٩ "قد كذبوا" الآية: (ولو نزلناه) أى على ما هو عليه من الحكمة و الإعجاز بما لنا من العظمة (على بعض الاعمين^{١٠}) الذين لا يعرفون شيئا / من لسان العرب من

/٧٥٢

- (١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في الأصل: غير .
- و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٤) من ظ و مد . وفي الأصل: التغيير .
- (٥) زيد من مد؛ و العبارة من بعده إلى «لم باخبار الله تعالى» ساقطة من ظ .
- (٦) راجع الباب ٥ / ١٠٤ (٧) من مد و الباب، و في الأصل: اما - كذا .
- (٨) في ظ «و» (٩) سقط من ظ .

البهائم أو الآدميين، جمع أعجم، وهو من لا يفتح وفي لسانه عجمة،
والإعجمي مثله بزيادة تأكيد لزيادة [ياه - ١] النسبة (فقرأ عليهم)
أى^٢. ذلك الذى^٢ نزلناه عليه على ما هو عليه من الفصاحة والإعجاز
مع علمهم القطعى أنه لا يعرف شيئا من اللسان (ما كانوا به مؤمنين^٥)
^٥ أى راسخين ولتمحلوا الكفرم عذرا فى تسميته سحرا أو غير ذلك من
تعتهم "وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون" من فرط عنادهم،
وتهيؤم للشر واستعدادهم له، بل لا يسمعون حق السماع، ولا يعونه حق
الوعى، بل سماعا وفهما على غير وجهه .

ولما كان [ذلك - ١] محل عجب، وكان ربما ظن انه اذن الأمر
على غير حقيقته، قرر مضمونه وحققه بقوله: (كذلك) أى مثل ١٠
هذا السلك العجيب - الذى^٢ هو سماع وفهم ظاهرى - فى صعوبة مدخله
و ضيق مدرجه .

ولما لم يكن السياق مقتضيا لما اقتضاه سياق الحجر^٧ من التأكيد،
اكتفى بمجرد الحدوث فقال: (سلكته) أى كلامنا والحق الذى
أرسلنا به رسلنا [بما لنا من العظمة، فى قلوبهم - هكذا كان الاصل، ١٥
ولكنه علق الحكم بالوصف، وعم كل زمن وكل من اتصف به فقال - ١]:
(فى قلوب المجرمين^٥) أى الذين طبعناهم على الإجرام، وهو القطيعة
(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ
و مد، وفى الأصل: لا يعرفه (٥ - ٥) ما بين الرقين بياض فى الأصل، ملأناه
من ظ و مد (٦) فى ظ: السالك (٧) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد .

لما ينبغي وصله ، كما ينظم السهم إذا رمى به ، أو الرمح إذا طعن به
في القلب ، لا يتسع له ، ولا ينشرح به ، بل تراه ضيقا حرجا .

و لما كان هذا المعنى خفيا ، بينه بقوله : ﴿ لا يؤمنون به ﴾ أي من
أجل ما جبلوا عليه من الإجرام ، وجعل على قلوبهم من الطبع و الحتام
٥ ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ فحينئذ يؤمنون حيث لا يفهم الإيمان
و يطلبون الأمان [حيث لا أمان - ١] .

و لما كان إتيان الشر فجأة أشد . وكان أخذه لهم عقب رؤيتهم
له من غير مهلة يحصل فيها نوع استعداد أصلا ، دل على ذلك مصورا
لحالته بقوله دالا بالفاء على الأشدية و التعقيب : ﴿ فيأتيهم بغتة ﴾ .
١٠ و لما كان البغت الإتيان على غفلة ، حقق ذلك نافيا للتجوز بقوله :

﴿ وهم لا يشعرون ﴾ و دل على تطاوله في محالهم ، وجوسه لحلالهم ،
و رده في حلالهم ، بقوله دالا على ما هو أشد عليهم من المفاجأة
بالإهلاك : ﴿ فيقولوا ﴾ أي تأسفا و استسلاما و تلهفا في تلك الحالة
لعلهم بأنه لا طاقة به بوجه : ﴿ هل نحن منظرون ﴾ أي مفسوح لنا
١٥ في آجالنا لنسمع و نطيع .

و لما حقق أن حالهم عند الأخذ الجوار بالذل و الصغار [به - ١] ،
تسبب عنه ما يستحقون باستعجاله من الإنكار في قوله ، منبها على أن
قدره يفوق الوصف بنون العظمة : ﴿ ابعذابنا ﴾ أي و قد تبين لهم *

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : ثانيا (٣) في ظ :
مفسوخ (٤) في ظ : يستحقونه (٥) في ظ : لكم .

٧٥٣!

كيف كان أخذه للآدم الماضية، و القرون الخالية، و الأقوام العاتية
 ﴿ يستعجلون ﴾ أي بقولهم: أمطر علينا حجارة من السماء^١، أسقط السماء
 علينا كسفا، انت بالله و الملائكة قبلا، كما قال هؤلاء الذين قصصنا / أمرهم،
 و نزلونا ذكرهم " فاسقط علينا كسفا من السماء " و نحو ذلك .

- و لما تصورت حالة مآبهم، في أخذهم بعذابهم، [و كان استعجالهم
 به يتضمن الاستخفاف و التكذيب و الوثوق بأنهم ممتعون، و تعلق آمالهم
 بأن تمتيعهم بطول زمانه، و كان من يؤذونه يتمنى لو عجل لهم^٢]،
 سبب عن ذلك سبحانه سؤال داعيهم مسليا و مؤسيا و معزيا فقال:
 ﴿ افروبت ﴾ أي هب أن الأمر كما يعتقدون من طول عيشهم في النعيم
 فأخبرني ﴿ ان متعنتهم ﴾ أي في الدنيا برغد العيش و صافي الحياة . ١٠
 و لما كانت حياة الكافر في غاية الضيق^٣ و التكد و إن كان في
 أصنى رغد، عبر بما يدل على القحط بصيغة انقلا و إن كان السياق يدل
 على أنها للكثرة^٤ فقال: ﴿ سنين لا ثم جاءهم ﴾ أي بعد تلك السنين
 المتطاولة، و الدهور المتواصلة ﴿ ما كانوا يوعدون ﴾ أي بما طال إنذارك
 إياهم به و تحذيرك لهم منه على غاية التقريب لهم و التمكين في إسماعهم، ١٥
 أخبرني ﴿ ما ﴾ أي أي شيء ﴿ اغنى عنهم ﴾ أي فيما أخذهم من العذاب
 ﴿ ما كانوا ﴾ أي كونا هو في غاية المكنت و طول الزمان ﴿ يمتعون ﴾
-
- (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٢) من ظ و مد (٣) من ظ و مد،
 و في الأصل: صار في (٤) من ظ و مد، و في الأصل: المضيق (٥) في ظ:
 الكثرة (٦) زيد في ظ: بيان .

تمتيعا هو في غاية السهولة عندنا، وصوره بصورة الكائن تنديما عليه،
والمعنى أنه ما أغنى عنهم شيئا لأن عاقبه الهلاك، وزادهم بعدا^١ من الله
وعذابا بزيادة الآثام الموجبة لشديد^٢ الانتقام .

ولما كان التقدير: لم يغن عنهم شيئا لأنهم ما أخذوا إلا بعد إنذار
٥ المنذرين، لمشافهتك إياهم به، وسماعهم لمثل ذلك عن مضى قبلهم من
الرسل، عطف عليه قوله: (وما أهلكنا) أى بعظمتنا، وأعلم بالاستغراق
بقوله: (من قرية) أى من القرى^٣ السالفة، بقلب الاستتصال
(إلا لها منذرون^٤) رسولهم ومن تبعه من أمته ومن سمعوا من الرسل
بأخبارهم مع أنهم من قبل، وأعرأها من الواو لأن الحال لم يقتض
١٠ التأكيد كما في الحجر، لأن^٥ المنذرين مشاهدون. وإذا تأملت آيات
الموضعين ظهر لك ذلك؛ ثم علل الإنذار بقوله: (ذكرى^٦) أى تنبيها
عظيما على ما فيه^٧ النجاة، وتذكيرا بأشياء يعرفونها بما أدت إليه فطر
عقولهم، وقادت إليه بصائر قلوبهم، و^٨ جعل المنذرين نفس الذكرى
كما قال تعالى "قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا^٩" وذلك إشارة إلى
١٥ إمعانهم في التذكير حتى صاروا إياه .

ولما كان التقدير: فما أهلكنا قرية منها إلا بالحق، عطف عليه

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: بعد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: لشدايد .
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل: القرون (٤) -قط من ظ (٥) في ظ ومد:
فان (٦) زيد في ظ: من (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: او (٨) راجع

قوله: ﴿ وما كنا ﴾ أو الواو للحال من نون "اهلكنا" ﴿ ظلمين ٥ ﴾
 أى فى إهلاك شىء منها لأنهم كفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا، بعد الإعذار
 إليهم، و متابعة الحجج^٢، ومواصلة الوعيد^٣.

ولما أخبر سبحانه أن غاية إزال هذا القرآن كونه صلى الله عليه وسلم
 من المنذرين، و أتبع ذلك ما لآممه حتى ختم باهلاك من كذب المنذرين، ٥
 عطف على قوله "نزل به الروح"، قوله إعلاما بأن العناية شديدة فى
 هذا السياق بالقرآن لتقرير أنه من عند الله و نفى اللبس عنه بقوله^٤:

﴿ وما تنزلت به ﴾ أى القرآن / ﴿ الشيطيين ٥ ﴾ أى ليكون سحرا أو كهافة
 أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون .

ولما كان لا يلزم من عدم التلبس بالفعل عدم الصلاحية له قال: ١٥
 ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ أى ما يصح وما يتصور منهم النزول بشىء منه
 لأنه خير كله^٥ و بركة، وهم مادة الشر و الهلكة، فبينهما تمام التباين،
 و أنت سكبينة و نور، وهم زلزلة و ثبور، فلا إقبال لهم عليك، و لاسيل
 بوجه إليك .

ولما كان عدم الاتفاء لا يلزم منه عدم القدرة قال: ١٥
 ﴿ وما يستطيعون^٦ ﴾ أى النزول به وإن اشتدت معالجتهم على تقدير
 أن يكون لهم قابلية لذلك؛ ثم علل هذا بقوله: ﴿ انهم عن السمع ﴾ أى
 (١) من مد، وفى الأصل وظ: أى (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ ومد: الوعد.
 (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: لشيء (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: لكم.
 (٦) فى ظ: قادة .

الكامل الحق، من الملا^١ الأعلى (لعزولون^٢) أي بما حفظت به السماء من الشهب و بما بينوا به الملائكة في الحقيقة لأنهم خير صرف، ونور خالص، وهؤلاء شربحت وظلة محضة، فلا يسمعون إلا خطفا، فيصير - بما يسبق إلى أفهامهم، ويتصور من باب الخيال في أوهامهم - خطأ ٥ لاحقيقة لاكثره^٣، فلا وثوق بأغلبه^٤، ولا يبعد أن يكون ذلك عاما حتى يشمل السماع من المؤمنين لما شاركوا به الملائكة من النور والخير، انظر ما ورد في آية الكرسي من أنها لا تقرأ في بيت فيقر به شيطان، وفي رواية: إلا خرج منه الشيطان، وورد نحوه في الآيتين من آخر سورة البقرة، وكذا ما كان من أشكال ذلك، وأعظم منه قوله عليه الصلاة والسلام^٥ لعمررضي الله عنه: إنه يا ابن الخطاب والذى نفسى يده ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجاك. وترك تعليلا الابتغاء^٦ لظهوره.

ولما كان تقديره أنهم إلى الطواغيت الباطلة يدعون، والقرآن داع إلى الله الحق المبين، سبب عنه قوله: (فلا تدع) وخاطب فيه ١٥ عليه الصلاة والسلام وهو أكرم الخلق لديه، وأعزم عليه، ليكون لطفًا لغيره فيما يأتيه من الإنذار، فيكون الوعيد أزجر له، ويكون هو له أقبل (مع الله) أي الحائز لكل كمال الداعي إليه هذا القرآن الذى (١) من ظ ومد، وفي الأصل: لكثرة (٢) سقط من ظ (٣) راجع مسند الإمام أحمد ١/ ١٧١ وقد رواه البخاري في غير مناسبة (٤) من مد، وفي الأصل: الاشغاه، وفي ظ: الابتغاء - كذا.

نزل به عليك الروح الأمين، لما بينك وبينها من تمام النسبة بالتورانية
والخير (الها) وتقدم في آخر الفرقان حكمة الإتيان بقوله:
(أخرا فتكون) أى فيتسبب عن ذلك أن تكون^٤ (من المعذنين^٤) من
تقادر على ما يريد بأيسر أمر وأسهله، وهذا الكلام لكل من سمع
القرآن في الحث على تدبر معناه، ومقصده ومغزاه، يعلم أنه في غاية
المباينة للشياطين و ضلالهم، والملازمة للقربين وأحوالهم، ولعله خاطب
به المعصوم، زيادة في الحث على اتباع الهدى، وتجنب الردى، وليعطف^٥
عليه قوله: (وانذر) أى بهذا القرآن (عشيرتك) أى قبيلتك
(الأقربين^٦) أى الأذنين في النسب، ولا تحاب أحدا، فان المقصود
الاعظم به التذارة لكف الخلائق عما يشره الهلاك من اتباع الشياطين
الذين اجتالوم عن دينهم بعد أن كانوا حنفاء كلهم، وإنذار الأقربين
فيهم الإنذار / لغيرهم من باب الأولى^٧، ويكسر من أنفة الأبعد للمواجهة
بما يكره، لانه سلك به مسلك الأقرب، ولقد قام صلى الله عليه وسلم
بهذه الآية حق القيام؛ روى البخارى^٨ عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال: لما نزلت صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى: ١٥
يا بنى فهر [يا بنى عدى -^٩] لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل
(١) تقدم في الأصل على د و تقدم،، والترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد،
وفي الأصل: يكون (٣) في ظ: لنعطف (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: يقر.
(٥) في ظ: الاول (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: لما (٧) راجع كتاب
التفسير ٧٠٢/٢ (٨) زيد من ظ و مد والصحيح (٩) سقط من ظ.

إذا لم يستطع ' أن يخرج ' أرسل رسولا لينظر ما هو ، لجاء أبو لهب
وقريش ، فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير
عليكم أكنتم^٢ مصدق^٣؟ قالوا : نعم ! ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال : فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تب لك سائر اليوم ،
هـ لهذا^٤ جمعتا ؟ فنزلت " تب تب ابي لهب و تب " وفي رواية^٥ أنه
صلى الله عليه وسلم قال : يا معشر قريش ! اشترؤا أنفسكم ، لا أغنى عنكم
من الله شيئا ، يا بني عبد مناف ! لا أغنى عنكم من الله شيئا ! يا عباس بن
عبد المطلب ! لا أغنى عنك من الله شيئا ،^٦ و يا صفة عمه رسول الله !
لا أغنى عنك من الله شيئا^٧ ، و يا فاطمة بنت محمد ! سليني ما شئت من
١٠ مالي ، لا أغنى عنك من الله شيئا . و روى القصة أبو يعلى^٨ عن الزبير
ابن العوام رضى الله عنه أن قريشا جاءتته فخذرم و أندرم ، فسألوه
آيات سليمان في الريح و داود في الجبال و موسى في البحر و عيسى
في إحياء الموتى^٩ ، و أن يسير الجبال ، و يفجر الأنهار ، و يجعل الصخر
ذهبا ، فأوحى الله^{١٠} إليه و هم عنده ، فلما سرى عنه أخبرهم أنه اعطى ما
١٥ سألوه ، و لكنه^{١١} إن أراهم فكفروا عوجلوا^{١٢} . فاختار صلى الله عليه وسلم

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و مد و الصحيح ، و في الأصل :
كنتم (٣) من ظ و مد و الصحيح ، و في الأصل : لهذا (٤) راجع كتاب التفسير
٧٠٢/٢ (٥-٥) - سقط ما بين الرقنين من ظ و مد (٦) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٥٠ .
(٧-٧) من ظ و مد ، و في الأصل : الاحياء (٨) - سقط من ظ و مد (٩) في
ظ : لكنهم (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : عجلوا .

[الصبر - ١] عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة .

و لما كانت النذارة إنما هي للتولين ، أمر بضدما لأضدادهم فقال :

(و اخفض جناحك) أى لن غاية اللين ، وذلك لأن الطائر إذا أراد

أن يرتفع رفع جناحيه ، فإذا أراد أن ينحط كسرهما و خفضهما ، فجعل

ذلك مثلاً فى التواضع (لمن اتبعك) ولعله احترز بالتعبير بصيغة الافعال •

عن مثل أبى طالب ممن لم يؤمن أو آمن ظاهراً وكان مناقلاً أو ضعيفاً

فى الإيمان فاسقاً ؛ و حقق المراد بقوله : (من المؤمنين) أى الذين صار

الإيمان لهم صفة راسخة سواء كانوا من الأقربين أو الأبعدين .

و لما أفهم ذلك أن هذا الحكم عام فى جميع أحوالهم ، فصل بقوله :

(فان عصوك) أى هم فغيرهم [من باب الأولى - ١] (قتل) أى ١٠

تاركاً لما كنت تعاملهم به حال الإيمان من اللين : (انى برىء) أى منفصل

غاية الانفصال (بما تعملون) أى من العصيان الذى أئذر منه القرآن ،

و خص المؤمنين إعلاء لمقامهم ، بالزيادة فى إكرامهم ، ليؤذن ذلك المزلزل

بالعلم بحاله فيحبه ذلك على اللحاق بهم .

• و لما أعلنت هذه الآية بمنابذة من عصى كائناً من كان ولو ١٥

كان ممن ظهر منه الرسوخ فى الإيمان ، لما يرى منه من عظيم الإذعان ،

أتبعه قوله : (و توكل) [أى - ١] فى عصمتك و نجاتك و الإقبال

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٣) من ظ و مد ،

وفى الأصل « و » (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : و غيرهم (ه - ه) من ظ

و مد ، وفى الأصل : فما (٦) فى ظ : لما (٧) من ظ و مد . وفى الأصل : فيه .

بالمندرين إلى الطاعة، و قراءة / أهل المدينة و الشام^١ بالفاء السبية أدل
على ذلك ﴿على العزيز﴾ أى القادر على الدفع عنكم و الاتقام منهم
﴿الرحيم﴾ أى المرجو لإكرام^٢ الجميع برفع المخالفة و الشحناء، و الإسعاد
بالاستعمال فيما يرضيه، ثم أتبع الأمر بالتوكل الوصف بما يقتضى
الكفاية فى كل ما ينوب من دفع الضر^٣ و جلب النفع، و ذلك هو
العلم المحيط المقتضى لجميع أوصاف الكمال، قال: ﴿الذى برنك﴾ أى
بصرا و علما ﴿حين تقوم﴾ من نومك من فرشك^٤ تاركا لحبك، لأجل
[رضا - °] ربك ﴿و﴾ يرى ﴿تقلبك﴾ فى الصلاة ساجدا و قائما
﴿فى السجدين﴾ أى المصلين من أتباعك المؤمنين، لكم دوى بالقرآن
١٠ كدوى النحل، و تضرع من خوف الله، و دعاء و زفرات تصاعد و بكاء،
[أى - ٦] فهو جدير لإقبالكم عليه، و خضوعكم بين يديه، بأن يجوكم
بكل ما يسركم .

ولما كانت هذه الأحوال مشتملة على الأقوال، و كان قد قدم
الرؤية المتضمنة للعلم، علل ذلك بالتصريح به مقرونا بالسمع فقال:
١٥ ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿السميع﴾ أى لجميع أقوالكم ﴿العليم﴾ أى
بجميع ما تسرونه و تعلنونه من أعمالكم. و قد تقدم غير مرة أن شمول العلم

(١) راجع ثر المرجان ٧١/٥ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاكرام .
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الضرر (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم
تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ، و الكلمة مطموسة فى مد (٦) زيد
من ظ و مد .

يستلزم تمام القدرة ، فصار كأنه قال : إنه السميع العليم البصير القدير ،
ثبينا للتركل عليه .

ولما بين سبحانه أن القرآن مناف لإقوال الشياطين ، وبين أن
حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال أتباعه منافية لأحوالهم وأحوال
من يأتونه من الكهان بما ذكره سبحانه من فعله صلى الله عليه وسلم ه
وفعل أشياعه رضى الله عنهم من الإقبال على الله ، والإعراض عما سواه ،
فلم أن بينهم وبينهم^٢ بونا بعيدا ، وفرقا كبيرا شديدا ، وأن حال النبي
صلى الله عليه وسلم موافق لحال الروح الأمين ، النازل عليه بالذكر
الحكيم ، تشوفت النفس إلى معرفة أحوال^٣ إخوان الشياطين ، فقال محركا
لمن يريد ذلك ، متمما لدفع اللبس عن كون القرآن من عند الله ، وفرق ١٥
بين الآيات المتكفلة^٤ بذلك نظرية لذكرها وتنبئها على تأكيد أمرها :
(هل انبئكم) أى أخبركم خبرا جليلا^٥ نافعا فى الدين ، عظيم الجدوى
فى الفرقان [بين - ٧] أولياء الرحمن وإخوان الشيطان (على من تنزل)
وتردد^٦ (الشيطيين^٧) حين تسرق السمع على^٨ ضرب من الخفاء بما
آذن به حذف^٩ التاء ، ودخل حرف الجر على الاسم المتضمن للاستفهام ، ١٥

(١) فى ظ : لما (٢) فى ظ : بينه (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و مد ، وفى
الأصل : مجبيا لمن أراد ذلك متبها (٥) من مد ، وفى الأصل : المتكفلة ، وفى
ظ : المتكفلة (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : جليا (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : تردد (٩) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : حرف .

لان معنى التضمن أنه كان أصله: أمن، فخذفت منه الهمزة حذفاً مستمراً
كما فعل في 'هل' لان أصله 'أهل' كما قال:

سابل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم
فلاستفهام مقدر قبل الجار - أفاده الزمخشري^١.

٥ و لما كان كأنه قيل: نعم أنبتنا! قال: (تنزل) على سبيل

التدرج و الردد (على كل افاك) أى صراف - على جهة الكثرة

و المبالغة - للأمر عن وجوها بالكذب و البهتان، و الحداق و العدوان،

من جملة الكهان و أخدان الجان (أثم لا) فعال^٢ للآثام بغاية جهده،

/ و هؤلاء الأئمة^٣ (يلقون السمع) إلى الشياطين، و يصفون إليهم غاية

/٧٥٧

١٠ الإصغاء، لما بينهما من التعاشق^٤ بجامع إلقاء الكذب من غير^٥ أكثرات

و لا تحاش^٦، أو يلقي الشياطين^٧ ما يسمعون^٨ مما يسترقون استماعه من

الملائكة إلى أولياتهم، فهم بما سمعوا^٩ منهم يحدثون، و بما زينت لهم

بفوسهم يخلطون (و أكثرهم) أى الفريقين (كذبون^{١٠}) فيما ينقلونه

عما يسمعون من الإخبار بما حصل فيما وصل إليهم من التخليط، و ما

١٥ زادوه من^{١١} الاقتراف و التخليط انها كآ^{١٢} في شهوة علم المغيبات، الموقع

(١) راجع الكشف ١٠١٣/٢ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: جهة (٣) من

ظ و مد، و فى الأصل: فقال (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لائمة .

(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التفاسق (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل:

التراب و لا تحاش - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الشيطان (٨) فى

ظ و مد: يسمعون (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الاختلاط و التفريق

و من الاقتراف و التخليط انما كا - كذا .

في الإفك والضلالات^١؛ قال الرازي في اللوامع ما معناه أنه حينما كان استقامة^٢ في حال الخيال - أي القوة المتخيلة - كانت منزلة الملائكة ، وحينما كان اعوجاج في حال الخيال كان منزل الشياطين ، فمن ناسب الروحانيين من الملائكة كان مهبطهم عليه ، و ظهورهم له ، وتأثيرهم فيه ، وتمثلهم [به -^٣] ، حتى إذا ظهوروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه ، ه و رأى بأبصارهم و أبصروا بعينه^٤ ، فهم ملائكة يمشون في الأرض مطمئنين " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة " ومن ناسب الشياطين من الأبالسة كان مهبطهم عليه ، و ظهورهم له ، [وتأثيرهم فيه -^٥] ، و تمثلهم به ، [حتى إذا ظهوروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه ، و رأى بأبصارهم و أبصروا -^٦] بعينه ، هم شياطين ١٠ الإنس يمشون في الأرض مفسدين - انتهى .

و لما بطل - بابعاده عن دركات الشياطين ، و إصعاده إلى درجات الروحانيين ، من الملائكة المقربين ، الآتين عن رب العالمين - كونه سحرا ، و كونه أضغاثا و مفترى ، نفي سبحانه كونه شعرا بقوله : (و الشعراء يتبعهم) أي بغاية الجهد ، [في -^٧] قراءة غير نافع بالتشديد^٨ ، لاستحسان مقالهم ١٥ و فعالهم ، فيتعلون منهم و ينقلون عنهم (الغاؤون) أي الضالون المائلون عن السنن الأقوم إلى الزنا و الفحش و كل فساد يجر إلى الهلاك ، و هم كما ترى بعيدون من أتباع

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الضلال (٢) من ظ و مد ، و في الأصل :

استفهامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : بعينه .

(٥) راجع نثر المرجان ٧٣/٥ .

محمد صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الساجدين الباكين الزاهدين ؛
ولما قرر حال أتباعهم ، فلم منه أنهم هم أغوى منهم ، لتهتكهم^١
في شهوة اللقطة باللسان ، حتى حسن لهم الزور و البهتان ، [دل - ٢]
على ذلك بقوله : ﴿ الم تر أنهم ﴾ أى الشعراء . و مثل حالهم بقوله :
ه ﴿ فى كل واد ﴾ أى من أودية القول من المدح و الهجو و النسيب و الرثاء
و الحماسة و المحجون^٢ و غير ذلك ﴿ يهيمون لا ﴾ أى يسرون سير الهائم^٣
حائرين ، و عن طريق الحق جائرين ، كيفما جرم القول انجروا من القدح^٤
فى الانساب ، و التشبيب بالحرم ، و الهجو . و مدح من لا يستحق المدح
و نحو ذلك ، و لهذا قال : ﴿ و أنهم يقولون ما لا يفعلون لا ﴾ أى لانهم
لم يقصدوه . وإنما الجأهم^٥ إليه الفن الذى سلكوه^٦ فأكثر أقوالهم لاحقائق
ها ، انظر إلى مقامات الحربرى و ما اصطنع فيها من الحكايات ، و ابتدع^٧
بها من الأمور المعجبات . التى لاحقائق لها ، و قد جعلها / أهل الاتحاد
أصلاً لبدعتهم الكافرة ، و قاعدة لصفقتهم الخاسرة ، فما أظهر حالهم ،
و أوضح ضلالهم ! و هذا بخلاف القرآن فإنه معان جليلة محققة ، فى ألفاظ
د متينة^٨ جميلة منسقة ، و أساليب معجزة مفحمة ، و نظوم معجبة محكمة ،

/ ٧٥٨

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : لتهتكهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد . و فى الأصل : المحجون (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : البهائم .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفتوح (٦) فى ظ : الجاه (٧) من ظ و مد ،
و فى الأصل : يسلكوه (٨) فى الأصل : ابتدى ، و فى ظ : ابدى ، و الفعل
مطموس فى مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثبتة .

لا كلفة في شيء منها، فلا رغبة لذى طبع سليم عنها، فأتج ذلك أنه لا يتبعهم على أمرهم إلا غاو مثلهم، ولا يزهد في [هذا - ١] القرآن إلا من طبعه جاف، وقلبه مظلم مدلم .

و لما كان من الشعر - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم - حكمة،

و كان - كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها - بمنزلة الكلام منه حسن ٥

ومنه قبيح، و كان من الشعراء من يمدح الإسلام والمسلمين، ويهجو

الشرك والمشركون، ويزهد^٢ في الدنيا ويرغب^٢ في الآخرة، و'يحث على'

مكارم الأخلاق، ويفر عن مساوئها، و كان الفيصل بين قبلي^٣ حسنة

وقبيحة كثيرة ذكر^٤ الله، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ أي بالله

ورسوله ﴿وعملوا﴾ أي تصديقا لإيمانهم ﴿الصلاحت﴾ أي التي شرعها ١٠

الله ورسوله لهم ﴿وذكروا الله﴾ مستحضرين ماله من الكمال ﴿كثيرا﴾

لم يشغلهم الشعر عن الذكر، بل بنوا شعرهم على أمر الدين والانتصار

للشرع^٥، فصار لذلك كله^٦ ذكر الله، و يكفي مثالا لذلك قصيدة عزبت

لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وجوابها لابن الزهري، و كان

إذ ذاك على شركه، وذلك في أول سرية كانت في الإسلام. وهي سرية ١٥

عبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبد مناف - ٩] رضي الله تعالى عنه،

(١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ : زهد (٣) في ظ : رغب (٤ - ٤) من ظ

ومد، وفي الأصل : يحث على (٥) من ظ ومد، وفي الأصل : قبلي (٦) من

ظ ومد، وفي الأصل : على (٧) من ظ ومد، وفي الأصل : للشيوخ .

(٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ ومد والإصابة في معرفة الصحابة .

فان قصيدة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ليس فيها بيت إلا وفيه ذكر الله
 إما صريحا وإما بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شيء من دينه ،
 وما ليس فيه شيء من ذلك فهو آئيل إليه لبنائه عليه ، وأما نقيضتها
 فلا شيء في ذلك فيها ؛ قال ابن إسحاق : قال أبو بكر رضى الله تعالى
 عنه في غزوة عبيدة بن الحارث رضى الله تعالى عنه :

آيل

٥
 أمن طيف سلمى بالطاح الدماث . أرقى وأمر في العشيرة حادث
 ترى من لوى فرقة لا يصدىها عن الكفر تذكير ولا بعت باعث
 رسول أتاهم صادق فكذبوا عليه وقالوا لست فينا بما كذب
 إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا وهروا هزير المجرحات اللواث
 ١٠ فكم قد متنا فيهم بقرابة وترك التقي شيء لهم غير كارث
 فان يرجعوا عن كفرهم و عقوبهم فما طيبات الحلال مثل الحباث
 وإن يركبوا طغيانهم و ضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلائث
 ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الأناث
 فأولى برب الراقصات عشية حراجيح تخدى في السريح الرناث
 ١٥ كأدم ظباه حول مكة عكف^٦ يردن حياض البر^٧ ذات النبات^٨
 / لن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم و لست إذا آليت قولاً بجناث

/ ٧٥٩

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيها (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد ،
 وفي الأصل : آيد (٤) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٢ (٥ - ٥) من ظ و مد
 والسيرة ، وفي الأصل : المبيشة حارث (٦) في ظ : عاكف (٧ - ٧) من ظ
 و مد والسيرة ، وفي الأصل : نات النهايت - كذا .

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرّم أطهار النساء الطوامث
تقادر^١ قتلى تمصب الطير حولهم ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فأبلغ^٢ بنى سهم لديك رسالة وكل كفور يتغنى الشر باحث
فان تشعثوا عرضى على سوء رأيكم فاني^٣ من أعراضكم غير شاعث
فأجابه ابن الزبير^٤ فقال :

أمن رسم دار أقفرت بالعثاث بكيت بعين دمعها غير لاث
ومن عجب الايام والدمر كله له عجب من سابقات وحادث
لجيش^٥ أتانا ذى عرام يقوده عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث
[لترك أصناما بمكة عكفا مواريث موروث كريم لوارث-^٦]
فلا لقينام بسم ردينة وجرى عتاق فى العجاج لواهث^٧
ويض كأن الملح فوق متونها بأيدى كياة كالليوث العواث
تقيم بها أصعار ما كان مائلا ونشقى الذحول^٨ عاجلا غير لاث
فكفوا على^٩ خوف شديد وهية وأعجبهم^{١٠} أمر لهم^{١١} أمر راث

(١) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : تقار (٢) من ظ ومد والسيرة ،
وفى الأصل : فبلغ (٣) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : فاني (٤) العبارة
من هنا إلى وقال : ساقطة من ظ ومد (٥) فى الأصل : الزبيرى - خطأ .
(٦) من ظ ومد والسيرة ، وفى الأصل : بلنس - كذا (٧) زيد البيت من ظ
ومد والسيرة (٨) من السيرة ، وفى الأصول : الدخول (٩) من ظ ومد
والسيرة ، وفى الأصل : عن (١٠ - ١٠) من ظ ومد والسيرة . وفى
الأصل : اموالهم .

ولو أنهم لم يفعلوا فاح نسوة أيامي لهم من بين نساء وطامث
 وقد غودرت قتلى^٢ يخبر عنهم حتى بهم أو غافل غير باحث
 فأبلغ أبا بكر لديك رسالة فما أنت عن أعراض فهر^٣ بما كرت
 ولما نجب مني يمين غليظة تجدد حربا خلفه غير جانت
 ٥ وروى البغوي^٤ بسنده من طريق عبد الرزاق من حديث كعب بن مالك
 رضى الله تعالى عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أنزل
 في الشعراء ما أنزل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يجاهد
 بسيفه^٥ ولسانه، والذي نفسى بيده! لكأنما ترمونهم به نضع النبل.
 وقد كان ابن عباس^٦ رضى الله عنهما ينشد الشعر ويستنشد^٧ في المسجد،
 ١٠ وروى الإمام أحمد^٨ حديث كعب هذا، وروى النسائي^٩ "رجال احتج"
 بهم مسلم عن أنس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
 جاهدوا^{١٠} المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستنكم. قال البغوي^{١١}: وروى
 أنه - أي ابن عباس رضى الله عنهما - دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي

(١) من ظ و مد و السيرة، وفي الأصول: اياس (٢ - ٢) من ظ و مد
 و السيرة، وفي الأصل: غودرت فلى (٣) من مد و السيرة، وفي الأصل وظ:
 فهو (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ١٠٨ (٥) من المعالم، وفي الأصول:
 الشعراء (٦) من المعالم، وفي الأصول: بنفسه (٧) راجع المعالم بهامش اللباب
 ٥ / ١٠٩ (٨) في ظ: ينشده (٩) سقطت الواو من ظ (١٠) راجع مسنده ٦ / ٣٨٧.
 (١١) راجع من سننه أول كتاب الجهاد ص ٤٨٢ (١٢) من ظ و مد، وفي
 الأصل: يحتاج (١٣) من ظ و مد و السنن، وفي الأصل: جاهد.

فاستشده القصيدة التي قالها :

أمن آل نعمى أنت غاد فبكر غداة^٢ غد أم^٣ رايح فهيجر
وهي قريب من تسعين^٤ بيتا، فلما فرغها أعادها ابن عباس و كان
حفظها بمرّة واحدة، و يكنى الشاعر في القصي^٥ عن ذم هذه الآية له
أن لا يغلب عليه الشعر فيشغله^٦ عن الذكر حتى يكون من الغارين، و ليس ه
من شرطه أن لا يكون في شعره هزل أصلا، فقد كان حسان رضي الله
تعالى عنه ينشد النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله في قصيدة^٧ / طويلة
مدحه صلى الله عليه وسلم فيها :

كأن سببته من بيت رأس يكون مزاجها غسل و ماء^٨
إذا ما الأشربات ذكرن^٩ يوما فهن^{١٠} لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة إن أننا إذا ما كان مغث أو لحاء
و نشرها فتركنا ملوكا وأسدا ما يتهنها اللقاء^{١١}

(١) من ظ و مد و المعالم، و في الأصل : قال فيها (٢) من ظ و مد و المعالم،
و في الأصل : غدا (٣) زيد في الأصل : انت، و لم تكن الزيادة في ظ و مد
و المعالم فحذفناها (٤) من المعالم، و في الأصول : سبعين (٥) من مد، و في
الأصل و ظ : النقص (٦) من ظ و مد. و في الأصل : فيشغله (٧) راجع
شرح ديوانه المطبوع بمصر ص ٣ (٨) زيد في الديوان :

على أنيابها أو طعم غض من التفاح هصره الجناه

(٩) من ظ و مد و الديوان، و في الأصل : لتكون - كذا (١٠) في الأصل
بياض، ملأناه من ظ و مد و الديوان (١١) من ظ و مد و الديوان، و في
الأصل : القاء .

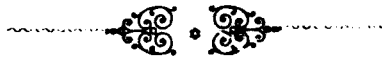
وقد كان تحريم الخمر سنة ثلاث من الهجرة أو سنة أربع، وهذه القصيدة قالها حسان رضى الله تعالى عنه في الفتح سنة ثمان أو في عمرة القضاء سنة سبع، فهي مما يقول الشاعر ما لا يفعل .

ولما عرف سبحانه بحال المستثنين في الذكر الذي هو أساس كل أمر، أتبعه ما حملهم على الشعر من الظلم الذي رجاهم النصر فقال :
(واتصروا) أى كفوا أنفسهم أسباب النصر بشعرهم فيمن آدام
(من بعد ما ظلموا) أى وقع ظلم الظالم لهم بهجو ونحوه .

ولما أباح سبحانه الاتصار من الظالم، وكان البادئ - إذا اقتصر
المجيب على جوابه - أظلم، وكان - إذا تجاوز - جديرا بأن يتدى فيندم،
١٠ حذر الله الاثني مؤكدا للوعيد بالدين في قوله الذى كان السلف الصالح
يتواظرون به^١ لأنك لا تجد^٢ أهيب منه، ولا أهول ولا أوجع لقلوب
التأملين^٣، ولا أصدع لأكباد المتدبرين^٤ : (وسيلم) وبالتميم في
قوله : (الذين ظلموا) أى كلهم من كانوا، [و -] بالتهويل بالإبهام
في قوله : (أى منقلب) أى فى الدنيا والآخرة (ينقلبون) وقد
١٥ انعطف آخرها - كما ترى بوصف الكتاب المبين بما^٥ وصف به من

(١) من مد، وفى الأصل : ما، وفى ظ : بما (٢) فى ظ : بما (٣) زيد فى
الأصل : هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ : الشعر .
(٥) من ظ و مد، وفى الأصل : الاثني (٦ - ٧) فى ظ : لانه لايجد (٧) من
ظ و مد، وفى الأصل : التأملين (٨) فى ظ : المنذرين (٩) زيد من ظ و مد .
(١٠) فى ظ : كما .

الجلالة و العظم بأنه من [عند -^١] الله منزلا به خير ما ليكته^٢ ، على
 أشرف خلقته^٣ ، مزيلا لكل لبس ، منقيا^٤ عنه كل باطل ، و بالحنام بالوعد
 على الظلم^٥ - على أولها في تعظيم الكتاب المين ، و تسلية النبي الكريم ،
 صلى الله عليه و سلم ، و وعيد الكافرين الذين هم أظلم الظالمين ، و اتصل
 بعدها في وصف القرآن المين ، و بشرى^٦ المؤمنين و وعيد الكافرين^٧ ، ه
 فسبحان من أنزله على النبي الأمي الأمين ، هدى للعالمين ، و آية بيته بأعجازه
 للخلائق أجمعين ، باقية إلى يوم الدين^٨ .



(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : ملائكته (٣) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : خلقه (٤) في ظ : متفها (٥) في ظ : الظالم (٦ - ٧) من
 مد ، وفي الأصل : للمؤمنين و وعيد للكافرين ، و سقط ما بين الرقمين من ظ .
 (٧) زيد في الأصل : جعلنا اسن الناجين ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذفناها .

سورة النمل

مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين ، بالفصل بين الصراط المستقيم ، وطريق الخائبين ، و الجمع لأصول الدين ، لإحاطة علم منزله بالحقى والمبين ، وبشارة المؤمنين ، ونذارة الكافرين ، يوم اجتماع الأولين و الآخرين ، وكل ذلك يرجع إلى العلم / المستلزم للحكمة ، فالمقصود ٥ / ٧٦١

الاعظم منها إظهار العلم و الحكمة [كما - ٢] كان مقصود التي قبلها إظهار انبئش و النعمة ، و أدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير ، و سداد المذاهب فى العيش ، و لاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد فى السياسة ، و حسن التعبير عن ذلك القصد ، و بلاغة التادية (سم الله) الذى كمل عليه فبهرت حكمته (الرحمن) الذى عم بالهداية بأوضح البيان ١٠

(الرحيم ه) الذى منّ بجنان النعيم ، على من أزمه الصراط المستقيم (طس قف) يشير إلى طهارة الطور [و ذى طوى منه - ٢] و طيب طيبه ، و سعد بيت المقدس الذى بناه سليمان عليه الصلاة و السلام [التى انتشر منها الناهى عن الظلم ، و إلى أنه - ٢] لما طهر سبحانه نبي إسرائيل ، و طيبهم ١٥

بالابتلاء فصبروا ، خلصهم من فرعون و جنوده بمسموع موسى عليه الصلاة و السلام للوحى المخالف لشعر الشعراء ، و إفك الآثمين و زلته من الطور ،

(١) السابعة و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها خمس و تسعون آية حجازى و أربع بصرى و شامى و ثلاث كوفى - راجع روح المعانى ٦/ ٢٥٢ (٢) فى ظ : يوم (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيان (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فخذناها . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوحى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : رسالته .

ولم يذكر تمام أمرهم باغراق فرعون ، لأن مقصودها إظهار العلم والحكمة دون البطش والنقمة ، فلم يقتض ' الحال ذكر الميم .

و لما ختم^٢ التي قبلها بتحقيق أمر القرآن ، وأنه من عند الله ، ونفي

الشبه عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر

والإضغاث و الافتراء والشعر ، الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين ،

و ابتدأ هذه بالإشارة إلى [أنه من الكلام القديم -^٢] المسموع المطهر عن

وصحة تلحقه من شيء من ذلك ، تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم بمجموع لفظا

ومعنى لا فصح فيه ولا خلل ، ولا وضم ، ولا زلل ، فهو جامع لأصول

الدين ناشر لفروعه ، بما أشار إليه من الكون من المسلمين فقال : (تلك)

[أى -^٢] الآيات العالية المقام ، البعيدة المرام ، البديعة النظام (' آيت القرآن ') ١٠

أى التكمال في قرآنيته الجامع للأصول ، الناشر للفروع ، الذى لا خلل فيه

ولا فصم ، ولا صدع ولا وضم (و) آيات (كتب) أى و أى

كتاب هو مع كونه جامعا لجميع ما يصلح المعاش والمعاد ، قاطع في

إحكامه ، غالب في أحكامه ، فى كل من نقضه وإبرامه ، وعطفه دون إتياعه

للدلالة على أنه كامل فى كل من قرآنيته وكتابيته (مبين) أى بين ١٥

فى نفسه أنه من عند الله [كاشف -^٢] لكل مشكل ، موضح لكل ملبس

بما كان وما هو كائن من الأحكام والدلائل فى الأصول والفروع ،

والسكت والإشارات والمعارف ، فباله من جامع فارق واصل فاصل .

(١-١) من ظ و مد ، وفى الاصل : نفتص (٢) فى ظ و مد : ختمت (٣) زيد

من ظ و مد (٤) فى ظ : وهم (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : كان ،

ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لمخذفها (٧) زيدت الواو فى ظ .

و لما كانت العناية في هذه السورة بال نشر - الذي هو من لوازم الجمع في مادة 'قرا' كما مضى بيانه أول الحجر - أكثر، قدم القرآن، يدل على ذلك انتشار أمر 'موسى عليه الصلاة و السلام في أكثر قصته بتفريقه من أمه، و خروجه من وطنه إلى مدين، و رجوعه بما صار إليه إلى ما كان فيه، و التماسه^٥ لأمله الهدى / و الصلى و اضطراب العصى و بث الخوف منها، و آية اليد و جميع الآيات التسع، و اختيار التعبير بالقوم الذي أصل معناه القيام، و إحصاء الآيات، و انتشار الهدد، و إخراج الحبا الذي منه تعليم منطلق الطير، و تكليم الدابة للناس، و انتشار المرأة [و - ٢] قومها و عرشها بعد تردد الرسل^١ بينها و بين سليمان عليه الصلاة و السلام، و كشف الساق، و افتراق ثمود إلى فريقين، مع الاختصاص المشتق، و انتقام^٢ قوم لوط عليه السلام إلى ما [لا - ٢] يحل، و تفريق الرياح نشرا، و تقسيم الرزق بين السماء و الأرض، و مرور الجبال، و نشر الريح لنفخ الصور الناشئ عنه فزع الخلائق المبعثر للقبور، إلى غير ذلك مما إذا تدبرت السورة انفتح لك بابه، و انكشف عنه حجابها، و هذا بخلاف ما في الحجر على ما مضى -

١٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أوضح في سورة الشعراء عظيم رحمته بالكتاب، و بيان ما تضمنه مما فضح به الأعداء، و رحم به الأولياء، و برأته من أن تتصور الشياطين عليه، و باهر آياته الداعية من اهتدى بها إليه، فتميز^٣ بعظيم آياته كونه فرقانا قاطعا، و نورا ساطعا، أتبع سبحانه ذلك مدحة و ثناء، و ذكر من شملته رحمته به تخصيصا له و اعتناء، فقال "تلك آيت القرآن" أي الحاصل عنها مجموع تلك الأنوار

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : انقسامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل : المرسل (٥) من ظ و مد، و في الأصل : انتشار (٦) من ظ و مد، و في الأصل : نشور (٧) من ظ و مد، و في الأصل : فيتميز.

آيات القرآن "وكتب مبين هدى و بشرى للمؤمنين" ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة التبوع، وليتقوى رجاؤه في النجاة بما أشار إليه "وسيعلم الذين ظلموا" من عظيم ذلك المطلاع؛ ثم اتبع ذلك بالتنبية على صفة الآلهين لما تقدم من القول و الافتراء تنزيها لعباده المتقين، و أولياته المخلصين، عن دنس الشكوك و الامتراء فقال "ان الذين لا يؤمنون هـ بالأخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون" أى يتحIRON فلا يفرقون بين النور و الإظلام، لارتباك الخواطر و الأفهام؛ ثم اتبع ذلك بتسليته عليه الصلاة و السلام بالقصص الواقعة بعد تنشيط له و تعريفه بعلى^٢ منصبه، و إطلاعا له على عظيم^٣ صنعه تعالى فيمن تقدم، ثم ختمت^٤ السورة بذكر أهل القيامة و بعض ما بين يديها، و الإشارة إلى الجزاء و نجاة المؤمنين، و تهديد ١٠ من تنكب^٥ عن سيئه عليه الصلاة و السلام - انتهى .

و لما عظم سبحانه آيات الكتاب بما فيها من^٦ الجمع من النشر مع الإبانة، ذكر حاله فقال: (هدى) و لما كان الشيء قد يهدى إلى مقصود يكدر حال قاصده. قال نافيا لذلك، و عطف [عليه -^٧] بالواو دلالة على الكمال فى كل من الوصفين: (و بشرى) [أى -^٨] عظيمة . ١٥

فلما تشوفت النفوس^٩، و ارتاحت القلوب . فطم من ليس بأهل عن عظيم هذه الثمرة فقال: (للمؤمنين^{١٠}) أى الذين صار ذلك لهم

(١) فى ظ : تبوع (٢) فى ظ : بعلو (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عجيب .
(٤) فى ظ : ختم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : نكب (٦) فى ظ : مع (٧) زيد من ظ (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : النفس .

وصفاً لازماً بما كان لهم قبل دعاء الداعي / من طهارة الأخلاق، و طيب الأعراق، و في التصريح بهذا الحال تلويح بأنه قننة و إنذار للكافرين "يضل به كثيراً و يهدى به كثيراً فاما الذين في قلوبهم زيغ" - الآية، "قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء"، "و الذين لا يؤمنون في أذانهم وقره و هو عليهم عمى" - إلى غير ذلك من الآيات .

و لما كان وصف الإيمان خفياً، و صفهم بما يصدقه من الأمور الظاهرة فقال: ﴿الذين يقيمون الصلوة﴾ أى بجميع حدودها الظاهرة و الباطنة من المواقيت و الطهارات^٢ و الشروط و الأركان و الخشوع و الخضوع و المراقبة و الإحسان إصلاحاً لما بينهم و بين الخالق .

١٠ و لما كان المقصود الأعظم من الزكاة إنما هو التوسعة على الفقراء قال: ﴿و يؤتون الزكاة﴾ أى إحساناً فيما بينهم و بين الخلاق .

و لما كان الإيمان بالبعث هو الجامع لذلك و لغيره من سائر الطاعات، ذكره معظماً لتأكيده، فقال معلماً بجعله حالاً [إلا -^٣] أنه شرط لما قبله: ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم .

١٥ و لما كان الإيمان بالبعث هو السبب الأعظم للسعادة و هو محط للحكمة، عبر فيه بما يقتضى الاختصاص، لا للاختصاص بل للدلالة على غاية الرسوخ في الإيمان به، فقال: ﴿بالآخرة هم﴾ أى المختصون بأنهم ﴿يوقنون﴾ أى يوجدون الإيقان حق الإيجاد و يجدونه^٤ في كل حين^٥

(١) في ظ: وصف (٢) في ظ و مد: الطهارة (٣) زيد من ظ و مد .
(٤ - ٤) من ظ و مد، و في الأصل: الاتخاذ و يجدونه (٥) من ظ و مد، و في الأصل: حال .

بما يوجد منهم من الإقدام على الطاعة، و الإحجام^١ عن المعصية .
 و لما أفهم التخصيص أن فم من يكذب^٢ بها وكان أمرها مركزا
 في الطباع، لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل و السماع، تشوفت نفس^٣
 السامع على سبيل التعجب^٤ إلى حالهم، فقال مجيبا له مؤكدا تعجيبا^٥ عن
 ينكر ذلك : (ان الذين لا يؤمنون) أى يوجدون الإيمان و يجدونه ه
 (بالآخرة زينا) أى بعظمتنا اتى لا يمكن دفاعها (لهم اعمالهم) أى
 القبيحة، حتى أعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها، و الإسناد
 إليه سبحانه حقيقى عند أهل السنة لأنه الموجد الحقيقى، و إلى الشيطان
 مجاز سبى (فهم) أى قسب عن ذلك أنهم (يعمهون) أى يخبطون
 خبط من لا بصيرة له أصلا و يترددون فى أودية الضلال، و يتمادون ١٠
 فى ذلك، أفهم كل لحظة فى خبط جديد، بعمل غير سديد و لا سعيد، فان
 العمه التحير و التردد كما هو حال الضال .

و لما خص المؤمنين بما علم منه أن لهم حسن الثواب، و أنهم فى
 الآخرة هم الفازون، ذكر ما يختص به هؤلاء من ضد ذلك فقال :
 (اولئك) أى البعداء البغضاء^٦ (الذين لهم) أى خاصة (سوء العذاب) ١٥
 فى الدارين : فى الدنيا بالأسر و القتل و الخوف (و هم فى الآخرة هم)

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : الاحكام (٢) من ظ و مد، و فى الأصل :
 كذب (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : النفس (٤) من ظ و مد، و فى
 الأصل : التمجيب (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : معجيبا (٦-٦) تداخل ما
 بين الرقبين فى ظ و مد بعد « لا بصيرة له أصلا » (٧-٧) من ظ و مد، و فى
 الأصل : البغضاء البعداء .

المختصون بأنهم (الاخسرون ه) أى أشد الناس خسارة لأنهم خسروا ما لا خسارة مثله، وهو أنفسهم التى لا يمكنهم إخراجها .

ولما وصف القرآن من الجمع والفرقان، بما اقتضى / بيان أهل الفوز والخسران، وكان حاصل حال الكفرة أنهم يتلقون كفرهم 'الذى هو' ه في غاية [السفه إما عن الشياطين الذين هم في غاية الشر، وإما عن آباؤهم الذين هم في غاية - ٢] الجهل، وصف النى صلى الله عليه وسلم بضد جاهلهم، فذكر جلاله المنزل عليه والمنزل ليكون أدعى إلى قبوله. فقال عاطفا على "ان الذين لا يؤمنون بالأخرة": (وانك) أى و أنت أشرف الخلق وأعلمهم وأحلمهم وأحكمهم (اتلقى القرآن) أى تجعل ١٠ متلقيا له من الملك، وحذف هنا الواسطة و بناه للفعل إعلاء له .

ولما كانت الأمور التى من عند الله تارة تكون على مقتضى الحكمة فتسند إلى أسبابها، وأخرى خارقة للعادة فتنسب^٢ إليه سبحانه، و الخارقة [تارة - ٢] تكون فى أول رتب القراءة^٤ فيعبر عنها بعند، وتارة تكون فى أعلاها فيعبر عنها بلدن، نه سبحانه على أن هذا القرآن فى الذروة ١٥ من القراءة فى أنواع الخوارق فقال: (من لدن) .

ولما مضى فى آخر الشعراء^٥ ما تقدم^٥ من الحكم الجملة فى تنزيهه بهذا اللسان، وعلى قلب سيد ولد عدنان، بواسطة^٦ الروح الأمين . مبينا لأحوال الشياطين، إلى غير ذلك مما مضى إلى أن ختمت بتهديد الظالمين .

(١-١) من مد، وفى الأصل وظ: الذين هم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: فيتنسب (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: القراءة . (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: بواسطة .

وكان الظالم إلى الحكمة أحوج منه إلى [مطلق - ١] العلم، و قدم في هذه أنه هدى، وكان الهادى لا يقتدى به ولا يوثق بهدائه إلا إن كان في علمه حكيمًا، اقتضى السياق تقديم وصف الحكمة، واقتضى الحال التكسير لمزيد التعظيم فقال: (حكيم) أى بالغ الحكمة، 'فلا شيء' من أفعاله إلا وهو في غاية الإتيان (علمه) أى عظيم العلم واسعه تامه ٥ شامله، فهو بعيد جدا عما ادعوه فيه من أنه كلام الخلق الذى لا علم لهم ولا حكمة إلا ما آتاهم الله، ومصدق ذلك عجز جميع الخلق عن الإتيان بشيء من مثله، وإدراك شيء من مغايرته حتى إدراكه .

ولما وصفه بنهاج الحكمة وشمول العلم، دل على كل من الوصفين .
وعلى إبانة القرآن وما له من العظمة التى أشار إليها أول السورة بما ١٠
يأتى فى السورة من القصص وغيرها، واقتصر فى هذه السورة على هذه القصص لما بينها من عظيم التناسب [المناسب - ١] لمقصود السورة، فابتدى بقصة أطبق فيها الأبعاد على الكفران فأهلكوا، والأقارب على الإيمان فأنجوا، وثى بقصة أجمع فيها الأبعاد على الإيمان، لم يتخلف منهم إنسان، وثالث بأخرى حصل بين الأقارب فيها الفرقان، باقتسام الكفر والإيمان، ١٥ وختم بقصة تمالا الأبعاد فيها على العصيان، وأمروا على الكفران،

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد، وفى الأصل: قامسى (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: إياته (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بما (٥) زيد فى الأصل: فابتدى بقصة، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفناها (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الكفر .

فابتلعهم الأرض ثم غطوا بالماء كما بلغ' الأولين الماء فكان فيه التواء .
 ولما كان تعلق "اذ" باذكر من الوضوح^١ في حد لا يخفى على
 أحد ، قال دالا على حكمته وعلوه: ﴿ اذ ﴾ طاريا لمتعلقه لوضوح أمره
 فصار كأنه ﴿ قال ﴾ : اذكر حكمته وعلوه حين قال ﴿ موسى لاهله ﴾
 [أي زوجه - ٢] وهو راجع من مدين إلى مصر . قيل : و لم / يكن
 معه غيرها : ﴿ انى انست ﴾ أى أبصرت إبصارا حصل لى الأنس ،
 و أزال غنى الوحشة و التوس ﴿ ناراً ﴾ فلم بما فى هذه القصة من
 الأفعال المحكمة المنبئة عن تمام العلم اتصافه بالوصفين علما مشاهدا ، و قدم
 [ما - ٢] الحكمة فيه أظهر لاقتضاء الحال التأمين من نقض ما يؤمر

١٠ به من الأفعال .

ولما كان كأنه قيل : فماذا تصنع^١ ؟ قال آتيا بضمير المذكر المجموع
 للتعبير عن^٢ الزوجة المذكورة بلفظ "الاهل" الصالح للمذكر و الجمع
 صيانة لها و سترًا ، جازما بالوعد للتعبير بالخير الشامل للهدى و غيره ،
 فكان^٣ تعلق الرجاء به أقوى من تعلقه بخصوص^٤ كونه هدى ، و لأن^٥
 ١٥ مقصود السورة يرجع إلى العلم ، فكان الأليق به الجزم ، و لذا عبر بالشهاب
 الهادى لاولى الالباب : ﴿ ساتيكم ﴾ أى بوعد صادق و إن أبطأت

(١) فى ظ : ابلغ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد لحذفها .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : تفعل ، و هو فى مد مطموس (٥) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : على (٦) فى ظ : و كان (٧) فى ظ : بخصوصه (٨) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : لا .

(منها بجبر) أى و لعل بعضه يكون مما نهى به فى هذا الظلام إلى الطريق ، و كان قد ضلها (او اتىكم بشهاب) أى شعلة من نار ساطعة (قبس) أى عود جاف مأخوذ من معظم النار فهو بحيث قد استحسنت فيه النار فلا ينطفى ؛ و قال البغوى^١ : و قال بعضهم : الشهاب شئ ذو نور مثل العمود ، و العرب تسمى كل أبيض ذى نور شهابا ، و القبس : هـ القطعة من النار . فقراءة الكوفيين بالتونين على البدل أو الوصف ، و قراءة غيرهم بالإضافة^٢ ، لأن القبس أخص . و علل إتيانه بذلك إيهاما لأنها ليلة باردة بقوله : (لعلكم تصطلون هـ) أى لتكونوا فى حال من يرجى أن يستدفئ بذلك أى يجد به الدفء لو صوله معى فيه النار ، و آذن بقرب وصوله فقال : (فلما جاءها) أى تلك التى ظنها نارا .

١٠

و لما كان البيان بعد الإيهام أعظم ، لما فيه من التشويق و التهيتة للفهم ، نبى للفعول قوله : (نودى) أى من قبل الله تعالى . و لما أبهم المنادى فتشوفت النفوس إلى بيانه ، و كان البيان بالإشارة أعظم . لما فيه من توجه النفس إلى الاستدلال ، نه [سبحانه - ٦] عليه يجعل الكلام على طريقة كلام القادرين ، إعلاما بأنه الملك الأعلى فقال ١٠ : بانبا للفعول ، [آتيا - ٦] بأداة التفسير ، لأن النداء^٢ بمعنى القول^٢ :

(١) راجع معالم التزويل بهامش لباب التأويل ٥/١١٠ (٢) من ظ و مد و العالم ، و فى الأصل : ذى (٣) راجع نثر المرجان ٥/٧٩ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التشريق (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمعنى المقول .

(ان يورك) أى ثبت تثبيتا يحصل منه من النماء و الطهارة و جميع
 الخيرات ما لا يوصف (من فى النار) أى بقعتها، أو طلبها و هو
 طلباً بمعنى الدعاء، و العبارة تدل على أن الشجرة كانت كبيرة و أنها
 لما دنا منها بعدت منه النار إلى بعض جوانبها [فبها، فلما توسطت الدرجة
 ٥ أحاط به النور -^١]، و سمي النور نارا على ما كان فى ظن موسى عليه
 الصلاة و السلام، [و قال سعيد بن جبير^٢ : بل كانت نارا كما رأى
 موسى عليه السلام -^٣]، و النار من حجب الله كما فى الحديث : حجاب
 النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .
 (و من حولها) من جميع الملائكة عليهم السلام و تلك الاراضى المقدسة
 ١٠ / ٧٦٦ [على ما أراد الله فى ذلك الوقت و فى غيره -^٤] / و حق تلك الاراضى^٥
 أن تكون كذلك لأنها مبعث الانبياء عليهم الصلاة و السلام و مهبط
 الوحي عليهم^٥ و كفاتهم أحياء و أمواتا .

ولما أتاه النداء - كما ورد - من^٦ جميع الجهات، فسمعه^٧ بجميع
 الحواس، أمر بالتنزيه، تحقيقا لأمر من أمره سبحانه، و تثبتا له، قال
 ١٥ عاطفا على ما^٨ أرشد السياق إلى تقديره من مثل : فأبشر بهذه البشرى
 العظيمة : (و سبحن الله) أى ونزه الملك الذى له الكمال المطلق تنزيها^٩

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل : و مر موسى وهو خير (٢) زيد من ظ و مد .
 (٣) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١١١/٥ (٤-٤) من ظ و مد، وفى
 الأصل : للاراضى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : اليهم (٦) سقط من ظ
 و مد (٧) فى ظ : بسمعه (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : من (٩) من ظ
 و مد، وفى الأصل : بما .

يليق بجلاله ، او يجوز أن يكون خيرا معطوفا على " بورك " [أى - ٢]
و تنزه الله سبحانه تنزها^٢ يليق بجلاله عن أن يكون في موضع النداء
أو غيره من الأماكن .

ولما كان تعليق ذلك بالاسم العلم دالا^١ على أنه يستحق ذلك لمجرد
ذاته المستجمع لجميع صفات الكمال ، من الجلال والجمال ، وصفه بما^٥
يعرف أنه يستحقه أيضا لأفعاله بكل مخلوق التي منها ما يريد أن يرى^٦
به موسى عليه الصلاة والسلام كبيرا بعد ما رياه به^٧ صغيرا ، فقال :
(رب العالين) .

ولما تشوفت النفس إلى تحقق الأمر تصریحا ، قال معظاله تمهيدا
لما أراد سبحانه إظهاره^٩ على يده من المعجزات الباهرات^٨ : (بموسى انه) ١٠
أى الشأن العظيم الجليل الذى لا يبلغ وصفه (انا الله) أى البالغ من
الظمة ما تقصر عنه الأوهام ، وتضاهل دونه نوافذ الأفهام^٩ ، ثم أفهمه
عما تضمن ذلك وصفين يدلانه على أفعاله^{١٠} معه^٩ فقال : (العزيز) [أى - ١٠]
الذى يصل إلى جميع ما يريد ولا يوصل إلى شيء مما عنده من غير الطريق
التي يريد (الحكيم)^{١١} أى^٩ الذى ينقض كل ما يفعله غيره إذا أراد ، ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « يليق بجلاله » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
(٣) من مد . وفى الأصل : تزيها (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا (٥) زيد
فى ظ : أيضا لأفعاله بكل مخلوق (٦) فى ظ : ما (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل :
يرى (٨) سقط من ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد .
(١٠) زيد من ظ ومد .

و لا يقدر غيره أن ينقض شيئا من فعله .

و لما كان التقدير : فافعل جميع ما أمرك به فإنه لا بد منه ، و لا تخف
من شيء فإنه لا يوصل إليك بسوء لأنه متقن بقانون الحكمة ، محروس
بسور العزة ، دل عليه بالعطف في قوله : (و الت عصاك) أى لتعلم
٥ علما شهوديا عزتى و حكمتى - "أوهو معطوف على "ان بورك" - "فألقاها
كما أمر ، فصارت^٢ في الحال - بما أذنت به الفاء - حية عظيمة جدا ، هى^١
- مع كونها في غاية العظم - في نهاية الخفة و السرعة في اضطرابها عند
محاولتها ما يريد (فلما رآها تهتز) أى تضطرب [في تحركها - °]
مع كونها في غاية الكبر (كأنها جان) أى حية صغيرة في خفتها
١٠ و سرعتها ، و لا ينافى ذلك كبر جثتها (ولى) أى موسى عليه الصلاة
و السلام .

و لما كانت التولية مشتركة بين معان ، بين المراد بقوله : (مدبرا)
أى التفت هاربا منها مسرعا جدا لقوله : (و لم يعقب) أى لم يرجع
على عقبه ، و لم يردد في الجذ في الحرب ، و لم يلتفت إلى ما وراه
١٥ بعد توليته ، يقال : عقب عليه تعقيا ، أى كر . و عقب في الأمر تعقيا :
تردد^٣ في طلبه مجدا - هذا في ترتيب المحكم . و فى القاموس : التعقيب :

(١) فى ظ : ح (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣ - ٣) تأخر ما بين
الرقين فى ظ و مد عن * به الفاء * (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .
(٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ،
و فى الأصل : تردد .

الاتفات . و قال القزاز في ديوانه : عقب^١ - إذا انصرف راجعا
نحوه معقب .

٧١٧ /

ولما تشوفت النفس إلى ما قيل له عند هذه الحالة ، أجيبت بأنه
قيل له ؛ (بنومنى لا تخف) ثم علل هذا النهى بقوله ، مبشرا بالامن
و الرسالة : (انى لا يخاف لى) أى [فى -^٢] الموضوع الذى هو من
غرائب نواقض العادات ، وهى وقت الوحي و مكانه (المرسلون عليه) أى
لأنهم معصومون من الظلم ، ولا يخاف من الملك العدل إلا ظلم .
ولما دل أول الكلام و آخره على أن التقدير ما ذكرته ، و علم
منه أن من ظلم خاف ، و كان المرسلون بل الأنبياء معصومين عن صدور
ظلم ، و لكنهم لعلو مقامهم ، و عظيم شأنهم ، يعد عليهم خلاف الأولى ،
بل بعض المباحات المستوية ، بل أخص من ذلك ، كما قالوا : حسنت
الابرار سيئات المقربين ، استدرك سبحانه من ذلك بأداة الاستثناء
ما يرغب المرهين من عواقب الظلم آخر تلك فى التوبة ، و بينه موسى عليه
السلام على غفران^٣ و كزة القبطى له ، و أنه لا خوف عليه بسببه و إن
كان قتله مباحا لكونه خطأ مع أنه كافر ، لكن علو المقام يوجب التوقف^٤
عن الإقدام إلا باذن خاص ، و لذلك سماه هو ظلما فقال ” [رب -^٥]
انى ظلمت نفسى فاغفر لى “ و هو من^٦ التعريضات التى يلفظ مأخذها

(١) فى ظ : اعقب (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
صدود (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفرانه (٥) زيد من ظ و مد
و أقرآن الكريم آية ٤٤ من النمل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

..قال: (الا) 'أو المعنى': لكن (من ظلم) كاتنا من كان، بفعل
 سوء^١ (ثم بدل) بتوبته (حسنا بعد سوء) وهو الظلم الذي كان
 عمله^٢، أى جعل الحسن بدل^٣ السوء كالسحرة الذين آمنوا بعد ذلك بموسى
 عليه الصلاة والسلام فأنى أغفره له بحيث يكون كأنه لم يعمله أصلا،
 ٥ وأرحمه بما أسبغ عليه من^٤ ملابس الكرامة المقارنة للآمن والعز
 وإن أصابه قبل ذلك نوع خوف. ثم علل ذلك بأن المغفرة والرحمة
 صفتان له ثابتتان، فقال: (فانى) [أى أرحمه بسبب أنى-^٥] (غفور)
 أى من شأنى أنى^٦ أعمو الذنوب محوا يزيل جميع آثارها (رحيم^٧)
 أعامل التائب منها معاملة الراحم البليغ الرحمة بما يقتضيه حاله^٨ من
 ١٠ الكرامة، فازيل أثر ما كان وقع فيه من موجب^٩ الخوف وهو الظلم.
 ولما أراه سبحانه [هذه الحارقة فيما كان فى يده بقلب جوهرها
 إلى جوهر شئ آخر حيوانى، أراه-^{١٠}] آية أخرى فى يده نفسها بقلب
 عرضها الذى كانت عليه إلى عرض آخر نورانى، فقال:
 (وادخل يدك فى جييك) أى فتحة ثوبك، وهو ما قطع منه ليخبط
 ١٥ ببتقك (تخرج) أى إذا أخرجتها (بيضآه) أى يياضاً عظيماً نيرا

(١ - ١) من ظ و مد، وفى الأصل: أى (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
 موسى (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: عليه (٤) من ظ و مد، وفى الأصل:
 بعد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: منى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل:
 العفو (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، وفى الأصل:
 حاله (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: موجبة.

جدا ، له شعاع كشعاع الشمس .

و لما كان ربما وقع في وهم أن هذا لآفة ، قال : (من غير سوء هـ)

أى برص ولا غيره من الآفات ، آفة أخرى كآفة (فى) جملة (تسع آيات)

كما تقدم شرحها فى سورة الإسراء وغيرها ، متبهة على يدك برسالتى لك

(الى فرعون وقومه ^١) أى الذين هم أشد أهل هذا الزمان قياما فى هـ

الجبوت والمدوان ؛ ثم علل إرساله إليهم بالحوارق بقوله :

(انهم كانوا) أى كونا كأنه جملة لهم (قوما فسقين هـ) أى خارجين

عن طاعتنا / لتردهم إلينا .

٨٦٨ /

و لما كان التقدير : فاتاهم كما أمرناه فعاندوا أمرنا ، قال منها على ذلك ،

دالا بالفاء على سرعة إتيانه إليهم امثالاً لما أمر به : (فلما جاءهم آيتنا) ١٠

أى على يده (مبصرة) أى سبب الإبصار لكونها منيرة ظاهرة جدا ،

فهى هادية لهم إلى الطريق الأقوم هداية النور لمن يبصر ، فهو لا يخطئ

شيئا ينبى أن يتفجع به (قالوا هذا سحر) أى خيال لاحقيقة له

(مبين هـ) أى واضح فى أنه خيال (وجدوا) أى أنكروا عالمين

(بها) أى أنكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم بابطالهم ١٥

لأن الجحود الإنكار مع العلم .

و لما كان الجحد معناه إنكار الشيء مع العلم به ، حقق ذلك بقوله :

(واستيقنتها) أى و الحال أنهم قد طلبوا الوقوف على حقائق أمرها

(١ - ١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ذلك (٢) سقط من ظ (٣) سقط من

ظ و مد .

حتى تيقنتها في كونها حقا ' (انفسهم) وتخلل عليها صميم عظامهم ،
فكانت ألسنتهم مخالفة لما في قلوبهم ، ولذلك آمنوا الاستيقان إلى النفس .
ثم ظل جحدم و وصفهم لها بخلاف وصفها فقال : (ظلما و علوا)
أي إرادة وضع الشيء في غير حقه ، و التكبر على الآتي به ، تليسا '
٥ على عباد الله .

و لما كان التقدير : فأغرقناهم أجمعين أيسر سعى و أهون أمر
ظم يبق منهم غيرا تطرف ، و لم يرجع منهم مخبر ، على كثرتهم و عظمتهم
و قوتهم ، عطف عليه تذكيرا به مسيا عنه قوله : (فانظر) و نه على
أن خبرهم ' مما تتوفر ' الدواعي على السؤال عنه : لعظمته ، فقال معبرا
١٠ بأداة الاستفهام : (كيف كان) و كان الأصل : عاقبتهم ، أي آخر
أمرم ، ولكنه أظهر فقال : (عاقبة المفسدين) ليدل [على -]
الوصف الذي كان سببا لأخذهم تهديدا لكل من ارتكب مثله :
و لما تم بهذه القصة الدليل على حكمته ، توقع السامع الدلالة على
عليه سبحانه ، فقال مبتدئا بحرف ' التوقع مشيرا إلى أنه لا تكبر في
١٥ فضل الآخر على الأول عاطفا على ما تقدیره : فلقد اتينا موسى و أخاه
هارون عليهما السلام حكمة و هدى و علما و نصرا على من

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : حق (٢) في ظ : تليسا (٣) من ظ و مد ،
و في الأصل : عين (٤-٤) من ظ و مد . و في الأصل : يتوفد - كذا (٥) من
ظ و مد ، و في الأصل : عليه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في
الأصل : برفع (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : اختار .

خالقها و عزاء: (و لقد آتينا) أى بما لنا من العظمة (داود و سليمان)
 أى ابن داود ، و هما من أتباع موسى عليهم السلام و بعده بأزمان
 متطاولة (علماء) أى جزاء من العلم عظيما من منق الطير و الدواب
 و غير ذلك لم تؤته^٢ لأحد قبلها .

و لما كان التقدير : فعلا بمقتضاه ، عطف عليه قوله : (و قال) ٥

شكرا عليه^٣ ، دلالة على شرف العلم و تديها لأهله على التواضع : (الحمد)
 أى الإحاطة بجميع أوصاف الكمال (لله) أى الذى لا مثل له و له
 الجلال و الجمال (الذى فضلنا) أى بما آتانا من ذلك
 (على كثير من عباده المؤمنين) أى الذين صار الإيمان لهم خلقا .

و لما كان كل منهما عليها السلام قد أوتي ما ذكر ، أشار إلى ١٠

فضل سليمان عليه السلام بأنه جمع إلى ما آتاه ما كان منح به أباه
 فقال : (و ورث سليمان داود) أى أباه / عليها السلام دون إخوته
 فى النبوة و العلم و الملك الذى كان قد خصه الله دون قومه بجمعه له إلى
 النبوة ، فشكر الله على ما أنعم به^٤ عليه أولا و ثانيا (و قال) أى
 سليمان عليه السلام محدثا بنعمة ربه و منبها على ما شرفه الله به ، ليكون ١٥
 أجدر فى قبول الناس ما يدعوهم إليه من الخير : (يتأيها الناس) .

(١) وقع فى الأصل بعد « لقد آتينا » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : لم توجه (٣) زبدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ
 و مد فحدثناها (٤) فى ظ : الاوصاف (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى .
 (٦-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم الايمان (٧) سقط من ظ .

ولما كان من المعلوم أنه 'لا معلم له' إلا الله، فإنه لا يقدر على ذلك غيره، قال بانبا للفعول: ﴿علنا﴾ أى أنا وأبى [بأيسر أمر وأسهله من لا يقدر على ما علنا سواء ولو كان المقصود هو وحده لم يكن من التعاضد فى شىء، بل هو كلام الواحد المطاع، تنديها على تعظيم الله بما عظمه به بما يختص بالقدرة عليه أو بالأمر به كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل إذا كان هناك حال يحوج إليه كما قال فى الزكاة: إنا آخذوها وشطر ماله^١ عزمة من عزمات ربنا عز وجل، وكما كان يكتب لبعض الجبارة -^٢ ﴿منطق الطير﴾ أى فهم ما يريد كل طائر إذا صوت، والمنطق ما يصوت^٣ به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد، ولا بدع^٤ فى أن الذى آتى كل نفس هداها وعلها^٥ تميز منافعها ومضارها يؤتيها قوة تدرك بها مخاطبها بينها يتفاهم كل نوع منها به فيما يريد، ويكون ذلك قاصرا عن^٦ إدراك الإنسان لخصوصه بالجزئيات الناشئة عن الحيات ﴿واوتينا﴾ بمن له العظمة بأيسر أمر من أمره ﴿من كل شىء^٧﴾ أى يكمل به ذلك من أسباب الملك والنبوة وغيرهما^٨، وعبر باداة^٩ الاستفراق تعظيما للنعمة كما يقال لمن يكثر تردد الناس إليه: فلان^{١٠} يقصده كل أحد.

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: يعلم (٢) وفى مسند الإمام ٢/٥: إليه .
 (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بتصوت (٥) فى ظ: علنا (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: على (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: غيرها (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: فلا .

ولما كان هذا أمرا باهرا، دل عليه بقوله مؤكدا بأنواع التأكيد
 'و شاكرًا' حاثا نفسه على مزيد الشكر وهاذا لها إليه: (ان هذا) أى
 الذى أوتيناه (هو الفضل المبين) أى البين فى نفسه لكل من ينظره،
 الموضح لعلو قدر صاحبه و وحدانية مفيضة و مؤتية .

ولما كان هذا مجرد خبرًا، أتبعه ما يصدقه فقال: (و حشر) أى ه
 جمع جمعا حتما بقهر و سطوة و إكراه بأيسر سعى (لسليمن جنوده) .
 ولما دل ذلك على عظمه، زاد فى الدلالة عليه بقوله: (من الجن)
 بدأ بهم لمر جمعهم (و الانس) تى بهم لشرفهم و مشاركتهم لهم فى
 ذلك من حيث تباعد أغراضهم و تنهى قصودهم .

ولما ذكر ما يعقل و بدأ به لشرفه، أتبعه ما لا يعقل فقال: ١٠
 (و الطير) و لما كان الحشر معناه الجمع بكره، فكان لا يخلو عن انتشار،
 و كان التقدير: و سار بهم فى بعض الغزوات، سبب عنه قوله تعظيما
 للجيش و صاحبه: (فهم يوزعون) أى يكفون بجيش أولهم على
 آخرهم بأدنى أمر و أسهله ليتلاحقوا، فيكون ذلك أجدر بالهية،
 و أعون على الصرة. و أقرب إلى السلامة: عن قتادة* أنه كان على كل ١٥
 صنف من جنوده وزعة ترد أولاهها على أخراها لتلا يتقدموا فى السير،
 قال: و الوازع: الحابس و هو النقيب . و أصل الوزع الكف و المنع .

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: شاكرًا و (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
 خيره (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد: تباعدهم (٥) راجع معالم التنزيل
 بهامش الباب ١١٤/٥ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و اللانح .

ولما كان التقدير: فساروا. لأن الوزع لا يكون إلا عن سير، غياه
 بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَوَا﴾ أى أشرفوا. ولما كان على بساطه فوق متن
 الريح بين السماء والأرض. عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾
 وهو واد بالطائف - كما نقله الفيثوى^١، عن كعب، وهو الذى تميل إليه
 النفس فإنه معروف إلى الآن عندهم بهذا الاسم ويسمى أيضا نخب^٢
 وزن بكتف، وقد رأيت لما قصدت تلك الديار لرؤية مشاهدتها، والتطواف^٣
 في معابدها ومعاهدها. والتبرك بآثار الهادى، في الانتهاء والمبادئ،
 ورفقت بمسجد فيه قرب سدرة تسمى الصادرة مشهور^٤ عندهم أن النبي
 صلى الله عليه وسلم صلى به، وهذه السدرة^٥ المذكورة في غزوة الطائف
 ١٠ من السيرة الهاشمية^٦ واقتصر في تسمية الوادى على نخب، وأنشدت
 فيه يوم وقوفى بياحه، وتضرعى في أعتابه^٧:

مررت بوادى النمل يا صاح بكرة فصحت وأجريت الدموع على خدى
 وتممت منه موقف الهاشمى الذى ملأ الأرض توحيدا يزيد على العدد
 وكم موقف أفرشته حرجهتى وأبديت فى أرجائه ذلة العبد^٨

(٢) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٢) فى المعالم بهامش الباب ١١٤/٥.

(٣) راجع معجم البلدان ٨ / ٢٧٢ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الطواف.

(٥) من مد، وفى الأصل وظ: مشهورة (٦) زيد فى الأصل: مشهورة، ولم

تكن الزيادة فى ظ و مد فخذ منها (٧) فى ظ: الهاشمية - خطأ - راجع منها

٢٤/٣ (٨) زيد فى ظ: قال (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: ما (١٠) من ظ

و مد، وفى الأصل: الصدى.

- في قصيدة طويلة .

ولما كانوا في أمر يهول منظره، ويوهى القوى مخالطته و مخبره،
فكان التقدير : فبتت طلائعهم ، و زرات راياتهم و لوامعهم ، و أحلامهم
و مضائهم^١ ، [نظم به قوله -^٢] : (قالت نبله) أى من النمل الذى يذلك
الوادى : (يأتيا النمل) و لما حكى عنهم سبحانه ما هو من^٣ شأن العقلاء ،
عبر بضمائرهم فقال : (ادخلوا) أى قبل وصول ما أرى من الجيش
(مسكنكم هـ) ثم عللت أمرها بعينه لصاحبه إذ كانت أماراته لا تخفى
فقال جوابا للأمر^٤ أو بدلا منه : (لا يحطمنكم) أى يكسرنكم و يهشمكم
أى لا تبرزوا فيحطمنكم . فهو^٥ نهى لهم عن البروز في صورة نهية و هو
أبلغ من التصريح بنهيم لأن من نهى كثيرا عن شيء كان لغيره أشد
نهيا (سليمان و جنوده) أى قائمهم لكثرتهم إذا صاروا في هذا الوادى
استلوا عليه فطوقوه فلم يدعوا منه موضع شبر خاليا (و هم) أى
سليمان عليه السلام و جنوده (لا يشعرون هـ) أى يحطهم لكم^٦ لا يشغلكم
بما هم^٧ فيه من أحوال السير ، و تعايط مصالحه ، مع صغر أجسامكم ،
و خفائكم^٨ على السائر^٩ في حال اضطرابكم و مقامكم ، و قولها هذا يدل على^{١٥}

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : عنايتهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد ، و في الأصل : في (٤) في ظ : إذا (هـ-هـ) من ظ و مد ، و في الأصل :
استينافا أو بدلا من ادخلوا - مع اليأس في البداية (٦) سقط من ظ هـ
(٧-٧) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يشغلكم بما هو (٨-٨) من ظ و مد ،
و في الأصل : عن السائر (٩-٩) سقط هـ بين الرقيين من ظ و مد .

اعلمها بأنهم لو شعروا بهم ما آذوهم لأنهم أتباع نبي فهم رحما^١ .
 و لما كان هذا أمرا معجبا لما فيه من جزالة الالفاظ و جلالة المعاني ،
 تسبب عنه قوله : (قَبَسَم) و لما دل ذلك على الضحك ، و كان ذلك قد
 يكون^٢ للفضب ، أكده و حقق^٣ معناه بقوله : (ضاحكا من قولها)
 ه أي لما أوتيته من الفصاحة و البيان ، و سرورا بما وصفته به من العدل
 في أنه و جنوده لا يؤذون أحدا و هم يعلون (و قال) متذكرا ما أولاه^٤
 ربه سبحانه بحسن تربيته من فهم كلامها إلى ما أنعم عليه من غير ذلك :
 (رب) أي أيها المحسن إلى (اوزعني أن^٥) أي اجعلني مطيقا لأن
 (اشكر نعمتك) أي وازعاه كفا مرتبطا حتى لا يغلبني . و لا يتفك
 ١٠ / ٧٨١ / مني ، و لا يشذ عني وقتاما .

و لما أفهم ذلك تعلق النعمة [به -^٦] ، حققه بقوله : (التي أنعمت علي^٧)
 و ربما أفهم قوله^٨ : (و علي والدي) أن أمه كانت [أيضا -^٩]
 تعرف منطق الطير . و تحقيق معنى هذه العبارة أن مادة " و زع " -
 بأي ترتيب كان - يدور على المنوز - لخرقه بالية^{١٠} يلف بها الصبي ،
 ١٥ و يلزمها التمييز ، فان الملقوف بها يتميز عن غيره ، و منه الأوزاع^{١١} ،

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و في الأصل ؛
 ربما (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : حققه (٤) في ظ و مد : آناه (ه) ليس
 في الأصل فقط (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بقوله -
 (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : تاليه - كذا (٩) من القاموس ، و في
 الأصل : الازاع ، و في ظ و مد : الازاعي .

وهم الجماعات المنفرقة، ويلزمها أيضا الإطاعة فان أكثر الناس يجدها،
ومنه العزون - لعصب من الناس^١، فانهم يطيقون ما يريدون ويطيقهم
من يريد^٢، 'ومنه الوزع' وهو كف ما يراد كفه، و'الولوع'^٣ بما
يزاد، ومنه الإيماز - للتقدم بالأمر والنهي، و'الزوع' للجذب، ويلزمها
أيضا الحاجة فانه لا يرضى بها دون الجديد إلا محتاج، فعنى الآية: اجملنى^٤
وازعا - أى مطيقا - أن أشكرها كما يطيق^٥ الوزع كف ما يريد^٦ كفه،
ويمكن أن يكون مدار المادة الحاجة لأن الأوزاع - وهم الجماعات -
يحتاجون إلى الاجتماع جملة، والكاف محتاج إلى امتثال ما يكفه لأمره،
والجاذب محتاج إلى الزوع أى الجذب، والمولع بالشىء فقير إليه، والموعز
محتاج إلى قبول وصيته، فالعنى^٧: اجملنى وازعا أى فقيرا إلى الشكر، أى ١٠
ملازما له مولما به، لأن كل فقير^٨ إلى شىء يجتهد فى تحصيله، ويلزم على
هذا التخرج احتقار العمل، فيكون سببا للأمن من الإعجاب، [وفى الآية
تنبه على بر الوالدين فى سؤال القيام عنهم بما لم يبلغاه من الشكر - ١٠] -
والله موفق. والشكر فى اللغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعا
كالثناء على المنعم بما يدل على أن الشاكر قد عرف نعمته واعترف له ١٥
بها وحسن موقعها عنده، وخضع قلبه له لذلك، وحاصله أنه اسم
لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم فانه إذا عرفها تسبب فى

(١) فى مد: نجدها (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: الباس (٣) فى ظ: يردهم،
وفى مد: يردوهم (٤-٤) - سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥) من ظ
و مد، وفى الأصل: الوزع (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: يطلق (٧) فى
ظ، يراد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: فان المعنى (٩) زيد فى ظ: محتاج.
(١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: عن.

التعرف إليه ، فسلك طريق التعرف وجد في الطلب ، ومن جد وجد ،
ويروى عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال : يارب كيف أشكرك
والتعبر نعمة أخرى منك أحتاج عليها إلى شكر آخر؟ فأوحى الله تعالى
إليه : يا داود إذا علمت أن ما بك من نعمة فني فقد شكرتني . والشكر
ثلاثة أشياء : الأول معرفة النعمة بمعنى إحضارها في الخاطر بحيث يتميز
[عندك]^٢ أنها نعمة ، قرب جاهل يحسن إليه و ينعم عليه وهو
لا يدري ، فلا جرم أنه لا يصح^٣ منه الشكر . والثاني : قبول النعمة بتلقيها
من المنعم باظهار الفقر والفاقة ، فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة ، والثالث :
الثناء بها بأن تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على حسن
تلقيك لها واعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه ، فان اليد العليا
خير من اليد السفلى ، وهو على ثلاث درجات : الأولى الشكر على المحاب^٤؛
أى الأشياء المحبوبة ، وهذا شكر تشارك فيه الميثون المسلمون واليهود
والنصارى والمجوس ، فان الكل يعتقدون ان الإحسان الواصل من الرحمن
واجب معرفته على الإنسان ، ومن سعة بر البارئ سبحانه وتعالى أن عده
شكرا مع كونه واجبا على الشاكر ، ووعده عليه الزيادة . وأوجب فيه المثوبة
إحسانا واطفا . الثانية : الشكر في المكاره ، وهو إما من رجل لا يميز بين
الحالات ، بل يستوى عنده المكروه والمحوب ، فاذا نزل به المكروه شكر الله
عليه بمعنى أنه أظهر الرضا بنزوله به ، وهذا مقام الرضا . وإما من رجل

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : اليها (٢) زيد من ظ ومد (٣) زيد في الأصل :
عندك ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخذلتها (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل :
الاحسان - كذا (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : الاحسان (٦) سقط من ظ .

يميز بين الأجوال فهو لا يجب المكروه ولا يرضى بزوله، فإن نزل به مكروه فشكره عليه إنما هو كظم الغيظ وستر الشكوى وإن كان باطنه شاكياً، والكظم إنما هو لرعاية الأدب بالسلوك في مهلك العلم، فإنه بأمر العبد بالشكر في السراء والضراء. الثالثة^٣: أن لا يشهد العبد إلا النعم باشتغاله بالاستغراق في مشاهدته عن مشاهدة النعمة، وهذا الشهود على ثلاثة أقسام: هـ
أحدها أن يستغرق فيه عبودة، فيكون مشاهداً له مشاهدة العبد للسيد بأدب العيد إذا حضروا بين يدي سيدهم، فإنهم ينسون ما هم فيه من الجاه والقرب الذي ما حصل لغيرهم، باستغراقهم في الأدب، وملاحظتهم لسيدهم خوفاً من أن يسير^٤ إليهم في أمر فيجدهم غافلين، وهذا أمر معروف عند من صحب الملوك، فصاحب هذا الحال إذا أنعم عليه سيده ١٠
في هذه الحالة، مع قيامه في حقيقة العبودة^٥، استعظم الإحسان، لأن العبودة^٦ توجب عليه أن يستصغر نفسه. ثانياً أن يشهد^٧ سيده شهود حجة غالبية، فهو يسبب هذا الاستغراق فيه، يستحلي^٨ منه الشدة، وقد قال بعض عشاق حسن الصورة لا صورة الحسن فأحسن:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبة ادعى . ١٥

ثالثاً أن يشهد شهود تفريد يرفع الثنوبه ويفنى^٩ الرسم ويذهب الغيرية^{١٠}،

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: باطنا (٢) في ظ: الكاظم (٣) في ظ: الثالث.

(٤) من ظ و مد، وفي الأصل: يشير (٥) سقط من ظ (٦) في ظ و مد:

العبودية (٧) في ظ: العبودية (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: يستشهد.

(٩) من ظ و مد، وفي الأصل: يستحل (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل:

نفى (١١) في ظ: العبرة .

فإذا وزدت عليه النعمة أو الشدة كان مستغرقا في الفناء فلم يحس
بشيء منها .

ولما علم من هذا كله أن الشاكر هو المستغرق في الثناء على المنعم
بما يجب عليه من العمل من فناء أو غيره بحسب ما يقدر عليه، وكان
ذلك العمل بما يجوز أن يكون زين لذلك العبد كونه حسنا وهو ليس
كذلك، قال صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى هذا المعنى: (وإن أعمل صالحا)
أى في نفس الأمر . ولما كان العمل الصالح قد لا يرضى المنعم لنفس
في العامل كما قيل "في معنى ذلك":

/ إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته إلا ذنوب

/ ١٧٣

١٠ قال: {ترضنه} .

ولما كان العمل الصالح المرضي قد لا يعلى^٢ إلى درجة المرضي^٣
عنهم، لكون العامل منظورا إليه بعين السخط، لكونه ممن سبق عليه
الكتاب بالشقاء، لأن الملك المنعم تام الملك عظيم الملك فهو بحيث
لا يسأل عما يفعل، قال معرضا عن عمله معترفا بعجزه، معلما بأن المنعم
١٥ غنى عن العمل وعن غيره، لا تضره معصية ولا ينفعه طاعة:

{وادخلني برحمتك} أى لا بعمل^٤ {في عبادك الصالحين} أى [لما-^١]
أردتهم له من تمام النعمة بالقرب والنظر إليهم بعين العفو

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ ومد .

(٢) في ظ: على (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: المرض (٥) من ظ ومد،

وفي الأصل: بعمل (٦) زيد من ظ ومد .

و الرحمة و الرضا .

و لما كان التقدير : فوصل إلى المنزل الذي قصده فنزله و تفقد
أحوال جنوده كما يقتضيه العناية بأمور الملك ، أى تجنب تقديم بأن تعرف
من هو منهم موجود و من هو منهم مفقود^١ ، الذى يلزمه أن لا يغيب
أحد منهم : (و تفقد الطير) إذ^٢ كانت أحد أركان جنده فققد الهدهد^٣
(فقال مالى) أى أى شىء حصل لى حال كونى (لآارى الهدهد^٤)
أى أهو^٥ حاضر ، و ستره عنى سار ، و قوله : (ام كان من الغائبين^٦)
كما أنه يدل على ما^٧ قدرته يدل على أنه فقد جماعة من الجند ، فتحقق
غيبتهم و شك فى غيبته ، و ذكره له دونهم يدل على عظيم منزلة الهدهد^٨
فبما له عنده من النفع ، [و أن غيبة غيره كانت بأمره عليه السلام . ثم ١٠
قال على سبيل الاستئناف إقامة لسياسة الملك ما يدل أيضا على عظمته -] ،
قالوا : إنه يرى الماء فى الأرض كما يرى الإنسان الماء من داخل الزجاج
فينقر الأرض فتأتى الشياطين فتستخرجه : (لا عذبه) أى بسبب غيبته
فبما لم آذن فيه (عذابا شديدا) أى مع إبقاء روحه تأديبا له و ردعا
لامثاله (او لا أذبحته) أى تأديبا لغيره (او لياتينى) أى ليكون^٩ ١٥
أحد هذه الثلاثة الأشياء ، أو تكون " أو " الثانية بمعنى ' إلا أن '

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اذا (٣-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : هو .

(٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :

الارض (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : دخل (٨) فى ظ : ليكون .

فيكون المعنى: ليكون^١ أحد الامرين^٢: التعذيب أو الذبح، إلا أن يأتي^٣
 (بسلطن ميين) أي حجة واضحة في عذره، فكأنه قال: والله ليقيم
 عذره أو لأفعلن معه أحد الامرين^٤ (فكث) أي قرتب على ذلك
 أنه مكث^٥ بعد الحلف^٦ بالتهديد زمانا^٧ قريبا (غير بعيد) من زمان
 التهديد، و أتى خوفا من هية سليمان عليه السلام، وقيام بما يجب عليه
 من الخدمة^٨، [قرأه عاصم وروح عن يعقوب بفتح الكاف على الأغلب في
 الأفعال الماضية، وضمه الجماعة إشارة إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام
 ليوافق إفهام حركة الكلمة ما أفهمه تركيب الكلام-^٩] (فقال) (عقب
 إتيانه مفخما للشأن و معظما لرتبة العلم و دافعا لما علم أنه أضمر من عقوبته-^{١٠}):
 ١٠ (احطت) أي علما (بما لم تحط به) أي أنت من اتساع علمك و امتداه
 ملكك، و الإحاطة: العلم بالشيء من جميع جهاته، و في هذه المكافحة التنبيه
 على أن أضعف الخلق قد يوتى ما لا يصل إليه أقوام تتحاور إلى العلماء علومهم
 و يردوا العلم في كل شيء إلى الله، و فيه إبطال لقول^{١١} الرافضة: إن الإمام
 لا يخفى عليه شيء، و لا يكون في زمانه من هو أعلم منه .

١٥ و لما أبهمه تشويقا^{١٢}، و أخذ بمجامع القلب إلى تعرفه، ثم يمدح

(١) في ظ: ليكون (٢) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ و مد
 فخذناها (٣) من ظ و مد، و في الأصل: اتاني (٤) زيد في الأصل: قريبا،
 و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٥) زيد في ظ: اي (٦-٧) في ظ:
 و التهديد زمنا - كذا (٧) زيد في الأصل: من جميع الجهات، و لم تكن
 الزيادة في ظ و مد فخذناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و في
 الأصل: القول (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: تشريفا .

٧٧٤ /

الخيز مجلياً بعض إبهامه، هذا للنفس إلى طلب إتمامه، فقال: (و جشك) أي الآن (من سبا) قيل: إنه اسم رجل صار علماً لفضيلة، وقيل: أرض في بلاد اليمن، وحكمة تسكين قبيل^٢ له بنية الوقف الإشارة^٣ إلى تحفير أمرهم بالنسبة إلى نبي الله سليمان عليه السلام بأنهم ليست لهم معه حركة أصلاً على ما هم فيه من الفخامة والعز والبأس الشديد (نبأ) أي خبر عظيم (يقين) هـ وهو من أبدع الكلام موازنة في اللفظ ومجانسة^٤ في الخط مع ما له من الانطباع والرواق، فكأنه قيل: ما هو؟ فقال: (أني وجدت امرأة) وهي بلقيس بنت شراحيل (تملكهم) [أي أهل سبا - ٥].

ولما كانت قد أوتيت من كل ما يحتاج إليه الملوك أمراً كبيراً قال:

(و أوتيت) نبي الفعل للمفعول^٦ إقراراً بأنها^٦ منح ملكها مربوبة ١٠
(من كل شيء) تهويلاً لما رأى من أمرها .

ولما كان عرشها - أي السرير الذي تجلس عليه للحكم - زائداً في

العظمة، خصه بقوله: (ولها عرش) أي سرير تجلس عليه للحكم (عظيم) أي لم أر لأحد مثله .

ولما كان في خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله فحصل له ١٥

من النورانية ما هاله لأجله إعراضهم عن الله، قال مستأنفاً تعجيباً:

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد و نثر المرجان ٥ / ٩١، وفي الأصل: مل

- كذا (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: للإشارة (٤) من ظ و مد، وفي

الأصل: بمجانسة (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد، وفي الأصل:

إقرار مع أنها هي .

(وجدتها وقومها) أى كلهم على ضلال كبير، وذلك أنهم
 (يسجدون للشمس) مبتدئين ذلك (من دون الله) أى [من - ']
 أدنى رتبة من رتب الملك الأعظم الذى لا مثل له، وهى رتبة الأفعال
 لأنها مصنوع من مصنوعاته تعالى سواء كان ذلك مع الاستقلال^٢
 هـ أو الشرك (و زين لهم الشيطان أعمالهم) أى هذه القبيحة حتى صاروا
 يظنونها حسنة .

ولما تسبب عن ذلك أنه أعمام عن طريق الحق قال :
 (فصدم عن السيل) أى الذى لا سبيل إلى الله غيره، وهو الذى بعث
 به^٢ أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

١٠ ولما تسبب عن ذلك ضلالهم، قال : (فهم) أى بحيث (لا يهتدون^٣)
 أى لا يوجد لهم هدى، بل هم فى ضلال صرف، وعمى محض .

ولما كان هذا الضلال عجبا فى نفسه فضلا عن أن يكون من قوم
 يجمعهم جامع ملك ميناء السياسة^٤ التى محطها^٥ العقل الذى هو نور الهداية،
 ودواء الغواية، علله باتقاء أعظم مقرب إلى الله : السجود، تعظيما له
 ١٥ و تنويها به فقال : (إلا) [أى لئن لا - '] (يسجدوا) أى حصل لهم
 هذا العمى العظيم الذى استولى به^٦ عليهم الشيطان لاتقاء سجودهم، ويجوز

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، وفى الأصل : بالاستقلال .
 (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : صرف، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و مد لحذفها (٥-٥) زيد من ظ و مد، وفى الأصل : الذى محطها (٦) سقط
 من ظ .

أن يتعلق بالزينين، أى زين لهم لتلاي سجدوا ﴿الله﴾ أى يعبدوا الذى له الكمال كله بالسجود الذى هو محل الانس، و محط القرب، و دارة المناجاة، و آية المعافاة، فانهم لو سجدوا له سبحانه لاهدوا، فان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، فقات الشيطان ما يقصده منهم من الضلال، و على قراءة الكسائى و أبى جعفر^١ بالتخفيف^٢ و إشباع فتحة الياء^٣ ه
 w٥ / يكون استنفا، بدئى بأداة الاستفتاح تنديها لهم على عظم المقام لتلا / يفوت الوعظ أحدا منهم بمصادفته غافلا، ثم نادى لمثل ذلك و حذف المنادى إذنا بالاكتماء بالإشارة لضيق الحال، خوفا من المبادرة بالنكال عن استيفاء العبارة التى كان حقها: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله، أى لتخلصوا من أمر^٤ الشيطان، فان السجود مرضاة للرحمن، و مجلدة^٥ للعرفان، و مجناة^٦ لهم الهدى و الإيمان .

٥ و لما كانت [القصة - ٦] فى بيان علمه سبحانه السابق لعلم الخلائق المستلزم للحكمة، و صفه بما يقتضى ذلك فقال: ﴿الذى يخرج الحب^٧﴾ وهو الشيء المنجوب^٨ بالفعل المنخفي فى غيره، وهو ما وجد و غيب عن الخلق كالماء الذى فى بطن^٩ الأرض، أو بالقوة وهو ما لم يوجد أصلا، ١٥ و خصه بقوله: ﴿فى السموات و الأرض﴾ لأن ذلك منتهى مشاهدتنا،

(١) راجع ثر المرجان ٩٣/٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٣) فى ظ: امر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مجرأة (٥) العبارة من هنا إلى ذلك فقال: ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الحيا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بعض .

فنظر ما 'يتكون فيها' بعد أن لم [يكن - ٢] من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك من الرعد والبرق وغيرهما، وما يشرق من الكواكب ويفرب - إلى غير ذلك من الرياح، والبرد والحر، والحركة والسكون، والنطق والسكوت^٢، وما [لا - ٣] يحصيه إلا الله تعالى، والمعنى أنه يخرج ما هو في عالم الغيب فيجعله في عالم الشهادة .

ولما كان ذلك قد [يخص بما لم يضر في القلوب كالماء الذي كان يخرج الهدوء وكان ذلك قد - ٢] يعرف بأمارات، وكان ما تضره القلوب؛ أخفى، قال: ﴿ويعلم ما يخفون﴾^٥ ولما كان هذا مستلزما لعلم الجهر، وكان للتصريح ما ليس لغيره من المكنته والطمانينة، مع أن الإعلان ربما كان فيه من اللفظ^٧ واختلاط^٦ الأصوات ما يمنع^٨ المستمع من العلم^٩، قال: ﴿وما يعلنون﴾^٥ أي يظهرون .

ولما كان هذا الوصف موجبا لأن يعبد سبحانه وحده، صرح بما يقتضيه في قوله: ﴿الله﴾ أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له؛ [ولما كان هذا إشارة إلى أنه لا سمي له، أتبعه التصريح بأنه لا كفوء له - ٢] قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^{١٥} ولما [كان - ٢] وصف عرشها بعظم ما، قال: ﴿رب﴾ أي مبدع ومدبر ﴿العرش العظيم﴾^٥ أي الكامل في

(١ - ١) من ظ ومد، وفي الأصل: تكون بها (٢) زيد من ظ ومد.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الظنون (٥) قرأه الكسائي وحفص بالتاء الفوقانية - راجع ثمر المرجان ٥/٩٤ (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: بما (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨ - ٨) من ظ ومد، وفي الأصل: المستمع للعلم .

العظم الذى لا عظيم^١ يدانيه، وهو محتو على جميع الأكوان، [وقد ثبت أن صاحبه أعظم منه ومن كل عظيم بآية الكرسي وبغيرها، فقطع ذلك لسان التعنت عند ذكره مع مزيد اقتضاء السياق له لأنه للاقتراء بالإلهية المقضية للقهر والكبر بخلاف آية^٢ المؤمنين - ٢]، وهذه آية سجدته على كل^٣ القراءتين، لأن مواضع السجود إما مدح^٤ لمن آتى^٥ بها، أو ذم لمن تركها، كقراءة التشديد، أو أمر بالسجود كقراءة التخفيف، [و الكل ناظر إلى العظمة - ٢] .

ولما صح قوله في كون هذا خبرا عظيما، وخطبا جسيما، حصل التشوف إلى جوابه فقيل: (قال) أى سليمان عليه السلام للهدهد: (سننظر) أى نختبر ما قلته (اصدقت) أى فيه فعمدرك . ولما ١٠ كان الكذب بين يديه - لما أرتبه من العظمة بالنبوة والملك الذى لم يكن لاحد بعده - يدل على رسوخ القدم فيه، قال: (أم كنت) أى كونا هو كالجبل^٦ (من الكذابين^٥) - أى معروفا بالانخراط في سلكهم، [فانه لا يجترئ على الكذب عندى إلا من كان عريقا في الكذب - ٢] دون "أم كذبت" لأن هذا يصدق بمرة واحدة . ١٥ ثم شرع فيما يحتبزه به، فكتب له كتابا على الفور في غاية الوجازة قصدا للاسراع في إزالة المنكر على تقدير / صدق الهدهد بحسب الاستطاعة، ودل على إسراعه في كتابته بقوله جوابا له: (اذهب بكتبي هذا)^٧ قول من

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: عظم (٢) ٨٦ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و مد، وفي الأصل: لوانى (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: بالجبل (٧) زيد في الأصل: أى هذا، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لخفتها .

كان مهيباً عنده ودفعه إليه .

ولما كان عليه السلام قد زاد قلقه بسجودهم لغير الله ، أمره بغاية الإسراع ، وكأنه كان ' أسرع الطير طيرانا وأمدته الله زيادة على ذلك بمعونة منه إكراما لئيبه صلى الله عليه وسلم فصار كأنه البرق ، فأشار إلى ذلك بالفاء في قوله : ﴿ فآله ﴾ ولما [لم - ٢] يخصها^٢ في الكتاب دونهم بكلام^٣ لتصرف إليهم أنفسهم بخطابه مع^٤ ما يدلهم على عظمتهم^٥ ، جمع فقال : ﴿ إليهم ﴾ أى الذين^٦ ذكرت أنهم يعبدون الشمس ، وذلك للاهتمام بأمر الدين .

ولما كان لو تأخر عنهم بعد إلقائه إلى موضع يأمن فيه على نفسه على ما هو فيه من السرعة لداخلهم شك فى أنه هو الملقى له ، أمره بأن يمكث بعد إلقائه يرفرف على رؤسهم حتى يتحققوا أمره ، فأشار سبحانه إلى ذلك بأداة التراخي بقوله : ﴿ ثم ﴾ أى بعد وصولك وإقائك ﴿ تول ﴾ أى تنح ﴿ عنهم ﴾ إلى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه إليك ﴿ فانظر ﴾ عقب توليك^٧ ﴿ ما ذا يرجعون ﴾ أى من القول من بعضهم إلى بعض بسبب الكتاب .

ولما كان العلم واقعا بأنه يفعل ما أمر به لا محالة ، وأنه لا يدفعه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ : يصنها (٤) فى ظ : وكلام (٥) فى ظ : على (٦) فى ظ : عظمتهم (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذى (٨) زيد فى الأصل : سواء ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد محذوفها .

إلا إلى الملكة التي بالغ في^٢ وصفها، تشرفت النفس إلى قولها عند ذلك، فكان كأنه قيل: فأخذ الكتاب وذهب به، فلما ألقاه إليها^٣ قرأته، وكانت قارئة كاتبه من قوم تبع (قالت) لقومها بعد أن جمعهم معظمة لهم، أو لاشرافهم فقط: (يا أيها الملؤأ) أي الأشراف.

و لما كان من شأن الملوك أن لا يصل إليهم أحد بكتاب ولا غيره ٥
إلا على أيدي جماعتهم، عظمت؛ هذا الكتاب بأنه وصل إليها على غير ذلك المنهاج فبنت^٤ للفعول قولها: (أني التي إلى) أي بالقائه ملق على وجه غريب (كتب) أي صحيفة مكتوب فيها كلام وجيز جامع.
و لما كان الكريم - كما تقدم في الرد - من ستر مساوئ الأخلاق

بإظهار معاليها لأنه ضدا للثيم، وكان هذا الكتاب قد حوى من الشرف ١٠
أمرا باهرا لم يعهد مثله من جهة المرسل و الرسول و الافتتاح بالاسم الأعظم إلى ما له من وجازة اللفظ و بلوغ المعنى، قالت^٥: (كريم ٥)
ثم بنت كرمه أو استأنفت جوابا لمن يقول: ممن هو و ما هو؟ فقالت:
(انه) أي الكتاب (من سليمان) وفيه [دلالة - ٦] على أن
الابتداء باسم صاحب الكتاب لا يقدح في الابتداء بالحمد (وانه) أي ١٥
المكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم لا) فحمد المستحق للحمد و هو
الملك الأعلى المحيط عظمه بدأرتقى الجلال و الإكرام، العام الرحمة^٨

(١) في ظ؛ اللائكة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: بعد.
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: عظمت (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:
فبنت (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: قال (٧) زيد من ظ ومد (٨) من
ظ ومد، وفي الأصل: الرحمن رحمة.

بكل نعمة ، فملك^١ الملوك من فائض ما له من الإنعام الذي يخص بعد العموم من يشاء بما يشاء بما ترضاه ألوهيته من إنعامه العام ، بعد التعريف باسمه / إشارة^٢ إلى أنه المدعو إليه للعبادة بما وجب له لذاته وما استحقه بصفاته ، و ذلك كله بعد التعريف بصاحب الكتاب ليكون^٣ ذلك أجدر بقبوله ، لأن أكثر الخلق إنما يعرف الحق بالرجال ، ولما في كتابه من الدلالة على نبوته ، فسر مراده^٤ بأمر قاهر فقال^٥ : ﴿ الا تعلو على ﴾ أى لا تمتعوا^٦ من الإجابة لى ، والإذعان لأمرى ، كما يفعل الملوك ، بل اتركوا علومهم^٧ ، لكونى داعيا إلى الله الذى أعلنت فى باه البسمة بأنه لا تكون حركة ولا سكون إلا به ، فيجب الخضوع له لكونه رب كل شىء^٨ ﴿ واتونى مسلمين ﴾^٩ أى منقادين خاضعين بما رأيتم من معجزتى فى أمر الكتاب .

ولما تشوفت النفس إلى جوابهم ، أعلم^{١٠} سبحانه بأنهم بهتوا فقال : ﴿ قالت يا أيها الملؤا ﴾ ثم بينت ما داخلها^{١١} من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها : ﴿ اقتونى ﴾ أى تكرموا على^{١٢} بالإبادة عما أفعله ﴿ فى امرى ﴾^{١٣} هذا الذى أجيب^{١٤} به عن هذا الكتاب ، جعلت المشورة فتوى توسعا ، لأن الفتوى الجواب فى الحادثة ، والحكم بما هو صواب^{١٥} ، مستعار من

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : ملك (٢) فى ظ : فشارف (٣) فى ظ : فيكون .
 (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : يراده (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا تمتعوا .
 (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : علوكم (٨) زيد فى ظ : انه (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : داخلا - كذا (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : اجبت .
 (١١) من ظ ومد ، وفى الأصل : صوابه .

القتاء في السن الذي هو صفوة العمر؛ ثم علقت أمرها لهم^١ بذلك بأنها^٢ شأنها دائماً مشاركتهم في كل جليل وحقير، فكيف بهذا الأمر الخطير، وفي ذلك استعطافهم بتعظيمهم، وإجلالهم و تكريمهم، فقالت: (ما كنت) أى كونا ما (قاطعة امرا) أى فاعلته و فاصلته غير مترددة فيه (حتى تشهدون) و قد دل هذا على غزارة عقلها و حسن أدبها، و لذلك جنت ثمرة أمثال ذلك طاعتهم لها في المنشط و المكروه، فاستأنف تعالى الإخبار عن جوابهم بقوله: (قالوا) أى الملائكة ما تلين إلى الحرب: (نحن اولوا قوة) أى بالمال و الرجال (و اولوا باس) أى عزم في الحرب (شديداً و الأمر) راجع [و-٣] موكول (اليك) أى كل من المسألة و المصادمة (فانظري) بسبب أنه لا نزاع معك^{١٠} (ما ذا تامرين) أى به فانه مسموع .

و لما علمت أن^٦ من سخر له الطير على هذا الوجه لا يهجزه شيء يريد، و لا أحد يكيد،^٧ مالت إلى^٧ المسألة، فاستأنف سبحانه و تعالى الإخبار عنها بقوله: (قالت) جواباً لما أحست في جوابهم من ميلهم إلى الحرب أن^٨ الصواب من غير ارتياب أن نحتال في عدم قصد^{١٥} هذا الملك المطاع؛ ثم علقت هذا الذي أفهمه سياق كلامها بقولها:

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بان (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) زيد في الأصل: اى ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: يدع (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: انه (٧-٧) من ظ و مد، وفي الأصل: سلمت اى (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: الى .

(ان الملوك) أى مطلقا، فكيف بهذا الناقد الأمر، العظيم القدر
 (اذا دخلوا قرية) أى عنوة بالقهر 'والغلبة' (افسدوها) أى
 'بالنهب والتخريب' (وجعلوا اعزة اهلهآ اذلة ج) أى بما يرونهم من
 البأس، ويحلون بهم من السطوة. ثم أكدت هذا المعنى بقولها:
 (وكذلك) أى ومثل هذا الفعل العظيم الشأن، الوعر المسلك
 / البعيد الشارح (يفعلون ه) دائما، هو خلق لهم مستمر جميعهم على
 هذا، فكيف بمن تطيعه الطيور، ذوات الوكور، فيما يريد من الامور.
 ولما يفت ما فى المصادمة من الخطر، أتبعته ما عزمت عليه من
 المسألة، فقالت: (وانى مرسله) وأشار سبحانه إلى عظيم ما ترسل
 ١٠ به بالجمع فى قولها: (اليهم) أى إليه وإلى جنوده (بهدية) أى تقع
 منهم موقعا. قال البغوى: وهى العطية على طريق الملاطفة. (قنطرة)
 عقب ذلك وبسببه (بسم) أى بأى شىء (يرجع المرسلون ه) بتلك
 الهدية عنه من المقال* أو الحال، فنعمل بعد ذلك على حسب ما نراه
 من أمره، فنكون قد سلطنا من خطر الإقدام على ما لم نعرف عاقبته،
 ١٥ ولم يضربنا ما فعلنا شيئا.

ولما كان التقدير: فأرسلت بالهدية، وهى فيما يقال خمسمائة

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل: بالتملة (٢-٢) فى ظ: بالهرب والتخويف -
 كذا (٣) من مد، وفى الأصل: المشار، وفى ظ: التناول - كذا (٤) راجع
 معالم التنزيل بهامش الباب ١٢٠/٥ (٥) من ظ، وفى الأصل: المال، والكلمة
 ساقطة من مد (٦) فى ظ: كانت.

غلام مرد، زيتهم بزى الجوارى، و امرتهم بتأنيث الكلام، و خمسة جارية فى زى الغلمان، و أمرهم بتغليظ الكلام. و جرعة معوجة الثقب، و درة غير مثقوبة - [و غير ذلك -^١]، و سألته^٢ أن يميز بين الغلمان و الجوارى، و أن يثقب الدرّة، و أن يدخل فى الجرعة^٣ خيطا، فأمرهم بغسل الوجوه و الأيدي، فكانت الجارية تأخذ الماء باحدى يديها ثم تنقله إلى الأخرى ثم تضرب الوجه و تصب الماء على باطن ساعدها صبا، و كان الغلام كما يأخذ الماء^٤ يضرب به وجهه و يصب الماء على ظهر الساعد و يحدره على يديه حدرا، و أمر الأرضة فثقت الدرّة، و الدودة فأدخلت السلك فى الثقب المعوج، رتب عليه قوله مشيرا بالفاء إلى سرعة^٥ الإرسال: (فلما جاء) أى الرسول الذى بعثته ١٠
 'و أرسلته'، و المراد به الجنس؛ قال أبو حيان: ' و هو يقع على الجمع و المفرد و المذكر و المؤنث. (سليمان) فدفع إليه ذلك (قال) أى سليمان عليه السلام للرسول و لمن فى خدمته استصغارا لما^٦ معه: (اتمدوني) أى أنت و من معك و من أرسلك (بمال) [و إنما قضى لكم لأجل الدين -^٧]، تحقيرا لأمر الدنيا و إعلاما بأنه لا التفات ١٥

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
 (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الحديد (٤) زيد فى الأصل: لاء، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى ظ: الى (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ٧٤ (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد من ظ و مد.

له نحوها بوجه، ولا يرضيه شيء دون طاعة الله. ثم سبب عنه ما أوجب له
 'استصغار ما معه' فقال: ﴿فَأَنْتَنِي اللهُ﴾ أى الملك الأعظم الذى له جميع
 الكمال من المال والجلال بالنبوة والملك والقرب منه سبحانه، وهو الذى
 يعنى مطيعه عن كل ما سواه، فهما سأله أعطاه، وذلك أنه صف الشياطين
 ٥ و الإنس والسباع والوحش والطين والهوام صفوفا فراسخ عدة،
 وبسط^٢ المكان كله بلبن الذهب إلى غير ذلك مما يليق به ﴿خير مما أتاكم﴾
 أى من [الملك - ٢] الذى لا نبوة فيه، ولا تأييد من الله.

ولما كان التقدير: ولكنكم لا تعلمون أن هديتكم مما يزهده فيه

لتقيدكم بظاهر [من - ٢] الحياة الدنيا، نسق عليه قوله: ﴿بل أنتم﴾
 ١٠ أى بجهلكم لذلك تستعظمون ما أتكم فيه، فأنتم ﴿بهديتكم تفرحون﴾

بتجوزكم أن الدنيا تردنى عنكم / لأنها غاية قصدى، ويجوز أن يراد / ٧٧٩

أنكم تفرحون بما يهدى إليكم فتتركون من كنتم تريدون غزوه لأجل ما
 آتاكم [منه - ٢] من الدنيا، فخالى خلاف حالكم، فانه لا يرضينى إلا الدين .

ثم أفرد الرسول إرادة لكبيرهم بقوله: ﴿ارجع﴾ وجمع فى قوله: ﴿اليهم﴾
 ١٥ إكراما لنفسه، وصيانة لاسمها عن التصريح بضميرها، و تعميها لكل من

يهم بأمرها ويطيعها ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل﴾ أى طاقة ﴿لهم بها﴾
 أى بمقابلتها لمقاومتها وقلبها عن قصدتها، أى لا يقدررون أن يقابلوها

(١ - ١) فى ظ ومد: استصغاره (٢) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة

فى ظ ومد لخذفها (٣) زيد من ظ ومد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ.

(٥) من ظ ومد، وفى الأصل: لكنهم .

(ولنخرجنهم منها) أى من بلادهم (اذلة) .

ولما كان الذل قد يكون ل مجرد الاتقياد ، لا على سبيل الهوان ،
حقق المراد بقوله : (وهم صاغرون) أى لا يملكون شيئا من المنعة
إن لم يقرؤا بالإسلام .

ولما ذهب الرسل ، وعلم صلى الله عليه وسلم بما رأى من ه
تصاغرم لما رأوا من هيته وجلاله الذى جباه به ربه وعظمته أنهم
ياتون بها مذعنة (قال) لجماعته تحقيقا لقوله " و اوتينا من كل شيء " .
لإعلامه بأنها استوفقت من عرشها : (يا أيها الملأ) أى الإشراف
(ايتكم ياتيني بعرشها) ل ترى بعض ما آتاني الله من الخوارق ، فيكون
أعون على متابعتها فى الدين ، ولاخذه قبل أن يحرم أخذه بإسلامها ، ١٠
وأختبر به عقلها (قبل ان ياتونى) [أى -] هى وجماعتها
(مسلمين) أى منقادين لسلطاني ، تاركين لعز سلطانهم ، منخلعين من
عظيم شأنهم ، ليكون ذلك أمكن فى إقامة الحججة عليها فى نبوتى
وأعون على رسوخ الإيمان فى قلبها وإخلاصها فيه (قال عفريت) .
ولما كان هذا اللفظ يطلق على الأسد ، وعلى المارد القوى ، ١٥
وعلى الرجل النافذ فى الأمر المبالغ فيه مع دهاء وقوة - وقال الرازى :

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بقولهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ،
وفى الأصل : النعمة (٤) فى ظ : الرجل (٥) زيد من مد (٦-٧) سقط ما بين
الرقين من ظ و مد (٧) فى ظ : فيكون .

مع خبث و مكر - و على غيره، بينه بأن قال : (من الجن انا)^٢ الداهية
الغليظ الشديد^٣ (اتيك به) و لما علم أن غرضه الإسراع قال :
(قبل ان تقوم من مقامك ج) أى مجلسك هذا، ثم أوثق الامر
و أكده بقوله : (و انى عليه) أى الإتيان به سالما (لقوى) لا يخشى
عجزى عنه (امين ه) لا يخاف انتقاض^٤ شيئا منه .

و لما كانت القصة لإظهار فضل العلم المستلزم للحكمة ، دلالة على
أنه تعالى حكيم عليم ، ترغيبا فى القرآن ، و حثا على ما أفاده من البيان ،
قال حاكيا ' لذلك استثنانا جوابا لاستشرافه^٥ صلى الله عليه و سلم لأقرب
من ذلك : (قال الذى عنده) .

١٠ و لما كان لكتب الله من العظمة ما لا يحيطه إلا الله ، أشار إلى
ذلك بتكبير ما لهذا الذى يفعل مثل^٦ هذا الخارق العظيم من ذلك
فقال : (علم) [تنبها على أنه اقتدر على ذلك بقوة العلم ليفيد ذلك
تعظيم العلم و الحث على تعلمه ، و بين أن هذا الفضل إنما هو للعلم
الشرعى فقال - ٧] : (من الكتب) أى الذى [لا كتاب فى الحقيقة
١٥ غيره ، و هو المنسوب إلينا ، و كأنه الذى - ٧] كان شهيرا فى ذلك الزمان ،
و لعله التوراة و الزبور ، إشارة إلى أن من خدم كتابا حق الخدمة

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناهما (٢-٣) تقدم ما بين
الرقين فى الأصل على « و على الرجل » ص ١٦٣ س ١٦ و الترتيب من ظ
و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتقاص (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :
جالبا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه - مع بياض قبله (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : بمثل (٧) زيد من ظ و مد .

كان الله - تعالى كما ورد في شرعنا - سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، أى أنه يفعل / له ما يشاء ، وقيل^١ فى تعيينه إنه آصف بن برخيا وكان صديقا عالما : ﴿ انا اتيك به ﴾ وهذا أظهر فى كونه اسم فاعل لأن الفعل قارن الكلام^٢ ؛ وبين فضله على العفريت بقوله : هـ
 ﴿ قبل ان يرتد ﴾ [أى يرجع - ٢] ﴿ اليك طرفك ﴾ أى بهرك إذا طرفت بأجفانك فأرسلته إلى منتهاه^٣ ثم رددته ؛ قال القزاز : طرف العين : امتداد بصرها حيث أدرك ، ولذلك يقولون : لا أفعل ذلك^٤ ما ارتد إلى طرفي ، أى ما دمت أبصر ، ويقال : طرف^٥ الرجل يطرف - إذا حرك جفونه ، وقيل : الطرف اسم لجامع البصر لا يثنى ولا يجمع . وبين ١٠
 تصديق فعله لقوله أنه استولى عليه قبل أن يتحكم منه العفريت فبادر الطرف إحضاره كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ فلما راه ﴾ أى العرش . ولما كانت الرؤية قد تكون عن بعد و مجازية ، وكذلك العندية ، بين أنها حقيقة^٦ باظهار العامل فى الظرف و من حقه فى غير هذا السياق الحذف فقال : ﴿ مستقرا عنده ﴾ أى ثابتا ثابتا لا مرية فيه ، ما هو ١٥
 بسحر^٧ و لامتام و لامثال ؛ قال الإمام جمال الدين ابن هشام^٨ فى الباب

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ١٢٣ (٢-٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : منتهاه . (٥) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : طرق (٧) فى ظ : حقيقة (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : مسحر (٩) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٤٧٢ هـ و اسم كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الأعراب » - راجع =

الثالث من كتابه المغنى: زعم ابن عطية أن "مستقرا" هو المتعلق الذى يقدر فى أمثاله قد ظهر، والصواب ما قاله أبو البقاء وغيره من أن هذا الاستقرار معناه عدم التحرك^٢ لامطلق الوجود^٣ والحصول، فهو كون خاص^٤. (قال) أى سليمان عليه السلام شكرا لما آتاه الله من هذه الخوارق: (هَذَا) أى الإتيان المحقق (من فضل ربى وقت) أى المحسن إلى، لا بعمل^٥ أستحق به شيئا، فانه أحسن إلى باخراجى^٦ من العدم وتطويق للعمل^٧، فكل عمل نعمة منه يستوجب على به الشكر، ولذلك قال (ليلونى) أى يفعل معى فعل المبتل الناظر (ء اشكر) فأعترف بكونه فضلا (ام اكفر) بظن أنى أوتيته باستحقاق. ثم زاد فى ١٠. حث نفسه على الشكر بقوله: (ومن شكر) أى أوقع الشكر لربه (فانما يشكر لنفسه) فان نفعه لها، وأما^٨ الله تعالى فهو أعلى من أن يكون له فى شىء نفع أو عليه فيه ضرر (ومن كفر فان ربى) أى المحسن إلى بتوفيق لما أنا فيه من الشكر (غنى) أى عن شكر، لا يضره تركه شيئا (كريم) يفعل معه بادرار النعم عليه فعل من أظهر محاسنه ١٥ و ستر مساوته، [ثم هو جدير بأن يقطع إحسانه إن استمر على إجرامه كما

= كشف الظنون ٤٧٣/٢ .

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: الترك (٣-٣) سقط ما بين الرقمن من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بدل (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: باخراج حى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: العمل . (٧) من مد، وفى الأصل: أنا، والكلمة ساقطة من ظ .

يفعل الغنى بمن أصر على كفر إحسانه فاذا هو قد هلك - [١].
 ولما قدم - كما هو دأب الصالحين - الشكر، و علم أنه يفعل في
 العرش ما لا لجله أحضره، تشرفت النفس إليه فأجبت^٢ بقوله: (قال)
 [أى - ١] سليمان عليه السلام: (ذكروا لها عرشها) أى بتغيير بعض
 معاملة وهيئته اختبارا لعقلها كما اختبرتنا هي بالوصفاء والوصائف ه
 والدرة وغير ذلك، وإليه الإشارة بقوله: (تنظر اهتدى) أى إلى
 معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها في^٣ الدين (أم تكون من الذين)
 شأنهم أنهم (لا يهتدون ه) أى بل هم في غاية الغباوة، لا يتجدد لهم اهتداء،
 / بل لو هدوا لوقفوا عند الشبه، وجادلوا بالباطل وما حلوا. وأشار
 إلى سرعة مجيئها إشارة إلى خضوعها بالتعبير بالفاء في قوله: (فلما جاءت) ١٠
 وكان مجيئها - على ما قيل - في اثني عشر ألف قيل من وجوه اليمن،
 تحت يد كل قيل ألوف كثيرة، وكانت قد وضعت^٤ عرشها داخل
 بيت منيع، وولكت به حراسا أشداء (قيل) أى لها وقد رأت عرشها
 بعد تنكيره بتقليب^٥ نصبه و تغييره،^٦ من قائل لا يقدر على السكوت عن
 جوابه لما نالها من الهيبة وخالطها من الرعب من عظيم ما رأت، فقرعها ١٥
 بكلمة تشمل على أربع كلمات: هاء التنبيه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة،

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: فاجيب (٣) من ظ
 ومد، وفي الأصل: الى (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: للغباوة (ه) من
 ظ ومد، وفي الأصل: وصفت (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: وتقليب.
 (٧-٧) تأخر ما بين الرقين ومدنى الأصل عن «اضكذا» والترتيب من ظ ومد.

مصدرة بهمة الاستفهام، أى تنهى (امكنذا) أمثل ذا العرش
 (عرشك^١) قالت) عادلة عن حق الجواب من 'نعم' أو 'لا' إشارة إلى
 أنها غلب على ظنها أنه هو بعينه كما قالوا فى " كان زيدا قائم^٢ " : (كانه هوج)
 وذلك يدل على ثبات كبير، و فكر ثاقب، و نظر ثابت^٣، و طبع منقاد، لتجوز
 المعجزات و الإذعان لها مع دهشة القدوم، و اشتغال الفكر بما دهمها
 من هيته و عظيم أمره، فلم سليمان عليه السلام [رجاحة عقلها و بطلان
 ما قال الشياطين من نقصه خوفا من أن يتزوجها فتفشى عليه أسرار الجن
 لأن أمها كانت جنية^٤] - على ما قيل^٥، و قالوا: إن رجلها كحافر الحمار،
 و إنها كثيرة الشعر جدا .

١٠ و لما كانت مع ذلك قد شبه عليها و لم تصل إلى حاق الانكشاف
 مع أنها غلبت على عرشها مع الاحتفاظ^٦ عليه، استحضر صلى الله عليه
 و سلم^٧ ما خصه الله به من العلم زيادة فى حثه على اشكر، فقال عاطفا
 على ما تقديره: فأوتيت من أمر عرشها علما، و لكنه يخالجه^٨ شك .
 فدل^٩ على أنها فى الجملة من " أهل العلم " المهيبى للهداية، أو " يكون التقدير

(١) العبارة من هنا إلى « زيدا قائم » ساقطة من ظ (٢) فى مد : سياق (٣) من
 مد، و فى الأصل : باهت، و فى ظ : بايت - كذا (٤) زيد من ظ و مد .
 (٥) راجع المعالم بهامش الباب ١٢٤/٥ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : احتفاظ .
 (٧) زيد فى الأصل : فضل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذفناها (٨) من
 ظ و مد، و فى الأصل : يخالطه (٩) من ظ و مد . و فى الأصل : فدخل .
 (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : ممن (١١) من ظ و مد . و فى الأصل :
 قلعه (١٢) فى ظ « و » .

بما دل عليه ما يلزم من قولها " كانه " : فجاءت^١ أمير عرشها على كثرة ملابتها له : ﴿ و اوتينا ﴾ معبرا بنون الواحد المطاع ، لاسيما والمؤن سبب لعظمة شرعية ، وهو العلم الذي لا يقدر على إتيانه^٢ غير الله ، ولذلك نبي الفعل^٣ للفعل لأن فاعله معلوم ﴿ العلم ﴾ أى^٤ بجميع ما آتانا الله علمه ، و منه أنه يخفى عليها ﴿ من قبلها ﴾ أى من قبل إتيانها ، بأن عرشها^٥ يشبه عليها ، أو من قبل علمها بما ظنت من أمر عرشها ، أو أنا و أسلافي من قبل وجودها ، فنحن عريقون في العلم ، فلذلك نحن على حقيقة من جميع أمورنا ، وإنما قال " نظر اتهدى " بالنسبة إلى جنوده . ثم ذكر السبب في وجود العلم و اتساعه و ثباته فقال : ﴿ و كنا ﴾ أى مع العلم الذى هيأنا الله له بما جعل في غرأزنا من^٦ النورانية ﴿ مسلمين ﴾ أى خاضعين^٧ لله تعالى عريقين في ذلك مقبلين على جميع أوامره بالفعل على حسب أمره كما أشار إليه قوله تعالى^٨ " و اتقوا الله و يعلمكم الله " ، " يهديهم ربهم بإيمانهم^٩ " .

ولما كان المعنى : و أما^{١٠} هى فانها و إن أوتيت علما فلم يكن ثابتا ،

ولا كان معه دين ، ترجمه بقوله : ﴿ و صدها ﴾ / أى هى عن كمال العلم ١٥ / ٧٨٢

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فحمت - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعطايه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعله (٤) سقط من ظ .
 (٥) العبارة من هنا إلى « أو أنا » تكررت فى الأصل فقط (٦) فى ظ والعبارة المتكررة : اى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٨) راجع سورة ٢ آية ٢٨٢ (٩) سورة ١٠ آية ٩ (١٠) فى ظ : انما .

كما صدها عن الدين (ما) أى المعبود الذى (كانت) أى 'كوتا
 ثابتا' فى الزمن الماضى (تعبد) أى عبادة مبتدئة (من دون الله)
 أى غير الملك الاعلى الذى له الكمال كله أو أدنى رتبة من رتبته، وهى
 عبادة الشمس يظهر الفرق بين حزب الله الحكيم العليم و^٢حزب إبليس
 السفية الجهول^٣. ثم علل ذلك إشارة إلى عظيم نعمة الله عليه بالنعمة على
 أسلافه بقوله: (انها) و قرئ^٤ بالفتح على الدل من فاعل " صد "
 (كانت من قوم) أى ذوى بطش و قيام (كافرين) أى فكان ذلك
 سببا - وإن كانت فى غاية من وفور العقل و صفاء الذهن و قبول العلم
 كما دل عليه ظنها فى عرشها، ما يهتدى له إلا من عنده قابلية الهدى - فى
 ١٠ اقتفائها لآثارهم فى الدين، فصدت مرآة فكرها و نبتت صوارم عقلها.

و لما تم ذلك، كان كأنه قيل: هل كان بعد ذلك اختبارا؟ فقيل:
 نعم! (قيل لها) [أى - ٧] من قاتل من جنود سليمان عليه السلام،
 فلم تمكنها المخالفة لما هناك من الهبة بالملك و النبوة و الدين: (ادخل الصرح)
 [و هو قصر - ٧] بناء قبل قدمها، و جلس فى صدره، و جعل صحنه
 ١٥ من الزجاج الأبيض الصافى، و أجرى تحته الماء، و جعل فيه دواب البحر،
 و أصله - كما قال فى الجمع بين العباب و المحكم: بيت واحد يبنى منفردا

(١ - ١) سقط ما بين الرهين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
 الذين (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: علم السفينة الجهوك - كذا (٤) من
 ظ و مد، و فى الأصل: اسلامه (٥) راجع نثر المرجان ١١٠/٥ (٦) من ظ و مد،
 و فى الأصل: اختبارا (٧) زيد من ظ و مد.

ضخما طويلا في السماء، قال: وقيل: كل بناء متسع مرتفع، وقيل: هو القصر، وقيل: كل بناء عال مرتفع، والصرح: الأرض المملسة، وصرحة الدار مساحتها. ودل على مبادرتها لامثال الامر [وصرعة دخولها -^١] بالفاء فقال: ﴿ فلما راته ﴾ وعبر بما هو من الحسبان دلالة على أن عقلها وإن كان^٢ في غاية الرجاحة^٣ ناقص لعبادتها لغير الله فقال: هـ
 ﴿ حسبته ﴾ أى لشدة صفاء الزجاج واتصال الماء بسطحه الأسفل
 ﴿ لجة ﴾ أى غمرة^٤ عظيمة من ماء، فعزمت على خوضها^٥ إظهارا لتمام الاستسلام ﴿ وكشفت عن ساقها^٦ ﴾ أى لثلاث تبلت ثيابها فتحتاج إلى تغييرها قبل الوصول إلى سليمان عليه السلام، فرآها أحسن الناس ساقا وقدما غير أنها شعراء .

١٠

ولما حصل مراده، استوقف الإخبار عن أمره بعده فقيل:
 ﴿ قال ﴾ أى مبينا لعظم^٧ عقله وعلوه، وحكمته وقدرته، مؤكدا لأنه لشدة اشتباهه^٨ بجودة المادة^٩ وتناهى حسن الصنعة^{١٠} وإحكامها لا يكاد يصدق أنه حائل دون الماء: ﴿ انه ﴾ أى هذا الذى ظننته ماءا ﴿ صرح ﴾
 أى قصر ﴿ مجرد ﴾ أى بملس، وأصل المرودة^{١١}: الملائمة والاستواء ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : كانت (٣) من ظ و مد، وفي الأصل:
 الزجاج (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: بغير (٥) من ظ و مد، وفي الأصل:
 من شدة (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: كونها (٧) من ظ و مد، وفي
 الأصل: لعظيم (٨-٨) من ظ و مد، وفي الأصل: جودة الماء (٩) من ظ و مدة
 وفي الأصل: الصفة (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: المرود.

(من) أى كائن من (قوارير ط) أى زجاج ليصف بشفوفة الماء فيظن أنه لا حائل دونه، فلما رأت ما فضله الله به من العلم، المؤيد بالحكمة، المكمل بالوقار والسكينة، انتمم بالحوارِق، بادرت إلى طاعته علما بأنه رسول الله، فاستأنف تعالى الإخبار عن ذلك^١ بقوله: (قالت)
 ٥ متبلة^٢ على من^٣ آتاه، للاستمطار من فضله، والاستجداء من عظيم وبه: (رب) أى أيها المحسن إلى (انى ظلمت نفسى) أى بما كنت فيه^٤ من العمى بعبادة غيرك عن^٥ عبادتك (واسلمت) أى ليظهر على ثمرات^٦ الإسلام .

و لما / ذكرت هذا الأساس الذى لا يصح بناء^٦ طاعة إلا عليه، / ٧٨٣
 ١٠ أتبعته الداعى^٧ الذى لا تتم ثمرات الأعمال المؤسسة عليه إلا بجه، والإذعان له، والانتقياد والاعتراف بالفضل، وهدايته إلى ما يصلح منها وما لا يصلح على^٨ الوجوه التى لا تقوم إلا بها من الكميات والكيفيات . فقالت^٩: (مع سليمان) .

و لما ذكرت صفة الربوبية الموجبة للعبادة بالإحسان، ذكرت الاسم
 ١٥ الأَعْظَم الدال على الذات المستجمع للصفات الموجبة للالهية [للذات -^{١٠}]

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: دويه - كذا (٢-٣) فى ظ: من (٣) سقط من ظ ومد (٤) فى ظ: من (٥) زيد فى الأصل: الايمان و، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لخذلتها (٦) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لخذلتها (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: عن (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: قال (١٠) زيد من ظ ومد .

قالت : ﴿ لله ﴾ أى مقرة له بالألوهية^١ والربوبية على سبيل الوجدانية .
ثم رجعت [إشارة - ٢] إلى العجز عن معرفة الذات حتى المعرفة إلى
الأفعال التى هى بحر المعرفة فقالت : ﴿ رب الغلبن يا ﴾ فعمت بعد أن
خصت إشارة إلى الترقى من حضيض دركات العمى إلى أوج درجات
الهدى ، فله درها ما أعلها ، وأطيب أعراقها وأكرمها ، ويقال : إن ه
سليمان عليه السلام تزوجها واصطنع الحمام - وهو أول من اتخذها -
وأذهب شعرها بالنورة .

ولما أتم سبحانه هذه القصة المؤسسة على العلم المشيد بالحكمة المنبئة^٣
عن أن المدعويين فيها أطبقوا على الاستسلام للدخول فى الإسلام ، مع
أبالة الملك و رئاسة العز ، والقهر على يد غريب عنهم بعيد منهم ، أتبعها ١٠
قصة انقسم أهلها مع "الذل والفقر" فرهين مع أن الداعى منهم لا يزول
باتباعه شئ من العز عنهم ، مع ما فيها من الحكمة ، وإظهار دقيق العلم
بإبطال المكر ، بعد طول الأناة والحلم ، فقال تعالى مفتحا بحرف التوقيع
والتحقيق لمن ظن أن هذا شأن كل رسول مع من^٤ بدعوم ، عاطفا
على " ولقد اتينا داود " : ﴿ ولقد أرسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ١٥
﴿ الى ثمود ﴾ ثم أشار إلى العجب من توقفهم بقوله : ﴿ اخام صلحا ﴾
لجمع إلى حسن الفعل حسن الاسم وقرب النسب . ثم ذكر المقصود
من الرسالة بما لا أعدل منه ولا أحسن ، وهو الاعتراف بالحق لأهله ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالانتهية (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ
و مد : اخذه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : المنبئة (٥-٥) فى ظ و مد :
الفقر والذل (٦) فى ظ و مد : طويل (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بما .

قال : (ان اعبدوا الله) أى الملك الأعظم [الذى لا يكفوه له - ١] وحده^٢ ، ولا تشرکوا به شيئاً ولا سبياً شيئاً لا يضر بوجهه ولا ينفخ ، يانا لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام متفقون على ذلك عربهم وعجمهم . ثم زاد فى التعجب منهم بما أشارت إليه الفاء وأداة المفاجأة من المبادرة

٥ إلى الافراق بما يدعو إلى الاجتماع قال : (فاذا هم) أى ثمود (فريقن) ثم بين بقوله : (يختصمون .) أنها فرقة افتراق بكفر وإيمان ، لافرقه اجتماع فى هدى وعرقان ، فبعضهم صدق صالحاً واتبه - كما مضى فى الأعراف . وتأتى هنا الإشارة [إليه - ١] بقوله "وبمن" معك" - وبعضهم استمر على شركه وكذبه ، وكل فريق يقول : أنا على

١٠ / ٧٨٤ الحق وخصمى على الباطل . ثم استأنف بما / أشار إليه حرف التوقع

من شدة التشوف قائلاً : (قال) أى صالح مستعظفاً فى هدايته :

(يقوم) أى يا أولاد عمى و من فيهم كفاية للقيام بالمصالح

(لم تستعجلون) أى تطلبون العجلة [بالإتيان - ١] (بالسيئة)

أى الحالة التى مساهاها ثابتة^٢ وهى العقوبة التى أنذرت بها من كفر

١٥ (قبل) الحالة (الحسنة) من الخيرات التى أبشركم بها فى الدنيا

و الآخرة إن آمنتم ،^٣ والاستعجال : طلب الإتيان بالأمر قبل الوقت

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد فى ظ : لا شريك له (٣) سقط من ظ (٤) من

ظ ومد وانقرآن الكريم ، وفى الأصل : من (٥) العبارة من هنا إلى

« من كفره » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) بياض فى الأصل ملأناه من

مد (٨) العبارة من هنا إلى « المضروب له » ص ١٧٥ س ١ وقعت فى الأصل قبل

« بالسيئة » . و الترتيب من ظ ومد .

المضروب له، و استعجالهم لذلك' للاصرار على سببه و قولهم استهزاء " اتنا بما تعدنا " (لولا) أى هلا و لم لا (تستغفرون الله) أى تطلبون غفران الذى له صفات الكمال لذنوبكم السالفة بالرجوع إليه بالتوبة باخلاص' العبادة له (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا على رجاء^٢ من أن تعاملوا [من كل من فيه خير -^٤] معاملة المرحوم^٥ باعطاء الخير و الحماية من الشر^٥، ثم استأنف حكاية جوابهم فقال: (قالوا) فظاظة و غلظة مشيرين بالإدغام إلى أن ما يقولونه إنما يفهمه الخذاق بمعرفة الزجر [و إن كان الظاهر خلافه بما أتاهم به من الناقة التى كان فى وجودها من البركة أمر عظيم -^٤]: (اطيرنا) أى تشاءمنا (بك و بمن معك^٦) أى و هم الذين آمنوا بك. فانه وقع بيننا بسبيكم الخلاف، و كثر القال^٦ و القيل^{١٠} و الإرجاف، و حصلت لنا شذائد^٦ و اعتساف. لانا جعلناكم مثل الطائر الذى يمر من جهة الشمال - على ما يأتي فى الصافات (قال ظنركم) أى ما تيمنون به فيشرك ما يسركم، أو تشاءمون به^٦ فينشا عنه ما يسوءكم^٦، و هو عملكم من الخير أو الشر (عند الله) أى الملك الأعظم المحيط بكل شيء علما و قدرة، و ليس شيء منه يتغيره و لا ينسب إليه، [فان ١٥ شاء جعلنا سبيه و إن شاء جعل غيرنا -^٤] .

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بذلك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: باخلاصكم (٣) فى ظ: الرجاء (٤) زيد من ظ و مد (ه-ه) وقع ما بين الرقنين فى الأصل بعد « قال »، و الترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: المقال (٧) فى ظ: شديدا (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يسركم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل « و » .

ولما كان [معنى - ١] نسبه إلى الله أن هذا الذي بكم الآن من الشر ليس منا، قال : ﴿ بل اتم قوم تفتون هـ ﴾ أى تجتبرون من الملك الأعلى ٢ بما تيسبونه إلى الطير من الخير والشر، أى ٢ تعاملون به ٢ معاملة الاختبار هل تصلحون للخير بالرجوع عن الذنب فيخفف عنكم أو لا تمحنوا .

ولما أخبر عن عامة هذا الفريق بالشر، أخبر عن شرهم بقوله : ﴿ و كان فى المدينة ﴾ أى مدينتهم الحجر من عطاء القرية وأعيانها ﴿ تسعة رهط ﴾ أى رجال، مقابلة لآيات موسى التسع .
ولما كان الرهط بمعنى القوم و الرجال، أضيفت التسعة إليه، ١٠ فكانه قيل : تسعة رجال، وإن كان لقوم ٤ ورجال مخصوصين، وهم ما بين الثلاثة أو السبعة [إلى العشرة - ١]، وما دون التسعة فنفر، وقال فى التاموس : إن نفر ما دون العشرة ٦ غير أنه يفهم التفرق، و الرهط يفهم العظمة و الشدة و الاجتماع ﴿ يفسدون ﴾ وقال : ﴿ فى الارض ﴾ إشارة إلى عموم فسادهم و دوامه .

١٥ ولما كان الكفرة كلهم مفسدين ٧ بالكفر، و كان بعضهم ربما كان يصلح فى بعض أفعاله، بين أن هؤلاء ليسوا كذلك، بل هم شر

(١) زيد من ظ ومد (٢) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ ومد (٣-٣) من ظ ومد، وفى الأصل : تعاملونه (٤) من ظ ومد، وفى الأصل : الخير (هـ) فى ظ : القوم (٦) فى ظ ومد : التسعة (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : مفسدون .

محض / لحقق خلوصهم للفساد بقوله مصرحا بما أفهمته صيغة المضارع :
(ولا يصلحون .)

ولما اقتضى السياق السؤال عن بيان بعض حالهم ، أجاب بقوله :
(قالوا تقاسموا) أمر بما^١ منه القسم ، أى أوتعوا المقاسمة والمخالفة
بينكم^٢ (بالله) أى الذى لاسمى له لما شاع من عظمته ، وشموله
إحاطته فى علمه وقدرته^٣ ، فليقل كل منكم عن نفسه ومن معه إشارة
إلى أنكم كالجسد الواحد : (لتينته) أى صالحا (واهله) أى
لتهلكن الجميع ليلا ، فان اليات مباغته^٤ العدو ليلا .

ولما كانت^٥ العادة جارية بأن الميتين لا بد أن يبقى بعضهم ،
قالوا : (ثم نقولن لوليه) أى الطالب بدمه^٦ إن بقى منهم أحد : ١٠
(ما شهدنا) أى حضرنا حضورا تاما (مهلك) أى هلاك^٧
(اهله) أى أهل ذلك الولي فضلا عن أن نكون بأشرنا ، أو أهل
صالح عليه السلام فضلا عن أن نكون شهدنا مهلك صالح أو بأشرنا
قتله ولا موضع إهلاكهم . ولما كانت الفجعة من وليه بهلاكة
- عليه السلام - أكثر من الفجعة بهلاك أهله وأعظم ، كان فى السياق ١٥
بالإسناد إلى الولي - على تقدير كون الضمير لصالح عليه السلام -

(١) فى ظ : بما (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بينهم (٣) سقط من ظ .
(٤) من مد ، وفى الأصل : مباينة ، وفى ظ : باعة - كذا (٥) من ظ ومد ،
وفى الأصل : كان (٦) من مد ، وفى الأصل : سه ، والكلمة ساقطة من ظ .
(٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : اهلاكا .

أثم إرشاد إلى أن التقدير: ولا مهلكة .
ولما كانوا قد صمموا على هذا الأمر، وظنوا أنفسهم على المبالغة
في الحلف والاجترار على الكذب فقالوا: ﴿ وانا ﴾ أى و تقول فى
جملة القسم تأكيذا للقسم^٢، إيهاما لتحقيق الصدق: وإنا ﴿ لصدقون ﴾
• فإللعجب من قوم إذا عقدوا اليمين فزعوا إلى الله العظيم، ثم قفروا عنه
فقور الظليم، إلى أوثان أنفع منها المشيم^٣ .
ولما كان هذا^٤ منهم عمل من لا يظن أن الله عالم به، قال تعالى
عذرا أمثالهم عن أمثال ذلك: ﴿ ومكروا مكرا ﴾ أى [ستروا -^١]
سترا عظيما أرادوا به الشر [بهذه المسارمة على المقاسمة، فكان مكرم
الذى اجتهدوا فى ستره لدينا مكشوفاً وفى حضرتنا معروفاً وموصوفاً،
فشعرنا بل علمنا به فأبطلناه -^١] ﴿ ومكرنا مكرا ﴾ [أى و جزيناهم على
فعلهم بما لنا من العظمة شيئاً -^١]^٢ هو المكر فى الحقيقة فإنه لا يملكه
أحد من الخليفة، و لذلك قال^٢: ﴿ وهم ﴾ مع اعتنائهم بالفحص عن
الأمور، والتحرز من عظام المقدور ﴿ لا يشعرون ﴾ أى لا يتجدد لهم
١٥ شعور بما قدرناه عليهم بوجه ما، فكيف بغيرهم، وذلك أنا جعلنا
تدميرهم فى تدميرهم، فلم يقدروا على إبطاله، فأدخلناهم فى خبر كان، لم
يفلت منهم إنسان، وأهلكنا جميع الكفرة من قومهم فى أماكنهم

(١) من ظ و مد، وفى الاصل: صموا (٢) زيد فى الأصل: انهم فى، ولم تكن
الزيادة فى ظ و مد فخذفناها (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: انقسم (٤) سقط
من ظ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: هنا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) ورد
ما بين الرقيين فى الأصل قبل ه و مكرنا ه و الترتيب من ظ و مد .

مساكنهم

مساكنهم أو غير مساكنهم، وأما مكرم فكانوا على اجتهادهم في إتيانهم، وإحكام شأنه، قد جوزوا فيه سلامة بعض من يقصدونه بالإهلاك، فستان بين المكرين، وهيئات هيئات لما بين الأمرين، وقد ظهر أن الآية إما احتباك أو شبهة به: عدم الشعور دال على حذف عدم الإبطال من الثاني، وعلى حذف الشعور والإبطال الذي هو نتيجة هـ من الأول.

ولما علم من هذا الإبهام تهويل الأمر، سبب عنه سبحانه زيادة في تهويله قوله: (فانظر) وزاده عظيمة بالإشارة بأداة الاستفهام إلى أنه أهل لأن يسأل عنه فقال: (كيف / كان عاقبة مكروم لا) ٧٨٦ / فان ذلك ستتنا في أمثالهم، ثم استأنف لزيادة التهويل قوله بيانا لما أبهم: ١٠ (انا) أي بما لنا من العظمة، ومن فتح فهو عنده بدل من "عاقبة" (دمرناهم) أي أهلكتناهم، أي التسعة المتقاسمين، بعظمتنا التي لا مثل لها (وقومهم اجمعين) لم يقلنا منهم مخبر، ولا كان في ذلك تفاوت بين مقبل ومدبر، وأين يذهب أحد منهم أو من غيرهم من قبضتنا أو يفر من مملكتنا.

١٥

ولما كان يتسبب عن دمارهم زيادة الهول والرعب بالإشارة إلى

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل «و» (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: إيقانه.
 (٣) في ظ: ظنوا (٤-٤) من ظ ومد، وفي الأصل: عدم حذف (ه) في ظ:
 بهويل (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: الذي (٨) من ظ ومد، وفي الأصل:
 نعلت (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: قضيتنا.

ديارهم ، لاستحضار أحوالهم ، واستعظامهم بعظيم أعمالهم ، قال :
 ﴿ فذلك ﴾ أى المبعدة بالغضب على أهلها ﴿ بيوتهم ﴾ أى عمود كلهم
 ﴿ خارية ﴾ أى خالية ، متهدمة بالية ، مع شدة أركانها ، وإحكام بنائها ،
 فسبحان الفعال لما يريد ، القادر على الضيف كقدرته على الشديد .
 • ولما ذكر الهلاك ، أتبعه سيبه فى قوله : ﴿ بما ظللوا ﴾ أى أوقعوا
 من الأمور فى غير مواقعها^١ فعل الماشى فى الظلام ، كما عبدوا من الأوثان ،
 ما يستحق الهوان ، ولا يستحق شيئاً من التعظيم بوجه ، معرضين عن
 لا عظيم عديم^٢ غيره عند الإنسام ، والشدائد والاهتمام ، وخراب
 البيوت - كما قال أبو حيان^٣ - وخلوها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد
 ١٠ عما يعاقب به الظلمة . ثم زاد فى التهويل بقوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى
 الأمر الباهر للعقول الذى فعل بشمود ﴿ لآية ﴾ أى عظيمة ، ولكنها
 ﴿ تقوم بعلون^٤ ﴾ أى لهم علم . وأما من لا يتفجع بها نادى على نفسه
 بأنه فى عداد البهائم .

ولما كان ذلك ربما أوهم أن الهلاك عم الفريقين قال : ﴿ وانجيناه ﴾
 ١٥ بمظمتنا ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى وهم [الفريق -^٥] الذين كانوا مع صالح
 عليه السلام كلهم ﴿ و كانوا يتقون^٥ ﴾ أى متصفين بالتقوى اتصافاً
 كأنهم^٥ يجولون عليه ، فيجعلون بينهم وبين ما يسخط ربهم وقاية

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : مواضعها (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 عنده (٣) راجع البحر المحيط ٨٦/٧ (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : فانهم .

من الاعمال الصالحة، و المتاجر الراجحة. و كذلك^١ تفعل بكل من فعل فعلهم، قيل: كانوا أربعة آلاف، ذهب بهم صالح عليه السلام [إلى -^٢] حضرموت، فلما دخلوها مات صالح عليه السلام، فسميت بذلك .
ولما فرغ [من] قصة القريب [الذي -^٢] دعا قومه فاذا هم قسبان، بعد القريب الذي لم يختلف عليه عن^٢ دعاهم اثنان، اتبعها^٢ بغريب لم يتبعه^٥ عن^٢ دعاهم إنسان، فقال دالا على أنه له سبحانه الاختيار، قارة يجرى الأمور على القياس، و أخرى على خلاف الأساس، الذي تقتضيه عقول الناس، قال: (و لوطا) أى و لقد أرسلناه؛ و أشار إلى سرعة إبلاغه بقوله: (اذ) أى حين (قال لقومه) أى الذين كان سكن^٥ فيهم لما فارق عمه [إبراهيم -^٢] الخليل عليه السلام و صامرهم. و كانوا ١٠ يأتون الأحداث، منكرًا موجبًا: (اتاتون) و لما كان للابهام ثم التعيين من هز النفس و ترويعها ما ليس للتعين من أول الأمر [قال -^٢]: (الفاحشة) أى الفعل المتناهية في القبح (و انتم تبصرون^٥) / أى لكم عقول تعرفون بها المحاسن و المقابح^٢، و ربما كان بعضهم يفعله بحضرة بعض كما قال ” و تاتون في ناديكم المنكر “ فيكون حينئذ ١٥ من البصر و البصيرة؛ ثم أتبع [هذا -^٢] الإنكار إنكارا آخر لمضمون جملة مؤكدة أم تأكيد، إشارة إلى أن فعلتهم هذه مما يعيب الواصف،

(١) في ظ و مد: كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ: من (٤) في ظ: اتبعه (٥) من ظ و مد، و في الأصل: تسكن (٦) من ظ و مد، و في الأصل: القبايح .

ولا يبلغ كنه قبجها ولا يصدق ذو عقل أن أحدا يفعلها، فقال معينا
لما أبهم : (انكم لتأتون) وقال : (الرجال) تنيها على بعدم عما
يأتونه إليهم ، ثم علله بقوله : (شهوة) إزالا لهم إلى رتبة البهائم التي
ليس فيها قصد ولد ولا عفاف ؛ وقال : (من دون) أى إيتانا
• مبتدئا من غير ، أو أدنى رتبة من رتبة (النساء) إشارة إلى أنهم
أسماءوا من الطرفين في الفعل والترك .

ولما كان قوله " شهوة " ربما أوهم أنهم لا غنى بهم عن إيتانهم
للشهوة الغالبة لكون النساء لا تكفيهم ، لذلك نفي هذا بقوله : (بل)
أى أنكم لا تأتونهم لشهوة محوجة بل (اتم قوم) ولما كان مقصود
١٠ السورة إظهار العلم والحكمة ، وكانوا قد خالفوا ذلك إما بالفعل وإما
لكونهم ' يفعلون ' من الإسراف وغيره ' عمل الجهلة ، قال : (تجهلون)
أى تفعلون ذلك إظهارا للذين بالشهوات فعل المبالغين في الجهل الذين
ليس لهم نوع علم ، في التجاهر بالقبايح خبثا وتغليا لآخلاق البهائم ،
مع ما رزقكم الله من العقول التي أهملتموها حتى غلبت عليها الشهوة ،
١٥ وأشار إلى تغاليهم في الجهل واقتخارهم به بما سيوا عن ذلك بقوله :
(فما كان جواب قومه) أى لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم
حجة في دفعه بل ولا شبهة (الآ ان) صدقوه في نسبتهم لهم إلى

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : بكونهم (٢-٣) من ظ و مد ، وفي الأصل :
في الأشراف وغيرهم (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : فالقبايح (٤) من ظ
و مد ، وفي الأصل : يعنى (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : نسبة .

الجهل بأن (قالوا) عدولا إلى المغالبة وتجادبا في الخبث
 (اخرجوا ال لوط) فأظهر ما أضمره في الاعراف لأن الإظهار أليق
 بسورة العلم والحكمة وإظهار الخبث؛ وقالوا: (من قرئتم) منّا
 عليه باسكانه عندهم؛ وعللوا ذلك بقولهم: (انهم) وعللهم عبروا بقولهم:
 (اناس) مع صحة المعنى بدونه تهكما عليه لما فهموا من أنه أنزلهم
 إلى رتبة البهائم (يتظهرونه) أى يعذبون أفعالنا نجسة ويتزهون عنها -
 فلما وصلوا في الخبث إلى هذا الحد، سبب سبحانه عن قولهم
 وفضلهم [قوله - ٢]: (فانجينه واهله) أى كلهم، [أى - ٣] من
 أن يصلوا إليه بأذى أو يلحقه شيء من عذابنا (الا امراته) فكأنه
 قيل: فما كان من أمرها؟ فقيل: (قدرئها) أى جعلناها بعظمتنا ١٠
 وقدرتنا في الحكم وإن كانت خرجت معه (من الغبرين) أى الباقين
 في القرية في لحوق الغبرة وجوههم والداية الدهياء أنفسهم وديارهم
 حتى كانوا كأمس الدابر (وامطرنا) وأشار إلى أنه إمطار عذاب
 بالحجارة [مع تعديته بالهزمة وهو معدى بدونها فصارت كأنها لإزالة
 الإغاثة بالإتيان بضدها - ٢] بقوله: (عليهم) وأشار إلى سوء الأثر ١٥
 لاستلزامه سوء الفعل الذى نشأ عنه وغرابته، / بقوله: (مطراج)
 أى و^١ أى مطر^٢؛ ولذلك سبب عنه قوله: (فناء مطر المنذرين)
 (١) فى ظ: عدلا (٢) سقط من ظ ومد (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ
 ومد، وفى الأصل: تقابل (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: اعرابه -
 كذا (٦-٦) من ظ ومد، وفى الأصل: امطرنا .

أى الذين وقع إندارنا لهم الإندار' الذى هو الإندار .
ولما تم هذه القصص استنتاج ما أراد سبحانه من الدليل على
حكيمته وعلوه ومبايسته للأصنام فى قدرته وحلوه ، أمر نبيه صلى الله
عليه وسلم بأن يحمده شكرا على ما علم ويقرهم . بعجز أصنامهم ردا لهم
٥ عن الجهل بأوضح طريق وأقرب متناول فقال : (قل) ما أتجبه
ما تقدم فى هذه السورة ، وهو (الحمد) أى الإحاطة بأوصاف الكمال
(لله) أى مختص بالمستجمع للأسماء الحسنى ، والصفات العلى ،
عند الإعدام كما كان عند الإيجاد (وسلم) أى سلامة وعافية وبقاء
فى هذا الحين وكل حين ، كما كان قبل هذا فى غابر السنين ، وأشار
١٠ بأنه لا وصول للعطب إليهم بأداة الاستعلاء فى قوله : (على) وأشار
إلى شرفهم بقوله : (عباده) باضافتهم إليه ، وأكد ذلك بقوله :
(الذين اصطفى) أى فى كل عصر وحين كما أن الحمد لعبودهم أزلا
وأبدا لا يذبن ، وعطب و غضب على من عصى ، وخالف الرسل وأبى ،
كما ترى فى أصحاب هذه الأنبا ، والمعنى أن هذا الحكم المستمر بنجاة
١٥ الرسل وأتباعهم ، وملاك الكافرين وأشياعهم ، دليل قطعى على أن
الإحاطة لله فى كل أمر ؛ قال أبو حيان : وكان هذا صدر خطبة لما

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : للإندار (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
أرا - كذا (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تقرر (٤) من ظ و مد ، وفى
الأصل : قدمه (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : المستجمع (٦) من ظ و مد ،
و الأصل : تمام (٧) راجع البحر المحيط ٨٨/٧ .

يلقى من البراهين الدالة على الوجدانية و العلم و القدرة، و بما يتنبه له أنه لم^٢ يرد في قصة لوط عليه السلام أكثر من نهيه لهم عن هذه الفاحشة، فلا يخلو حالهم من أمرين: إما أنهم كانوا لا يشركون بالله تعالى شيئاً، و لكنهم لما ابتكروا هذه المعصية و جاهروا بها مصرين عليها، أخذوا بالعذاب لذلك و لكفرهم بتكذيبهم رسولهم، كما صرحت به آية الشعراء، و إما أنهم كانوا مشركين، و لكنه عليه السلام لما رآهم قد سفلوا إلى رتبة البهيمية^٣، رتب دعاهم منها إلى رتبة الإنسانية، ثم إلى رتبة الوجدانية، و يدل على هذا التقدير الثاني قوله مشيراً إلى أن الله تعالى أهلكتهم و جميع من كفر من قبلهم، و لم تغن عنهم معبوداتهم شيئاً، بقوله: (الله) أى الذى له الجلال و الإكرام (خير) أى ١٠ لعباده الذين اصطفاهم فأنجاهم (أما تشركون^٤) يامعاشر العرب من الأصنام و غيرها لعابديها و محبيها فانهم لا يغنون عنكم شيئاً كما لم يغنوا عن عدم من هؤلاء الذين أهلكناهم شيئاً^٥، و لا تفزعون^٦ عند شدائدكم إلا إلى الله وحده، هذا على قراءة الخطاب للجماعة^٧، و التقدير على قراءة الغيب للبصريين و عاصم: أما^٨ يشرك الكفار عامة قديماً^٩ و حديثاً لمن ١٥ أشركوا بهم، فلم يقدرُوا على تفهمهم عند إحلال البأس بهم، و أفعال

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يفيه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ان .

(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انكروا (٥) فى ظ: البهائم .

(٦) فى ظ و مد: لا تفزعوا (٧) راجع نثر المرجان ١٢٠/٥ (٨) فى ظ و مد:

ام ما - كذا بانفك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قديمة .

/ التفضيل لإلزام الخضم والتنبيه على ظهور خطائه المقرط، و جهله المورط
إلى حد لا يحتاج فيه^١ إلى كشف لأعلى بابها .
ولما كان مع هذا البيان من الأمر الواضح أن التقدير زيادة في
توبيخ المشركين و تقرير المنكرين : من فعل هذه الأفعال البالغة في الحكمة
المتأهية في العلم أم من سميتموه إليها، ولا أثر له أصلاً، عادله بقوله :
(^٢ آمن) وكان الأصل : أم هو، ولكنه عبر باسم موصول أصل
وضعه لذي العلم، و وصله بما لا يضح أن^٣ يكون لغيره ليكون كالدعوى
المقرؤة بالدليل فقال : (خلق السموات و الأرض) تنبيها بالقدرة على
بده الخلق على القدرة على إعادته^٤، بل من باب الأولى، دلالة على الإيمان
١٠ بالآخرة تخلقاً بأخلاق المؤمنين الذين^٥ مضى أول السورة ان هذا القرآن
المبين بشرى لهم .

ولما كان^٦ الإنبات، من أدل^٦ الآيات، على إحياء الأموات، قال :
(و انزل) و زاد في تقريرهم و تبكيتهم و توبيخهم بقوله : (لكم)
أى لأجلكم خاصة و أتم تكفرون به و تنسبون ما تفرد به من ذلك
١٥ لغيره : (من السماء ماء ج) هو للأرض كالماء الدافق للأرحام
^٧ كالماء الذي^٧ ينزل آخر الدهور على القبور .

(١) سقط من ظ (٢) يبتدىء من هنا الجزء العشرون من القرآن الكريم .
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل : او(٤) من ظ ومد، وفي الأصل : اعادتهم .
(٥) من ظ ومد، وفي الأصل : الذي (٦-٦) من ظ ومد، وفي الأصل :
الامان من اول (٧-٧) من ظ ومد، وفي الأصل : كالذي .

في وجوده وقدرته واختياره لفعل المتباينات في الطعم واللون والريح والطبع والشكل بماه واحد في أرض واحدة واختصاصه بفعل ذلك من غير مشاركة شيء له في شيء منه أصلاً، وهو آية العظمى على أمر البعث، عدل إلى التكلم [و- ٢] على وجه العظمة فقال: (فابتنا) أي بما لنا من العظمة (به حدائق) أي بستانين محددة - أي بحيطه - بها أشجارها ١٥ وجدرانها، والظاهر أن المراد كل ما كان هكذا، فانه في قوة أن يدار عليه الجدار وإن لم يكن له جدار، وعن الفراء أن البستان إن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة .

ولما كان الأولى بجمع الكثرة لما لا يعقل الوصف بالمفرد قال مفيداً أنها كالشيء الواحد في ذلك الوصف: (ذات بهجة ج) أي بهاء ١٠ وحسن ورونق، وبشر بها وسرور على تقارب أصولها مع اختلاف أنواعها، وتباين طعومها وأشكالها، ومقاديرها وأوانها .

ولما أثبت الإنبات له، نقاه عن غيره على وجه التأكيد تبيها على تأكيد اختصاصه بفعله، وعلى أنه إن أسند إلى غيره فهو مجاز عن التسبب ٦ وأن ٦ الحقيقة ليست إلا له فقال: (ما كان) أي ما صح ١٥ وما تصور بوجهه من الوجوه (لكم) وأنتم أحياء فضلاً عن شركائكم الذين هم أموات بل أموات (ان تنبتوا شجرها) أي شجر

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: يدرا (٤) راجع معالم التنزيل على هامش الباب ١٢٧/٥ (٥) زيدت الوافر في ظ (٦-٧) من ظ و مد، وفي الأصل: دون .

تلك الحقائق .

ولما ثبت أنه المتفرد^١ بالالوهية، حسن موقع الإنكار والتقرير^٢ في قوله: ﴿ ءَا لِه ﴾ أى كائن ﴿ مع الله ﴾ أى الملك الاعلى الذى لا مثل له .

٥ / ٧٩٠ / ولما كان الجواب عند كل عاقل : لا وعزته ا قال معرضا عنهم للايذان بالغضب : ﴿ بل هم ﴾ أى فى دعائهم معه سبحانه شريكا ﴿ قوم يعدلون^٣ ﴾ أى عن الحق الذى لا مرية فيه إلى غيره ، مع العلم بالحق ، فيعدلون باقده غيره .

ولما فرغ من آية اشترك فيها الخاقان ، ذكر ما تفرد به الأرض ،
١٠ لأنها أقرب إليهم وهم بحقيقتها وما لابسوه من أحوالها أعلم منهم بالأمور السماوية ، تعديدا للبراهين الدالة على تفردده بالفعل الدال على تفردده بالإلهية ، فقال مبديا^٤ من " امن " خلق^٥ : ﴿ آمن ﴾ أى أم^٦ فعل ذلك الذى ﴿ جعل الارض قرارا ﴾ أى مستقرة فى نفسها ليقرب عليها غيرها ، وكان القياس يقتضى^٧ أن تكون هاوية أو مضطربة كما
١٥ يضطرب ما هو معلق^٨ فى الهواء^٩ .

ولما ذكر قرارها ، أتبعه دليله فى معرض الامتتان فقال :

(١-١) تكرر من مد (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : التقدير (٣-٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : ممن (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ ومد .
(٦-٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : بالهوى .

(وجعل ختلها) أى فى الأماكن المنفرجة بين جبالها (انهر) أى جارية على حالة واحدة ، فلو اضطرت الأرض أدنى اضطراب ، لتغيرت مجارى المياه بلا ارتياب .

ولما ذكر الدليل ، ذكر سبب القرار فقال : (وجعل لها رواسى) أى كراسى السفن ، كانت أسبابا فى ثباتها على ميزان دبره سبحانه فى ه مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها قامتت من الاضطراب .

ولما أثبت القرار وسببه ، وكان قد جعل سبحانه للأنهار طرقا تصرف [فيها -] ولو حبسها عن الجرى شئ لاوشك أن تستبحر ، فيصير أكثر الأرض لايتنفع به فى سير ولا نبات ، أو أن تحرق ذلك الحابس بما لها من قوة الجرى وشدة النفوذ بطلاقة السريان ، لأن من عادة المياه التخلل بين أطباق التراب والتغلغل بما لها من اللطافة والرقه ، والثقل فى الأعماق ولو قليلا قليلا ، وكان سبحانه قد سد ما بين البحرين الرومى والفارسى ، وكان ما بينهما من الأرض إنما هو يسير جدا فى بعض المواضع ، وكان بعض مياه الأرض عذبا ، وبعضها ملحا . مع ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان .
 (٢) فى ظ : اعتدل (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : ثبت (٥) زيد من ظ و مد .
 (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : انيات (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : انتقل (٩) كذا ، والأوفق : بعضها (١٠) تأخر فى الأصل عن « ذلك العذب » ص ١٩٠ س ١ ، والترتيب من ظ و مد .

القرب جدا من ذلك العذب ، سألهم - تنبيها لهم على عظيم القدرة - عن
المسك لعدوان أحدهما على الآخر ، واعدوان كل من خليجي الملح على
ما بينهما لثلاثي بخرقاه فيتصلا فقال : ﴿ وجعل بين البحرين حاجزا ﴾^١ أي
يمنع أحدهما أن يصل إلى الآخر .

و لما كان من المعلوم أنه الله وحده . ليس عند عاقل شك في ذلك .
كرر الإنكار في قوله : ﴿ ترآء اله مع الله ﴾ أي المحيط علما و قدرة . و لما
كان الجواب^٢ الحق قطعا : لا ، وكان قد أثبت لهم في الإضراب^٣ الأول
علما من حيث الحكم على المجموع ، وكان كل منهم يدعى رجحان العقل ،
و صفاء^٤ الفكر ، ورسوخ^٥ القدم في العلم بما يدعيه [العرب -^٦] ، قال :
١٠ ﴿ بل أكثرهم ﴾ أي الخلق الذين يتفنون بهذه المنافع ﴿ لا يعلمون ﴾^٧
أي ليس لهم نوع من العلم ، بل هم كالبهائم لإعراضهم عن هذا الدليل
الواضح .

و لما دلهم بآيات الآفاق ، و كانت كلها من أحوال / السراء ، و كانت
بمعرض الغفلة عن الإله ، ذكرهم بما في^٨ أنفسهم مما يوجه تغير الأحوال
١٥ الدالة بمجردا على الإله ، و يقتضى لكل عاقل [صدق -^٩] التوجه إليه ،

(١) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
و مد ، و في الأصل : الاضطراب (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : صف .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : المدين (٦) سقط
من ظ .

و إخلاص النية لديه، و الإقبال عليه، على ذلك ركزت الطباع، و انعقد الإجماع، فلم يقع فيه نزاع. فقال: ﴿ امن يجيب المضطر ﴾ أى جنس الملجأ إلى ما لا قبل له به، الصادق على القليل و الكثير إذا أراد إجابته كما تشاهدون، و عبر فيه و فيما بعده بالمضارع لأنه مما يتجدد^١، بخلاف ماضى من خلق السماوات و ما بعده ﴿ اذا دعاه ﴾ أى حين ينسيكم^٥ الضر شركاءكم، و بلجئكم إلى من خلقكم و يذهل^٢ المعطل عن مذهبه و يقفه^٣ عن سوء أذبه عظيم إقباله على قضاء أربه .

ولما كانت الإجابة ذات شقين، جلب السرور، و دفع الشرور، و كان النظر إلى الثان أشد، خصه^٤ بادئنا به فقال: ﴿ و يكشف سوءه ﴾ ثم أتبعه الأول على وجه أعم، فقال مشيراً إلى عظيم المنة عليهم يجعلهم مسططين^٦ عالين على جميع من فى الأرض و ما فى الأرض مشرفين بخلاقته سبحانه، و لذلك أقبل عليهم . ﴿ و يجعلكم خلفاء الأرض^٧ ﴾ أى فيما^٨ يخلف بعضهم^٩ بعضاً، لا يزال يحدد ذلك بأملك قرن و إنشاء آخر إلى قيام الساعة . و لما كان هذا أبين، كرر الإنكار فيه مكتأ لهم بالنسيان فقال: ﴿ ءاله ﴾ أى كائن أو موجود ﴿ مع الله^{١٠} ﴾ أى الملك الأعظم^{١١} الذى لا كفوء له^{١٥}.

(١) من مد، و فى الأصل: ذكرت. و فى ظ: وكرت - كذا (٢) فى ظ: يتجرد (٣-٣) من ظ و مد. و فى الأصل: خلقهم و يذهب (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يعقل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: رخصه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: مسلمين (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها . (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بعضهم (٩-٩) سقط ما بين الرقين من ظ .

ثم استأنف التبكيت تفضيلاً له ومواجهتها في قراءة الجماعة لما يؤذن به كشف هذه الأزمات^١ من القرب المقضى للخطاب، ولذلك أكد بزيادة^٢ 'ما' فقال: (قليلًا ما تذكرون^٣) أي بأن من أنجأكم^٤ من ذلك^٥ وحده حين أخلصتم له التوجه عند اشتداد الأمر هو المالك لجميع أموركم في الرخاء كما كان مالكا له في الشدة، وأن الأصنام لا تملك شيئا بشفاعه ولا غيرها كما لم تملك شيئا^٦ في اعتقادكم عند الأزمات، واشتداد الكربات، في الأمور المهمات، فإن هذا قياس ظاهر^٧، ودليل باهر، ولكن من^٨ طبع الإنسان نسيان ما كان فيه من الضير، عند مجيء الخير، ومن قرأ بالتحانية^٩ وهم أبو عمرو وهشام وروح، فلا يذنان ١٠ بالغضب الأليق بالكفران، مع عظيم الإحسان .

ولما ذكر آيات الأرض، وختم بالمضطر، وكان المضطر قد لا يهتدى لوجه حيلة، أتبعها آيات السماء ذاكرة ما هو [من -^٩] أعظم صور الاضطرار فقال: (امن يهديكم^{١٠}) أي^{١١} إذا سافرتم بما رسم لكم من الممالك العلوية والسفلية (في ظلمات البر) أي بالنجوم والجبال ١٥ والرياح، وهي وإن كانت أضعفها فقد يضطر إليها [حيث -^{١٢}] لا يبدو

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تعظيماً (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الأزمات (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: لا (٥) زيد في الأصل: من ذلك، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها. (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: مع (٨) راجع نثر المرجان ١٢٥/٥ حول اختلاف القراءة (٩) زيد من ظ و مد .

شيء من ذينك (والبحر) بالنجوم و الرياح .

ولما كانت الرياح ' كما كانت من أدلة السير ، كان بعضها من

أدلة المطر ، قال : (ومن يرسل الريح) أى التى هى من دلائل

٧٩٢ /

السير (نشرًا^٢) أى نشر السحاب / وتجمعها (بين يدي رحمة^١)

أى^٣ التى هى المطر تسمية للسبب باسم السبب ؛ و الرياح^٤ التى يهتدى بها ه

فى المقاصد أربع : الصبا ، و الديور ، و الشمال ، و الجنوب ، وهى أضعف

الدلائل ؛^٥ قال الإمام أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكرى^٦ فى كتاب

أسماء الأشياء وصفاتها : الرياح أربع : الشمال ، وهى التى تجىء عن

يمينك إذا استقبلت قبة العراق - يعنى : وذلك ما بين مطلع الشمس

الصفية و بنات نعل ، وهى فى الصيف حارة ، و اسمها البارح ، و الجنوب ١٠

تقابلها^٧ ، [و الصبا من مطلع الشمس وهى القبول ، و الديور تقابلها^٨ -] ،

و يقال للجنوب : النعاعى و الأرنب - انتهى . و هذه العبارة آيين العبارات

فى تعيين هذه الرياح . و قال الإمام أبو العباس أحمد بن أبى أحمد بن القاص

(١) سقط من ظ (٢) و قراءة حفص بالياء (٣) سقط من مد (٤) كتب بهامش

الأصل : مطلب مادة الرياح : قيل : كل ما كان فى القرآن من ذكر الرياح بزيادة

ألف بعد الياء يكون رحمة ، و كل ما كان بغير ألف فهو عذاب - انتهى . و كان

عليه السلام إذا رأى الرياح جثا على ركبته و قال : اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها

ريحا (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و ومد فخذفاها (٦) راجع

ترجمته فى الأعلام ٢١١٤ و ٢١٢ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقابلها .

(٨) زيد من ظ و مد .

الطبرى الشافى^١ فى كتابه أدلة القبلة : إن قبلة العراقيين إلى باب الكعبة كله إلى الركن الشامى الذى عند الحجر . وقال : وقد اختلف أهل العلم بهذا الشأن - أى^٢ فى التعبير^٣ عن مواطن^٤ الرياح - اختلافا متباينا ، وأقرب^٥ ذلك - على ما جربته وتعاهدته بمسكة - أن الصبا تهب ما بين مطلع الشمس فى الشتاء إلى مطلع^٦ سهيل ، وسهيل يمان مسقطه فى رأى العين على ظهر الكعبة إذا ارتفع ، وقال^٧ صاحب القاموس^٨ : والصبا ريح مهبها من مطلع التريا إلى بنات نعش ، وقال^٩ : والقبول كصبور^{١٠} : ريح الصبا ، لأنها تقابل^{١١} الدبور ، أو لأنها تقابل باب الكعبة ، أو لأن النفس تقبلها . وقال الإمام أبو عبدالله القزاز : الصبا : [الريح - "] التى^{١٢} تهب من مطلع الشمس ، والقبول : الريح التى تهب من مطلع الشمس . وذلك لأنها تستقبل الدبور ، وقيل : لأنها تستقبل باب الكعبة وهى الصبا ، فقد^{١٣} اتفقت أقوالهم كما ترى على خلاف ابن القاص ،^{١٤} وقال ابن القاص^{١٥} : وهى - أى^{١٦} الصبا - ريح معها روح وخفة ، ونسيم تهب مما بين مشرق الشتاء ومطلع سهيل ،

(١) قدم التعليق عليه فيما مضى (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٣) زيد فى ظ : بهذا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بواطن (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان (٧) راجع مادة [صبو] (٨) راجع مادة [قبل] (٩) فى ظ : كصفور (١٠) من ظ و مد وانقاموس ، وفى الأصل : قال (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : وقد (١٤) سقط من ظ .

ولها برد يقرص أشد من هبوبها. وتلقح الأشجار، ولا تهب إلا بليل، سلطانها إذا أظلم الليل، إلى أن يسفر النهار وتطلع الشمس، وأشد ما يكون في وقت الأسحار [و-١] ما بين الفجرين، والجنوب تهب ما بين مطلع سهيل إلى مغارب الشمس في الصيف. وقال في القاموس^٢: والجنوب: ريح تخالف^٣ الشمال، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا،^٥ وعن ابن هشام اللخمي^٤ أن الجنوب هي الريح القبلية. وفي الجمع بين العباب والمحكم: والجنوب ريح تخالف الشمال تأتي عن يمين القبلة^٦، وقيل: هي^٧ من الرياح ما استقبلك عن شمالك إذا وقفت في القبلة، قال ابن الأعرابي: ومهب الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا، وقال الأصمعي^٨: إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح^٩، / وإذا ١٠ / ٧٩٣ جاءت الشمال نشفت، ويقال للتصافين: ريجهما جنوب. وإذا تفرقا^{١١} قيل: شملت ريجهما، وعن ابن الأعرابي^{١٢}: الجنوب في كل موضع حارة

(١) زيد من ظ ومد (٢) راجع مادة [جنب] (٣) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: يخالف (٤) زيد في ظ: قال الأصمعي (٥) هو محمد بن أحمد ابن هشام بن خلف اللخمي أبو عبد الله - راجع لترجمته الأعلام ٢١٢/٦ (٦) زيد في الأصل. وهي، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفناها (٧) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ ومد لحذفناها (٨) ذكر قوله في تاج العروس (٩) من ظ ومد وتاج العروس، وفي الأصل: منها (١٠) من ظ ومد وتاج العروس، وفي الأصل: تلقح (١١) من ظ ومد وتاج العروس، وفي الأصل: تفرق (١٢) ذكر القول الآتي في تاج العروس معزوا إلى بعض العرب.

إلا بنجد فانها باردة؛ وقال ابن القاص: وإذا هبت فقوتها في العلو
والهواء أكثر لأنها موكلة بالسحاب، وتحرك الأغصان ورؤس الأشجار،
ومع ذلك فتراها تولف الغيم في السماء، فتراها متراكما مشحونا، قال:
وسمعت من يقول: [ما -^١] اشتد هبوبها إلا خيف المطر، ولا هبت
٥ جنوب قط ثم يتبعها دبور إلا وقع مطر، وهي تهيج البحر وتظهر بكل
ندى كامل في الأرض، وهي من ربح الجنة . والدبور - قال في
القاموس: ربح تقابل^٢ الصبا، وقال القزاز: هي التي تأتي من دبر الكعبة
وهي التي تقابل مطلع الشمس، وقال ابن القاص: تهب ما بين مغارب
الشمس في الصيف إلى مطلع نبات نعش. وقوتها في الأرض أشد من
١٠ قوتها في الهواء، وهي إذا هبت تثير الغبار. وتكسح الأرض، وترفع
الذيول، وتضرب الأقدام، وأشد ما تثير الغبار إذا تنكبت^٣، تراها
كأنها تلعب بالتراب على وجه الأرض، وترى الأشجار في الوادي
والريمال لها دوى من ناحية الدبور، وقد اجتمع في أصلها التراب وما
يلي الجنوب عاريا مكشوبا متخفزا وقوتها في الأرض - والله أعلم،
١٥ لأن عادا أوعدت بالتدمير بالرياح. حفرت الآبار واستكنت فيها،
فبعث الله الدبور فدخلت الآبار وقدمهم متدمرين حتى أهلكتهم .
والشمال - قال في القاموس: الريح التي تهب من قبل الحجر، والصحيح
أنه ما مهبه ما بين مطلع الشمس ونبات نعش، أو من مطلع النعش إلى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد والقاموس، وفي الأصل: يقابل

(٣) من ظ و مد، وفي الأصل: استكبت (٤) سقط من ظ .

مسقط النسر الطائر، ولا تكاد تهب إلا . وقال القزاز: هي الريح التي تأتي عن شمالك إذا استقبلت مطلع الشمس، والعرب تقول: إن الجنوب قالت للشمال: إن لي عليك فضلا، أنا أسرى وأنت لا تسرين، قالت الشمال: إن الحرّة لا تسرين، وقال الصغاني في مجمع البحرين:

والشمال: [الريح - ٤] التي تهب من ناحية القطب، وعن أبي حنيفة: ٥ هي التي تهب من جهة القطب الشمالي وهي الجرياء وهي الشامية لأنها تأتيهم من شق الشام، وفي الجمع بين العباب والمحكم، والبوارح: شدة الرياح [من الشمال في الصيف دون الشتاء كأنه جمع بارحة، وقيل: البوارح: الرياح - ٤] الشدائد التي تحمل التراب، واحدها بارح. والجرياء:

الريح التي بين الجنوب والصبحا، وقيل: [هي - ٤] النكباء التي تجرى بين الشمال والديور، وهي ريح تقشع السحاب، وقيل: هي الشمال، وجرياءؤها بردها - قاله الأصمعي، وقال الليث: هي الشمال الباردة، وقال ابن القاص: والشمال تهب ما بين مطلع [بنات نعش إلى مطلع - ٤] الشمس في الشتاء، وهي تقطع الغيم وتمحوها، ولذلك سميت الشمال المحوة، قال: وهذا بارض الحجاز، وأما أرض العراق والمشرق فربما ١٥

٧٩٤/

ساق الجنوب غيما واستداره ولم يحلبه حتى تهب الشمال فحلبه، والجنوب والشمال متماثلتان، لأنهما موكلتان بالسحاب، فالجنوب تطردها

(١) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: تهب (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: قال (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: لا تسرى (٤) زيد من ظ ومد (٥) من مد وتاج العروس [جرب]، وفي الأصل: يقشع، وفي ظ: نفع - كذا.

وهي مشحونة، والشمال زردها وتمحوها إذا أفرغت، قال أبو عبيدة:
 الشمال عند العرب للروح، والجنوب الأمطار والندى، والدبور للبلاء،
 وأهونه أن يكون غبارا عاصفا يقذى العيون، والصبا لإلحاق الشجر، وكل
 ريح من هذه الرياح انحرفت فوقت بين ريحين فهي نكباء، وسميت
 • لعدولها عن مهب^١ الأربع اللواتي وصفن قبل - انتهى . [وقال المسعودي
 في مروج الذهب^٢ في ذكر البوادي من الناس وسبب اختيار البدو: إن
 شخصا من خطباء العرب وفد على كسرى فسأله عن أشياء منها الرياح
 فقال: ما بين سهيل إلى طرف يابض الفجر جنوب، وما بازائها مما
 يستقبلها من المغرب شمال، وما جاء من وراء الكعبة فهي دبور،
 ١٠ وما جاء من قبل ذلك فهي صبا - ٢]، ونقل ابن كثير في سورة التور^٣
 عن ابن أبي حاتم وابن جرير عن عبيد بن عمير الليثي أنه قال: يبعث الله
 المثيرة فتقم الأرض قأ، ثم يبعث الله الناشئة فتشقى السحاب، ثم يبعث الله
 المؤلفنة فتؤلف بينه، ثم يبعث الله اللوايح فتلقح السحاب .
 ولما انكشف^٤ بما مضى من الآيات . ما كانوا في ظلامه من
 ١٥ واهي الشبهات، واتضح الأدلة، ولم تبق لأحد في شيء من ذلك علة .
 كرر سبحانه الإنكار في قوله: ﴿ ءاله مع الله ﴾ أي الذي كمل عليه
 فشملت قدرته .

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: مهبت (٢) راجع ٣٠٦/١ (٣) زيد من ظ
 و مد (٤) راجع تفسيره ٢٩٧/٣ (٥) من ظ و مد والتفسير، وفي الأصل: عن .
 (٦) في الأصل: تكشفت، وفي ظ و مد: انكشفت .

ولما ذكر حالة الاضطراب^١، واتبعتها من صورها ما^٢ منه ظلمة البحر، وكانوا في البحر يخلصون له سبحانه ويتركون شركاءهم، نبههم على أن ذلك موجب لاعتقاد كون الإخلاص [له - ٣] واجبا دائما، فأتبعه قوله على سبيل الاستعظام، معرضا عنهم باجماع العشرة إعراض من بلغ به الغضب: ﴿ تعلى الله ﴾ أى الفاعل القادر المختار الذى لا يكتفوه له ﴿ عما يشركونه ﴾، أى فان شيئا منها لا يقدر على شيء من ذلك، وأين رتبة العجز من رتبة القدرة .

ولما رتب سبحانه هذه الأدلة على هذا الوجه ترقيا من أعم إلى أخص، ومن أرض إلى سماء، ختمها بما يعمها وغيرها، إرشادا إلى قياس ما غاب منها على ما شوهد، فزوم من ذلك قطعا القدرة على الإعادة، فساقها لذلك سياق المشاهد المسلم، وعد من أنكره فى عداد من لا يلتفت إليه [فقال - ٤]: ﴿ آمن يبدؤا الخلق ﴾ أى كله: ما علمتم منه وما لم تعلموا، ثم بيده لأن كل شيء هالك إلا وجهه، له هذا الوصف باعترافكم يتجدد أبدا تعلقه . ولما كان من اللازم بين لهم الإقرار بالإعادة لا اعترافهم بأن كل من أبدى شيئا قادر على إعادته . ١٥ لأن الإعادة أهون، قال: ﴿ تم يعيده ﴾ أى بعد ما بيده .

ولما كان الإمطار و الإنبات من أدل ما يكون على الإعادة، قال

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: الاضطراب (٢) من مد، وفى الأصل: من، والكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: غيرها . (٥) فى ظ: بيده - كذا .

مشيرا إليهما على وجه عم جميع ما مضى : ﴿ ومن يرزقكم من السماء ﴾
 أى بالمطر و الحر و البرد و غيرهما مما له سبب فى التكوين أو التلوين
 ﴿ و الارض ﴾ أى بالنبات و المعادن و الحيوان و غيرهما مما لا يعلمه
 إلا الله ، و عبر عنهما بالرزق لأن به تمام النعمة ﴿ ءاله مع الله ﴾ أى
 الذى له صفات الجلال و الإكرام ، كأن ، أو يفعل شيئا من ذلك .

و لما كانت هذه كلها براهين ساطعة ، و دلائل قاطعة ، و أنوارا
 لامعة ، و حججا باهرة ، و بينات ظاهرة ، و سلاطين قاهرة ، على التوحيد
 / المستلزم للقدرة على البعث و غيره من كل ممكن ، أمره صلى الله عليه

/ ٧٩٥

و سلم إعراضا عنهم ، إيدانا بالغضب فى آخرها [بأمرهم -] بالإتيان
 ١٠ برهان واحد على صحة معتقدم فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المدعين للعقول
 ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ أى على نقي شئ من ذلك عن الله تعالى ، أو على

إثبات شئ منه لغيره ، لتثبت دعوى الشركة فى الخلق فتسمع دعوى
 الشركة فى الألوهية ، و ايكن إتيانكم بذلك ناجزا من غير مهلة ، لأن من
 يدعى العقل لا يقدم على شئ إلا برهان حاضر ﴿ ان كنتم صدقين ﴾

١٥ أى فى أنكم على حق فى أن مع الله غيره . و أضاف البرهان إليهم إضافة
 ما كأنه عنده ، لا كلام فى وجوده و تحققه ، و إنما المراد الإتيان به
 كل ذلك تهكما بهم و تنبيها على أنهم أبعدوا فى الضلال ، و أعرقوا فى

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : شئ . (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : أنوار .

(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : اثباتكم (٥) من ظ

و مد ، وفى الأصل : عبيد (٦) فى ظ : ان .

المحال ، حيث رضوا لانفسهم بتدين لا يصير إليه عاقل إلا بعد تحقق القطع بصحته ، ولا شبهة في أنه لا شبهة لهم على شيء منه .

ولما كانت مضمونات هذه البراهين متوقفة على علم الغيب ، لأنه لا يخرج الحجة باختراع الخلق وكشف الضر وإحكام التدبير إلا به ، لأنه لا قدرة أصلاً لمن لا علم له ولا تمام لقدرة من لا تمام لعلمه - كما مضى بيانه في نطفة ، وطلبهم سبحانه آخر هذه البراهين بالبرهان على الشرك ، وكانوا ربما قالوا : سنأتى به ، أمر أن يطلبوا أنه لا برهان لهم عليه ، بل البرهان قائم على خلافه ، فقال : (قل) أي لهم أو الكل من يدعى دعواهم : (لا يعلم) أحد ، ولكنه عبر بأداة العقلاء فقال : (من) لئلا يخصها متعنت بما لا يعقل ، وعبر بالظرف تنبيهاً على أن المظروف محبوب ، وكل ظرف حاجب لمظروفه عن علم ما وراءه . فقال : (في السموات و الأرض الغيب) أي الكامل في الغيبة ، وهو الذي لم يخرج إلى عالم الشهادة أصلاً ، ولا دلت عليه أمانة ، ليقدر على شيء مما تقدم في هذه الآيات ' من الأمور فيعلمه ' .

ولما كان الله تعالى منزهاً عن أن يحويه مكان . جعل الاستثناء هنا ١٥ منقطعا ، ومن حق المنقطع النصب [كما قرأ به ابن أبي عمير شاذاً -] ، لكنه رفع [بإجماع العشرة -] بدلا على لغة [نبي -] تميم ، فقيل :

(١-١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لمن (م) في ظ : عادة (م) زيد في الأصل : الغيب و ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (هـ-هـ) وقع في الأصل قبل الالف هـ ص ٢٠٢ س ١١ ، والترتيب من ظ و مد (هـ) زيد من ظ و مد .

(الاء الله) أى المختص بصفات الكمال كما قيل 'فى الشعر':

و بلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

بمعنى: إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس، بنا للقول بخلوها من الأنيس،

فيكون معنى الآية: إن [كان -^١] الله جل و علا من فى السماوات و الأرض

٥ فهم من يعلم الغيب، يعنى أن علم أحدهم^٢ الغيب فى استحاله كاستحاله أن

يكون الله^٣ منهم، و يصح كونه متصلا، و الظرفية^٤ فى [حقه -^٢] سبحانه

بجاز بالنسبة إلى علمه و إن كان فيه جمع بين الحقيقة و المجاز، و على هذا

فيرتفع على البدل أو الصفة، و الرفع أفصح من النصب، لأنه من منى،

و قد عرف بهذا سر كونه لم يقل، لا يعلم أحد الغيب إلا هو، و هو التنيه

١٠ على المظروفية و الحاجة، و أن الظرف حجاب، لا يرتاب فيه مراتب، و جعل

'ابن مالك^١ متعلق الظرف خاصا^٢ تقديره: يذكر، و جعل غيره / "من"

/٧٩٦

مفعولا و الغيب بدل اشتمال، و الاستثناء مفرغا، فالتقدير: لا يعلم غيب

المذكورين^٣ - أى ما غاب عنهم - كلهم غيره .

و لما كان الخبر - الذى لم يطلع عليه أحد من الناس - قد يخبر به

١٥ الكهان، أو أحد من الجن، من أجواف الأوثان، و كانوا يسمون هذا غيا

و إن كان فى الحقيقة ليس به لساعهم له من السماء بعد ما أبرزه الله إلى عالم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ

و مد، و فى الأصل: احد منهم (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: بالظرفية .

(٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: إن تلك (٧) فى ظ: خاصة (٨) من ظ

و مد، و فى الأصل: لتقدير (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: للذكورين .

الشهادة لللائكة ومن يريد من عباده، وكانوا ربما تمتوا به عن العبادة، وكانت الساعة قد ثبت أمرها، وشاع في القرآن وعلى لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأصحابهم رضي الله تعالى عنهم ذكرها، بحيث صارت بمنزلة ما لا نزاع فيه، وكان علم وقتها من الغيب المحض، قال: ﴿وما يشعرون﴾ أى 'أحد ممن' فى السموات والأرض وإن اجتمعوا هـ وتعاونوا ﴿إيان﴾ [أى - °] أى وقت ﴿يعثون هـ﴾ فمن أعلم بشئ من ذلك على الحقيقة بان صدقه، ومن تخرص ظهر كذبه .

ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم [قد - °] بعث والكفر قد عم الأرض، وكانوا قد أكثروا فى التكذيب بالساعة والقطع بالإنكار [لها - °] 'بعضهم صريحا، وبعضهم لزوما، لضلاله عن 'منهاج الرسل' ١٠ 'وكان الذى ينبغى للعالم الحكيم أن لا يقطع بالشئ إلا بعد إحاطة علمه به، قال متهمًا بهم كما تقول لأجل الناس: ما أعلمك استهزاء به' مستدركا لنى شعورهم بها يانا لكذبهم 'باضطراب قولهم: ﴿بل ادرك﴾ أى بلغ وتناهى ﴿علمهم فى الآخرة﴾ أى أمرها مطلقا: علم" وقتها ومقدار عظمتها فى هو لها وغير ذلك من نعتها لقطعهم بانكارها وتمازوم ١٥

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: على (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: فقال .
 (٤-٤) من ظ ومد، وفى الأصل: من (٥) زيد من ظ ومد (٦) فى ظ: إن .
 (٧) زيد فى الأصل: كما يقول، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٨) زيد فى الأصل هنا: لأجل الناس ما أعلمك استهزاء به، والعبارة متكررة لحذفها .
 (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (١٠) فى ظ: لكذبه (١١) من ظ ومد، وفى الأصل: اعلم .

عليه ، و تنويع العبارات فيه ، و تفريع القول في أمره - هذا في قراءة ابن كثير و أبي عمرو ، و كذا في قراءة الباقيين : ادرك بمعنى تدارك يعني تابع و استحكم .

و لما كانوا مع تصریحهم بالقطع في إنكارها كاذبين في قطعهم ،
 ٥ مرتبكين في جهلهم ، و قد يعبرون - دليلا على أنه لاعلم من ذلك
 عندهم - بالشك ، قال تعالى : ﴿ بل هم في شك ﴾ و لما كانت لشدة
 ظهورها لقوة أدلتها كأنها موجودة ، عبر بمن ، أى مبتدئ ﴿ منهاف ﴾
 و لما [إ] كانوا يحزمون بنفيها تارة و يرددون أخرى ، و - [٢] كانت
 حقيقة حال من ينكر الشيء تارة على سبيل القطع و أخرى وجه
 الشك الوصف بالجهل البالغ به قال : ﴿ بل هم ﴾ [و لما كان
 ١٠ الإنسان مطبوعا على نقائص موجبة لطغيانه ، و مبالغته في العلو في جميع
 شأنه ، و لا يوهن تلك النقائص منه إلا الخوف من عرضه على ديانته ،
 الموجب لجهله . و تماديه على قبيح فعله ، فقال مقدا للجار - [٥] :
 ﴿ منها عمون ﴾ أى ابتداء عمائم البالغ [الثابت - ٥] من اضطرابهم في
 أمرها ، فضلوا فأعمام ضلالهم عن جميع ما يفعلهم ، فصاروا لا ينتفعون
 ١٥ بعقولهم ، بل انعكس نفعها ضرا ، و خيرها [شرا - ٥] . و نسب ما ذكر
 لجميع من في السماوات و الأرض ، لأن فعل البعض قد يستند إلى الكل
 لغرض ، و هو هنا التنبيه على عظمة هذا الأمر . و تهاى وصفه ، و أنه

(١) راجع نثر المرجان ١٢٧/٥ (٢) في ظ : مرتبكين (٣) زيد من ظ (٤) سقط
 من ظ (٥) زيدا بين الرقيين من ظ و مد .

يجب على الكل الاعتناء به، والوقوف على حقه، والتناهي عن باطله،
 [أو لشك البعض وسكوت الباقي لقصد تهويله، أو أن إدراك العلم من
 حيث التهويل بقيام الأدلة التي هي أوضح من الشمس، فهم بها في قوة
 من أدرك عليه بالشيء، وهو معرض عنه، فقد فوت على نفسه من الخير
 ما لا يدري كنهه، ثم نزل درجة أخرى بالشك تم أهلكتها بالكلية، ه
 و أنزلها العمى عن رتبة البهائم التي لا هم لها إلا لذة البطن والفرج، وهذا
 كمن يسمع باختلاف المذاهب وتضليل بعضهم لبعض فيضلل بعضهم
 من غير نظر في قوله فيصير غابطا خبط عشواء، ويكون أمره على
 خصمه هنا - ٢]، أو ٢ الشك لأجل أن أعمالهم أعمال الشاك، أو أنهم
 لمدم علم الوقت بعينه كأنهم في شك بل عمى، ولأن العقول والعلوم ١٠
 / لا تستقل بادراك شيء من أمرها، وإنما يؤخذ ذلك عن الله
 بواسطة رسله من الملك والبشر، ومن أخذ شيئا من علمها عن غيرهم
 [ضل - ٢] .

٧٩٧ /

ولما كان التقدير لحكاية كلامهم الذي يشعر ببلوغ العلم، فقالوا
 مقسمين جهد أيمانهم : لا تأتينا الساعة، عطف عليه ما يدل على الشك ١٥
 والعمى، و كان الأصل : و قالوا، ولكنه قال : (وقال الذين كفروا)
 [أي ستروا دلائل التوحيد والآخرة التي هي أكثر من أن تحصى
 وأوضح من الضياء - ٢]، تعليقا للحكم بالوصف، مستفهمين استفهام
 المستبعد المنكر : (إذا كنا ترابا و أباؤنا) و كرروا الاستفهام

- (١) في ظ و مد : على (٦) زيد ما بين الرقين من ظ و مد (٣) في ظ « و » .
 (٤) من ظ و مد، وفي الأصل « و » (٥) - فقط من ظ .

إشارة إلى تامة الاستبعاد والجحود، وبعد ما استبعدوه^١ محالا، فقالوا^٢:
 (اتنا) أى نحن وآباؤنا الذين طال المهديهم، وتمكن^٣ البلى فيهم
 (لمخرجونة) أى من الحالة التي صرنا إليها من الموت والبلى إلى
 ما كنا عليه قبل ذلك من^٤ الحياة والقوة، ثم أكملوا الدليل في زعمهم
 على ذلك فقالوا تعليلا^٥ لاستبعادهم: (لقد وعدنا).

ولما كانت العناية في هذه السورة بالإيقان بالآخرة، قدم قوله:-
 (هذا) أى الإخراج من القبور كما كنا^٦ أول مرة - على قوله:
 (نحن و'آباؤنا) بخلاف ما سبق في سورة المؤمنون^٧، وقالوا:
 (من قبل لا) زيادة في الاستبعاد، أى أنه قد مرت الدهور على هذا
 الوعد، ولم يقع منه شيء، فذلك^٨ دليل على أنه لا حقيقة له فكأنه
 قيل: فما المراد به؟ فقالوا: (ان) أى ما (هذا الآساطير الاولين)^٩
 أى ما^{١٠} سطره كذبا لآمر لا نعرف مرادهم منه. ولا حقيقة لمعناه،
 فقد [حط-^{١١}] كلامهم هذا كما ترى على أنهم^{١٢} [تارة-^{١٣}] في غاية
 الإنكار دأب المحيط العلم، وتارة يستبعدون دأب الشاك، المركب
 الجهل، الجدير بالتهكم^{١٤} كما مضى أنه معنى الإضرابات - والله الموفق .

(١) في ظ و مد : استبعدا (٢) زيد في الأصل : تعليقا لاستبعادهم ، ولم تكن
 الزيادة في ظ و مد لمخداها (٣-٣) -قط ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : تعليقا (٥) في ظ : كان (٦) آية ٨٣ (٧) زيد في الأصل :
 لان ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لمخداها (٨) من ظ . وفي الأصل : بما ،
 وفي مد مطموس (٩) زيد من ظ و مد (١٠) في ظ : انه (١١) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : بالهتك .

و لما لم يبق بعد هذا الذى أقامه من دلائل القدرة على كل شيء
عموما، وعلى البعث خصوصا، مقال^١، يرد^٢ عن النبی^٣ إلا التهديد بالنكال،
"و كان" كلامهم هذا موجبا للنبي صلى الله عليه وسلم من الغم والكرب
ما لا يعلمه إلا الله تعالى، قال سبحانه ملقنا له و مرشدا لهم في صورة
التهديد: ﴿ قل سيروا في الارض ﴾ أى أيها المعاندون أو^٤ العمى الجاهلون . ه
و لما كان المراد الاسترشاد للاعتقاد، و الرجوع عن النفي و العناد،
لكون السياق له، لا مجرد^٥ التهديد، قال: ﴿ فانظروا ﴾ بالقاء المقتضية
للاسراع، و عظم الأمور بنظره بجملة أهلا للناية به، و السؤال عنه، فقال:
﴿ كيف كان ﴾ أى كونا [هو - ٦] في غاية المكتنة ﴿ عاقبة المجرمين ه ﴾
أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل من الصلاة التى هى الوصلة^٦ بين
الله و بين عباده، و الزكاة التى هى وصلة بين بعض العباد و بعض،
لتكذيبهم الرسل الذين هم الهداة إلى ما [لا - ٧] تستقل به العقول،
فكذبوا بالآخرة التى^٧ يفتح التصديق بها كل هدى، و يورث التكذيب
بها كل عمى - كما تقدمت الإشارة إليه في افتتاح السورة، فانكم إن نظرتهم
ديارهم . و تأملت أخبارهم، حق التأمل، أمرع بكم ذلك إلى التصديق^٨
فجوتهم و إلا هلكتم^٩، فلم تضروا إلا أنفسكم، و قد تقدم لهذا مزيد بيان

(١) في ظ : مقالا (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل : على النفي (٣-٣) من ظ
و مد، و في الأصل : فكان (٤) من ظ و مد، و في الأصل : اى (٥) من
ظ و مد، و في الأصل : لمجرد (٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ : الموصلة .
(٨) زيد في الأصل : هى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٩) من ظ
و مد، و في الأصل : هلكتم .

في النحل . .

و لما دهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأسف على جلائقهم في
عمامهم عن السيل، الذي هدى إليه الدليل، ما لا يعلمه إلا الله قال :
(ولا تحزن عليهم) أى فى عدم إيمانهم .

و لما كانوا^١ لا يقتصرون على التكذيب، بل يبعثون / للمؤمنين الغوائل،
و ينصبون الحبال، قال : (ولا تكن) مثبتا للنون لانه فى سياق الإخبار
عن عنادهم و استهزائهم مع كفايته سبحانه تعالى لمكرم بما أعد لهم من
سوء العذاب فى الدارين . فلا مقتضى للتناهى فى الإيجاز و الإبلاغ فى نفي
الضيق، [فإنهم] إثبات النون الرسوخ . فلا يكون منها عما لا ينفك عنه العسر
١٠ مما أشار إليه قوله تعالى ” ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون “
و إنما ينهى عن التماهى معه فى الذكر - [٣] بخلاف ما مضى فى النحل،
فإن السياق هناك^٢ للعدل فى العقوبة بما وقع من المصيبة^٥ فى غزوة أحد
المقتضى لتعظيم التسلية بالحمل على الصبر . و نفي [جميع - ٢] الضيق ليكون
ذلك وازعا عن مجاوزة الحد، بل حاملا على العفو^٦ (فى ضيق) أى
١٥ فى الصدر (مما يذكرون) فان الله جاعل تدميرهم فى تدميرهم كطفاة
قوم صالح .

(١) من مد، و فى الأصل : على ، و فى ظ : من (٢) فى ظ : كان (٣) زيد
من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هنا (٥) من ظ و مد ،
و فى الأصل : المصيبة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العقول .

ولما أشار إلى أنهم لم ييقوا في المبالغة في التكذيب بالساعة وجهها،
 أشار إلى أنهم بالوعد بالساعة وغيرها من عذاب الله أشد مبالغة، فقال:
 (ويقولون) بالمضارع المؤذن بالتجديد^١ كل حين للاستمرار:
 (مق' هذا الوعد) وسموه وعدا إظهارا للمحبة^٢ تهكما به، وهو العذاب
 والبعث والمجازاة (ان كنتم) أى أنت ومن تابعك، كوننا هو فى ٥
 غاية الرسوخ، كما تزعمون (صدقين) فأجابهم على هذا الجواب النص
 بجواب الواسع القادر الذى لا يمتريه ضيق، ولا تنوبه عجلة، مشيرا
 إلى الاستعداد للدفاع أو الاستسلام^٣ لذى الجلال والإكرام، كما
 فعلت بلقيس رضى الله عنها، فقال غاظبا الرأس الذى لا يقدر على هذه
 التوذه حق القدرة غيره: (قل) يا محمد (عسى) أى يمكن (ان يكون) ١٠
 و' جدير وخلق' بأن يكون (ردف) أى تبع ردفا حتى صار
 كالرديف ولحق.

ولما قصر الفعل وضمنه معنى ما يتعدى باللام لأجل الاختصاص
 قال: (لكم) أى لأجلكم خاصة (بعض الذى تستعجلون) إتيانه
 من الوعيد، فتطلبون تعجيله قبل الوقت الذى ضربه الله له، فعلى تقدير ١٥
 وقوعه ما إذا أعدتم لدفاعه؟ فان العاقل من ينظر فى عواقب أموره،
 وبيئها على أسوأ التقادير، فيعد لما يتوهمه من البلاء ما يكون فيه

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: للتجدد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: لمحبه (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: للاستيلاء - كذا (٤-٥) فى ظ و مد: خليق و جدير.

الخلاص كما فعلت بلقيس رضى الله عنها من^١ الانقياد الموجب للامان^٢
لما غلب على ظنها أن الإياه يوجب الهوان، لا كما فعل قوم صالح بمن
الآبار، التي^٣ أعانت على الدمار، وغيرهم من الفراعنة.

ولما كان التقدير قطعاً: فان ربك لا يجعل على أهل المعاصي

٥ بالاتقام مع القطع بتمام قدرته، عطف عليه قوله^٤: ﴿ وان ربك ﴾

أى المحسن إليك بالحلم عن^٥ أمتك وترك المعاجلة لهم بالعذاب على المعاصي

﴿ لندو فضل ﴾ أى تفضل^٦ وإنعام ﴿ على الناس ﴾ أى كافة:

﴿ ولكن اكثرهم لا يشكرون ﴾ أى لا يوقعون الشكر له بما أنعم

[عليهم، ويزيدون فى الجهل بالاستعجال - ٧] .

١٠ ولما كان الإمهال قد يكون من الجهل بذنوب الأعداء، قال نافيا

لذلك: ﴿ وان ربك ﴾^٨ أى والحال أنه أشار بصفة الربوبية إلى

إمهالهم إحسانا إليه و تشريفا له^٩ ﴿ ليعلم ﴾ أى علما لا يشبه علمكم بل

هو فى غاية الكشف لديه دقيقه و جليله ﴿ ما تكن ﴾ أى تضر

وتستر وتخفى ﴿ صدورهم ﴾ أى الناس كلهم فضلا عن قومك

١٥ ﴿ وما يعلنون ﴾ أى يظهرون من 'عداوتك فلا تخشهم'، وذكر

هذا القسم لأن التصريح أقر للنفس والمقام للطائب، على أنه ربما

(١) زيد فى ظ : ان (٢) فى ظ : للإيمان (٣) فى ظ : الذى (٤) سقط من ظ .

(٥) فى ظ و مد : على (٦) فى ظ : تفضيل (٧) زيد من ظ و مد .

(٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٩-٩) فى الأصل بياض، ملأناه من

ظ و مد .

كان في الإعلان لفظ واختلاط أصوات يكون سببا للخفاء .

٧٩٩ /

ولما كان ثبات علم الناس في الغالب / مقيدا بالكتاب، قال تقريبا
 لفهامهم : (وما من غائبة) [أى من هتة من الهتات -^١] في غاية
 الغيبوبة (في السماء و الارض) أى في أى موضع كان منها^٢ ، وأفردهما
 دلالة على إرادة الجنس الشامل لكل فرد (الا في كتب) كنهه .
 قبل إيجادها لانه لا يكون شيء إلا بعلمه و تقديره (مبين) لا يخفى
 شيء فيه على من تعرف ذلك منه كيفما كان ؛ ثم دل على ذلك
 بقوله : (ان هذا القران) أى الآتى به هذا النبي الامى الذى لم يعرف
 قبله علما ولا خاط عالما (يقص) أى يتابع الاخبار و يتلو شيئا فشيئا
 على سبيل القطع الذى لا تردد فيه ، من غير زيادة ولا نقص ١٠
 (على بنى اسرائيل) أى الذين اخبارهم مضبوطة في كتبهم لا يعرف
 بعضها إلا قليل من حذاق اخبارهم (اكثر الذى هم) أى خاصة لكونه
 من خاص اخبارهم التى لا علم لغيرهم بها (فيه يختلفون) أى من أمر
 الدين وإن بالغوا في كتمه ، كقصة الزانى المحصن في إخفاتهم أن حده
 الرجم ، وقصة عزيز و المسيح ، وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك^٢ ١٥
 من توراتهم^٣ ، فصح بتحقيقه على لسان من لم [يعلم -^١] يعلم قط أنه
 من عند الله ، وصح أن الله تعالى يعلم كل شيء إذ لا خصوصية لهذا دون
 غيره بالنسبة إلى علمه سبحانه .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : منها (٣) سقط من
 ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : توراتهم .

ولما بان بهذا 'دليل' عليه، أتبعه 'دليل' فضله و حله، فقال :
 (وانه) أى القرآن (لهدى) أى موصل إلى المقصود لمن وفق
 (ورحمة) أى نعمة وإكرام (للمؤمنين) أى الذين طبعتهم على الإيمان،
 فهو صفة لهم رابحة كما أنه^٢ للكافرين وقر في أذانهم وعى في قلوبهم .
 • ولما ذكر دليل فضله، أتبعه دليل عدله، فقال مستأنفا لجواب من
 ظن أن فضله دائم العموم على الفريقين : (ان) وقال : (ربك)
 أى المحسن إليك بجمعه لك بين العلم والبلاغة والدين والبراعة والدنيا
 والعفة والشجاعة تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم (يقضى بينهم) أى
 بين جميع المختلفين (بحكمته) أى الذى هو أعدل حكم وأتقن^٣ وأفقه^٤
 ١٠ وأحسنه مع كفرهم به^٥ واستهزائهم برسله، لا بحكم غيره ولا بنائب يستنيه
 (وهو) أى و الحال أنه هو (العزيز) فلا يرد له أمر (العليم)^٦
 فلا يخفى عليه سر ولا جهر، فلما ثبت له العلم والحكمة، والعظمة والقدرة،
 تسبب عن ذلك قوله : (فتوكل على الله)^٧ أى الذى له جميع العظمة
 بما ثبت من عله وقدرته التى^٨ أثبت بها أنك أعظم عباده الذين اصطنق
 ١٥ فى استهزاء الأعداء وغيره من مصادمتهم ومسالتهم لتدع الأمور كلها
 إليه^٩، وتستريح من تحمل المشاق، وثوقاً بصره، وما أحسن قول
 قيس بن الخطيم^{١٠} وهو جاهلى :

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ : ان (٣) من ظ ومد، وفى
 الأصل : إيقته (٤) زيد بعده فى ظ : واشهدهم (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ :
 اليها (٧) راجع لمصادر ترجمته الأعلام ٦/٥٥ .

مضى ما^١ تقد بالباطل الحق يأبه و أن تقد الأطوار بالحق تنقد .
ثم علل ذلك حثا على التحرى فى الأعمال ، و فلما لاهل الإبطال ،
عن تمنى المحال ، فقال : (انك على الحق المبين *) أى البين فى نفسه
الموضع لغيره ، فحقك لا يطل و وضوحه^٢ لا ينفى ، و نكوصهم ليس عن
خلل فى دعائك لهم ، و إنما الخلل فى مداركهم ، فثق باقته فى تدبيره
أمرك فيهم ؛ ثم علل هذا الذى أرشد السياق إلى تقديره ، أو^٣ استأنف
لمن يسأل متعجبا عن وقوفهم عن الحق الواضح بقوله : (انك لا تسمع الموتى)
أى لا توجد سمعا للذين هم كالموتى فى عدم الانتفاع بمشاعرهم التى هى
فى غاية الصحة ، و هم إذا سمعوا الآيات أعرضوا عنها .

ولما كان تشبههم بالموتى مؤبسا ، قال مرجيا : ١٠
(ولا تسمع / الصم الدعاء) أى لا تجدد ذلك لهم ، فشبهم بما فى أصل
٨٠٠ / خلقهم بما^٤ جبلوا عليه [من - °] الشكاسة و سوء الطبع بالصم .
ولما كانوا قد ضموا إلى ذلك الإعراض و النفرة فصاروا كالاصم
المدبر ، و كان الأصم إذا أقبل ربما سمع بمساعدة بصره و فهمه ، قال :
(إذا ولوا مدبرين *) فرجاه فى إيجاد الإسماع إذا حصلت لهم^٥ حالة ١٥
من الله تقبل^٦ بقلوبهم .

ولما شبهم بالصم فى كونهم لا يسمعون إلا مع الإقبال ، مثلهم

- (١) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : وضوحك .
(٣) فى ظ و « (٤) فى ظ : بما (٥) زيد من ظ ومد (٦) فى ظ : كان .
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : يقلب .

بالعمى في أنهم لا يهتدون في غير عوج أصلا إلا براع لا تشغله عنهم
 قرة نولا ملال^٢، قال: (وما أنت بهدى) أى بموجد الهداية على
 الدوام في قلوب (العمى) [أى في أبصارهم وجوارهم مزبلا لهم وناقلا
 ومبعدا -^٣] (عن ضلتهم^٤) عن الطريق بحيث تحفظهم عن أن
 يزالوا عنها أصلا، فإن هذا لا يقدر عليه إلا الحى القيوم، والسياق كما ترى
 يشعر بتنزيل كفرهم في ثلاث رتب: عليا ككفر أبى جهل، ووسطى
 كعنة بن وبيعة، ودنيا كآبى طالب وبعض المناقنين، وسيأتى في
 سورة الروم لهذا مزيد^٥ يان.

ولما كان هذا ربما أوقف^٦ عن دعائهم، رجاء في انقيادهم وارعوائهم
 ١٠ بقوله: (ان) أى ما (تسمع) أى سماع انتفاع على وجه الكمال^٧،
 في كل حال (الامن يؤمن) أى من علنا أنه يصدق (بأيتنا)^٨
 بأن جعلنا فيه قابلية السمع . ثم سبب عنه قوله دليلا على إيمانه^٩ :
 (فهم مسلمون^{١٠}) أى في غاية الطواعية لك في المنشط والمكره، لاخيرة
 لهم ولا إرادة في شيء من الأشياء .

١٥ ولما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته^{١١} صلى الله عليه وسلم في أمرهم
 وختم بالإسلام، عطف عليه ذكر^{١٢} ما يوعدون بما تقدم استعجالهم له استهزاء

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : ملالة (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : زيادة .
 (٥) من ظ و مسد ، وفى الأصل : وقف (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 كمال (٧) زيد فى ظ : اى (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ايمانهم (٩) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : بتسليته نبيه (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : قوله وذكره .

بها، وبدأ منه بالدابة التي تميز المسلم من غيره^١، قال محققا بأداة
التحقيق: (وإذا وقع القول) أي حان حين وقوع الوعيد الذي هو
معنى القول، وكأنه لعظمه لا قول غيره (عليهم) بعضه بالإتيان
حقيقة وبعضه بالقرب جدا (أخرجنا) [أي -^٢] بما لنا من العظمة
(لهم) من أشرط الساعة (دابة) وأي دابة في هولها وعظمتها هـ
خلقا وخلقها (من الأرض) أي أرض مكة التي هي أم الأرض،
لأنه لم يبق بعد إرسال أكل الخلق بأعلى الكتب إلا كشف الغطاء .
ولما كان التعبير بالدابة يفهم أنها كالحيوانات العجم لا كلام لها
قال: (تكلمهم لا) أي بكلام يفهمونه، روى البغوي^٣ من طريق مسلم
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها،
وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما^٤ كانت قبل صاحبها فالأخرى
على أثرها قريبا . ومن طريق ابن خزيمة عن أبي شريحة الغفاري رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يكون للدابة ثلاث خرجات^٥
من الدهر، فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية، ولا يدخل ١٥
ذكرها القرية - يعني مكة، ثم تكمن^٦ زمانا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى
[قريبا -^٨] من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية^٩، ثم يئنا
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الكافر (٣) زيد من ظ
ومد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٣٠ / ٥ (٥) زيد في المعالم: ما .
(٦) في ظ: خروجات (٧) في المعالم: تمكث (٨) زيد من ظ ومد والمعالم .
(٩) يعني مكة - كما زيد في المعالم .

الناس يوما في أعظم المساجد على الله عز وجل حرمة وأكرمها على الله عز وجل - يعنى المسجد الحرام^١، لم يرعهم إلا وهى فى ناحية المسجد تدنو وتدنو - كذا قال عمرو - يعنى ابن محمد العبرى أحد رواة الحديث - ما بين الركن الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط ذلك، فارض الناس / عنها وثبت^٢ لها عصاة عرفوا أنهم لن^٣ يعجزوا الله • / ٨٠١

فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب، فمرت بهم فجلت^٤ عن وجوههم حتى تركتها^٥ كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت^٦ فى الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها^٧ هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتموذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان! الآن تصلى، فيقبل عليها بوجهه ١٠ قسمه فى وجهه، فيتجاوز الناس فى ديارهم، ويصطحبون فى أسفارهم، ويشتركون فى الأموال، يعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن: يا مؤمن، ويقال للكافر: يا كافر؛ ومن طريق^٨ الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تخرج الدابة ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليها السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان^٩

(١) زبدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد والمعلم فخذناها (٢) فى العالم: تثبت (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: لم (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: فحمت (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: تركها (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: ولدت (٧) فى العالم: لا يفوتها (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: طرق (٩) من العالم، وفى الأصول: الجوار .

ليجتمعون^١ فيقول هذا: يا مؤمن، وهذا: يا كافر .
ثم علل سبحانه إخراجها بقوله: ﴿ ان الناس ﴾ أى بما^٢ هم
ناس لم يصلوا إلى أول أسنان الإيمان، وهو سن "الذين آمنوا" بل
هم^٣ فائسون مترددون مذذبون تارة، وتارة ﴿ كانوا ﴾ أى [كونا-^٤]
هو لهم^٥ كالجبله ﴿بايتنا﴾ أى المراتب التى كتبناها بعظمتنا فى ذوات ه
العالم، والمسموعات المتلوات، التى أتيناها بها على السنة^٦ أكمل [المخلق-^٧]:
الانبياء والرسل، حتى ختمناهم بامامهم الذى هو أكمل العالمين، قطعنا
لحجاجهم، وردنا عن لحاجهم، ولذا عممنا برسالة وأوجبنا على جميع
العقل اتباعه ﴿ لا يوقنون ﴾ من اليقين، وهو إتقان^٨ العلم بنى الشبه،
بل هم فيها مززلون، فلم يبق بعده صلى الله عليه وسلم إلا كشف الغطاء^٩
عما ليس من جنس البشر بما^{١٠} لا تثبت له عقولهم .

ولما كان من فعل الدابة التمييز بين المؤمن والكافر بما لا يستطيعون
دفعه، تلاه بتمييز كل فريق منهما عن صاحبه بجمعهم يوم القيامة فى
ناحية، وسوقهم من غير اختلاط بالفريق الآخر، فقال عاطفا على
[العامل فى -^١] "وإذا وقع القول": ﴿ ويوم نحشر ﴾ أى نجمع - بما^{١٥}
لنا من العظمة - على وجه الإكراه: قال أبو حيان^{١٦}: الحشر: الجمع

- (١) من ظ و مد و العالم، وفى الأصل: ليجمعون (٢) من ظ و مد،
وفى الأصل: فما (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) ورد فى الأصل
بعد «كالجبله»، والترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لسان.
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: اتباع (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: بما.
(٩) فى ظ و مد: على ما (١٠) راجع البحر المحيط ٩٨/٧ .

على عفو. ﴿من كل امة فوجا﴾ أى جماعة كثيرة ﴿من يكذب﴾ أى [يوقع التكذيب للهداة-١] على الاستمرار، [مستهينا-١] [بأيتنا] أى المرتبة بعدم الاعتبار بها، والمسموعة بردها والظن فيها على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ وأشار إلى كثرتهم بقوله [متسبيا
 ه عن العامل فى الظرف من نحو: يكونون فى ذل عظيم-١]:
 ﴿فهم يوزعون﴾ أى يكف بأذى إشارة [منه-١] أولهم على - آخرهم، وأطرافهم على أوساطهم، ليتلاحقوا، ولا يشذ منهم أحد، ولا يزالون كذلك ﴿حتى إذا جاءو﴾ أى المكان الذى أراد الله لتبكيتهم ﴿قال﴾ لهم ملك الملوك غير مظهر لهم الجزم بما يعلمه من أحوالهم،
 ١٠ فى عنادهم وصلاحهم، بل سائلا لهم إظهارا للعدل بالزامهم بما يقرون به من أنفسهم، وفيه إنكار وتوبيخ وتبكيه وتقريع: ﴿اكذبتم﴾ أى [أيها-١] الجاهلون ﴿بأيتى﴾ على ما لها من العظم فى أنفسها، وبأيتانها إليكم على أيدى أشرف عبادى ﴿والحال أنكم﴾ لم تحيطوا بها علما ﴿أى من غير فكر ولا نظر يؤدى إلى الإحاطة بها فى معانيها وما أظهرت
 د لأجله حتى تعلموا ما تستحقه ويليق بها بدليل لامرية فيه ﴿أما ذا كنتم﴾ أى فى تلك الأزمان بما هو لكم كالجبلات ﴿تعملون﴾ فيها هل صدقتم [بها-١] أو كذبتم بعد الإحاطة بعلتها؟ أخبروني عن ذلك كله مادهاكم؟ حيث لم تشتغلوا بهذا العمل المهم؟ فان هذا - وعزى - مقام العدل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: لنا (٣) فى ظ: عليهم.

(٤) من ظ و مد، وفى الأصل: دعاكم.

والتحرير، ولا يترك^١ فيه قطمير ولا تقير، ولا ظم فيه على أحد في جليل ولا حقير، ولا قليل ولا كثير، والسؤال على هذا الوجه منه على الاضطرار / إلى التصديق أو^٢ الاعتراف بالإبطال، لأنهم إن قالوا: كذبنا، فإن قالوا مع عدم الإحاطة كان في غاية الوضوح في الإبطال، وإن قالوا مع الإحاطة كان أكذب الكذب .

وما كان التقدير بما أرشد إليه السياق: فأجابوا بما تبين^٣ به أنهم ظالمون، عطف عليه قوله: (ووقع القول) أى مضمون الوعيد الذى هو العول حقا، مستعليا (عليهم بما ظلموا) أى بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب وما نشأ عنه من الضلال، فى الأقوال والأفعال (فهم لا ينطقون^٤) أى بسبب ما شغلهم من وقوع العذاب المتوعد به مما أحاط بقوام، فهذه أركانهم، وما انكشف لهم من أنه لا ينجيهم شيء .

ولما ذكر الحشر، استدل [عليه -^٥] بحشرهم كل ليلة إلى الميت، والحتم على مشاعرهم، وبعثهم من المنام، وإظهار الظلام الذى هو كالموت بعد النور، وبعث النور بعد إفاته بالظلام، فقال: (الم يروا) ما ١٥ يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما أخبرناهم به (أنا جعلنا) أى بعظمتنا التى لا يصل أحد إلى مماثلة شيء منها

(١) فى ظ: لا يقول (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: هـ وهـ، وزيد بعده فى ظ: الى (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: يبين (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: بما (٥) زيد من ظ ومد .

[الدالة على تفردنا وفعلنا بالاختيار-^١] (الليل) أى مظلمًا
 (ليسكنوا فيه) عن الانتشار (والنهار مبصرًا^٢) أى بإبصار من
 يلبسه، لينتسروا فيه في معاشهم بعد أن كانوا ماتوا الموتة الصغرى،
 وكم [من-^٣] شخص منهم بات سويًا لا قلبه^٤ به فبات، ولو شئنا
 لجعلنا الكل كذلك لم يبق منهم أحد، وعدل عن "ليصروا"
 فيه "تتيها على كمال كونه سيبا للإبصار، وعلى أنه ليس المقصود
 كالسكون، بل [وسيلة المقصود الذى هو جلب المنافع-^٥]، فالآية من
 الاحتباك: ذكر السكون أولاً دليل^٦ على الانتشار [ثانياً-^٦]، وذكر
 الإبصار ثانياً دليل^٧ على الإظلام أولاً؛ ثم عظم هذه الآية حتا على
 ١٠. تأمل ما فيها من القدرة الهادية إلى سواء السبيل فقال: (ان فى ذلك)
 أى الحشر و الفشر الأصفرين مع أبى الليل و النهار (لأبنت) أى
 متعددة، بينة على التوحيد و البعث الآخر و النبوة، لأن [من-^٨]
 قلب الملون^٩ لمنافع الناس [الدنيوية-^٨]،^٨ أرسل الرسل لمنافعهم
 فى الدارين^٩ .

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ (٣) من مد، وفى الأصل و ظ :
 غلبة (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: ان يبصروا (٥) من ظ و مد، وفى
 الأصل: دليلًا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الماوس .
 (٨) زيد فى الأصل: ثم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى
 الأصل: ثم عظم هذه الآية حتا على تأمل ما فيها، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد
 فحذفناها، وقد صرت هذه العبارة على س ٩ .

ولما كان من مباني السورة تخصيص الهداية بالمؤمنين، خصهم بالآيات لاختصاصهم بالاتفاق بها وإن كان الكل مشتركين في كونها دلالة لهم، فقال: (لقوم يؤمنون هـ) أى قضيت بأن إيمانهم لا يزال يتجدد، فهم ' كل يوم في علو وارتفاع' .

ولما ذكر هذا الحشر الخاص، والدليل على مطلق الحشر^٢ والنشر^٢، هـ ذكر الحشر العام، لثلا بظن أنه إنما يحشر الكافر^٢، فقال مشيراً إلى عمومهم بالموت كما عمومهم بالنوم، وعمومهم بالإحياء كما عمومهم بالإيقاظ: (ويوم ينفخ) أى بأيسر أمر (في الصور) أى القرن الذى جعل صوته لإماتة الكل .

ولما كان ما ينشأ عنه من فزعهم مع كونه محققاً مقطوعاً^{١٠} به كأنه وجد ومضى، يكون في آن واحد، أشار إلى ذلك وسرعة كونه بالتعبير بالماضى فقال: (ففرع) أى صعق بسبب هذا النفخ (من في السموات) .

ولما كان الأمر مهولاً، كان الإطناب أولى، فقال:

(ومن في الارض) أى كلهم (الا من شاء الله^{١١}) أى^٢ المحيط^{١٥} علماً و قدرة و عزة و عظمة، أن لا يفرع^٢؛ ثم أشار إلى النفخ لإحياء الكل بقوله: (وكل) أى من فزع و من لم / يفرع (اتوه) أى

٨٠٣/

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: فيهم (٢) في ظ و مد: ارتقاء (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) في ظ: الكافرين (٥) في الأصل: مقطوع، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ و مد إلى «مضى يكون» .

بعد ذلك للحساب بفتحها أخرى يقيمهم بها ، دليلا على تمام القدرة في كونه أقاتهم بما به أقاتهم^١ (داخرين^٥) أى صاغرين منكسرين ؛ واستغنى عن التصريح به بما يعلم بالبدية من أنه لا يمكن إتيانهم في حال فزعهم الذى هو كناية عن بطلان إحساسهم ، هذا معنى ما قاله كثير من المفسرين والذى يناسب سياق الآيات الماضية - من كون الكلام في يوم القيامة الذى هو ظرف لما بين البعث ودخول الفريقين إلى داريهما - أن يكون هذا انفتح بعد البعث وبمجرد^٢ صعق هو كالغشى^٣ كما أن حشر الأفواج كذلك ، ويؤيده التعبير بالفزع ، ويكون الإتيان بعده بفتحها أخرى تكون بها الإفاقة^٤ . فهاتان الفختان حيثنذ هما المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : يصعق الناس يوم القيامة - الحديث^٥ ، وسيأتى الكلام [عليه^٦] إن شاء الله تعالى لفظا ومعنى ، ويحل^٧ ما فيه من إشكال في آخر سورة الزمر .

ولما ذكر دخورهم^٨ ، تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقا ، وأهول أمرا ، فقال [عاطفا على ناصب الظرف بما تقديره : كانت ١٥ أمور محلولة^٦] ، معبرا بالمضارع لأن ذلك وإن شارك الفزع في

(١) في ظ : اتاهم (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : بمجرد (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : كالعيش (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الإقامة . (٥) رواه البخارى في عدة مناسباته - راجع مثلا أول الخصومات من الصحيح (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : حل . (٨) من ظ ومد ، وفي الأصل : دخور .

التحقق قد فارقه في 'الحدوث والتجدد' شيئا فشيئا: (وترى الجبال) أي عند القيام من القبور، والخطاب إما للتي صلى الله عليه وسلم ليدل ذلك - لكونه صلى الله عليه وسلم أفقد الناس بصرًا وأنورهم بصيرة - على عظم الأمر، وإما لكل أحد لأن الكل صاروا بعد قيامهم أهلاً للخطاب بعد غيبتهم في التراب (تحسبها جامدة) أي قائمة ثابتة في مكانها ه لا تتحرك، لأن كل كبير متباعد الأقطار^٢ لا يدرك مشيته^٣ إلا تخرصاً (وهي تمر) أي تسير حتى تكون كالعن المنفوش فيفسفها الله فقع حيث شاء كأنها الهباء المثور، قستوى الأرض كلها بحيث لا يكون فيها عوج، وأشار إلى أن سيرها خفي وإن كان حيثما بقوله: (مر السحاب^٤) أي مرا سريعاً لا يدرك على ما هو عليه لأنه إذا طبق^٥ الجو لا يدرك سيره مع أنه لا شك فيه وإن لم تنكشف الشمس 'بلا لبس'^٦، وكذا كل كبير الجرم أو كثير^٧ العد يقصر عن^٨ الإحاطة به لبعده ما بين أطرافه بكثرتة البصر، يكون سائراً، والناظر الحاذق يظنه واقفاً.

ولما كان ذلك^٩ أمراً هائلاً، أشار إلى عظمتة^{١٠} بقوله، مؤكداً ١٥

(١-١) من ظ، وفي الأصل: والحديث والتجدد، وفي مد: التجدد (٢) زبدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ ومد فحذفناها (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: شبه (٤-٤) من ظ ومد، وفي الأصل: باللبس حيث شاء (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: كبير (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: عند (٧) في ظ: كذلك (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: عظمة.

لمضمون الجملة المقدمة: ﴿صنع الله﴾ أى صنع الذى له الأمر كله ذلك الذى أخبر أنه كان فى ذلك اليوم صنعا، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقب كلام جاء كالشاهد بصحته، والمادى على سداده، والصارخ ببلو مقداره، وأنه ما^١ كان يفغى أن يكون إلا هكذا، ثم زاد فى التعظيم بقوله دالا على تمام الإحكام فى ذلك الصنع: ﴿الذى اتقن كل شئ﴾ .

ولما ثبت هذا على [هذا -^٢] الوجه المتقن^٢، والنظام الآمك، أتج قطعاً قوله: ﴿انه﴾ أى الذى أحكم هذه الأمور كلها ﴿خبير بما يفعلون﴾ أى لأن الإتقان نتيجة القدرة، وهى نتيجة العلم، فمن لم يكن شامل العلم لم يكن تام القدرة، وعبر بالفعل الذى هو أعم ١٠ من أن يكون يعلم أولاً، لأنه فى سياق البيان لتمام، ونق العلم عنهم، وقرئ بالخطاب^٣ المؤذن بالقرب المرجى للرضا، المرهب من الإبعاد المقرون بالسخط، وبالغية المؤذنة بالإعراض الموقع فى الخيبة، وما أبدع ما لأم ذلك ولاحه ما بعده على تقدير الجواب لسؤال من كأنه قال: ما ذا يكون حال أهل الحشر مع الدخور^٤ عند الناقد البصير؟ فقال:

١٥ / ٨٠٤ من إقانه للأشياء أنه رتب / الجزء أحسن ترتيب ﴿من جاء بالحسنة﴾ أى الكاملة وهى الإيمان ﴿فله﴾ وهو من جملة إحكامه للأشياء ﴿خير﴾ أى أفضل ﴿منهاج﴾ مضاعفاً، أقل ما يكون عشرة أضعاف إلى ما لا يعلمه إلا الله، [وأكرمتم وجوههم عن النار -^٥]، وهؤلاء أهل القرب

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل:

المتفق (٤) راجع نثر المرجان ١٤١/٥ (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الدخول.

الذين سبقت لهم الحسنى (وهم من فزع يومئذ) أى إذا وقعت هذه الأحوال، العظيمة الأحوال (أمنون) أى حتى لا يحزنهم الفزع الأكبر، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، وحسن نظمه وترتيبه، واخذ بعضه بحجزة^٢ بعض، كأنما أفزع إفزاعا واحدا، ولامر ما أعجز القوى، وأخرس الشقائق^٣ والادعاء (ومن جاء بالسيئة) أى التي لا سيئة^٥ مثلها، وهى الشرك لقوله: (فكبت) أى بأيسر أمر (وجوههم فى النار) مع أنه ورد فى الصحيح أن مواضع السجود - التى أشرفها الوجوه - لا سبيل للنار عليها، والوجه أشرف ما فى الإنسان، فاذا هان كان ما سواه أولى بالهوان، والمكبوب عليه منكوس .

و لما كانوا قد نكسوا أعمالهم وعكسوها بعبادة غير الله، فوضعوا ١٠
الشيء فى غير موضعه، فعضموا ما حقه التحقير. واستهانوا أمر العلى
الكبير. و كان الوجه محل [ظهور -^٤] الحياة والانكسار، لظهور الحجة،
وكانوا قد حدقوا الأعين جلادة وجفاء عند العناد، وأظهروا فى الوجوه
التجهيم^٥ والعبوس والارتداد، بدع قوله [بناء على ما تقديره بما دل
عليه الاحتباك: وهم من فزع يومئذ خائفون، وإيسر لهم إلا مثل ١٥
سيئتهم -^٤]: (هل) أى مقولا لهم: هل (تجزون) أى بغمس الوجوه^٦

(١-١) فى ظ: إذا (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: بحجر (٣) من ظ ومد، وفى
الأصل: الشقائق - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) من ظ ومد،
وفى الأصل وظ: التجهيم (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ إلا أن مقولا لهم^٦
ورد فيه بعد « مثل سيئتهم » (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

في النار؛ وبنى للفعول لآت المرغب المرهب الجزاء، لا كونه من معين، وإشارة إلى أنه يكون بإيسر أمر، لأن من المعلوم أن المجازي هو الله لا غيره (إلا ما كنتم) أي بما هو لكم كالجملة (تعملونه) أي تكرررون عمله و أنتم تزعمون أنه مبنى على قواعد العلم [بحيث - ٣] .
 ٥ . يشهد كل [من - ٢] رآه أنه مماثل لأعمالكم سواء بسواء، وهو شامل أيضا لأهل القسم الأول، [والآية من الاختباك : ذكر الخيرية والأمن أولاً دليلاً على حذف المثل والخوف ثانياً، والكب في النار ثانياً دليلاً على الإكرام عنه أولاً - ٢] .

ولما أتم أمر الدين بذكر الأصول الثلاثة : المبدأ والمعاد والنبوة،
 ١٠ . ومقدمات القيامة وأحوالها، [وبعض صفتها وما يكون من أحوالها - ٢] ،
 وذلك كإل ما يتعلق بأصول الدين على وجوه مرغبة أتم ترغيب،
 مرهبة أعظم تهيب، أوجب هذا الترغيب والتهيب لكل سامع أن يقول : فما الذي نعمل [و من تبعه - ٢] ؟ فأجابه المخاطب بهذا الوحي .
 المأمور بإبلاغ هذه الجوامع . الداعي لمن سمعه، الهادي لمن اتبعه، بأنه
 ١٥ . يرضى له ما رضى لنفسه، وهو ما أمره به ربه، فقال : (إنما أمرت)
 [أي بأمر من لا يرد له أمر - ٢] ، ولا يبعد أن يكون بدلا من قوله
 " الحمد لله وسلم على عباده الذين اصطفى " فيكون محله نصبا بقل،

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد .
 (٤) من ظ ومد، وفي الأصل : الوحي - كذا (ه) في ظ ومد : تبعه .

[وعظم المأمور به باحلاله محل العمدة فقال - ١] : (ان اعبد)
 أى بجميع ما أمركم به (رب) أى موجد ومدبر وملك ؛ و عين
 المراد و شخصه [و قربه - ١] تشرىفاً و تكرماً بقوله : (هذه البلدة)
 أى مكة التى تخرج الدابة منها فيفزع كل من رآها، ثم تؤمن أهل
 السعادة، أخصه بذلك لا أعبد شيئاً مما عدتموه به سبحانه و ادعيتهم أنهم
 شركاء، وهم^٢ من جملة ما خلق ؛ ثم وصف المعبود الذى ما أمر بعبادة
 أحد غيره بما يقتضيه وصف الربوبية ، و عين البلدة التى أشار إليها
 بأداة القرب لحضورها^٣ فى الأذهان لعظمتها و شدة الإلف بها و إرادتها
 بالأرض^٤ التى تخرج الدابة منها، فصارت لذلك^٥ بحيث إذا أطلقت
 البلدة انصرفت^٦ إليها و عرف أنها مكة، فقال : (الذى حرمها) ١٠
 تذكيراً لهم^٧ بنعمته سبحانه عليهم و تربيته لهم بأن أسكنهم خير بلاده،
 و جعلهم بذلك مهابة فى قلوب عباده، بما أتى فى / القلوب من أنها حرم،
 [لا يسفك بها دم - ١] ، و لا يظلم أحد، و لا يباح بها صيد، و لا يعصد
 شجرها^٨، و خصها بذلك من بين سائر بلاده و الناس يتخطفون من حولهم
 و هم آمنون لا ينالهم شيء من فزعهم و هولهم .

٨٠٥ /

١٥

- (١) زيد من ظ و سد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل : شركاءه .
 (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : لحضورها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل :
 و الأرض (٥) فى ظ : كذلك (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : انصرف .
 (٧) من ظ و مد . و فى الأصل : له (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : شجر .

ولما كانت إضافتها إليه إنما هي لمحض التشريف، قال احتراميا عما
 لعله يتوهم: (وله كل شيء ذ) أى من غيرهما بما أشركتموه به وغيره
 خلقا وملكا وملكا، وليس هو كالمملوك الذين ليس لهم إلا ما حموه
 على غيرهم.

ولما كانوا ربما قالوا: ونحن نعبد بعبادة من رجوه يقربنا إليه
 زلفى، عين الدين الذى تكون به العبادة فقال: (وامرت) أى مع
 الأمر بالعبادة له وحده، [وعظم المفعول المأمور به بجملة عمدة الكلام
 بوضعه موضع الفاعل فقال - ٢]: (ان اكون) أى كونا هو فى غاية
 الرسوخ (من المسلمين) أى المتقدين لجميع ما يأمر به كتابه آتم اقياد،
 ١٠ ثابتا على ذلك غاية الثبات.

ولما بين ٢ ما أمر به فى نفسه، أتبعه ما نعم فائدته غيره فقال:
 (وان اتلو القرآن) أى أوأظب على تلاوته وتلوه - أى إتباعه -
 عبادة لربي، وإبلاغا للناس ما أرسلت به إليهم مما لا يلزم به ريب فى
 أنه من عنده. [ولأكون - ٢] مستحضرا لأوامره فاعمل بها، ولتواهيه
 ١٥ فأجتنبها، ويرجع الناس إليه ويعولوا^٥ فى كل أمر عليه. لأنه جامع
 لكل علم.

ولما تسبب عن ذلك [أن - ٢] من انقاد له نجى نفسه، ومن

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: كان.

(٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لا عمل (٥) فى ظ و مد: يعولون.

استعصى عليه أهلها^١، قال له ربه سبحانه مسلما ومؤميا ومرغبا
 ومرهبا: ﴿ فن اهتدى ﴾ أى باتباع هذا القرآن الداعى إلى الجنان
 ﴿ فانما يهتدى لنفسه ﴾ لأنه يحميها بحوزة الثواب، ونجاته من العقاب،
 ﴿ فانما أنا من المبشرين، أبشره أنه من الناجين - ٢ ﴾ ﴿ ومن ضل ﴾ أى
 عن الطريق التى نهج وبينها من غير ميل ولا عوج ﴿ قتل ﴾ له ه
 كما تقول لغيره^٤: ﴿ انما أنا من المنذرين ه ﴾ أى المخوفين له عواقب
 صنعه، وإنما فسره ورده^٥ فلم أومر به الآن ﴿ وقل ﴾ أى إنذارا لهم
 وترغيبا وترجية وترهيبا: ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾
 أى الذى له العظمة كلها سواء اهتدى الكل وضل الكل، أو انقسموا
 إلى مهتد وضال، لأنه لا يخرج شىء عن مراده .

١٠

ولما كانت نتيجة ذلك القدرة على كل شىء قال: ﴿ سيربكم ﴾
 أى فى الدنيا والآخرة بوعده محقق لا شك فى وقوعه ﴿ آيته ﴾ أى
 الرادة^٦ لكم عما أتم فيه يوم يحل لى هذه البلدة الذى حرمها بما أشار
 إليه جعلى من المنذرين وغير ذلك مما يظهر من وقائعه ويشتهر^٧ من
 أيامه التى صرح^٨ أو لوح بها القرآن، فباتيكم تاويله فترونه عيانا، وهو ١٥
 معنى ﴿ فتعرفونها^٩ ﴾ أى بتذكركم ما أتوعدكم الآن ﴿ به - ٢ ﴾ وأصفه لكم

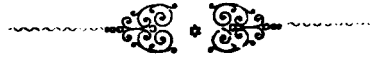
(١) من ظ و مد . وفى الأصل: أهلها (٢) ريد من ظ و مد (٣) زيد فى
 ظ: أى (٤) العبارة من هنا إلى «ترجية وترهيبا» ساقطة من ظ (٥) كذا . وفى
 العبارة نصوص مع بعض الزيادات المحجوة فى مد (٦) فى ظ: الواردة .
 (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل: يسهر^٨ زيد فى الأصل: بها . ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد فخذناها .

منها، لا تشكون في شيء من ذلك أنه على ما وصفته ولا ترتابون،
 فظهر لكم عظمة القرآن، وإبانة آيات الكتاب الذي هو الفرقان، وترون
 ذلك حق اليقين "وتعلنن بانه بعد حين"، "يوم يأتي تأويله يقول
 الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق هذا ما وعد الرحمن
 وصدق المرسلون".

ولما كان قد نفس لهم بالسين في الآجال، وكان التقدير تسليية
 له صلى الله عليه وسلم: وما ربك بباركهم على هذا الحال من العناد
 لأن ربك قادر على ما يريد، عطف عليه قوله: ﴿وما ربك﴾ أي
 المحسن إليك بجميع ما أقامك فيه من هذه الأمور العظيمة والأحوال
 ١٠ [الجليلة - ١] الجسيمة ﴿بغافل عما تعملون﴾ أي من مخالفة أوامره،
 ومفارقة زواجره، ويجوز أن تكون الجملة حالا من فاعل "يرى"
 أي يريكم غير غافل، ومن قرأ بالخطاب^٢ كان المعنى: عما تعمل أنت
 و أتباعك من الطاعة. وهم من المعصية، فيجازى كلا^٣ منكم بما يستحق
 [فيعلى أمرك، ويشد إزرك، ويوهن أيدهم، ويضعف كيدهم، بماله
 ١٥ من الحكمة، والعلم ونفوذ الكلمة. فلا يظن ظان أن تركه للعاجلة بعقابهم
 لغفلة عن شيء من أعمالهم، إنما ذلك لأنه حد لهم حداًم بالغوه لا محالة
 لأنه لا يبدل القول لديه. وقد رجع آخرها كما ترى بإبانة الكتاب
 وتفخيم القرآن وتقسيم الناس فيه إلى مهتد وضال إلى أولها، وعائق
 ختامها ابتداءها بحكمة منزلها، وعلم مجملها ومفصلها - ١]، إلى غير ذلك

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع فتر للمرحان ١٤٥/٥ (٣) في ظ: كل .

١. مما يظهر عند تدبرها وتأملها - والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .
 ٢. نجز الجزء المبارك من مناسبات البقاعى بحمد الله وعونه ويتلوه
 القصص إن شاء الله تعالى - اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتجاوز عن سيئاتنا .



- (١-١) سقط ما بين الرقمين من مد ، وفي ظ : و اليه المآب وهو أعلم بالصواب .
 (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و موضع ما بين الرقمين في مد : تم الجزء
 المبارك من كتاب نظم الدرر في مناسبة الآى والسور على يد أذل عبيد الله
 وأحوجهم إلى عفو عن ذنوبه العبد الفقير سالم السنهورى المالكى غفر الله له
 ولوالديه في يوم الأربعاء المبارك ثالث شهر صفر سنة إحدى وسبعين
 وتسائة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢

و به الإعانة ، و صلى الله على أسعد مخلوقاته و زين عباده

سيدنا محمد و آله و صحبه

سورة القصص

مقصودها التواضع لله^٢ ، المستلزم لرد^١ الأمر كله إليه ،
الناشي^٣ عن الإيمان بالآخرة^٤ ، الناشئ^٥ عن الإيمان^٦ بنبوة محمد^٧ صلى الله
عليه وسلم ،^٨ الثابتة باعجاز^٩ القرآن ، المظهر للخفايا^{١٠} على لسان من لم^{١١} يتعلم
علما قط من أحد من الخلق ، المنتج لعلو المتصف به ، و ذلك هو المأخوذ
من تسميتها بالقصص الذي حكم لأجله^{١٢} "شعيب بلو" الكلم^{١٣} عليها السلام
على من ناواه ، وقمعه لمن عاداه ، فكان المأل^{١٤} وفق ما قال (بسم الله)
الذي اختص بالكبرياء و العظمة ، فألبس خدامه من ملابس هيبته
(الرحمن) الذي عم بنعمة البيان . حتى أهل الكفران (الرحيم) الذي

(١ - ١) سقط ما بين الرقبتين من ظ و مد (٢) الثامنة و العشرون من سور
القرآن الكريم ، مكية ، وهي ثمن و ثمانون آية بالاتفاق - راجع روح المعاني
٣٢٦/٦ (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : لرد (٥) من
ظ و مد ، وفي الأصل : بالآية - كذا (٦ - ٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :
بنييه (٧ - ٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : التابعة باعجاز (٨) في مد : للخفاء .
(٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : شعيبا لعلو (١١) في
ظ و مد : المآ - كذا .

خص بنعمة ما بعد البعث أهل الإيمان .

لما ختم تلك بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فعرف، وأنه ليس
بمقابل عن شيء، تهديدا للظالم، و تثبيتا للعالم، وكان من الأول ما يوحيه
في هذه من الأساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب، فلا يقدر
على رده، ومن الثاني ما صنع بفرعون وآله، قال أول هذه: ﴿ظَسَمَ هـ﴾^٥
مشيرا بالطاء الملية بالطهر و الطيب إلى خلاص بنى إسرائيل بعد طول
ابتلائهم المطهر لهم عظيم، و بالسین الرامزة إلى السمو و السنا و السيادة
إلى أن ذلك يكون بمسوع من^٦ الوحي في ذى طوى من طور سيناء
قديم، و بالميم المهيئة للملك^٧ و النعمة إلى قضاء من الملك الأعلى بذلك
كله تام عميم .

١٠

و لما كانت هذه إشارات عالية، و ما بعدها [لزوم - ^٨] نظوم
لأوضح الدلالات حاوية، قال مشيرا^٩ إلى عظمتها: ﴿تلك﴾ أى الآيات
العالية الشأن ﴿أينت الكتب﴾ أى المنزل على قلبك، الجامع لجميع
المصالح الدنيوية و الآخروية ﴿المبين هـ﴾ أى التفاصيل الكاشف الموضح
المظهر، لأنه من عندنا من غير شك . و لكل ما يحتاج إليه من ذلك^{١٥}
و غيره، عند^{١٠} من يجعله من شأنه و يتلقاه بقبول، و يلقى إليه السمع
و هو شهيد؛ ثم أقام الدليل على إياته . و أنه يقص على بنى إسرائيل
أكثر الذى هم فيه يختلفون، بما أورد هنا فى قصة موسى عليه الصلاة و السلام

(١) زيد فى ظ : انسورة (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل :
بالملك (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى ظ : مشيرة (٦) من ظ و مد، وفى
الأصل : عن .

من الدقائق التي قل من يعلها من حذاقهم، على وجه معلم^١ بما انتقم به من فرعون وآله، ومن لحق بهم كفارون، وأنعم به على موسى عليه الصلاة والسلام وأتباعه، ولذلك بسط فيها من أمور القصة^٢ ما لم يبسط في غيرها فقال: ﴿تتلوا﴾ أي نقص قصا متابعا متواليا بعضه في أثر بعض ﴿عليك﴾ بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام^٣.

ولما كان المراد إنما هو قص ما هو من الأخبار العظيمة يانا للآيات بعلم الجليات والخفيات، والمحاسبة والمجازاة، لا جميع الأخبار، قال: ﴿من بنا موسى وفرعون﴾ أي بعض خبرهما العظيم^٤ متلبسا هذا النبأ^٥ كما كنا ﴿بالحق﴾ أي الذي يطابقه الواقع، فانا ما أخبرنا فيه بمستقبل ١٠ إلا طابقه الكائن عند وقوعه، ونه على أن هذا البيان كما سبق إنما ينفذ أولى الإذعان بقوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي يحددون الإيمان في كل وقت عند كل حادثة ثبات إيمانهم. فلم أن المقصود منها هنا الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي بالاطلاع على المغييات، والتهديد بعلمه المحيط، وقدرته الشاملة، وأنه ما شاء كان ولا مدفع ١٥ لقضائه، ولا ينفذ حذر من قدره، فصح أنها دليل على قوله تعالى آخر / تلك "سيريم آيته فتعرفونها" - [الآية -]، ولذلك لخصت رؤس أخبار القصة. فذكرت فيها أمهات الأمور الخفية، ودقائق أعمال^٦ من ذكر

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: يعلم (٢) سقط من ظ (٣-٣) ما بين الرقين سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد، وفي الأصل: مكتسيا هذا البيان. (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ و مد: الاعمال.

فيها من موسى عليه الصلاة والسلام و أمه و فرعون و غيرهم إلى ما تراه^١ من الحكم التي لا يطلع عليها إلا عالم بالتعلم أو بالوحى ، و معلوم لكل مخاطب بذلك انتفاء الأول عن المنزل عليه هذا الذكر^٢ صلى الله عليه وسلم ، فانحصر الأمر في الثاني ، يوضح لك^٣ هذا المرام مع هذه الآية الأولى التي ذكرتها قوله تعالى في آخر القصة ” و ما كنت بجانب الغربي “ و ما كنت بجانب الطور “ و إتباع القصة بقوله تعالى : ” و لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون “ فالمراد بهذا السياق منها كما ترى غير ما تقدم من سياقاتها^٤ كما مضى ، فلا تكرير في شيء من ذلك - و الله الهادي . و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما تضمن قوله سبحانه ” انما امرت ان اعبد رب هذه الذي حرمها “^٥ - إلى آخر السورة من التخويف و الترهيب و الإنذار و التهديد لما^٦ اجمر معه الإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام سيملك مكة البلدة و يفتحها الله تعالى عليه ، و يذل عتاة قريش و متمرديهم^٧ ، و يعز أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم و من استضعفته قريش من المؤمنين ، أتبع سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من تطهير^٨ ما أشار إليه من قصة بني إسرائيل و ابتداء امتحانهم بفرعون . و استيلائه^٩ عليهم ، و فكك بهم إلى [أن -]^{١٠} ١٥

(١) في ظ : ما لا تراه (٢) في ظ و مد : الكل (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : ذلك (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : سياقها (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : ما (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : متمرديهم (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : نظير (٩) في ظ : استيلائهم (١٠) زيد من ظ و مد .

أعزم الله وأظهرهم على عدوهم، وأرثهم أرضهم وديارهم، ولهذا أشار
 تعالى في كلا القصتين بقوله [في الأولى - ١] "سيريكم آيته فتعرفونها"
 وفي الثانية بقوله "وترى فرعون وهامان وجودهما منهم ما كانوا
 يحذرون" ثم قص ابتداء أمر فرعون وحذره واستخفافه بقتل ذكور
 ٥ الأولاد ثم لم يفن ذلك عنه من قدر الله شيئاً، ففي حاله عبرة لمن وفق
 للاعتبار، ودليل على أنه سبحانه المنفرد بملكه، يؤتي ملكه من يشاء،
 ويؤزعه من يشاء، لا يزعه وأزعه، ولا يمنعه عما يشاء مانع، "قل الله
 مالك الملك" وقد أفصح قوله تعالى "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
 الصالحات ليستخلفنهم في الأرض" - الآية بما أشار إليه مجمل ما أوضحنا
 ١٠ اتصاله من خاتمة النمل و فاتحة القصص، ونحن نزيده بيانا بذكر لمع
 من تفسير ما قصد التحامه فنقول: إن قوله تعالى معلماً لئيه صلى الله عليه
 وسلم وآمر "انما أمرت ان اعبد" إلى قوله "سيريكم آيته" لا خفاء
 بما تضمن ذلك من التهديد، وشديد الوعيد، ثم في قوله "رب هذه
 البلدة" إشارة^١ إلى أنه عليه الصلاة والسلام سيفتحها ويملكها، لأنه
 ١٥ بلد ربه وملكه، وهو عبده ورسوله، وقد اختصه برسالته، وله كل
 شيء، فالعباد والبلاد ملكه، ففي هذا من الإشارة مثل ما في قوله تعالى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: استعصابه (٣) من
 ظ و مد، وفي الأصل: وقف (٤) سقط من ظ و مد (٥) في ظ: نازع .
 (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: هم (٧) في ظ: كما (٨) من ظ و مد،
 وفي الأصل: أشار .

” ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد“ وقوله تعالى ” وان اتلوا القرآن“ أى ليعلموه فيتذكروا ويتذكروا من سبقت له السعادة، ويلتفت سنة الله فى العباد والبلاد، ويسمع ما جرى لمن عاند وعنى وكذب واستكبر، فكيف وقصه [الله - ٢] وأخذة ولم يفتن عنه حذره، وأورث مستضعف عباده أرضه ودياره. ومكن لهم فى الارض ٥ وأعز رسله وأتباعهم ” تلووا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون“ أى يصدقون ويعتبرون ويستدلون، ويستوضحون، وقوله ” سيريكم آيته“ يشير إلى ما حل بهم يوم بدر، وبعد ذلك إلى يوم فتح مكة، وإذعان من لم يكن يظن اقياده، وإهلاك من طال تمرده وعناده، واقتياد العرب بجملتها بعد فتح مكة ودخول الناس فى الدين أفواجا، ١٠ وعزة أقوام وذلة آخرين، / بحاكم ” ان اكرمكم عند الله اتقنكم“ إلى أن فتح الله على الصحابة رضوان الله عليهم ما وعدهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم، فكان كما وعد، فلما تضمنت هذه الآية ما أشير إليه، أعقب بما هو فى قوة أن لو قيل: ليس عتوكم بأعظم من عتو فرعون وآله، ولا حال مستضعف المؤمنين بمكة عن قصدتم فنته فى دينه بدون ١٥ حال بنى إسرائيل حين كان فرعون يمتحنهم بذبح أبنائهم. فهلا تألمتم عاقبة الفريقين، وسلكتم أنهج الطريقين؟ ” أفلم يسيرا فى الارض فينظروا كيف

(١ - ١) فى ظ و مد: فيتذكر (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: وقد قصه.
(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من مد، وفى الأصل و ظ: فيستوضحون.
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الآى (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: فنته.

كان عاقبة الذين من قبلهم" - إلى قوله، "فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون"
 فلو تأملتم ذلك لعلمتم أن العاقبة للتقوي، فقال سبحانه بعد افتتاح
 السورة **أب** فرعون علا في الأرض، ثم ذكر^١ من خبره ما فيه
 عبرة، وذكر سبحانه آياته الباهرة في أمر موسى عليه السلام
 وحفظه ورعايته^٢ وأخذ أم عدوه إياه "عسى ان يفتننا او نتخذة
 ٥ ولدا"، فلم يزل يذبح الأبناء خيفة من مولود يهتك ملكه حتى
 إذا كان ذلك المولود تولى بنفسه تربيته وحفظه وخدمته ليعلم
 لمن التدبير والإمضاء، وكيف تفوذ سابق الحكيم والقضاء، فهلا
 سألت قريش وسمعت وفكرت واعتبرت "او لم تأتهم بيثة ما في الصحف
 ١٠ الاولى" ثم أتبع سبحانه ذلك بخروج موسى عليه السلام من أرضه فخرج
 منها خائفا يترقب، وما ناله عليه السلام في ذلك الخروج من عظيم
 السعادة، وفي ذلك منبهة^٣ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه
 من مكة وتغرية له وإعلام بأنه تعالى سيعيده إلى بلده ويفتحه عليه،
 وبهذا المستشعر من هنا صرح آخر السورة في قوله تعالى "ان الذي
 ١٥ فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" وهذا كاف فيما قصد - انتهى .
 ولما كان كأنه قيل: ما هذا المقصود من هذا البأ؟ قال:
 ﴿ان فرعون﴾ ملك مصر الذي ادعى الإلهية ﴿علا﴾ أى بادعائه
 الإلهية وتجبره على عباد الله وقهره لهم ﴿في الارض﴾ [أى لانا
 جمعنا عليه الجنود فكانوا معه إلبا^٤ واحدا فأفقدنا بذلك كلمته -^٥،

(١-١) في مد: خبره (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: تهنته (٣) في ظ: الها-
 خطأ (٤) زيد من ظ .

وهي [و - '] إن كان المراد بها أرض مصر ففي إطلاقها ما يدل^٢
على تنظيمها وأنها بجميع الأرض في اشتغالها على ما قل أن يشتمل
عليه غيرها .

[ولما كان التقدير بما دل عليه العاطف : فكفر تلك النعمة ،

عطف عليه قوله - '] : (وجعل) [بما جعلنا له من نفوذ الكلمة - ']^٥
(أهلها) أي الأرض المرادة (شيعا) أي فرقا يقبع كل فرقة شيئا
و تنصره ، و الكل تحت قهره و طوع أمره ، قد صاروا معه كالشيع ،

و هو دق الحطب ، فرق بينهم لثلاثا يتأثروا عليه ، فلا يصل إلى ما يريده
منهم ، [فافتقرت كلمتهم فلم يحم بعضهم لبعض فتخاذلوا فسفل أمرهم ،

فآلية من الاحتباك ، ذكر العلو أولا دليلا على السفول ثانيا ، و الاقتراق ١٠
ثانيا دليلا على الاجتماع أولا - '] ، جعلهم كذلك حال كونه (يستضعف)

أي يطلب و يوجد أن يضعف^٢ ، أو هو استئناف (طائفة منهم)
وهم : بنو إسرائيل الذين كانت حياة جميع أهل مصر على يدي واحد
منهم ، و هو يوسف عليه السلام . و فعل معهم من الخير ما لم يفعله

والد مع ولده ، و مع ذلك كافؤه في أولاده و إخوته بأن استعبدوهم ، ١٥
ثم ما كفاهم ذلك حتى ساموم على يدي هذا العبيد^٦ سوء العذاب^٦ فبا
بأبي^٦ الغرباء بينهم قديما و حديثا ، ثم بين سبحانه الاستضعاف بقوله :

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : يول (٣) في ظ

و مد : يستضعف (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : هو (٥) في ظ و مد :

الذي (٦) في ظ : العبيد (٧-٧) من مد ، وفي الأصل : فيما فحل ، وفي

ظ : فانا لي الحال - كذا .

{يذبح} أى تذييعا كثيرا {ابآأم} أى عند الولادة، وكل بذلك
 أناسا ينظرون كلما ولدت امرأة ذكرا ذبحوه خوفا على ملكه زعم
 من مولود منهم {ويستحي نساءهم} أى يريد حياة الإناث فلا يذبحون.
 و لما كان هذا أمرا متاهيا فى الشناعة، ليس مأمورا به من جهة
 ٥ شرع ما، و لاله فائدة أصلا، لأن القدر - على تقدير صدق من
 أخبره - لا يردده الحذر، قال تعالى مينا لقبه، شارحا لما أفهمه ذلك
 من حاله: {انه كان} أى كونا راسخا {من المفسدين} / أى الذين
 لهم عراقة فى هذا الوصف، فلا بدع أن يقع منه هذا الجزئ المندرج
 تحت ما هو قائم به من الأمر الكلى .

١٥

١٠ و لما كان التقدير كما أرشد إليه السياق لمن يسأل عن سبب فعله
 هذا العجيب: يريد بذلك زعم دوام ملكه بأن لا يسلبه إياه واحد منهم
 أخبره بعض علمائه أنه يغلبه عليه و يستنقذ شعبه من العبودية، عطف
 عليه قولاً يحكى تلك الحال الماضية: {و نريد} أى هى حاله، أى
 يستضعفهم و الحال أنا نريد فى المستقبل أن نقويهم. أى يريد دوام
 ١٥ استضعافهم حال إرادتنا ضده من أنا نقطع ذلك بارادة {ان نمن}
 أى نعطى بقدرتنا و علنا ما يكون جديرا بأن نمنن به
 (١) من ظ و مد، و فى الأصل: مند (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
 اولدت (٣) زيد فى الأصل: النفس، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها .
 (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اضره (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الخزى .
 (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٨) من ظ
 و مد، و فى الأصل: ان (٩) فى ظ و مد: نمن .

(على الذين استضعفوا) أى حصل استضعافهم و هان هذا الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم مولايم (فى الارض) أى أرض مصر [فذلوا و أهينوا ، و زبهم فى أنفسهم و أعدائهم وفق ما يحبون و فوق ما يأملون - ٣] (و نجعلهم ائمة) أى مقدمين فى الدين و الدنيا ، علماء يدعون إلى الجنة عكس ما بأتى من عاقبة آل فرعون ، و ذلك مع تصيرنا لهم أيضا بحيث يصلح كل واحد منهم لأن يقصد للملك بعد كونهم مستعبدين فى غاية البعد عنه (و نجعلهم) 'بقوتنا و عظمتنا' (الورثين لا) أى للملك مصر لا يتازعهم فيه أحد من القبط ، و لكل بلد أمرناهم بقصدها ، و هذا إيدان باهلاك الجميع .

ولما بشر بتعليكهم فى سياق دال على مكنتهم . صرح بها فقال : ١٠
(و نمكن) أى نوقع التمكين (لهم فى الارض) أى كلها لاسيا أرض مصر و الشام ، باهلاك أعدائهم و تأييدهم بكليم الله ، ثم بالانبياء من بعده عليهم الصلاة و السلام بحيث نسلطهم بسبيهم على من سوام بما تويدهم به من الملائكة و نظهر لهم من الخوارق .

ولما ذكر التمكين ، ذكر أنه مع مغالبة الجبارة : إعلاما بأنه أضخم ١٥ تمكين فقال : عاطفا على نحو : و نريد ان ناخذ الذين علوا فى الأرض و هم فرعون و هامان و جنودهما - ٢] : (و نرى) أى بما لنا من العظمة (فرعون) أى الذى كان [هذا - ٢] الاستضعاف منه (و هامان)

(١) من ظ ، و فى الأصل ومد : بهذا (١٠) فى ظ : لا (٣) زيد ما بين الحازرين من ظ ومد (٤-٤) فى ظ ومد : بعظمتنا وقوتنا (٥) من مد ، و فى الأصل : يويدهم ، و فى ظ : يزيدهم .

وزيره (و جنودهما)^١ الذين كانوا يتوصلان بهم إلى ما يريدانه من الفساد (منهم) أي المستضعفين (ما كانوا) أي بجد عظيم منهم كأنه غريزة (يحذرون) أي يحددون حذره في كل حين على الاستمرار بغاية الجدة والنشاط من ذهاب ملكهم بمولود منهم وما يتبع ذلك، قال البغوي^٢: والحذر: التوقي من الضرر. [والآية من الاحتباك: ذكر الاستضعاف أولاً دليلاً على القوة ثانياً، وإراءة المحذير ثانياً دليلاً على إراءة المحبوب أولاً، وسر ذلك أنه ذكر المسلي والمرجى ترغياً في الصبر وانتظار الفرج -^٤] .

ولما كان التقدير: فكان ما أردناه، وطاح ما أراد غيرنا، فأولدنا ١٠ من نبي إسرائيل الولد الذي كان يحذره فرعون على ملكه، وكان يذبح أبناء نبي إسرائيل لأجله، وقضينا بأن يسمى موسى، بسبب أنه يوجد بين ماء وشجر، وزيه^٣ في بيت الذي يحذره ويحتاط لأجله، عطف على هذا المعلوم التقدير أول نعمة من بها على الذين استضعفوا فقال: (و اوحياً) أي أوصلنا بعظمتنا بطريق خفي، الله أعلم به هل هو ملك ١٥ أو غيره، إذ لا بدع في تكليم الملائكة الولي من غير نوبة (إلى أم موسى) أي الذي أمضينا في قضائنا أنه^٥ يسمى بهذا الاسم، وأن يكون هلاك فرعون

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٢) في ظ: الحذر (ب) في معالم التنزيل - راجع هامش لباب التأويل ١٣٤/٥ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بسبب (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: يره (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: ان .

وزوال ملكة على يده ، بعد أن ولدته وخافت أن يذبحه
الذباحون (ان ارضيه ج) ما كنت آمنة عليه ، وحقق لها طلبهم
لذبحه بقوله^١ : (فاذا خفت عليه) أى منهم أن يصيح فيسمع فيذبح
(فإلقيه) أى بعد أن تضعيه فى شيء يحفظه^٢ من الماء (فى اليم)
[أى النيل ، واركبى رضاعه^٣ -] ، وعرفه وسماه يما - واليم : البحر - لعظمته^٥
على غيره من الأنهار بكبره وكونه من الجنة ، وما يحصل به من المنافع ،
وعدل عن لفظ البحر إلى اليم لأن القصد فيه أظهر من السعة ؛ قال الرازى
فى اللوامع : وهذا إشارة إلى الثقة بالله ، والثقة سواد عين التوكل ، ونقطة
دائرة التفويض ، وسويداء / قلب التسليم ، ولها درجات : الأولى ، درجة
الأياس ، وهو أياس العبد من^٥ مقاواة الأحكام ، ليقعد عن منازعة^{١٠}
الإقسام ، فيتخلص من صحة الإقدام ؛ والثانية درجة الأمان ، وهو أمن^٦
العبد من فوت المقدور ، وانتقاص المسطور ، فيظفر بروح الرضى
وإلا فبعين اليقين ، وإلا فباطف الصبر ؛ والثالثة معاينة أولية الحق
[جل جلاله -^٤] ، ليتخلص من محن المقصود ، وتكاليف الحمايات ،
والتعرج على مدارج الوسائل . (ولا تخافى) أى لا يتجدد لك خوف^{١٥}
أصلا من أن يفرق [أو يموت من ترك الرضاع وإن طال المدى -^٤]
أو^٧ يوصل إلى أذاه (ولا تحزنى ج) أى ولا يوجد لك حزن^٨
لوقوع فراقه .

(١) فى ظ : لهم (٢) فى ظ و مد : فقال (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : تحفظه .

(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : عن (٦-٧) سقط ما

بين الرقيين من ظ (٧) فى ظ : ان (٨) فى ظ : خوف .

ولما كان الخوف عما يلحق المتوقع^١، والحزن عما يلحق الواقع^٢،
 علل^٣ نهيهِ عن الأمرين، بقوله في جملة اسمية دالة على الثبات والديموم،
 مؤكدة لاستبعاد مضمونها: (أنا رآدوه اليك) فأزال مقتضى الخوف والحزن؛
 ثم زادها بشرى لا تقوم لها^٤ بشرى^٥ بقوله: (وجاعلوه من المرسلين ه) {
 ه أي الذين هم خلاصة المخلوقين، [و الآية من الاحتباك، ذكر الإرضاع
 أولا دليلا على تركه ثانيا، والخوف ثانيا دليلا على الأمن أولا، وصره
 أنه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها وتسكيناً^٦ لرعبها -^٧] .

ولما كان الوحي إليها بهذا سببا لإلقائه في البحر، وإلقاؤه سببا
 لالتقاطه، قال: (فالتقطه) أي فأرضعته^٨ فلما خافت عليه صنعت له
 ١٠ صندوقا وقيوته لئلا يدخل إليه الماء وأحكمته وأودعته فيه وألقته في
 بحر النيل، وكان بيتها^٩ كان فوق بيت فرعون، فساقه الماء إلى قرب
 بيت فرعون، فتعوق بشجر هناك، فتكلف جماعة فرعون التقاطه^{١٠}، قال
 البغوي^{١١}: و الالتقاط وجود الشيء من غير طلب . (ال فرعون)
 بأن أخذوا الصندوق، فلما فتحوه وجدوا موسى عليه السلام فأحبوه لما
 ١٥ ألقى الله تعالى عليهم من محبته فاتخذوه ولدا وسموه موسى، لأنهم وجدوه

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: لمتوقع (٢) من مد، وفي الأصل: لواقع،
 وفي ظ: اذا رقع - كذا (٣) في مد: ذكر (٤) من ظ ومد، وفي الأصل:
 له (٥) سقط من ظ ومد (٦) من ظ، وفي مد: تمكينا (٧) زيد من ظ ومد.
 (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: فأرضعت (٩) من ظ ومد، وفي الأصل:
 بينما (١٠) زيدت الواو في ظ (١١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٣٦/٥ .

في ماء و شجر، و مو بلسانهم : الماء، و سا: الشجر .

و لما كانت عاقبة أمره إهلاكهم، و كان العاقل^١ لاسيما المتحذلق،

لا ينبغي له^٢ أن يقدم على شيء حتى يعلم عاقبته فكيف إذا كان يدعى

أنه إله . عبر سبحانه بلام العاقبة التي معناها التعليل، تهكما بفرعون

- كما مضى بيان مثله غير مرة - في قوله: (ليكون لهم عدوا) أي هـ

بطول خوفهم منه بمخالفته لهم في دينهم و حلهم^٣ على الحق (و حزنا^٤)

أي بزوال ملكهم، لأنه يظهر فيهم الآيات التي يهلك الله بها من يشاء

منهم، ثم يهلك^٥ جميع أبنائهم فيخلص^٦ [جميع^٧ -]^٨ بنى إسرائيل منهم،

ثم يظفر بهم كلهم . فيها كهم الله بالفرق على يده إهلاك نفس واحدة،

فيعم الحزن و النواح أهل ذلك الإقليم كله، فهذه اللام للعلة استعيرت ١٠

لما أنتجته العلة التي قصدوها - وهي التبنّي و قرّة العين - من الهلاك،

كما استعير الأسد للشجاع فأطلق عليه، قليل: زيد أسد . لأن فعله كان

فعله، و المعنى على طريق التهكم أنهم ما أخذوه إلا لهذا الغرض، لآنا

محاشيهم سن الإقدام على ما لا يعلنون آخر أمره .

و لما كان^٩ لا يفعل هذا الفعل^{١٠} إلا أحق مهتور^{١١} أو مقفل مخذول ١٥

لا يكاد يصيب على^{١٢} ذلك بالأميرين فقال: (ان فرعون و هامان و جنودهما)

(١) في ظ: العاقل، و في مد: العاقل - كذا (٢) - سقط من ظ و مد (٣) في

ظ: جهلهم (٤) في ظ: اهلك (٥) من مد، و في الأصل و ظ: فيخلص .

(٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) في ظ و مد: هذا لا يفعله (٨) من مد، و في

الأصل: مهتور، و في ظ: مقهور (٩) من ظ و مد، و في الأصل: تمحل .

أى كلهم على طبع واحد (كانوا خطئين ه) أى دأبهم تعمد الذنوب .
 و الضلال عن المقاصد ، فلا بدع في خطاتهم في أن يربوا من لا يذبحون
 الآباء إلا من أجله ، مع القران الظاهرة في أنه من نبي إسرائيل الذين
 يذبحون آباءهم ؛ قال في الجمع بين العباب و المحكم : قال أبو عبيد : أخطأ
 ه و خطأ - لغتان بمعنى واحد ، و قال ابن عرفة : يقال : خطأ في دينه و أخطأ -
 إذا سلك سبيل خطأ عامدا أو غير عامد . و قال الاموى : المخطئ من
 أراد الصواب فصار إلى غيره ، و الخاطئ : من تعمد ما لا ينبغي ، و قال
 ابن ظريف في الأفعال : خطئ الشيء خطأ و أخطأه : لم يصبه .

و لما أخبر تعالى عن آخر أمرهم معه ، تخفيفا على السامع بجمع طرفي
 ١٠ القصة إجمالا و تشويقا إلى تفصيل ذلك الإجمال ، و تعجيلا بالتعريف بخطائهم
 ليكون جهلهم الذى هو أصل شقائهم مكتنفا لأول الكلام و آخره ، / أخبر
 عما قيل عند النقاطة فقال " عاطفا على " فالتقطة " (و قالت امرات فرعون)
 أى لفرعون لما أخرجه من * التابوت ، و هى التى قضى الله أن يكون لها
 سعادة ، و هى آسية بنت مزاحم إحدى نساء نبي إسرائيل - نقله البغوى :
 ١٥ (قرت عين لي) أى به (و لك *) أى يا فرعون .

و لما أثبت له أنه بمن تقر به العيون ، أنتج ذلك استبقاه ، و لذلك

(١) زيد بعده في الأصل : كان ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .
 (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : تحقيقا (٣) سقط من ظ و مد (٤) من
 ظ و مد و القرآن الكريم ، و في الأصل : قال (٥) من مد ، و في الأصل
 و ظ : عن (٦) في معالم التنزيل - راجع هـ مش للباب ١٣٦/٥ .

نهت^١ عن قتله و خافت أن تقول: لا تقتله^٢، فيجيبها حاملا له على الحقيقة
ثم يأمر بقتله، و يكون مخلصا له عن الوقوع في إخلاف الوعد، فجمعت
قائلة: (لا تقتلوه ^{عليه}) أى أنت بنفسك ولا أحد من تأمره بذلك؛
ثم علقت ذلك أو استأنفت فقالت: (عسى) أى يمكن، وهو جدير
وخلق (ان ينفعنا) أى لما أتخيل فيه من النجاة ولو كان له
أبوان معروفان (أو تتخذة ولدا) إن لم يعرف له أبوان، فيكون
نفعه أكثر، فانه أهل لأن ينسرف به الملوك.

ولما كان هذا كله فعل من لا يعلم، فلا يصح كونه إلها، صرح
بذلك تسفيها لمن أطاعه في ادعاء ذلك فقال: (ومم) أى تراجعوا

هذا القول و الحال أنهم (لا يشعرون) أى لا شعور لهم أصلا، ١٠
لأن من لا يكون له علم إلا بالاكساب فهو كذلك، فكيف إذا
كان لا يهذب نفسه باكتسابه، فكيف إذا كان مطبوعا على قلبه،
وإذا كانوا كذلك فلا شعور لهم بما يؤل إليه أمرهم معه من الأمور
الماتلة المؤدية إلى هلاك المفسدين ليعملوا لذلك أعماله من الاحتراز
منه بما ينجيهم.

١٥

ولما أخبر عن حال من لقيه، أخبر عن حال من فارقه، فقال:
(واصبح) أى عقب الليلة التي حصل فيها فراقه (فواد ام موسى)
أى قلبها الذى زاد احتراقه شوقا و خروفا و حزنا، و هذا يدل على أنها
ألقته ليلا (فرغاً) أى فى غاية الذعر لما جبلت عليه من أخلاق البشر،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: نهيت (٢) زيد فى مد: لا تقتلوه (٣) سقط
من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى لأصل: احدا (٥) فى ظ و مد: كان.
(٦) من مد، وفى لأصل: ليعلموا، وفى ظ: لعلموا.

قد ذهب منه^١ كل ما فيه من المعاني المقصودة التي من شأنها ان
يربط عليها^٢ الجأش؛ ثم وصل بذلك مستأنفا قوله: (ان) أي إنه
(كادت) أي قاربت (لتبدي) أي يقع منها الإظهار لكل ما كان
من أمره، مصرحة (به) أي بأمر موسى عليه السلام^٣ من أنه^٤ ولدها
و نحو ذلك بسبب فراغ فوادها من الأمور المستكنة، و توزع فكرها
في^٥ كل واد (لولا ان ربطنا) بعظمتنا (على قلبها) بعد أن رددنا
إليه^٦ المعاني الصالحة التي أودعناها فيه، فلم تعلق^٧ به لأجل ربطنا عليه
حتى صار كالجراب الذي ربط فيه حتى لا يخرج شيء مما فيه؛ ثم علل
الربط بقوله: (لتكون) أي كونا هو كالفريزة^٨ لها (من المؤمنين) .
١٠ أي المصدقين بما^٩ وعد الله^{١٠} به من نجاته^{١١} و رسالته، الواقفين بذلك .

ولما أخبر عن كتها^{١٢}، أتبعه الخبر "عن فعلها" في تعرف خبره
الذي أطار خفاؤه [عليها - ١٣] عقلها، فقال عاطفا على "واصبح"
(وقالت) أي أمه (لاخته) أي بعد أن أصبحت على تلك الحالة،
قد خفي عليها أمره: (قصيه ز) أي اتبعي^{١٤} أثره و تشمعي خبره برا و بحرا،

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ ومد (٣-٣) من ظ ومد، وفي الأصل:
بانه (٤) في ظ ومد: من (٥) زيد بعده في الأصل: من، ولم تكن الزيادة
في ظ ومد لحدتها (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: لم تعلق .
(٧) في ظ ومد: الفريزة (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: لا (٩-٩) من ظ
ومد، وفي الأصل: عليه من نجاته (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: كتبها .
(١١ - ١١) في مد: بفعلها (١٢) زيد من ظ ومد (١٣) من ظ ومد، وفي
الأصل: ابتنى .

فعلت (فصرت به عن جنب) أى بعد من غير مواجهة . ولذلك^١
قال: (وَم لا يشعرون لا) أى ليس لهم شعور لا بنظرها ولا بأنها أخته ،
بل هم فى صفة الغفلة التى هى فى غاية البعد عن رتبة الإلهية .

ولما كان ذلك أحد الأسباب فى [رده -^٢] ، ذكر فى جملة حالة

سيا آخر قريبا منه^٣ فقال: (وحرمتنا) أى معنا بعظمتنا / التى لا يتخلف ه / ٨ /
أمرها ، و يتضام كل شئ دونها (عليه المراضع) جمع مرضعة ،
وهى من تكثرى للرضاع من الأجانب ، أى حكمتنا بمنع من الارتضاع
منهن ، استعمار التحريم لمنع لأنه منع فيه رحمة ؛ قال الرازى فى اللوامع:
تحريم منع لا تحريم شرع .

ولما كان قد ارتضع من أمه من حين ولده إلى حين إلقائه فى ١٠

اليم ، فلم يستغرق التحريم الزمان الماضى ، أثبت الجار فقال: (من قبل)
أى قبل أن تأمر أمه أخته بأمرتها به و بعد إلقائها له ، ليكون ذلك
سيا لرده^٤ إليها ، [فلم يرضع من غيرها فأشفقوا عليه فأتتهم أخته فقالوا
لها: هل عندك مرضعة تدلينا عليها اعلمه يقبل ثديها -^٥] ؟ (فقال) أى

فدنت أخته منه^٦ بعد نظرها له فقالت لهم لما رأتهم فى غاية الاهتمام ١٥
برضاعه لما عرضوا عليه المراضع فأبى أن يرتضع من واحدة منهن :
(هل) لكم حاجة^٧ فى أى^٨ (ادلکم على اهل بيت) ولم يقل:

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ
و مد (٤) فى ظ و مد : هن (ه) فى ظ و مد : القايه (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : لرده (٦) فى ظ و مد : من (٨ - ٨) فى ظ و مد : بانى .

على امرأة، لتوسع دائرة الظن (يكفلونه لكم) اى يأخذونه ويعولونه
 و يقومون بجميع مصالحه من الرضاع و غيره لاجلكم، وزادتهم رغبة
 بقولها: (و هم له نصحون ٥) اى ثابت نصحهم له، لايفشونه نوحا من
 الغش؛ قال البغوى^١: و النصح ضد الغش، و هو تصفية العمل من شوائب
 الفساد فكادت بهذا الكلام تصرح^٢ بأن المدلول عليها أمه، فارتابوا من
 كلامها فاعتذرت بانهم يعملون^٣ ذلك تقربا إلى [الملك -^٤] و تحييا^٥ إليه
 تعززا به، فظنوا ذلك، و هذا و أمثاله يبان من الله تعالى لأنه لا يعلم أحد في
 السموات و الأرض الغيب^٦ إلا هو سبحانه، فلا يصح أن يكون غيره إلها.
 فلما سكنوا^٧ إليها طلبوا^٨ أن تدلهم، فأتت بأمرها [فأحللنا له رضاعها -^٩]
 فأخذ ثديها فقالوا: أقمي^{١٠} عندنا، فقالت: لا أقدر على فراق بيتي، إن
 رضيتم أن أكفله في بيتي^{١١} و إلا فلا حاجة لى، و أظهرت الزهد^{١٢} فيه نفيا
 للهمة، فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها، [و الآية^{١٣} من الاحتباك: ذكر
 التحريم أولا دليلا على الإحلال ثانيا، و استفهام أخته ثانيا دليلا على استفهامهم
 لها أولا^{١٤}، و سره أن ذكر الأغرب من أمره الأدل على القدرة -^{١٥}]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١٣٧/٥ (٢) من ظ و مد، و في
 الأصل: مقترح (٣) من ظ و مد، و في الأصل: يعلمون (٤) زيد من ظ
 و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: تحننا (٦) زيد في الأصل: الله الا،
 ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و في الأصل: سكتوا.
 (٨) في ظ: ظنوا (٩) من ظ و مد، و في الأصل: اقيموا (١٠ - ١١) سقط
 ما بين الرقيين من مد (١١) في ظ و مد: الزهد (١٢) زيد في ظ: فيها.
 (١٣) في مد: ثانيا.

ولذلك سبب عما مضى قوله : ﴿ فرددته ﴾ أى مع هذا الظاهر
 فى الكشف لسره الموجب للريسة فى أمره ، ومع ما تقدم
 من القرائن^١ التى يكاد يقطع بها بأنه من بنى إسرائيل ، منها إلقاءه
 فى البحر على تلك الصفة ، ومنها [أن -^٢] المدلول عليها لإرضاعه من
 بنى إسرائيل ، ومنها أنه قبل ثديها دون غيرها من القبط وغيرهم ، بأيدنا
 الذى لا يقاويه أيد ، ولا يدانى ساحته شئ من مكر ولا كيد ،
 من يد العدو الذى ما ذبح طفلا إلا رجاء الوقوع عليه ، والخلص
 بما^٣ جعل فى سابق العلم إليه ﴿ الى أمه ﴾ وكان من أمر الله - والله
 غالب على أمره - أنه^٤ استخدم لموسى - كما قال الرازى - عدوه فى
 كفاله وهو يقتل العالم^٥ لأجله ؛ ثم علله بقوله : ﴿ كى تفر عينها ﴾ ١٠
 أى تبرد وتستقر عن الطرف فى تطلبه إلى كل جهة وتنام بارضاعه
 وكفاله فى بيتها ، آمنة لا تخاف ، وقرّة العين بردها ونومها خلاف
 سخنتها^٦ وسهرها بادامة ثقلها ، قرت^٧ عينه تفر - بالكسر والفتح -
 قرّة ، وتضم ، وقرورا^٨ : بردت سرورا وانقطع بكأوها ، أو^٩ رأت ما
 كانت متشوفة إليه ، وأقرالله عينه وبعينه ، وعين قريرة وقارة ، ١٥

(١) فى ظ : اقرآن (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ : ما (٤) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : ان (٥) فى ظ : الفا - كدا (٦) فى مد : سخنتها (٧) من ظ
 ومد والقاموس . وفى الأصل : قر (٨) من ظ ومد والقاموس ، وفى
 الأصل : قرور (٩) زيد فى الأصل : كات ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد
 لخذناها .

و قرتها ما قرت به ، و قرأ بالمكان يقر - بالفتح والكسر - قراراً^١
 و قرورا و قرا و تقره : ثبت و استكن ، و أصل قره العين من القر
 و هو البرد ، أى بردت فصحت و نامت^٢ خلاف^٣ سخنة عينه ، و قيل :
 / من القرار ، أى استقرت عيني^٤ ،^٥ و قالوا^٦ : دمة الفرح باردة ، و دمة
 / ٩
 الحزن^٧ حارة ، فمضى أقر الله عينك من الفرح و أسخنها من الحزن ، و هذا
 قول الأصمى ، و قال أبو العباس : ليس كما ذكر الأصمى بل كل دمع
 حار^٨ ، فمضى أقر الله عينك : صادفت^٩ سرورا فامت و ذهب سهرها ،
 و صادفت ما يرضيك ، أى بلغك الله أقصى أملك حتى تقر عينك من
 النظر إلى غيره استغناء و رضا بما في يديك ، قالوا : و معنى قولهم : هو
 ١٠ قره عيني : هو رضى نفسى ، فهى تقر و تسكن بقره فلا تستشرف إلى
 غيره (زولا) أى و كيلا (تحزن) أى بفراقه (و لتعلم) أى علما
 هو عين^{١١} اليقين ، كما كانت عالمة به علم اليقين ، و علم شهادة كما كانت
 عالمة علم غيب^{١٢} (ان وعد الله) أى الامر الذى وعدها به الملك
 الأعظم الذى له السجال كله فى حفظه و إرساله (حق) أى هو فى
 ١٥ غاية الثبات^{١٣} فى مطابقة الواقع إياه^{١٤} . و لما كان العلم هو النور الذى

(١) من ظ و مد و القاموس . وفى الأصل : قرا (٢) من ظ و مد و القاموس ،
 وفى الأصل : قرار (٣) فى ظ : قامت (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 خاف (٥) ليس فى مد (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : قالوا (٧) فى ظ :
 صارت (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : علم (٩) فى ظ و مد : العيب .
 (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

من قدده لم يصح منه عمل ، و لم ينتظم له قصد ، قال عاظفا على ما تقدره :
 ضلت ذلك برده عين اليقين بعد علم اليقين : (و لكن اكثرهم) أى
 أكثر آل فرعون و غيرهم (لا يعلمون) أى لا علم لهم أصلا ، فكيف
 يدعون ما يدعون من الإلهية و الكبرياء على من يكون الله معه .

ولما استقر الحال ، على هذا المنوال ، علم أنه ليس بعده إلا الخير ه
 و الإقبال ، و العز بتبني فرعون له و الجلال ، فترك ما بينه و بين
 السن الصالح للإرسال ، [و -] قال مخبرا عما بعد ذلك من الأحوال :
 (ولما بلغ أشده) أى مجامع قواه و كالاته (و استوى) أى اعتدل
 فى السن و تم استحكامه باتهاء الشباب ، و هو من العمر ما بين إحدى
 و عشرين سنة إلى اثنتين و أربعين ، فم سبب ذلك فى الخلال الصالحة ١٠
 التى طبعا عليها ، و قال الرازى : قال الجنيد : لما تكامل عقله ، و صححت
 بصيرته ، و صلحت نجيته ، و آن أوان خطابه - انتهى . أى و صار
 إلى الحد الذى لا يزداد الإنسان بعده غريزة من الغرائز لم تكن فيه
 أيام الشباب ، بل لا يبقى بعد ذلك إلا الوقوف تم التقصان (تئيه)
 أى خرقا للعادة أسوة لإخوانه من الأنبياء ابتداء غرائز منحاه إياها من ١٥
 غير اكتساب أصلا (حكما) أى عملا محكما بالعلم (و علما) أى

(١) فى ظ و مد : فنزل (٢) فى ظ : مس (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ
 و مد : حالاته (٥) فى مد : احتطامه (٦ - ٧) فى ظ و مد : ستين أو - كذا ،
 و معظم القول فى جامع البيان للطبرى يرجع إلى أن الاستواء أربعون سنة -
 و ارجع تفسر الآية المعنية فيه (٧) فى ظ و مد : الحة ١٨١ من ظ و مد ، و فى
 الأصل : خرق (٩ - ١٠) فى ظ و مد : غريز منحاه إياه .

مؤيدا بالحكمة، تهية لنبوته، وإرهاصا لرسالته، جزيناه بذلك على ما
 طبعناه عليه من الإحسان، فضلا منا ومنه، واختار [الله - ١] سبحانه
 هذا السن للارسال ليكون - كما أشير إليه - من جملة الخوارق، لأنه
 يكون به ابتداء الانتكاس الذي قال الله تعالى فيه "ومن نعمه" - أى إلى
 ٥ اكمال^٢ سن الشباب - تنكسه في الخلق "أى نوقفه، فلا يزداد
 [بعد ذلك - ١] في قواه الظاهرة ولا^٣ الباطنة شئ، ولا توجد^٤ فيه
 غريزة لم تكن موجودة أصلا عشر سنين، ثم يأخذ في النقصان - هذه
 عادة الله في [جميع - ١] بنى آدم [إلا - ١] الأنبياء، فانهم في حد الوقوف
 يؤتون من^٥ بحار العلوم ما يقصر عنه الوصف بغير اكتاب، بل غريزة
 ١٠ يفرزها الله فيهم حينئذ، ويؤتون من قوة الأبدان أيضا بمقدار ذلك،
 ففي وقت انتكاس غيرهم يكون نومهم، وكذا من ألحقه الله بهم من
 صالح^٦ أتباعهم، وسيأتى إن شاء الله تعالى في سورة يس من تمام
 هذا المعنى ما يفتح الله به لمن تأمله أبوابا من العلم، ولذلك قال [الله - ١]
 تعالى عاطفا^٧ على ما تقديره: "فعلنا به ذلك"^٨ وبأمه جزاء لهما على
 ١٥ إحسانهما في إخلاصهما فيما يفعلانه اعتمادا على الله وحده من غير أدنى
 / التفات إلى ما سواه: (وكذلك) أى ومثل هذا الجزاء العظيم / ١٠

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد في ظ ومد: تنكسه (٣) من مد، وفي الأصل
 و ظ: اكمال (٤) سقط من ظ ومد (هـ-هـ) من ظ ومد، وفي الأصل:
 توجد - كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: في (٧) من مد، وفي الأصل
 و ظ: صالح (٨) زيد من مد (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: عطفا.
 (١٠-١٠) في ظ: فعلنا بذلك.

(نجزى المحسنين ه) أى كلهم .

ولما أخبر بتبئته لنبوته^١، أخبر بما هو سبب لهجرته، و كأنها سنت بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال: (ودخل المدينة) أى مدينة فرعون آتيا من قصره، لأنه كان عنده بمنزلة الولد، قال ابن جرير^٢: وهى مدينة منف^٣ من مصر، وقال البغوى^٤: وقيل: عين^٥ الشمس. وقيل غير ذلك^٥ (على حين غفلة) قيل بعيد^٦: وقيل بغير ذلك (من اهلها) أى^٧ إحكاما لما جعلناه سببا لنقلته منها طهارة من عشرة القوم الظالمين (فوجد فيها) أى^٨ المدينة (رجلين يقتلن^٩) أى يفعلان مقدمات القتل من الملازمة مع الحق والضرب، وهما إسرائيل^٩ وقبطى، ولذا قال مجيبا لمن^٧ كانه يسأل عنها وهو ينظر^{١٠} إليهما: (هذا من شيعته) أى من بنى إسرائيل قومه (وهذا من عدوه ج) أى القبط، وكان قد حصل لبنى إسرائيل به عز لكونه ربيب الملك، مع أن مرضعته منهم، لا يظنون أن سبب ذلك^{١٠} الرضاع

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: بالنبوة (٢) في جامع البيان الجزء ٢٠/٢٦ .
 (٣) من ظ و مد و جامع البيان، وفي الأصل: منوف، وزيد بعده في الأصل: قرية، ولم تكن الزيادة في ظ و مد و الجامع لخذفناها (٤) في معالم التنزيل - راجع هامش الباب ١٣٨/٥ (٥) فقد قال مقاتل: كانت قرية يقال لها حابين - راجع المعالم، وقيل: الإسكندرية - راجع البحر المحيط ١٠٩/٧ (٦) قال به على - راجع المعالم (٧) سقط من ظ و مد (٨) زيد في ظ و مد: في (٩) من مد، وفي الأصل و ظ: إسرائيل (١٠) زيد في الأصل: الا، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لخذفناها .

{ فاستغاثه } أى طلب منه { الذى من شيعته } أن ينيب
 { على الذى من عدوه^١ فوكزه } أى فأجاب { موسى } فوكز أى
 فظعن^٢ و دفع^٣ يده العدو أو^٤ ضربه بجميع^٥ كفه، وكأنه كالكم،
 أودفه بأطراف أصابعه، وهو رجل أيد^٦ لم يعط أحد من أهل ذلك
 الزمان مثل ما أعطى من القوى الذاتية والمعنوية { قضى } أى
 فأوقع القضاء^٧ الذى هو القضاء على الحقيقة، وهو الموت الذى لا ينجو
 منه بشر { عليه^٨ } قتلته و فرغ منه، و كل شئ فرغت منه فقد قضيته
 و قضيت عليه، و خفي هذا على الناس لما هم فيه^٩ من الغفلة، فلم يشعر به
 أحد منهم .

١٠. ولما كان كأنه قيل : إن هذا الأمر عظيم^{١٠}، فما ترتب عليه من
 قول من أرتى حكماً و علماً؟ أجيب بالإخبار عنه بأنه ندم عليه فى الحال
 بقوله : { قال } أى موسى عليه السلام : { هذا } أى الفعل الذى جرك إليه
 الإسرائيلى { من عمل الشيطان^{١١} } أى لآنى لم أؤمر^{١٢} به على الخصوص،
 ولم يكن من قصدى وإن^{١٣} كان المقتول كافراً؛ ثم أخبر عن حال
 ١٥ الشيطان بما هو عالم به، مؤكداً له حملاً لنفسه على شدة الاحتراس

(١) فى مد : ظعن (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : رفع (٣) فى ظ "و".
 (٤) فى ظ و مد : بجمع (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : يدم أى (٦) زيد فى
 مد : عليه، وتبدو علامة الضرب على الكلمة (٧) منقطع من ظ (٨) فى ظ :
 العظيم (٩) من ظ و مد، وفى الأصل : لم أرم (١٠) فى ظ : اذا .

والحذر منه فقال: ﴿انه عدو﴾ ومع كونه عدوا ينبغي الحذر منه فهو ﴿مضل﴾ لا يقود إلى خير أصلا، ومع ذلك فهو ﴿مبينه﴾ أى عداوته^١ وإضلاله فى غاية البيان، ما فى شىء منها^٢ خفاء .

ولما كان هذا كافرا ليس فيه شىء غير الندم لكونه صلى الله عليه وسلم لم يأت به فى قتله إذن خاص، وكان قد أخبر عنه بالندم، هـ تشوفت^٣ أنفس البصراء^٤ إلى^٥ الاستغفار عنه، علما منهم بأن عادة الانبياء وأهل الدرجات العلية استعظام الهفوات، فأجيوا بالإخبار عن مبادرته إلى ذلك بقوله: ﴿قال﴾ وأسقط أداة النداء، على عادة أهل الاصطفاء، فقال: ﴿رب﴾ أى أيها المحسن إلى .

ولما كان حال المقدم على شىء^٦ دالة على إرادته فاستحسانه^٧ ١٠ إياه، أكد قوله إعلاما بأن باطنه على غير ما دل عليه ظاهره فقال: ﴿انى ظلمت نفسى﴾ أى بالإقدام على ما لم يتقدم إلى^٨ فيه [إذن-^٩] بالخصوص وإن كان مباحا .

ولما كان المقرب قد يعد حسنة غيره سيئته، قال مسيبا عن ذلك :

﴿فاغفر﴾ أى امح هذه الهفوة عينها وأثرها ﴿لى﴾ أى لأجلى لا تؤاخذنى ١٥
﴿فغفر﴾ أى أوقع المحو لذلك كما سأل إكراما ﴿له﴾ ثم علل ذلك

(١) من مد، وفى الأصل وظ : عدوانه (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : منها (٣-٢) من مد، وفى الأصل : النفس إلى البصر، وفى ظ : النفس البصر .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : الشىء (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : واستحسانه (٧-٧) فى مد : يقدم لى (٨) زيد من مد .

بقوله مشيرا إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفة مؤكدا لذلك :
 ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ الغفور ﴾ أى البالغ فى صفة الستر لكل من يريد
 ﴿ الرحيم ه ﴾ / أى العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية
 لمقام الإلهية ، و لاجل أن هذه ' صفة ، رده ' إلى فرعون وقومه حين
 أرسله ' إليهم فلم يقدروا على مواخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن
 نجاه منهم قبل الرسالة على غير قياس .

ولما أنعم عليه سبحانه بالإجابة إلى سؤاله ، تشوف السامع إلى
 شكره عليها فأجيب بقوله : ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ بكل
 جميل . ولما كان جعل الشيء عوضا لشيء أثبت له وأجدر باهضاء العزم
 ١٠ عليه قال : ﴿ بما أنعمت عليّ ﴾ أى بسبب إنعامك عليّ بالمغفرة وغيرها .
 ولما كان فى سياق التعظيم للنعمة ، كرر حرف السبب تأكيدا للكلام ،
 وتعريفا أن المقرون به مسبب عن الإنعام ، وقرنه بأداة النفي الدالة
 على التأكيد فقال : ﴿ فلن أكون ظهيرا ﴾ أى عشيرا أو خليطا أو
 معينا ﴿ للمجرمين ه ﴾ أى القاطعين ' لما أمر ' الله به أن يوصل ، أى
 ١٥ لا أكون ' بين ظهرائى ' القطب ، فان فسادهم كثير ، وظلمهم لعبادك
 أبناء أوليائك متواصل وكبير ' ، ولا قدرة لى على ترك نصرتهم ،
 وذلك يجر إلى أمثال هذه الفعلة ، فلا أصلح من المهاجرة لهم ، وهذا

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : صفة وده (٢) فى ظ : اوصله (٣) من
 مد ، وفى الأصل و ظ " و " (٤-٤) فى ظ : لاسر (ه-ه) فى ظ : ظهراى ،
 وفى مد : ظهير (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : كثير .

من قول العرب : جاءنا في ظهرته - بالضم و بالكسر و بالتحريك ،
و ظاهرته ، أى عشيرته .

و لما ذكر القتل و أتبعه ما هو الأهم من أمره بالنظر إلى الآخرة ،
ذكر ما تسبب عنه من أحوال الدنيا فقال : (قاصح) أى موسى عليه
الصلاة و السلام (فى المدينة) أى التى قتل القتيل فيها (خاتفا) أى ه
بسبب قتله له (يترقب) أى لازم الخوف كثير الالتفات برقبته ذعرا
من طارقة تطرقه فى ذلك ، قال البغوى^٢ : و الترقب : انتظار المكروه .
(فاذا) أى فقبضه (الذى استنصره) أى طلب نصرته من شيعته
(بالامس) أى اليوم الذى يلى يوم الاستصراخ من قبله (يستصرخه)
أى يطلب ما يزيل ما يصرخ بسببه من الضر^٣ من قبلى آخر كان ١٠
يظله . فكأنه قيل : فإ قال له موسى بعد ما أوقفه فيما يكره ؟ فقيل :
(قال له) أى لهذا المستصرخ (موسى) .

و لما كان الحال متقضيا أن ذلك الإسراء يلى يمكث مدة لا يخاصم
أحدا خوفا من جريرة ذلك القتل ، أكد قوله : (انك لغوى) أى
صاحب ضلال بالغ (مبين) أى راضح الضلال غير خفيه ، لكون ما ١٥
وقع بالامس لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه و إن كنت مظلوما ؛
ثم دنا منها لينصره : [ثم قال^٤ -] مشيرا بالفاء إلى المبادرة إلى إصراخه : (فلما)

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرا (٣) راجع معالم
التنزيل بهامش اللباب ١٣٩/٥ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من
ظ و مد ، و فى الأصل : النصر (٦) زيد لاستقامة العبارة .

وأثبت الحرف 'الذي أصله' المصدر تأكيداً لمعنى الإرادة فقال: (ان اراد) أي شاء^٢، و طلب و قصد مصداقاً ذلك بالمشى (ان يبطش) أي موسى عليه الصلاة والسلام (بالذي هو عدو لها) أي من القبط بأخذه بمنف و سطوة لخصاص الإسرائيل منه (قال) أي الإسرائيل الغوى^٣ لاجل ما رأى من غضبه و كلبه به من الكلام الغص ظانا أنه ما دنا إلا يريد البطش به هو، لما أوقفه فيه لا بعدوه^٤: (ينموسى) ناصا عليه باسمه العلم دفعا لكل لبس منكر الفعله الذي اعتقده لما رآه من دنوه إليها غضبان وهو يذمه (اتريد ان تقتلى) أي اليوم وأنا من شيعتك (كما قتلت قسا بالامس) أي من شيعه أعدائنا، و الذي دل على أن الإسرائيل هو الذي^٥ قال له هذا الكلام السياق يكون^٦ الكلام معه^٧ - بما^٨ أشير إليه بدخوله المدينة على حين غفلة من أنهم لم يره أحد غير الإسرائيل، و بقوله "عدو لها" من^٩ ذم الإسرائيل كما صرح به موسى عليه الصلاة والسلام .

و لما تم عليه^{١٠} و أفشى / ما لا يعمله غيره، خاف غائلته فزاد في

١٢

- (١) في الأصل: الحرك، و في ظ و مد: الحذف - كذا (٢) في ظ: اوصه .
 (٣) من ظ و مد: وفي الأصل: شيئا (٤) من ظ و مد، و في الأصل: مصدق .
 (٥) في ظ و مد: العفو (٦) في ظ و مد: لا يمد (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و في الأصل: لكون (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: كما (١١) من ظ و مد، و في الأصل: كما (١٢) زيد في ظ و مد: السلام .

الإغراء به ، مؤكداً بقوله : (ان) أى ما (تريد الآن تكون)
 أى كوناً راسخاً (جباراً) أى قاهراً غالباً ، قال أبوحيان : و شأن الجبار
 أن يقتل بغير حق . (فى الأرض) أى التى تكون بها فلا يكون
 فوقك أحد (وما تريد) أى يتجدد لك إرادة (ان تكون) أى
 بما هو [لك - °] كالجبل (من المصلحين) أى العريقين فى الصلاح ، °
 فان المصلح بين الناس لا يصل إلى القتل على هذه الصورة ، فلما سمع
 الفرعونى هذا ترك الإسرائيلى ، وكانوا - لما قتل ذلك القبطى - ظنوا فى
 نبي إسرائيل ، فأغروا فرعون بهم فقال : هل من بينة ، فان الملك وإن
 كان صفوة مع قومه لا ينبغي له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت - كما ذكر
 ذلك فى حديث المقتون الذى رواه أبو يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ١٠
 فلما قال هذا الغوى هذه المقالة تحقق الأمر فى موسى عليه الصلاة والسلام .
 ولما كان تقدير الكلام الذى أرشد إليه السياق : فلما سمع الفرعونى
 قول الإسرائيلى تركه . ثم رقى الكلام إلى أن بلغ فرعون فوقع الكلام
 فى الأمر بقتل موسى عليه الصلاة والسلام ، عطف عليه قوله :
 (وجاء رجل) أى من يجب موسى عليه الصلاة والسلام . ولما ١٥

- (١) زيد فى الأصل : لان افعاله عليكم يكذب ما يصنعه به ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : عالياً (٣) راجع
 البحر المحيط ٧ / ١١ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (٥) زيد من ظ
 و مد (٦ - ٦) فى ظ : الفريقين فى الإصلاح (٧) فى ظ : فآخبروا (٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : لا يستقيم (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : تحققوا .
 (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : الفرعون .

كان الامر مهما، يحتاج إلى مزيد عزم و عظم قوة، قدم فاعل المجيء على متعلقه بخلاف ما في سورة ينس^١ .

ولما كان في بيان الاقدار على الامور الهائلة من الاخذ بالحناق

حتى يقول القائل: لا خلاص، ثم الإسعاف بالفرج^٢ حتى يقول: لاهلاك،

٥ قال واصفا للرجل: (من اقصى المدينة) أى أبعدا مكانا^٣، وبين

أنه كان ماشيا بقوله: (يسعى^٤ ذ) [و-^٤] لكنه اختصر طريقا وأسرع

في مشيه بحيث كان يبدو فسبقهم باعضائه للسعى وتجديد العزم في

كل وقت من أوقات سعيه فكأنه قيل^٥: ما فعل؟ فقيل: (قال)

مناديا له باسمه تعظفا وإزالة للبس: (يموسى^٦) وأكد إشارة إلى أن

١٠ الامر قد دم فلا يسع الوقت الاستفصال^٧ فقال: (ان الملا) أى

أشراف القبط الذين فى أيديهم الحل والعقد، لان لهم القدرة على الامر

والنهي (ياتمرون بك) أى يتشاورون بسبك، حتى وصل حالهم

فى تشاورهم إلى أن كلا منهم يأمر الآخر وياتم بأمره، فكأنه قيل:

لم يفعلون ذلك؟ فقيل: (ليقتلوك) لانهم^٨ سمعوا أنك قتلت صاحبهم

١٥ (فاخرج) أى من هذه المدينة؛ ثم علل ذلك بقوله على سبيل التأكيد

لئزبل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك: (انى لك)

أى خاصة (من النصحين^٩) أى العريقين فى نصحك (فخرج) أى

موسى عليه الصلاة والسلام مبادرا (منها) أى المدينة لما علم من

(١) راجع آية ٢٠ (٢) فى ظ: بالفزع (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: مكنأ.

(٤) زيد من ظ ومد (ه-ه) فى مد: فكأن قتلا قال (٦) فى ظ ومد:

الاستقصاء (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: انهم .

'صدق قوله مما' حقه من القران، حال كونه (حائفاً) على نفسه من آل فرعون (يتربص) أى يكثر الالتفات بإدارة رقبته فى الجهات ينظر هل يتبعه أحد؛ ثم وصل به على طريق الاستئناف قوله: (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام: (رب) [أى-٢] أيها المحسن إلى بالإيجاد والتربية وغير ذلك من وجوه البر (نجى) أى خلصنى. ٥ مشتق من الحجوة، وهو المكان العالى الذى لا يصل إليه كل أحد (من القوم الظلمين) أى الذين يضعون الأمور فى غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قوتهم، فاستجاب الله له فوقه^٢ لسلوك الطريق الأعظم نحو مدين، فكان ذلك سبب نجاته، وذلك أن الذين اتدبوا إليه قطعوا بأنه لا يسلك الطريق الأكبر، جرياً على عادة ١٠ / ١٣ الحائفين الهاربين فى المشى عسافاً، أو سلوك ثنيات الطريق فأنشوا فيما ظنوه يمينا وشمالاً فقاتهم.

ولما دعا بهذا الدعاء، أعلم الله تعالى باستجابته منه مخبراً بجهة قصده زيادة فى الإفاضة فقال: (ولما) أى فاستجاب الله دعاءه فنجاه منهم ووجهه إلى مدين^٥ ولما (توجه) أى أقبل بوجهه قاصداً (تلقاء) ١٥ [أى-٦] الطريق الذى يلاقى سالكه أرض (مدين) مدينة نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام متوجهاً بقلبه إلى ربه (قال) أى^٧ لكونه

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل: صدقه بما (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: ترقفه (٤) من مد، وفى الأصل وظ: بينات (٥) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٦) زيد من ظ ومد (٧) سقط من ظ.

لا يعرف الطريق : (عنى) أى خليق و جدير و حقيق .

و لما كانت عنايته بالله آتم لما له من عظيم المراقبة ، قال مقدماً له :

(ربى) أى المحسن إلى بعظيم التربية فى الأمور المهلكة (ان يهدىنى سواءً)

أى عدل و وسط (السيلى) و هو الطريق الذى يطلعه عليها من

غير اعوجاج .

و لما كان التقدير : فوصل إلى المدينة ، بنى عليه قوله : (و لما ورد)

أى حضر موسى عليه الصلاة و السلام حضور من يشرب (ماء مدين)

أى الذى يستقى منها الرعاء (وجد عليه) أى على الماء (امة)

أى جماعة كثيرة هم أهل لأن يَتَقَصُّدُوا وَيُقَصِّدُوا ، فذلك هم عالون

١٠ غالبون على الماء ؛ ثم بين نوعهم بقوله : (من الناس) و بين عملهم

أيضاً بقوله : (يسقون) أى مواشيهم ، و حذف المفعول لأنه غير

مراد ، و المراد الفعل ، و كذا ما بعده فان رحمة عليه الصلاة و السلام

لم تكن لكون الذود و المسقى ، غنما بل لمطلق الذيادة و ترك السقى

(و وجد من دونهم) أى وجدانا مبتدئا من أدنى مكان من مكانهم

١٥ الآتى إلى الماء (امراتين) عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المروءة

و مكارم الأخلاق كما يعلمه من أمعن النظر فيما يذكر عنها (تذوذن ج)

أى توجدان الذود ، و هو الكف و المنع و الطرد و ارتكاب أخف

(١) فى ظ و مد : عظم (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل

و ظ : يقصد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذود و السقى (٥) من

ظ و مد ، و فى الأصل : الدنيا - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :

الارتكاب .

الضررين، فتكفان أغنامها^١ إذا نزلت^٢ من العطش^٣ إلى الماء^٤ لتلا
تختلط بغير^٥ الناس .

ولما كان هذا حالاً موجبا للسؤال عنه، كان كأنه قيل : فله
قال لها؟ قيل : (قال) [أى - °] موسى عليه الصلاة والسلام رحمة لها :

(ما خطبكما) أي خبركما ومخطوبكما أي مطلوبكما، وهو كالتعبير بالشأن^٥
عن المشؤن الذي يستحق أن يقع فيه التخاطب لعظمة، في زيادكما^٦
لأغنامكما عن السقى؛ قال أبوحيان^٧ : والسؤال بالخطب إنما يكون في
مصاب أو مضطهد^٨ .

ولما كان من المعلوم أن سؤاله عن العلة (قالتا) [أى - °]

اعتذارا عن حالهما ذلك، وتلويحاً باحتياجهما إلى المساعدة : (لا) ١٠
[أى - °] خبرنا أنا لا (نسقى) أي مواشينا، وحذفه للعلم به (حتى يهدر)
أي ينصرف ويرجع (الرعاء سكتة) أي عن الماء لتلا يخاطبهم - هذا على
قراءة أبي عمرو وابن عامر^٩ بفتح الياء [وضم الدال - °] ثلاثياً.
والمعنى على قراءة الباقيين بالضم^{١٠} والكسر^{١١} : يوجدوا الرد والصرف .

(١-١) من ظ ومد، وفي الأصل : أي يرغب (٢-٢) من مد، وفي الأصل :
من الماء، وفي ظ : إلى الماء (٣) في ظ ومد : بهم (٤) من مد، وفي الأصل :
حلبها، والكلمة ساقطة من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) من مد، وفي
الأصل : دياركما، وفي ظ : دراركما (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ١١٣ (٨) من
ظ ومد، وفي الأصل : مطهد (٩) من ظ ومد، وفي الأصل : مواشياً .
(١٠) راجع ثمر المرجان ٥ / ١٦٣ (١١-١١) من ظ ومد، وفي
الأصل : فالكسر .

و لما كان التقدير: لأننا من النساء، وكان المقام يقتضى لصغر سنهما أن
لها أبا، وأن لا إخوة لهما، إلا لكفوهما ذلك، عطفنا على هذا المقدر
قولها: ﴿وابونا شيخ كبيره﴾ أى لا يستطيع لكبره أن يسقى، فاضطررنا^٩
إلى ما ترى، وهذا اعتذار أيضا عن كون أبيهما أرسلهما لذلك^{١٠} لأنه
ليس بمحظور، فلا ياباه^{١١} الدين، والناس مختلفون فى ذلك بحسب
المروءة، وعاداتهم فيها متباينة وأحوال العرب والبدو تباين^{١٢} أحوال العجم
والحضر، لاسيما إذا دعت إلى ذلك / ضرورة ﴿فسقى﴾ أى موسى
عليه الصلاة والسلام ﴿لها﴾ لما علم ضرورتهما، انتهازا لفرصة
الاجر وكرم الخلق فى مساعدة الضعيف، مع ما به من النصب والجوع
١٠ ﴿ثم تولى﴾ أى انصرف موسى عليه الصلاة والسلام جاعلا^{١٣} ظهره
إلى ما كان يليه وجهه ﴿الى الظل﴾ أى ليقبل تحته ويستريح، مقبلا
على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق، وعرفه لوقوع العلم بأن
بقعة^{١٤} لا تكاد تخلو من شىء له ظل^{١٥} ولا سيما أماكن المياه ﴿فقال﴾
لأنه ليس فى الشكوى إلى المولى العلى الغنى المطلق نقص ﴿رب﴾ .
١٥ ولما كان حاله فى عظيم^{١٦} صبره^{١٧} حال من لا يطلب، أكد سؤاله
إعلاما بشديد تشوقه لما سأل فيه وزيادة فى التضرع والرقعة، فقال:

- (١) من ظ و مد، وفى الأصل: ان (٢) فى ظ: واضررنا، وفى مد:
واضطررنا (٣) فى مد: كذلك (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: فلا يابان .
(٥) من مد . وفى الأصل و ظ: بيان - كذا (٦) من مد . وفى الأصل
و ظ: عاجلا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: يقعه (٨-٨) فى مد: الظل .
(٩) فى ظ و مد: عظيم (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: صبره .

(انى) و أكد الافتقار بالإصاق باللام دون ' إلى ' فقال : (لَمَّا)
 أى لآى شىء . و لما كان الرزق الآتى إلى الإنسان مسياً^١ عن القضاء
 الآتى عن العلى الكبير ، عبر بالإنزال و عبر بالماضى تعميماً لحالة الافتقار ،
 و تحقفا لإنجاز الوعد بالرزق فقال^٢ : (انزلت) و لعله حذف العائد
 اختصاراً لما به من الإعياء (إلى من خير) أى و لو قل (فقيره)^٥
 أى مضرور ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما^٣ أنه كان قد بلغ من
 الضر أن اخضر بطنه من أكل البقل و ضعف حتى لصق بطنه بظهره .
 فانظر إلى هذين النبيين عليهما الصلاة و السلام فى حالهما فى ذات يدهما ،
 و هما خلاصة ذلك الزمان ، ليكون لك فى ذلك أسوة ، و يجعله إماماً
 و قدوة . و تقول : يا أبى و أمى أما لى الأنبياء و الصالحون من الضيق^{١٠}
 و الأهوال فى سجن الحياة الدنيا ، صونا لهم منها^٤ و إكراماً من ربهم عنها ،
 رفعة لدرجاتهم عنده ، و استهانة لها و إن ظنه الجاهل المغرور على غير
 ذلك ، و فى القصة ترغيب فى الخير ، و حث^٥ على المعاونة على البر ،
 و بعث على بذل المعروف مع الجهد .

و لما كان سماعهما لقوله هذا مع إحسانه إليهما سبباً لدعاء شعيب^{١٥}
 عليه الصلاة و السلام له ، قال بانيساً على ما تقديره : فذهبت المرأتان
 إلى أيهما فحدثناه بخبرهما [ز - و -]^٦ بإحسانه إليهما ، فأمر بدعائه ليكافته :
 (فجاءته) أى بسبب قول الأب و على الفور (احدهما) أى المرأتين

(١) فى ظ : سبباً (٢) سقط من ظ (٣) راجع أيضاً روح المعانى ٦/٢٤٣ .

(٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ و مد : الحث (٦) زيد من ظ و مد .

حال^١ كونها (تمشى) ولما كان الحياه كأنه مركب لها وهي متمكنة منه، مالكة لزمانه، عبر بأداة الاستعلاء فقال: (على استحياء^٢) أى حياه موجود منها لأنها كلفت الإتيان إلى رجل أجنبي تكلمه وتماشيه؛ ثم استأنف الإخبار عما تشوف إليه السامع من أمرها فقال: (قالت) ٥ و أكدت إعلاما بما لا يبيها من الرغبة إلى لقاءه في قولها: (ان ابى) و صورت حاله بالمضارع فقالت: (يدعوك ليجزيك) أى يعطيك مكافأة لك، لأن المكافأة من شيم الكرام، وقولها لا غضاضة^٣ فيه (اجر ما سقيت لنا^٤) أى مواشينا، فأسرع الإجابة^٥ لما بينهما من الملامة^٦، ولذلك قال: (فلسا) بالفاء (جآه) أى موسى شعيبا ١٠ عليها الصلاة والسلام (وقص) أى موسى عليه الصلاة والسلام (عليه) أى شعيب عليه الصلاة والسلام (القصص^٧) أى حديثه مع فرعون وآله فى كفرهم وطغيانهم وإذلالهم لعباد الله، و تتبع له الأمور على ما هى عليه لما توسم^٨ فيه بما آتاه الله من الحكم والعلم من النصيحة والشفقة، والعلم والحكمة، والجلال والعظمة. / ١٥

١٠ ولما كان من المعلوم أنه لا عيشة لخائف، فكان أهم ما إلى الإنسان الأمان، قدم له التأمين بأن (قال) أى شعيب^٩ له عليهما^{١٠} الصلاة والسلام: (لا تخف^{١١} وقته) [أى - ٧] فان فرعون لا سلطان له

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: كان (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: عضاضة (٣) فى ظ: الاجابة (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الملامه (٥) فى ظ و مد: توهم (٦ - ٧) فى ظ و مد: عليه (٧) زيد من ظ و مد.

على ما ههنا، ولأن عادة الله تعالى [جرت - ١] أن تواضعك هذا ما كان في أحد إلا قضى الله برفعه، ولذلك كانت النتيجة: ﴿نجوت﴾ أى يا موسى ﴿من القوم الظلمين﴾ أى هو وغيره وإن كانوا في غاية القوة والعزاة في الظلم.

ولما اقتضى هذا القول أنه آواه إليه، علت اقتباه مضمونه، وكأنا قد رأنا من كفايته ودياته ما يرغب في عشرته، فتشوفت النفس إلى حالها، حيثئذ، فقال مستأنفا لذلك: ﴿قالت احدهما﴾ أى المرأتين. قيل: وهى التى دعت إلى أيها مشيرة [بالنداء - ١] بأداة البعد إلى استغفارها لنفسها وجلالة أيها: ﴿بأب استاجرته﴾ ليكفينا ما يهمننا؛ ثم علت قولها فقالت مؤكدة إظهارا لرغبتها في الخير واغباطها به: ﴿ان خير من استاجرت﴾ لشيء من الأشياء ﴿القوى﴾ وهو هذا لما رأينا من قوته في السقى ﴿الامين﴾ لما تفرسنا فيه من حياته، وعفته في نظره ومقاله وفعاله، وسائر أحواله؛ قال أبو حيان: وقولها قول حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت الأمانة والكفاية في القائم بأمر قديم المقصود. ﴿قال﴾ [أى - ١] شبيب عليه الصلاة والسلام، ١٥ و [هو - ١] في التوراة^١ يسمى: رعوثيل - بفتح الراء وضم العين

(١) زيد من ظ ومد (٢ - ٢) في مد: عرارة القوة وغاية (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: استغفارها (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: من (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: السعى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من مد (٧) في ظ ومد: قولها (٨ - ٨) في البحر المحيط ٧/ ١١٤: الكفاية والأمانة (٩) زيد من ظ (١٠) راجع الإصحاح الثاني من السفر ثلثي آية: ١٠٩.

المهمله وإسكان الواو ثم همزة مكسورة بعدها تحتانية ساكنة ولا م،
ويرو - فتح تحتانية وإسكان المثلثة وظم الراء المهمله وإسكان الواو
{ انى اريد } يا موسى، والتأكيد لاجل أن التريب قل ما يرغب
فيه أول ما يقدم^٢ لا سيما من^٣ الرؤساء أم الرغبة { ان انكحك }
هـ أى أزوجك زواجا، تكون وصله كوصلة أحد الحسنين^٤ بالآخر
{ احدى ابنتى } .

ولما كان يجوز^٥ أن يكون^٥ المنكح منها غير المسقى لهما، نقي
ذلك بقوله: { فنتين } أى الحاضرتين اللتين سقيت لهما، ليتأملهما
فينظر من يقع اختياره عليهما منها ليعقد له عليهما { على^٦ ان تاجرنى } أى
١٠ تجعل نفسك أجيرا عندي أو^٧ تجعل أجرى على ذلك وثوابى { ثمنى^٨ حججه }
جمع حجة - بالكسر، أى سنين، أى العمل فيها بأن تكون أجيرا لى
أستعملك فيما ينوبنى من رعية الغنم وغيرها، وآجره - بالمد والقصر،
من الأجر والإيجاز، وكذلك^٩ أجر الأجير والمملوك و آجره :
أعطاهما أجرهما { فان أتممت } أى التمانى يلوغ العقد بأن تجعلها
١٥ { عشرا^{١٠} } أى عشر سنين { فن } أى فذلك فضل من { عندك } {

(١) وهذا ورد اسمه فيما عندنا من نسخة التوراة: يرون - راجع الإصحاح
الثانى من سفر اثنائى: آية ١٨ (٢-٢) من ظ و مد، وفى الأصل: فيتناول
لا يقدم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ و مد: الجانيين (٥-٥) سقط ما بين
الرقمين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد « و » (٧) تقدم فى الأصل على « اى تجعل »
و التريب من ظ و مد (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: لذلك (٩) ورد فى
ظ بعد « أتممت » .

غير واجب عليك ، و كان تعيين الثمانى لانها - إذا أسقطت^١ منها مدة
 الحمل - أقل سن يميز فيه الولد غالباً ، و العشر أقل ما يمكن فيه البلوغ ،
 لينظر سبطه إن قدر فيتوسم^٢ فيه بما يرى من قوله و فعله^٣ ، و التعبير بما
 هو من الحج^٤ الذى هو القصد تفاقلاً بأنها تكون من طيبها بمثابة أمر^٥ الله
 و سعة رزقه و إفاضة نعمه و دفع^٦ نقمه أملاً لأن تقصد أو يكون فيها •
 الحج فى كل واحدة منها إلى بيت الله الحرام .

ولما ذكر له هذا ، أراد أن يعلمه أن الأمر بعد الشرط بينهما على
 المساخمة فقال : (و ما أريد ان اشق عليك^٧) أى أدخل عليك مشقة^٨
 فى شيء من ذلك و لا غيره لازم أو غير لازم ، ثم أكد معنى المساخمة
 بتأكيد و عد الملازمة^٩ فقال : (ستجدنى) ثم استثنى على قاعدة أولياء الله ١٠
 و أنبيائه فى المراقبة على سبيل التنزل^٩ فقال : (ان شاء الله) أى الذى
 " له جميع " الأمر (من الصالحين •) أى فى / حسن الصحبة و الوفاء بما
 قلت و كل ما " تريد من " خير (قال) أى موسى عليه السلام (ذلك)
 أى الذى ذكرت من الخيار و غيره (بينى و بينك^{١٠}) أى كأن بيننا
 على حكم النصفة و العدل و السواء على ما ألزمتنى به لازماً ، و ما أشرت ١٥

- (١) فى مد : سقطت (٢) فى ظ و مد : فيتوسم (٣-٢) فى مد : فعله و قوله .
 (٤) فى ظ و مد : الحجج (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : رفع .
 (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شقة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 الملازمة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : التبرك (١٠-١٠) فى ظ و مد :
 جمع له (١١) تكرر فى الأصل فقط (١٢) زيد فى ظ : كل .

إلى التفضل به إحساناً ، و عليك ما ألزمت به نفسك فرضاً و فضلاً ،
 ثم ^١ين و ^٢فسر ذلك بقوله : (ايما الاجلين) أى أى أجل منهما : الثمان
 أو ^٣العشر (قضيت) أى عملت العمل المشروط على فيه فقد خرجت
 به ^٤من المهدة (فلا عدوان) أى اعتداه بسبب ذلك لك و لا لأحد
 • (على ^٥) [أى - ^٦] فى طلب أكثر منه لأنه كما لا تجب على الزيادة
 على [العشر لا تجب على الزيادة على - ^٧] الثمان ، وكأنه أشار بنى
 صيغة المبالغة إلى أنه لا يؤخذ لسعة صدره و طهارة أخلاقه بمطلق
 العدو (والله) أى الملك الأعظم (على ما نقول) أى كله فى هذا
 الوقت و غيره (و كيل) أى شاهد و حفيظ قاهر عليه و ملزم به فى
 الدنيا و^٨ فى الآخرة ، فإلظن بما وقع بيننا من العهد من النكاح
 و الأجر و الأجل .

ذكر مضمون هذا من التوراة : قال فى أول السفر الثانى منها :
 و هذه أسماء بنى إسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام ،
 دخل كل امرئ^١ و أهل بيته روبيل^٢ و شمعون و لاوى و يهوذا و إسحاق
 ١٥ و زبلون و بنيامين و دان و نفتالى و جاد و أشير^٣ ، و كان عدد ولد

(١ - ١) سقط ما بين الرّين من ظ و مد (٢) فى ظ و مد « و » (٣) سقط
 من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : أو .
 (٦) زيد فى الأصل و ظ : منهم ، ولم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها .
 (٧) و ورد بعض الاسماء فى التوراة ببعض المفارقات (٨) من ظ و مد و
 التوراة ، وفى الأصل : امشير .

يعقوب الذين خرجوا من صلبه سبعين نفسا مع يوسف عليه الصلاة والسلام الذي كان بمصر، فتوفى يوسف وجميع إخوته وجميع ذلك الحقب، وبنو إسرائيل نموا وولدوا وكثروا واعتزوا جدا جدا، وامتلات الأرض منهم، فلك على مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هذا شعب^٢ بنى إسرائيل قد كثر^٣ عددهم فهم^٤ أكثر^٥ وأعز منا، هلوا نحتال لهم قبل أن يكثروا، لعل أعداءنا يأتونا يقاتلوننا فيكونوا عوننا لأعدائنا علينا فيخرجونا من الأرض، فولى عليهم ولاية ذوى^٦ فظاظة وقساوة ليتعبدوهم، وجعلوا يبنون قري لأجران فرعون واهرائه وفي نسخة: وبنوا لفرعون مدنا محصنة فيسترم في القيوم وفي عين شمس، وفي نسخة: فيثوم ورعسيس^٧، وفي نسخة: وأكوان^٨ التي هي ١٠ مدينة الشمس، واشتد تعبدهم لهم، وذلهم إياهم، وكانوا يزدادون كثرة ويعتزون، فاشتد^٩ غمهم وحزنهم بسبب بنى إسرائيل، وكان المصريون يتعبدون^{١٠} بنى إسرائيل بشدة^{١١} وقساوة، ويمرون^{١٢} حياتهم بالكد والتعب الصعب الشديد بالطين وعمل اللبن وفي كل عمل الحقل^{١٣}، وكان تعبدهم

(١) - قط من ظ (٢) من ظ ومد والتوراة، وفي الأصل: شعيب (٣-٣) في ظ ومد: عدده فهو (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: ذى، والكلمات في التوراة مختلفة عما هنا (٥-٥) من ظ ومد والتوراة، وفي الأصل: فيشرم ويعيس وعيس (٦) من مد، وفي الأصل: اكون، وفي ظ: الوان، (٧) في ظ: واشتد (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: يبعدون (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: شدة (١٠) في التوراة: يمررون (١١) سقط من مد

إيام في جميع ما استعملوم بالشدة والفظاظة و التساوة، قال ملك مصر: [وجعلنا -^١] لقوابل العبرانيات التي تسمى إحداهما فوعا^٢ والآخرى شوفرا^٣، وأمرهما: إذا أتتا قبلنا العبرانيات فانظرا^٤ إذا سقط الولد، فإن كان ذكرا فاقتلاه، وإن كانت أنثى فاستبقياها^٥ فاتقت القابلتان الله ولم يفعلوا ما أمرهما به ملك مصر، وجعلنا تستحيان الغلمان، فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما: ما بالكما؟ جاوزتما أمرى وأحييتما الغلمان؟ فقالتا لفرعون: إن^٦ العبرانيات لسن^٧ كالمصريات لأنهن قوابل، ويلدن قبل أن تدخل القابلة عليهن^٨، فأحسن الله إلى القابلتين لضعفهما هذا، فكثر الشعب وعز جدا، فلما اتقت القابلتان / الله أنماهما

١٠. و جعل لهما بين، و في نسخة: يوتا، فأمر فرعون جميع قومه قائلا: كل غلام يولد لهم^٩ فألقوه في النهر، وكل جارية تولد فاستبقوها، فانطلق رجل من آل لاوى فزوج إحدى بنات لاوى، فحبلت المرأة فولدت ابنا فرأته حسنا جدا، ففقيهته ثلاثة أشهر ولم تقدر أن تنبئه أكثر من ذلك، فأخذت تابوتا من خشب الصنوبر، وطلته بالقار والزفت

(١) زيد من ظ ومد (٢) في التوراة: فوعة (٣) في ظ ومد: شوفرهما، وفي التوراة: شغرة (٤) في الأصول: فانظروا، وفي التوراة: وتنظرانهن. (٥) في مد: فاستبقوها (٦) من ظ ومد و التوراة، وفي الأصل: القابلات. (٧) في مد: ليس (٨) من التوراة، وفي الأصل وظ: ليس، والكلمة ساقطة من مد (٩) زيد في الأصل وظ: جعيمها، ولم تكن الزيادة في مد و التوراة فحذفتها (١٠) ليس في مد و التوراة (١١) من هنا يتبدى الأصحاح الثاني.

و وضعت فيه الغلام ووضعت في الضحاح على شاطئ النهر، وقامت
 أخته من بعيد لتنظر ما يكون من أمره، فخرجت بنت فرعون تتنسل
 في النهر، فنظرت إلى التابوت في الخاضة، فأرسلت جوارها فأتوا به
 ففتحته فرأت الغلام، فاذا هو يبكي فرحته، وقالت: هذا من بنى
 العبرانيين، فقالت أخته لابنة فرعون: هل لك أن أتلقى أدعوك ه
 ظننا من العبرانيات قرضع هذا الغلام؟ فقالت^١ لها ابنة فرعون: نعم ا
 انطلقى، فانطلقت الفتاة و دعت^٢ أم الغلام، فقالت لها ابنة فرعون:
 خذى هذا الصبي فارضيه وأنا أعطيك أجرتك، فأخذت المرأة الغلام
 فأرضعته فشب^٣ الغلام فأنت به إلى ابنة فرعون فبته^٤، وسمته موسى
 لأنها قالت: إني انتشلته من الماء. فلما كان بعد تلك الأيام نشأ موسى ١٠
 عليه السلام و خرج إلى إخوته فنظر إلى ذلهم، فرأى رجلا مصريا
 يضرب رجلا عبرانيا من إخوته من بنى إسرائيل، فالتفت يميناً وشمالاً
 فلم ير أحداً يقتل المصرى، فمات ودفنه في الرمل، ثم خرج يوماً آخر فاذا
 هو برجلين عبرانيين يصطحبان، فقال للسىء منهما: ما بالك؟ تضرب أخاك؟
 فقال له: من جعلك علينا رئيساً وحاكماً؟ لعلك تزيد أن تقتلى كما قتلت ١٥
 المصرى أمس؟ ففرق موسى وقال: حقا لقد فشا هذا الأمر، فبلغ فرعون
 الأمر وأراد موسى، فهرب موسى من فرعون وانطلق إلى أرض

(١) زي - في ظ: اسرائيل (٢) في ظ و مد: قالت (٣-٢) من ظ و مد
 و التوراة، وفي الأصل: فدعت (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: فنشأ،
 وفي التوراة: كبر (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: فبته.

مدين، و جلس على طوى الماء، و كان لخبز مدين سبع بنات، فكن
يأتين فيدنان الماء فيملآن الحياض ليسقين غنم أبيهن،^١ و كان الرعاة
يأتون^٢ فيطردونهن، فقام موسى فخلصهن وأسقى غنمهن، فأتين إلى
رعوثيل^٣ أبيهن فقال لهن: ما بالكن؟ أسرعتن السقى اليوم؟ فقلن له:
٥ رجل مصرى خلصنا من أيدي الرعاة، فاستقى^٤ لنا الماء، و سقى غنمنا،
فقال لبناته: و أين هو؟ لم تركتن الرجل، انطلقن و ادعونه فيأكل عندنا
خبزاً، ففعلن ذلك، فأعجب موسى أن ينزل على ذلك الرجل فزوجته
صفورا^٥ ابنته فتزوجها فولدت له ابناً فسماه جرشون^٦، لأنه قال: إني
صرت ساكناً في أرض غريبة^٧. و ولدت لموسى ابناً^٨ آخر، فسماه إيلعازر،
١٠ لأنه قال: إن إله آبائي خلصنى من حرب^٩ فرعون. و قوله:
إن المتخاصمين في اليوم الثاني عبرانيين، إن أمكن تنزيل ما في القرآن
عليه فذاك، و إلا فهو عما بدلوه، و قوله: إن بنات شعيب سبع،
لا يخالف ما في القرآن الكريم. بل أيده الزمخشري^{١١} بتعيينها بقوله
”هاتين“ لكن تقدم ما يشير إلى أن ذلك غير لازم.

١٥ ولما كان من المعلوم أن التقدير: فلما التزم موسى عليه السلام

(١-١) في مد: فكان (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ياتين (٣) من ظ
و مد و التوراة، و في الأصل: دعويل (٤) من ظ و مد و التوراة، و في
الأصل: فاسقا - كذا (٥) في التوراة: صفورة (٦) في التوراة: جرشوم .
(٧) من مد و التوراة، و في الأصل و ظ: غريبة (٨) من ظ و مد، و في
الأصل: ولدا (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد (١١) راجع الكشاف -
الآية المعنية .

زوجته ابنته كما شرط، واستمر عنده حتى قضى ما عليه، بنى عليه قوله:
 (فلما قضى) أى وفى^٢ وأتم،^٣ ونهى^٤ وأتخذ (موسى) صاحبه
 (الاجل) أى الآوفى، وهو العشر، بأن وفى جميع ما شرط عليه
 من العمل، فانه ورد أنه قضى من الاجلين أوفاهما^٥، وتزوج من

المرأتين / صفراهما، وهى التى جاءت فقالت: "ينابت استاجره" روى ه ١٨/
 الطبرانى فى الأوسط معناه عن أبى ذر رضى الله عنه مرفوعا^٦، والظاهر
 أنه مكث عنده بعد الاجل أيضا مدة، لانه عطف بالواو قوله: (وسار)
 ولم يجعله جوابا للما (باهله) أى امرأة راجعا إلى أقاربه بمصر
 (انس) أى أبصر (من جانب الطور ناراج) آنته رؤيتها . شرحت
 إشارتها، و كان مضرورا إلى الدلالة على الطريق والاصطلاء بالنار . ١٠

ولما كان كأنه قيل: ما ذا فعل عند^٧ ما أبصرها قيل^٨: (قال لاهله)
 ولما كان النساء أعظم ما ينبغي ستره، أطلق عليها ضمير الذكور^٩ فقال:
 (امكثوا) وإن كان معه بنين^{١٠} له فهو على التغليب^{١١}؛ ثم علل ذلك
 بقوله مؤكدا^{١٢}، لاستبعاد أن يكون فى ذلك المكان القفر وفى ذلك

(١) فى ظ : شط - خطأ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: رقى (٣-٣) سقط
 ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الادنى (٥) من
 ظ و مد، وفى الأصل: ادناهما (٦) راجع بجمع الزوائد ٨٨/٧ (٧-٧) فى ظ :
 ما ابصرها فقيل، وفى مد: رؤيتها فقيل (٨) من ظ و مد، وفى الأصل:
 المذكور (٩) من مد، وفى الأصل و ظ: بنون (١٠) زيد فى ظ: له (١١) من
 ظ و مد، وفى الأصل: معللا .

الوقت الشديد البرد ناراً: ﴿ اِنِّىْ اَنْتَ نَارًا ﴾ فكأنه قيل: فاذا تعمل^٢ بها؟ فقال معبراً بالترجى لأنه ألبق بالتواضع الذى هو مقصود السورة، وهو الحقيقة فى إدراك الآدميين فى مثل هذا^٣. ولذا عبر بالجدوة التى مدار مادتها الثبات: ﴿ لَعَلَّآ اَتِيكُمْ مِنْهَا ﴾ أى من عندهما ﴿ بخبر ﴾ ينفعا^٤ فى الدلالة على المقصد^٥ ﴿ او جدوة ﴾ أى عود غليظ ﴿ من النار ﴾ أى متسكنة^٦ منه هذه الحقيقة أو التى^٧ تقدم ذكرها؛ ثم استأنف قوله: ﴿ لعلكم تصطلون^٨ ﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن تقربوا من النار فتعطفوا^٩ عليها لتدققوا، وهذا دليل على أن الوقت كان شتاء ﴿ فلما أتتها ﴾ أى النار.

١٠. ولما كان آخر الكلام دالا دلالة واضحة على أن المنادى هو الله سبحانه، نبى للفعول قوله دالا على ما فى أول الأمر من الحفاء: ﴿ نودى ﴾ ولما كان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء^{١٢} غيره^{١١} بل يكون من جميع الجوانب، وكان مع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد تشرىف^{١٣} بوصف من الأوصاف، إما بأن يكون أول السماع منه أو غير ذلك أو يكون باعتبار ١٥ كون موسى عليه الصلاة والسلام [فيه - ١٠]. قال: ﴿ من ﴾ أى

(١) من مد، وفى الأصل و ظ: ناراً (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: فعل .
 (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: المقصد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: فتمكنت (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى (٧) فى ظ: تعطفوا (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: غيره (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: شرف (١٠) زيد من ظ و مد .

كأنا موسى عليه السلام بالقرب [من - ١] (شاطىء) أى جانب (الواد)
 عن يمين موسى عليه الصلاة والسلام، ولذلك قال: (الايمن) وهو
 صفة للشاطىء الكائن أو كأنا (فى البقعة المباركة)^٢ كأنا أول أو معظم
 النداء أو كأنا موسى عليه الصلاة والسلام [قريبا - ١] (من الشجرة) كما
 تقول: ناديت فلانا من بيته، ولعل الشجرة كانت كبيرة، فلما وصل
 إليها دخل النور من طرفها^٣ إلى وسطها^٤. فدخلها وراه بحيث توسطها
 فسمع - وهو فيها - الكلام من الله تعالى حقيقة، وهو المتكلم سبحانه
 لا الشجرة. قال القشيري: وحصل الإجماع أنه عليه الصلاة والسلام سمع
 تلك الليلة كلام الله، ولو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة،
 و^٥ قال التفتازانى شرح المقاصد أن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه
 الأزلى بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته فى الآخرة بلا كم ولا كيف،
 وتقدم فى ظه^٦ أن المراد ما^٧ إلى يمين^٨ المتوجه من مصر إلى الكعبة
 المشرفة، والشجرة قال البغوى^٩: قال ابن مسعود رضى الله عنه: كانت
 سمرة^{١٠} خضراء تبرىق، وقال قتادة ومقاتل والكلبى: كانت عوسجة^{١١}،
 وقال وهب: من العليق، وقال^{١٢} ابن عباس رضى الله عنهما: إنها
 العناب. ثم ذكر المنادى بقوله: (ان يعموسى^{١٣}) وأكد لأنه سبحانه

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد فى ظ: اى (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ
 ومد (٤) سقط من ظ ومد (٥-٥) فى ظ ومد: اى بين (٦) راجع معالم
 التنزيل بهامش الباب ١٤٣/٥ (٧) من ظ ومد والمعالم، وفى الأصل: مشمرة.
 (٨) من ظ ومد والمعالم، وفى الأصل: موشحة (٩) من ظ ومد والمعالم،
 وفى الأصل: عن.

لعظمه يحتقر كل أحد نفسه لأن / يؤهله للكلام لاسيما و الأمر في أوله
 فقال: ﴿ اِنِّى انا الله ﴾ أى المستجمع للأسماء الحسنى، والصفات العلى .
 ولما كان ' هذا الاسم ' غيبا، تعرف بصفة هى جمع الافعال
 المشاهدة للانسان فقال: ﴿ رب العلين ﴾ أى خالق الخلائق أجمعين
 ٥ و مريمهم ﴿ وان التى عصاك ﴾ أى لأريك فيها آية .

ولما كان التقدير: فألقاها فصارت فى الحال حية عظيمة، وهى
 مع عظمها فى غاية الخفة، بنى عليه قوله: ﴿ فلما رآها ﴾ أى العصا
 ﴿ تهتز كأنها ﴾ أى فى سرعتها وخفتها ﴿ جان ﴾ أى حية صغيرة
 ﴿ ولى مدبرا ﴾ خوفا منها ولم يلتفت إلى جبتها، وهو معنى قوله:
 ١٠ ﴿ ولم يعقب ﴾ أى موسى عليه الصلاة والسلام، وذلك كناية عن
 شدة التصميم على الهرب والإسراع فيه خوفا من الإدراك فى ٢ الطلب
 فقيل له: ﴿ يمسوسا اقبل ﴾ أى التفت و تقدم إليها ﴿ ولا تخف ﴾
 ثم أكد له الأمر لما الآدى مجبول عليه من النفرة وإن اعتقد صحة الخبر
 بقوله: ﴿ انك من الأمنين ٥ ﴾ أى العريقين فى الأمن كعادة إخوانك
 ١٥ من المرسلين؛ ثم زاد طمأنينته بقوله: ﴿ اسلك ﴾ أى أدخل على
 الاستقامة ٥ مع الخفة والرشاقة ﴿ يدك فى جييك ﴾ أى القطع الذى
 فى ثوبك وهو الذى تخرج منه الرأس، أو هو الكم، كما يدخل السلك
 وهو الخيط الذى ينظم فيه الدرر، تنسلك ٦ على لونها وما هى عليه من

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من مد (٣) فى ظ
 «و» (٤) فى ظ: طابئته - كذا (٥) فى ظ و مد: استقامة (٦) فى ظ:
 بنظمك .

أثر الحريق الذي عجز فرعون عن مداواته، وأخرجها (تخرج يضاء)
 أى^١ يابضا عظيما يكون له شأن خارق للعادات (من غير سوء ز) أى
 عيب^٢ من حريق أو غيره، فخرجت. ولها شعاع كضوء الشمس، فالآية
 من الاحتياك^٣.

ولما كان ذلك لا يكون آية محققة^٤ لعدم العيب إلا^٥ بعودها
 بعد ذلك إلى لون الجسد قال: (واضم اليك) أى إلى جسدك. ولما
 كان السياق للتأمين من الخوف، عبر بالجناح، لأن الطائر^٦ يكون آمنا
 عند ضم جناحه فقال: (جناحك) أى يدك التى صارت يضاء، والمراد
 بالجناح فى آية طه الإبط والجانب لأنه لفظ مشترك (من الرهب)
 أى من خشية أن تظنها معينة تخرج كما كانت قبل يابضا فى لون جسدك - ١٠
 هذا على أن المراد بالرهب الخوف الذى بهره فأوجب له الهرب، ويجوز
 أن يكون المراد بالرهب الكم. فىكون إدخالها فى القى - التى ليست
 موضعها بل الرأس - لليابض، وإدخالها فى الكم - الذى هو لها - لرجوعها
 إلى عاداتها، وفى البغوى^٧ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى
 أمره أن يضم يده إلى صدره فذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة
 الحية، وقال: وما من خائف بعد^٨ موسى عليه الصلاة والسلام إلا
 إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وأظهر اليد بلفظ الجناح من

(١) - قط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: عيبا (٣) أى ذكر
 السلوك أولا دلالة على حذف الإخراج ثانيا، وذكر البياض ثانيا دلالة على
 حذف العيب أولا (٤) فى ظ و مد: محققا (٥) فى مد: لا - خطأ (٦) فى ظ:
 الطير (٧) أى معاله - راجع الباب ١٤٣/٥ (٨) فى ظ: يقدر - خطأ.

غير إضمار تعظيماً للقيام و' تنبيهاً على أن عودها إلى حالها الأول آية مستقلة، وعبر عنها بلفظ الجناح^١ تنبيهاً على الشكر بتعظيم نعمها .

ولما تم كونها آية بانقلابها^٢ إلى اليأس ثم رجوعها إلى لونها

قال: (فذلك) أى العصا واليد البيضاء، وشدد^٣ أبو عمرو وابن

كثير ورويس تقوية لها لتعادل الأسماء المتمكنة، وذكر لزيادة التقوية

(برهائن) أى سلطانان وحقان / قاهرتان (من ربك) أى المحسن / ٢٠

إليك لا يقدر على مثلها غيره (إلى) أى واصلان، أو أنت مرسل

بهما إلى (فرعون وملائته^٤) كلما أردت ذلك وجدته^٥، لا أنها يكونان

لك هنا فى هذه الحفرة فقط، ثم علل الإرسال إليهم على وجه إظهار

١٠ الآيات لهم واستمرارها بقوله^٦ مؤكداً تنبيهاً على [أن - ^٧] إقدامه

على الرجوع إليهم فعل من يظن أنهم رجعوا عن غيهم، وإعلاماً بمنته^٨

عليه بالحماية منهم بهذه البراهين: (انهم كانوا) أى جيلة وطبعا

(قوماً) أى أقوياء (فسقين^٩) أى^{١٠} خارجين عن الطاعة، فاذا

رأوا ذلك هابوك^{١١}، فلم يقدرُوا على الوصول إليك بسوء، وكنت فى

١٥ مقام أن تردم عن فسقهم .

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد فى ظ و مد: من غير إضمار (٣) فى ظ

و مد: كونه (٤) فى ظ: بانقلابها (٥) راجع نثر الرجال ١٧٣/٥ (٦) من ظ

و مد، وفى الأصل: واجدته (٧) تقدم فى مد على الإرسال إليهم (٨) زيد

من ظ و مد (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: بمنته (١٠) سقط من ظ .

(١١) فى ظ: يغلبون، وفى مد: يهابوك .

ولما كان كأنه قيل : ما فعل بعد رؤية هذه الخوارق ؟ قيل :
 ثبت ، علما منه بصعوبة المقام وخطر الأمر ، فاشتراط لنفسه حتى رضى ،
 وتلك كانت عادته ثباتا و حزما ، و حلما و علما ، ألا ترى إلى ما فعل
 معنا عليه السلام و التحية و الإكرام من الخير ليلة الإسراء فى السؤال
 فى تخفيف الصلاة ، و لذلك كله ^٢ (قال رب) أى أيها المحسن إلى ^٥
 (أنى) أكده لأن إرسال الله سبحانه له فعل من لا يعتبر أن لهم عليه
 رة ^٤ ، فذكر ذلك ليعلم وجه عدم اعتباره ^٥ (قتل منهم) أى آل
 فرعون (نفسا) و أنت تعلم ما خرجت إلا هاربا منهم من أجلها
 (فاخاف) إن باديتهم ، بمثل ذلك (ان يقتلون ^٥) لذنبى إليهم و وحدتى
 و غربتى و ثقل لسانى فى إقامة الحجج .

١٠

ولما تسبب عن ذلك طلب الإعانة بشخص فيه كفاية وله عليه
 شفقة ^٦ ، و كان أخوه هارون أحق الناس بهذا الوصف ، كان التقدير :
 فأرسل معى أخى هارون - إلى آخره ، غير أنه قدم ذكره اهتماما بشأنه
 فقال : (و أخى هارون) و الظاهر أن واره للحال من ضمير موسى عليه
 الصلاة و السلام ، أو عاطفة على مقول القول ، و المعنى أنه يخاف أن ^٧
 يفوت مقصود الرسالة ^٨ إما بقتله أو لعدم بيانه ، فاكتفى بالتلويح فى الكفاية

- (١) زيد فى الأصل : كان هذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد و فى الأصل : كلمة (٤) من مد ، و فى
 الأصل و ظ : نزه (٥) فى ظ : اختياره (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : شفقتة .
 (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيمين من مد (٨) زيد بعده فى الأصل : له ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : و اكتفى .

من الاول ، لانه لا طاقة لاحد غير الله بها ، و صرح بما يكفى من الثانى ،
فكان التقدير : إني أخاف أن يقتلون فيفوت المقصود ، و لا يحتمل^٢ من
ذلك إلا أنت ، و إن لسانى فيه عقدة ، و أخى - إلى آخره ؛ و زاد فى
تعظيمه بضمير الفصل فقال : (هو افصح منى لسانا) أى من جهة اللسان
٥ للعقدة التى كانت حصلت له من وضع الحجر فى فيه و هو طفل فى كفالة
فرعون (فارسله) أى بسبب ذلك (معى ردا) أى معينا ، من رداً
فلانا بكذا ، أى جعلته له قوة و عاضداً ، و رداً الحائط - إذا دعمته
بجثب أو كبش يدفعه أن يسقط^٢ ؛ و قراءة نافع^٢ بغير همز من الزيادة .
و لما كان له عليه من العطف و الشفقة ما يقصر الوصف عنه ،
١٠ نه على ذلك باجابة السؤال بقوله : (يصدقنى ذ) أى بأن يأنص^٢ بفصاحته
ما قلته و بينه ، و يقيم الأدلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحاً ، فيكون
- مع تصديقه لى بنفسه - سبياً فى تصديق غيره لى ؛ و رفعه عاصم^٢
و حمزة صفة لرداً . ثم علل سؤاله هذا ، و بين أنه هو المراد ، لا أن يقول
له : صدقت ، فان قوله لهذه اللفظة لا تعلق له بالفصاحة حتى يكون سبياً
١٥ للسؤال فيه ، بقوله مؤكداً لاجل أن من كان رسولا عن الله لا يظن به
أن يخاف : (إني أخاف / ان يكذبون) .

/ ٢١

و لما كان ما رأى من الأفعال ، و سماع من الأقوال ، مقتضيا للامن

(١) من مد ، و فى الأصل : صعوت ، و فى ظ : ليفوت (٢) ظ و مد ؛
لا يحتمل (٣) هو قول ابن شميل - راجع تاج العروس (٤) راجع نثر المرجان
١٧٥/٥ فى ظ و مد : يخلص (٦) راجع نثر المرجان ١٧٦/٥ .

من أن يكذبوه، وكان عالما بما هم عليه من التساوة والكبر، أشار^١ إلى ذلك بالتأكيد، أى وإذا كذبوني عسرت على المحاجة على ما هو عادة أهل الهمم^٢ عند تماثل الخصوم على العناد^٣، والإرسال موجب للكلام كثير و حجاج طويل، و قريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم^٤ لما أمره الله تعالى بانذار قومه "إذن^٥ يثلغوا رأسي فيجعلوه خبزة"^٥ و كأن مراد السادة القادة عليهم الصلاة والسلام و التحية و الإكرام الاستعلاء عن^٦ الأمر هل يجرى على العادة أو لا؟ فان كان يجرى^٦ على العادة و طنوا أنفسهم على الموت، و إلا ذكر لهم الأمر الخارق فيكون بشارة لهم، ليمضوا^٧ فى الأمر على بصيرة، و يسيروا فيه على سب ما يقتضيه من السيرة .

١٠

ولما أكد أمر الطلب بهارون عليهما الصلاة والسلام، أكد له سبحانه أمر الإجابة بقوله مستأنفا: (قال سنشد) و ذكر أولى الأعضاء بمزاولة المكاره فقال: (عضدك) أى أمرك (باخيك) أى ستقويك و نعينك به إجابة لسؤالك صلة منك لأخيك، و عوننا منه لك (و نجعل لكما سلطنا) أى ظهورا عظيما عليهم، و غلبة لهم بالحجج ١٥

(١) فى ظ: إشارة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الفساد (٤) راجع صحيح مسلم أبواب الجنة (٥) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: ان (٦) فى ظ و مد: فيجعلونه، و فى الصحيح: فيدعوه (٧) فى مد: على (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: جرى (٩) فى ظ و مد: ليضمنوا.

والهية لاجل ما ذكرت من الخوف (فلا) [أى - ١] 'فتسبب عن'
 ذلك أنهم^٢ لا (يصلون اليكاج) بنوع من أنواع الغلبة (بايتناج) أى نجعل
 ذلك^٣ بسبب ما يظهر على أيديكما من الآيات المعظمة بنسبتها إلينا، ولذلك
 كانت^٤ النتيجة (انما ومن اتبعكما) أى من قومكما وغيرهم (الغلبون^٥)
 أى لا غيرهم، وهذا يدل^٦ على أن فرعون لم يصل إلى السحرة بشيء مما
 هددهم^٧، به، لأنهم من أكبر الاتباع الباذلين^٨ لانفسهم^٩ في الله، وكأنه^{١٠}
 حذف أمرهم هنا لانه في بيان أمر فرعون^{١١} وجنوده بدليل ما كرر
 من ذكرهم، وقد كشفت العاقبة^{١٢} عن أن السحرة^{١٣} ليسوا من جنوده،
 بل من حزب الله وجنده، ومع ذلك فقد أشار إليهم بهذه الآية والتي
 بعدها، وسيأتى في آخر سورة الحديد عن تاريخ ابن عبد الحكم أنهم
 خاصوا ورجع^{١٤} بعضهم إلى مصر فكانوا^{١٥} أول من ترهب .

شرح ما مضى^{١٦} من التوراة، قال بعد ما تقدم^{١٧} : وكان من بعد

- (١) زيد من ظ ومد (٢-٢) في ظ : تسبب عن ، وفي مد : فيسبب ؛ (٣) من
 ظ ، وفي الأصل : لهم ، والكلمة ساقطة من مد (٤) من مد ، وفي الأصل
 و ظ : لك (٥) في ظ ومد : كان (٦) في ظ ومد : غيركم (٧) من ظ ومد ،
 وفي الأصل : ينزل (٨) في ظ ومد : يهددهم (٩) في ظ : العاذلين (١٠) من
 ظ ومد ، وفي الأصل : انفسهم (١١) من ظ ومد ، وفي الأصل : كانوا .
 (١٢) سقط من ظ (١٣ - ١٣) في مد : عن السحرة انهم (١٤) من ظ ومد ،
 وفي الأصل : رجعهم (١٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : وكانوا (١٦) من
 ظ ومد ، وفي الأصل : نص (١٧) راجع الأصحاح الثالث .

أيام كثيرة مات فرعون ملك مصر فاستراح بنو إسرائيل من شدة تعبدهم،
فصلوا فسمع^١ الله صلاتهم، وعرف تعبدهم، وسمع ضجتهم، وذكر^٢
عهده لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، فأبصر الله بنى إسرائيل، وعرف ذلهم،
فكان^٣ موسى يرعى غنم يثرون^٤ ختنه^٥ جبر مدين، فساق بالشاه إلى طرف
البرية و أتى إلى حوريب جبل الله، فقرأ له ملك الله بلهب^٦ النار^٧ من
جوف العوسج، تشتعل فيه النار، ولم يكن العوسج يحترق، فقال موسى:
لاعدن فأنظر إلى هذه الرؤيا العظيمة؛ ما بال هذه العوسجة لم تحترق؟
فرأى الرب أنه قد عدل لينظر، فدعاه الله من جوف العوسج وقال له:
يا موسى يا موسى! فقال: هأنذا! قال: لا^٨ تدن إلى ههنا، اطرح خفيك
عن قدميك، لأن المكان الذى أنت^٩ واقف عليه مكان طاهر، وفي ١٠
نسخة: مقدس، وقال الله: أنا إله أليك إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب،
فغطى موسى وجهه لأنه فرق أن يمد بصره نحو الرب، وقال الرب:
إني قد رأيت ذل شعبي بمصر، وسمعت ضجتهم التى / ضجوا من تعبدهم،
٢٢ / "لأنى عارف برايتهم"^{١٠}، فنزلت لاخلصهم من أيدي المصريين، وأن أصعدهم

(١) من ظ و التوراة، وفي الأصل ومد: وسمع (٢) في ظ ومد: وذكره .
(٣) في مد: وكان (٤) وقع في التوراة: يثرون - كما قدمنا (٥) من ظ ومد،
والتوراة معنى، وفي الأصل: حنة (٦) في ظ: يلهب، وفي مد: تلهب،
وفي التوراة: بلهيب (٧) زيدت الواو في ظ ومد (٨) من ظ ومد
والتوراة، وفي الأصل: الا (٩) زيد في الأصل و ظ: فيه، ولم تكن
الزيادة في مد والتوراة فحذفناها (١٠ - ١٠) وفي التوراة: انى
علمت أوجاعهم.

من تلك الأرض إلى أرض صالحه واسعة، تغل التمن و العسل :
 أرض الكنعانيين^١ و الحثانيين و الامورانيين و الفرزانيين^٢ و الحوانيين
 و اليابانيين، و الآن هو ذا ضجيج بني إسرائيل قد ارتفع إلى، و رأيت
 ضر المصريين لهم، فهبطت الآن حتى أرسلك إلى فرعون، و أخرج
 ٥ شعبي بني إسرائيل من مصر، فقال موسى لله : من أنا حتى أنطلق إلى
 فرعون^٣ و أخرج بني إسرائيل من مصر، فقال الله : أنا [أكون -^٤
 معك و هذه لآية^٥ لك أني أرسلتك : إنك إذا أخرجت الشعب من مصر
 تعبدون^٦ الله في هذا الجبل، فقال موسى : هأنذا منطلق إلى بني إسرائيل
 و أقول لهم : الرب إله آبائكم أرسلني إليكم، فان قالوا [لى -^٧] : ما
 ١٠ اسمه؟ ما الذي أقول^٨؟ فقال الرب لموسى : قل لهم : الأزلي^٩ الذي
 لم يزل، و في نسخة : لا يزول، و قال : هكذا قل لبني إسرائيل : أهياشر^{١٠}
 أهيا أرسلني إليكم، و قال الرب أيضا لموسى هكذا قل لبني إسرائيل :

(١) وجميع الكلمات سوى هذه الواحدة واردة في التوراة بدون النون .
 (٢) من ظ و مد، و في الأصل : العذرائيين (٣-٣) في مد : لفرعون (٤) زيد
 في الأصل و ظ : الى ، و لم تكن الزيادة في مد و التوراة لحذفها (٥) في مد :
 آل (٦) زيد في الأصل : له ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و التوراة لحذفها .
 (٧) زيد من ظ و مد و التوراة (٨) من مد، و في الأصل و ظ : الآية،
 و السياق مختلف في التوراة بعض الشيء (٩) في ظ : خرجت (١٠) من مد
 و التوراة، و في الأصل و ظ : يعبدون (١١) زيد من التوراة (١٢) من مد
 و التوراة، و في الأصل و ظ : اقوله (١٣) من ظ و مد، و في الأصل :
 الأزلي، الجملة ليست في نسختنا من التوراة (١٤) في التوراة : الذي .

الله ربكم إله آياتكم إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب أرسلنى إليكم هذا^١
اسمى إلى الأبد، وهذا ذكرى إلى حقب الأحقاب، انطلق فاجمع
أشياخ بنى إسرائيل وقل لهم: الرب إله آياتكم اعتن لى، وإله إبراهيم
[وإسحاق -^٢] و يعقوب يقول لكم: قد ذكرتمكم وذكرتم ما صنع بكم
بمصر، ورأيت إخراجكم من تعبد أهل مصر إلى أرض الكنعانيين -^٥
ومن تقدم معهم^٣ - إلى الأرض التى تغل السمن والعسل، فإذا قبلوا
منك فادخل أنت وأشياخ بنى إسرائيل [إلى -^٤] ملك مصر ققولوا له:
الرب إله العبرانيين ظهر علينا فننطلق الآن مسيرة ثلاثة أيام فى البرية
ونذبح الذبائح لله ربنا، وأنا أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تخرجون،
ولا يد وإحدة شديدة، حتى أبعث بآفتى^٤ وأضرب^٥ المصريين بجميع^{١٠}
العجائب [التي -^٢] أحدثها فيهم، ومن بعد ذلك يرسلكم^٦ [فأجعل -^١]
للشعب فى أعين^٧ المصريين رأة ورحمة، فإذا انطلقتم فلا تطلقوا عطلا
صفرا، بل تستعير المرأة منكم من^٨ جاراتها و^٩ ساكنه بيتها حتى ذهب
وفضة وكسوة، وألبسوها بئيك وبناتكم، وأخربوا^٩ أهل مصر، فأجاب
موسى وقال: إنهم لا^{١٠} يصدقوننى، ولا يقبلون قولى، لأنهم يقولون: ١٥

- (١) فى ظ و مد: هكذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيدت الواو فى الأصول،
ولم تكن فى التوراة فخذناها (٤ - ٤) فى ظ و مد: فاضرب (٥) فى مد:
يعثكم (٦) زيد من ظ و مد، وموضعه فى التوراة: وأعطى (٧) فى مد:
قلوب (٨) من ظ و مد و التوراة، وفى الأصل: سن (٩) فى مد فقط: أو.
(١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: اخرجوا، وفى التوراة: فسلبون
(١١) فى ظ: لن.

لم يترأى لك الرب ، فقال له الرب : [ما هذه التي في يدك ؟ فقال : هي عصاى ، فقال : ألقها فى الأرض ، فألقاها فى الأرض ، فصارت ثعبانا ، فهرب منه موسى ، فقال له الرب -^١] : يا موسى ! مد يدك ، فخذ بذئبها ، [فمد يده -^٢] فأسكته فتحول^٣ فى يده عصاى ، فقال : لكى يصدقوا أن الله ه إله آبائهم قد ترأى لك ، إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب ، وقال الرب لموسى : أردد يدك فى ردتك^٤ ، وفى نسخة : فى كك ، فأدخلها ثم أخرجها فاذا بيده بيضاء كالثلج ، فقال له : أردد يدك فى حضنك ، وفى نسخة : فى كك ، فردها ثم أخرجها فاذا هى مثل جسده ، فانهم لم يؤمنوا ولم يسمعوا بالآية الأولى فانهم يؤمنون و يسمعون بالآية الأخرى ، ١٠ فان لم يؤمنوا بالآيتين ، ولم يسمعوا قولك فخذ ماء من الأرض ، وفى نسخة : النيل ، فأصبيه على الأرض ، فانه يتقلب ويصير دما فى اليبس ، فقال موسى للرب : أطلب إليك يا رب ! لست رجلا ناطقا منذ^٥ أمس ولا^٦ قبله ولا من الوقت الذى كلمت عبدك فيه ، [لأنى -^٧] أثنع المنطق عسر^٨

(١) زيد من ظ و مد و التوراة و فيها بعض المفارقات اللفظية (٢) زيد من ظ و مد و التوراة (٣) من ظ و مد و التوراة معنى ، وفى الأصل : فيتحول . (٤) من ظ و مد و التوراة ، وفى الأصل : آباءكم (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : ردتك ، وفى التوراة : عبك ، وهو الردن (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٧) من ظ و مد و التوراة ، وفى الأصل : من (٨) فى ظ : ماء ، وفى مد : لما (٩) زيد من ظ و مد ، و موضعه فى التوراة : بل (١٠) من مد و التوراة معنى ، وفى الأصل و ظ : عثر .

٢٣ /

اللسان، فقال له الرب: من الذى خلق المنطق / للانسان؟ ومن الذى خلق الاخرس والاصم والبصر والمكفوف؟ أليس أنا الرب الذى أصنع ذلك؟ فانطلق الآن وأنا أكون معك، وراقبا لسانك^٢ وأتقنك ما تنطق به، فقال: موسى أطلب إليك يا رب! أرسل فى هذه الرسالة غيرى، فقال: هذا أخوك هارون اللاوى، قد علمت أنه ناطق^٥ لسن، وهو أيضا سيلفك، ويشهد^٤ فرحه بك^١، وأخبره بالامر، ولقته كلامى^٥، وأنا^٥ أكون راقبا على فيك وفيه وأعلمكما ما تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك^٦، فيكون لك مترجما، وأنت تكون له إلها، وفى نسخة: أستاذا ومدبرا، وأخذ فى يدك هذه العصا لتعمل بها الآيات، فرجع موسى منطلقا إلى ثيرواخته وقال له: إني راجع إلى إخوتي^{١٠} بمصر، وناظر هل هم أحياء^٧ بعد؟ فقال: ثيروا لموسى: انطلق راشدا سالما، وقال الرب لموسى فى مدين: انطلق راجعا إلى مصر لأن الرجال الذين كانوا معك يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا - إلى آخر ما مضى فى الاعراف، وفى هذا الفصل ما^٨ لا يسوغ إطلاقه فى شرعنا على مخلوق، [وهو-^٩] الإله، وهو فى لغة العبرانيين بمعنى العالم والحاكم، وفيه ١٥ أيضا أن فرعون مات قبل رجوع موسى فان [كان-^٩] المراد الذى

(١) من التوراة، وفى الأصل: للسان، وفى ظ ومد: للناس (٢) فى ظ: لسانك (٣) زيد فى ظ: يا (٤-٤) فى ظ ومد: فرحتك به (٥-٥) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: فانا (٦) فى ظ: معك (٧) سقط من مد. (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بما (٩) زيد من مد (١٠) زيد من ظ ومد.

ربى موسى عليه الصلاة والسلام فى بيته فهو عما بدلوه .
ولما كان التقدير : فأتاهم كما أمر^٢ الله ، وعاضده أخوه كما أخبر
الله ، ودعواهم^٣ إلى الله تعالى ، وأظهرا ما أمرا به من الآيات ، بنى عليه
قوله ميثاقا بالفاء سرعة امتثاله : (فلما جاءهم) أى فرعون وقومه .
ولما كانت رسالة هارون عليه الصلاة والسلام إنما هى تأييد
لموسى عليه الصلاة والسلام ، أشار إلى ذلك بالتصريح باسم الجانى ،
فقال : (موسى بايننا) أى التى أمرناه بها ، الدالة على جميع الآيات
للتساوى فى خرق العادة حال كونها (بينت) أى فى غاية البوضوح
(قالوا) أى فرعون وجنوده (ما هذا) [أى - ١] الذى أظهره
١٠ من الآيات (الا سحر مقترى) أى هو خيال لا حقيقة له بجميع أنواع
السحر ، متعمدا^٤ التخيل به ، لا أنه معجزة من عند الله (وما سمعنا بهذا)
أى الذى تقوله من الرسالة عن الله (فى آياتنا) وأشاروا إلى البدعة
التي قد أضلت أكثر الخلق ، وهى تحكيم عوائد التقليد ، وإل سببا
عند تقادمها على القواطع [فى قوله - ٢] : (الأولين) وقد كذبوا
١٥ واقترأوا^٥ لقد ، سمعوا بذلك فى أيام يوسف عليه السلام " وما بالعهد
من قدم " فقد قال لهم الذى آمن " يقوم انى اخاف عليكم مثل يوم

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : امره .

(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : دعوهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ،

وفى الأصل : متعمد (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيدت الواو بعده فى

الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فخذناها (٨) فى ظ و مد : على .

الاحزاب - إلى قوله : ولقد جاءكم يوسف من قبله بالبينت^١ .
 ولما أخبر تعالى^٢ بقولهم عطف عليه الإخبار بقول موسى عليه الصلاة
 والسلام ليوازن السامع بين الكلامين ، و يقصر بقله ما الفاسد منها
 وفضدها تبيين الأشياء ، هذا على قراءة الجماعة^٣ بالواو ، واستأنف جوابا
 لمن كأنه سأل عن جوابه على قراءة ابن كثير بحذفها ، فان الموضوع موضع^٥
 بحث عما أجابهم به عند تسميتهم الآيات الباهرات^٤ سحرا ، استعظاما لذلك
 فقال^٥ : ﴿ وقال موسى ﴾ أى لما كذبه وهم الكاذبون ، مشيرا لذي
 البصر إلى طريق يميزون به الأمرين في سياق مهدد لهم : ﴿ ربى ﴾ أى
 المحسن إلى / بما ترون من تصدق في كل ما ادعيت^٦ باظهار ما
 لا تقدرين عليه على قوتكم من الخوارق ، و منع هذا الظالم العانى المستكبر^{١٠}
 من الوصول إلى بسوء ﴿ اعلم بمن جاء ﴾ بالضلال ظلما وعدوانا ، فيكون
 مخذولا لكونه ساحرا فحرقا مفتريا على الله ، ويكون له سوء الدار ،
 و أعلم بحاله^٧ ، ولكنه قال « بمن جاء » ﴿ بالهدى ﴾ أى بالذى^٨ أذن الله
 فيه ، وهو حق في نفسه ﴿ من عنده ﴾ ، تصورا لحاله ، و تشويقا إلى
 اتباعه ﴿ و من تكون له ﴾ لكونه منصورا مؤيدا ﴿ عاقبة الدار ﴾ أى^{١٥}
 الراحة و السكن و الاستقرار مع الأمن و الطمأنينة و السرور و الظفر

(١) راجع سورة ٤٠ آية ٣٤ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : يعنى (٣) راجع
 فثر المرجان ١٧٨/٥ (٤) في ظ : الباهرة (٥) سقط من ظ و مد (٦) في ظ
 و مد : ادعيه (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بحالى (٨) من مد ، و في الأصل
 و ظ : الذى .

بجميع المطالب في الحالة التي تكون آخر الحالات مني ومنكم، فيعلم أنه
 أنى بما يرضى الله وهي^١ وإن كانت حقيقتها ما يتعقب الشيء من خير
 أو شر، لكنها لا يراد بها إلا ما يقصد للعاقل حتى تكون له، وأما عاقبة
 السوء فهي عليه لا له؛ ثم علل ذلك بما أجرى^٢ الله به عاداته؛ فقال معلما
 ه بأن المخذول هو الكاذب، إشارة إلى أنه الغالب لكون الله معه، مؤكدا
 لما استقر في الأنفس من أن القوى لا يغلبه الضعيف (انه لا يفلح)
 أى يظفر ويفوز (الظالمون ه) أى الذين يمشون كما يمشى من هو
 في الظلام بغير دليل، فهم لا يضعون قدما في موضع يثقون
 بأنه صالح للشيء فيه^٣، لا تبعه فيه "فستظنون ولتعلمن نباء بعد حين"
 ١٠ (وقال فرعون) جوابا لهذا الترغيب والترهيب بعد الإعذار، بيان
 الآيات الكبار، قائما في^٤ مدافعة ما رأى أنه اجتذب قومه الأعمار
 الأغبياء عن الجهل من ظهور تلك الآيات البينات بأن يوقفهم عن
 الإيمان إلى وقت ما، وكذا كانت عاداته كلما أظهر موسى عليه الصلاة
 والسلام برهانا، لأن قومه في غاية الغباوة والعمالة في الميل إلى الباطل
 ١٥ والنفرة من^٥ الحق^١ وترجيح المظنة^٢ على المثبة: (بآياتها الملائ) أى
 الأشراف، معظما لهم استجلابا لقلوبهم (ما علمت لكم) وأعرق
 في النقي فقال: (من اله غيرى ج) نقي عليه بذلك إظهارا للنصفة، وأنه
 ما قصد غشهم، وذلك منه واضح [في - ٧] أنه قصد تشكيكهم،

(١) في ظ: هو (٢) في ظ: جرى (٣) سقط من ظ و مد (٤) في ظ: من .
 (٥) في ظ: عن (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من مد (٧) زيد من ظ و مد .

إشارة منه إلى أن^١ انتفاء عليه بوجوده ما هو إلا لاتفاء وجوده بعد
 عليه^٢ بأن الحق مع موسى عليه الصلاة والسلام^٣ لأنه أنهى ما قدر
 عليه بعد رؤيتهم لباهر الآيات، وظاهر الدلالات؛ ثم زاد في إيقافهم
 عن المتابعة بأن^٤ سبب عن جهله قوله لوزيره معلما له صنعة الآجر
 لأنه أول من عمله^٥، مع أن هذه العبارة أشبه بهمم^٦ الجبارة من أن
 يقول: اصنع لي آجرا: (فارقد لي) أضاف الإيقاد إليه إعلاما
 بأنه لا بد منه (ينهاضن) [و-^٧] هو وزيره (على الطين) أي
 المتخذ لبنا ليصير آجرا^٨؛ ثم سبب عن الإيقاد قوله: (فاجعل لي)
 أي منه (صرحا) أي بناء عاليا يتاخم السماء، قال الطبرى: وكل بناء
 مسطح فهو صرح كالقصر، وقال الزجاج: كل بناء [متسع-^٩] مرتفع ١٠
 (لعلّ اطلع) أي أتكلف الطلوع (إلى آله موسى لا) [أي-^{١٠}]
 الذى يدعو إليه، فانه ليس فى الارض أحد بهذا الوصف الذى ذكره
 فأنا^{١١} أطلبه فى السماء موهما^{١٢} لهم أنه مما يمكن الوصول إليه على
 تقدير صحة الدعوى بأنه موجود، وهو قاطع بخلاف ذلك، ولكنه
 يقصد المدافعة / من وقت إلى وقت، لعله أن العادة جرت^{١٣} بأن أكثر^{١٤} ١٥ / ٢٥

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: منهم الى انه (٢-٢) سقط ما بين الرقنين
 من ظ (٣) فى ظ: بانه (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: علمه (٥) من ظ
 و مد، وفى الأصل: بهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد. وفى
 الأصل: آجر (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فاني.
 (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: توهما (١١) فى ظ: حتى (١٢-١٣) فى
 مد: ان.

الناس يظنون بالملوك القدرة على كل ما يقولونه؛ ثم زادهم شكاً بقوله، مؤكداً لاجل دفع^١ ما استقر في الأئس من صدق موسى عليه الصلاة والسلام: (وانى لآظنه) أى موسى (من الكذابين ه) أى دأبه^٢ ذلك، وقد كذب هو ولبس لعنة الله ووصف أصدق أهل ذلك الزمان بصفة نفسه العريقة في العدوان، وإن كان هذا الكلام منه على حقيقته ه فلا شيء أثبت شهادة على إفراط جهله وغبائه منه حيث ظن أنه يصل إلى السماء؛ ثم على تقدير الوصول يقدر على الإرتقاء على ظهرها، [ثم -^٢] على تقدير ذلك يقدر على منازعة بانها وسامكها^٣ ومعلها^٤.

١٠ ولما قال هذا مريدا به - كما تقدم - إيقاف قومه عن إتباع الحق، أتبعه تعالى الإشارة إلى أنهم فعلوا ما أراد، وأن [كان -^٥] ذلك هو الكبر عن الحق فقال تعالى: (واستكبر) أى وأوجد الكبر بغاية الرغبة فيه (هو) بقوله هذا الذى صدم^٦ به^٧ عن السيل (وجوده) بانصداهم لشدة رغبتهم في الكبر على الحق والإتباع للباطل (في الارض) أى أرض مصر، ولعله عرفها^٨ إشارة إلى أنه لو قدر على ذلك في غيرها فعل^٩ (بغير الحق) أى استكباراً مصحوباً بغير هذه الحقيقة، والتعبير

(١) فى ظ : رفع (٢) فى ظ و مد : رأى به (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل : ساملكها (ه-ه) سقط ما بين الرقنين من مد . (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : صد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ : شرفها (١٠) من ظ و مد : وفى الأصل : فعمل .

بالتعريف يدل على أن التعظيم نوع من الحق ليس كبيرا وإن كانت
صورته كذلك، وأما تكبره سبحانه فهو بالحق كله، وعطف على ذلك
ما تفرع عنه وعن الغباوة أيضا ولذا لم يطفئه بالفاء، قال: ﴿وظنوا﴾
أى فرعون وقومه ظنا بنوا عليه اعتقادهم فى أصل الدين الذى لا يكون
إلا بقاطع ﴿انهم اليانا﴾ أى إلى حكمتنا خاصة الذى يظهر عنده انقطاع
الأسباب ﴿لا يرجعون﴾ أى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، فلذلك
اجترؤا على ما ارتكبه من الفساد.

ولما تسبب عن ذلك إهلاكهم قال: ﴿فاخذنه﴾ أى بعظمتنا
أخذ قهر ونقمة ﴿وجنوده﴾ أى كلهم، وذلك علينا هين، وأشار
إلى احتقارهم بقوله: ﴿فبئذئهم﴾ أى على صغرهم وعظمتنا ﴿فى اليم﴾ ١٠
فكانوا على كثرتهم وقوتهم كحصىات صغار قذفها الرامى الشديد الذراع
من يده فى البحر، فغابوا فى الحال، وما آبوا ولا أحد منهم إلى أهل
ولامال^٢. ولما سببت هذه الآية^٣ من العلوم، ما لا يحيط به الفهم^٤،
قال: ﴿فانظر﴾ أى أيها المتعرف^٥ للآيات الناظر فيها نظر الاعتبار،
وزاد فى تعظيم ذلك بالتنبية على أنه مما يحق له أن يسأل عنه فقال: ١٥
﴿كيف كان﴾ أى كونا هو الكون ﴿عاقبة﴾ أى آخر أمر ﴿الظلمين﴾
وإن زاد ظلهم، وأعجب أمرهم، ذهبوا فى طرفة عين، كأن لم يكونوا،
وغابوا عن العيون كأنهم قط لم يبينوا، وسكتوا بعد ذلك الأمر والنهى

(١) فى ظ ومد: أنه (٢) فى ظ: جنودهم (٣ - ٤) فى ظ: أهل ولا مال.

(٤) فى ظ: سبب (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: الآيات (٦) فى ظ

ومد: الفهم (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: المعترف.

فصاروا بحيث لم يبتوا، فليحذر هؤلاء الذين ظلوا إن استمروا على ظلمهم أن يقطعوا و يبتوا، وهذا إشارة عظيمة^١ بأعظم بشارة بأن كل ظالم يكون عاقبته هكذا^٢ إن صابره المظلوم المحق، و رابطه حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين .

٥ و لما كان و من سن ستة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل^٣ بها إلى يوم القيامة، و من سن ستة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل^٤ بها إلى يوم القيامة، و كانوا أول / من أصر و أطبق في [ذلك-] الزمان على تكذيب الآيات، و إخفاء الدلالات النيرات، على تواليها و كثرتها، و طول زمانها و عظمتها^٥ و كانت منابذة العقل و اتباع الضلال ١٠ في غاية الاستبعاد، لاسيما أن كانت ضامنة للهلاك في الدنيا و العذاب في الآخرة، قال تعالى في مظهر العظمة: ﴿ و جعلتهم ﴾ [أى في الدنيا-] أي ﴿ أمة ﴾ أي متبوعين في رد ما لا يردده عاقل من مثل هذه الآيات، أي جعلنا أمرهم شهيرا حتى لا يكاد أحد يجمله، فكل^٦ من فعل مثل أفعلهم من رد الحق و التجبر^٧ على الخلق، فكأنه قد اختار الاقتداء [بهم-] ١٥: و إن لم يكن قاصدا ذلك، فأطلق ذلك عليه رفعا له عن النسبة إلى أنه يعمل ما يلزمه الإتسام^٨ به و هو عاقل عنه كما أنه لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل،

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد في ظ : صابره (٣) في ظ و مد : يعمل (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل : عظمتها (٦) من مد، و في الأصل و ظ : و كل (٧) من ظ و مد، و في الأصل : الجبر (٨) من ظ و مد، و في الأصل : الاقسام .

وأحق الناس باتباعهم في باطن اعتقادهم و ظاهر اصطناعهم، وخيبة
آمالهم وأطباغهم أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد - أهلك الله أنصارهم،
وعجل دمارهم، وكشف هذا المعنى بقوله: ﴿ يدعون ﴾ أى يوجدون
الدعاء لمن اغتر بحالهم، فضل بضلالهم ﴿ الى الخارج ﴾ أى [وجعلنا لهم
أعداء ينصرونهم - ١] عكس ما أردنا^٢ لبني إسرائيل - كما سلف أوله
السورة - وجعلناهم موروثين .

ولما كان الغالب من حال الأئمة النصره، وكان قد أخبر عن
خذلانهم في الدنيا، قال: ﴿ ويوم القيمة ﴾ أى الذى هو يوم التغابن
﴿ لا ينصرونه ﴾ أى لا يكون لهم نوع نصره أصلاً كما كانوا يوم
هلاكهم^٣ في الدنيا [سواء، ولا هم آئمة ولا لهم دعوة - ١]، يخلدون ١٠
في العذاب، ويكون لهم سوء المآب .

ولما أخبر عن هذا الحال، أخبر عن^٤ ثمرته؛ فقال في مظهر
العظمة، لأن السياق لبيان علو فرعون وآله، وأنهم مع ذلك طوع المشيئة^٥
﴿ واتبعتهم في هذه ﴾ ولما كان المراد الإطئاب في^٦ بيان ملكهم،
فسر اسم الإشارة فقال: ﴿ الدنيا ﴾ ولم يقل: الحياة، لأن السياق لتحقير^٧
أمرهم ودناءة شأنهم ﴿ لعنة ج ﴾ أى طردا وبعدا عن جنابنا [و دفعا لهم
بذلك - ٨] ودعاء عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسانه

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ و مد: اوردنا (٣) من ظ و مد، وفي
الأصل: اهلاكهم (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٥-٥) في ظ:
من (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: للسيبة - كذا (٧) من ظ و مد، وفي
الأصل: عن (٨) زيد من مد .

إن خالفهم، أو بفعله الذي يكون عليهم مثل وزره إن والفهم
 (و يوم القيمة هم^١) أى خاصة^٢، ومن شاكلهم (من المقبورين^٣)
 أى المبدين أيضا المخزيين^٤ مع قبح الوجوه والاشكال، والشناعة في
 الأقوال والأفعال والأحوال، من القبح الذى هو ضد الحسن، ومن
 ه قولهم : قبحت الشيء - إذا كسرتة، وقبح الله العدو : أبعده عن كل
 خير، فيألت شعري أى صراحة بعد هذا [فى -^١] أن فرعون عدوا لله^٥،
 فى الآخرة كما كان عدوه^٦ فى الدنيا، فلعنة الله على من يقول : إنه
 مات مؤمنا، وإنه لا صريح فى القرآن أنه من أهل النار، وعلى
 [كل -^٧] من يشك فى كفره بعد ما ارتكبه من جلى أمره .

١٠ ولما وعد سبحانه بإمامة^٨ بنى إسرائيل وقص القصص^٩ حتى ختم
 بإمامة آل^{١٠} فرعون فى الدعاء إلى النار إعلاما^{١١} بأن ما كانوا عليه
 تجب مجازته ومنازته ومباعدته، وكان من المعلوم أنه لا بد لكل إمامة من
 دعامة، تشوفت النفس إلى أساس إمامة بنى إسرائيل التى يجب العكوف
 فى ذلك الزمان عليها، والتمسك بها، والمبادرة إليها، فأخبر سبحانه
 ١٥ عن ذلك مقسما عليه [مع الافتتاح -^{١٢}] بحرف التوقيع، لأن العرب وإن
 كانوا مصدقين^{١٣} لما وقع من / المنة على بنى إسرائيل بانقاذهم من يد فرعون

/ ٢٧

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ ومد : خاصهم (٣) من ظ ومد، وفى الأصل :
 للخزيين (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ : لله (٦) من مد، وفى الأصل وظ :
 عدوا (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : بإمامة (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : القص .
 (١٠) سقط من مد (١١) من ظ ومد، وفى الأصل : اعلا (١٢) فى ظ :
 متصدقين .

و تمكينهم

(٧٥)

٣٠٠

وتمكينهم بعده. وإزال الكتاب عليهم، فخالهم^١ بانكار التمكين
 لاهل الإسلام والتكذيب بكتابتهم حال المكذب بأمر بنى إسرائيل،
 لانه لافرق بين نبى ونبى، وكتاب^٢ وكتاب^٣. وناس وناس، لأن
 رب الكل واحد، فقال: ﴿ ولقد اتينا ﴾ أى بما لنا من^٤ الجلال والجمال^٥
 والمجد والكمال ﴿ موسى الكتب ﴾ أى التوراة الجامعة للهدى والخير
 فى الدارين؛ قال أبو حيان^٦: وهو أول كتاب أنزلت فيه
 الفرائض والاحكام.

ولما كان حكم التوراة لا يستغرق الزمان الآتى، أدخل الجار فقال:
 ﴿ من بعد ما ﴾ إشارة إلى أن إتيانها إنما هو فى مدة من الزمان، ثم
 ينسخها سبحانه بما يشاء من أمره ﴿ اهلكنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ القرون الاولى ﴾ ١٠
 أى من قوم نوح إلى قوم فرعون، ووقتها^٧ بالهلاك إشارة إلى أنه
 لا يعم أمة من الأمم بالهلاك بعد إزالتها تشريفا لها^٨ ولمن أنزلت عليه
 وأوصلت إليه؛ ﴿ ثم - ٩ ﴾ ذكر حالها بقوله: ﴿ بصائر ﴾ جمع بصيرة،
 وهى^٩ نور القلب، مصايح وأنوارا^{١٠} ﴿ للناس ﴾ أى^{١١} يصرون بها ما
 يعقل من أمر معاشهم ومعادهم، وأولام وأخراهم، كما أن^{١٢} نور العين ١٥

(١) فى ظ: فحسابهم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) من مد،
 وفى الأصل وظ: الجمال والجلال (٤) راجع البحر المحيط ١٢٠/٧ (٥) من
 ظ ومد، وفى الأصل: وصفها (٦) فى ظ: لها (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى
 ظ ومد: هو (٩) فى ظ ومد: أنوار (١٠) سقط من ظ ومد (١١) فى
 ظ ومد: كان.

يصر به ما يحسن من أمور الدنيا .

ولما كان المتبصر قد لا يهتدى لما نفع قال : ﴿ وهدى ﴾ [أى - ١]

للعامل بها إلى كل خير . ولما كان المهتدى ربما حمل على من توصل

إلى غرضه ، وكان^٢ ضارا ، قال : ﴿ ورحمة ﴾ أى نعمة هينة^٣ شريفة ،

لأنها قائدة إليها .

ولما ذكر حالها ، ذكر^٤ حالهم بعد إنزالها فقال^٥ : ﴿ لعلمهم يتذكرونه ﴾

أى ليكون حالهم حال من يرجى تذكره ، وهذا إشارة إلى أنه ليس

في الشرائع ما يخرج عن العقل^٦ بل متى^٧ تأمله الإنسان تذكر به من عقله

ما يرشد إلى مثله .

١٠ ولما بين سبحانه في هذه السورة من غرائب أمر موسى عليه الصلاة

و السلام و خفي أحواله ما بين ، وكانت^٨ [هذه - ١] الأخبار لا يقدر

أهل الكتاب على إنكارها ، نوعا من الإنكار ، و كان من المشهور أى

اشتهار ، أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يعرفها ولا سواها من غير الواحد

القهار . أشار إلى ذلك سبحانه بقوله حالا من ضمير " اتينا "

١٤ ﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾ أى الوادى من الطور الذى رأى موسى

عليه السلام فيه النار ، [وهو بما يلي البحر منه من جهة الغرب على يمين

المتوجه إلى ناحية مكة المشرقة من ناحية مصر - ١] ، فاداه منه العزيز^٩

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عظيمة (ع) فى ظ و مد :

بعد (ه) فى ظ و مد : قال (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : شئ حتى .

(٧-٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فكانت (٨) تكرر فى الأصل فقط .

الجبار، وهو ذو طوى (اذ) أى حين (قضياً) بكلامنا بما حوى^١ من الجلال؛ وزاد^٢ العظمة فى رفيع^٣ درجاته بالإشارة بحرف الغاية فقال: (الى موسى الامر) أى أمر إرساله إلى فرعون وقومه، وما يزيد أن فعل من ذلك فى أوله وأثنائه [وآخره-] بجملا، فكان كل ما أخبرنا به مطابقاً تفصيله لإجماله، فأتت^٤ بحيث تسمع ذلك الذى قضيناه إليه ٥ من الجانب الذى أنت فيه (وما كنت) أى بوجه من الوجوه (من الشهدين^٥) لتفاصيل^٦ ذلك الأمر الذى أجهناه لموسى فى ذلك المكان فى أوقاته مع من شاهده منه من أهل ذلك العصر من السبعين الذين^٧ اختارهم أو غيرهم ممن تبعه أو صد عنه حتى تخبر^٨ به كله على هذا الوجه الذى أتيناك به فى هذه الأساليب المعجزة، ولا شك أن أمر ١٠ معرفتك كذلك^٩ منحصر فى شهودك إياه فى وقته أو تعلك له من الخالق، أو^{١٠} من الخلائق الذين شاهدوه/، أو أخبرهم به من شاهده^{١١}، و انتفاء تعلمه من أحد من الخلائق فى الشهرة بمنزلة انتفاء شهوده له فى وقته، فلم يبق إلا تلقيه له من الخالق، وهو الحق الذى لا شبهة^{١٢} فيه عند منصف^{١٣}.

١٥

ولما كان التقدير: وما كنت من أهل ذلك الزمان الحاضرين

(١) فى ظ و مد: جرى (٢) فى ظ و مد: مزيد (٣) فى مد: رضة (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: و انت (٦) فى ظ: كتفاصيل . (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الذى (٨) من مد، وفى الأصل: يخبر، وفى ظ: تجبر (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: لذلك (١٠) فى ظ و مد . (١١) العبارة من هنا إلى « أحد من الخلائق » ساقطة من مد (١٢) فى ظ: شاهدهم (١٣) فى ظ: شر، وفى مد: مرية (١٤) فى ظ: منتصف .

لذلك الأمر ، وامتد عمرك إلى هذا الزمان حتى أخبرت بما كنت حاضرة ،
استدرك ضد ذلك قال : (ولكنآ) أى بما لنا من العظمة (انشانآ)
أى بعد ما أهلكنا أهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الأمور بالمشاهدة
و الإخبار ، (قرونا) أى ما أخرنا أحداً من أهل ذلك
الزمان ، ولكنآ أهلكناهم كلهم وأنشانآ بعدم أجيالا كثيرة
(فتناول) بمرورة^٢ وعلوه^٣ (عليهم العرج) جدا بتدرج من الزمان
شيئا فشيئا فسيت تلك الأخبار ، و حرفت ما بقى منها الرهبان و الأخبار ،
ولا سيما فى زمان الفترة ، فوجب فى حكمتنا إرسالك فأرسلناك^٤ لتقوم
الحجة^٥ ، و تقوم بك الحجة ، فلم أن إخبارك بهذا و الحال أنك لم
١٠ تشاهده و لا تعلمه من مخلوق^٦ إنما هو عنا و بوحينا .

و لما نقى العلم^٧ بذلك بطريق الشهود^٨ ، نقى سبب العلم بذلك فقال :
(وما كنت تأويآ) أى مقبلا إقامة طويلة مع الملازمة بمدين
(فى أهل مدين^٩) أى قوم شعيب عليه السلام (تتلوا) أى تقرأ
على سبيل القصص للآثار و الأخبار الحق (عليهم آيتنا) العظيمة ،
١٥ لتكون بمن يهتم بأمور^{١٠} الوحي^{١١} و تعرف دقيق أخباره ، فيكون
خبرهم و خبر موسى عليه الصلاة و السلام معهم و خبره بعد فراقه لهم

(١) سقط من ظ (٢) - سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمرده .
(٤) فى ظ : خلوه (٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لتقيم الحجة - كذا .
(٦) زيدت الوار فى ظ و مد (٧-٧) فى ظ و مد : بذلك الطريق للشهود .
(٨-٨) زدناه من ظ و مد و القرآن الكريم و ليس فى الأصل (٩-٩) فى ظ
و مد : يتهم بأمر (١٠) زيد فى ظ : حيثئذ .

من شأنك ، لتوفر داعيتك حيثخذ على تعرفه ﴿ ولكننا كنا ﴾ أى
كونا 'أزليا أبديا' نسبه^١ إلى جميع الأزمنة بما لنا من العظمة ، على
حد سواء ﴿ مرسلين ه ﴾ أى لنا صفة القدرة على الإرسال ، فأرسلنا
إلى كل نبي في وقته ثم أرسلنا إليك^٢ في هذا الزمان بأخبارهم وأخبار
غيرهم لتنتشرها في الناس ، واضحة البيان سالمة من الإلباس ، لأننا كنا ه
شاهدين لذلك كله ، لم يغب عنا شيء منه ولا كان إلا^٣ بأمرنا .

ولما نفي السبب المبدئى للعلم بذلك الإجمال ثم القأى للعلم بتفصيل
تلك الوقائع والأعمال ، نفي السبب القأى للعلم بالأحكام ونصب الشريعة
بما فيها من القصاص والمواظظ والحلال والحرام والآصار والأغلال
بقوله^٤ : ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ ﴾ أى حين ﴿ نادينا ﴾ أى^٥ أوقنا ١٠
النداء لموسى عليه الصلاة والسلام فأعطيناه التوراة وأخبرناه بما لا يمكن
الإطلاع عليه إلا من قبلنا أو قبله ، ومن المشهور أنك لم تطلع على شيء
من ذلك من قبله ، لأنك ما خالطت أحدا ممن حمل تلك الأخبار عن
موسى عليه الصلاة والسلام ، ولا أحد أحملها عن حملها عنه ، ولكن
ذلك كان إليك منا ، وهو معنى قوله : ﴿ ولكن ﴾ أى أنزلنا ما أردنا ١٥
منه ومن غيره عليك وأوحيناه إليك وأرسلناك^٦ به إلى الخلائق
﴿ رحمة من ربك ﴾ لك خصوصا وللخلق عموما ﴿ لتتذر ﴾ أى تحذر

(١-١) من ظ و مد ، وفي الأصل : ارأسا - كذا (٢) أى نسبة التكون ، وفي
الأصل و ظ : نسبة (٣) في ظ و مد : الأزمان (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين
من ظ و مد (٥) زيد في ظ و مد : الامر (٦) في ظ و مد : فقال (٧) سقط
من ظ و مد (٨) في ظ : أرسلنا .

تحذيرا كبيرا (قوما) أي أهل قورة و نجدة، ليس لهم عائق من أعمال
 الخير العظيمة، لا^٢ الإعراض عنك، و هم العرب^٣، و من في ذلك الزمان
 من الخلق (مآ آتتهم) و عم^٤ المنق بزيادة الجار في قوله: (من نذير)
 أي منهم، و هم مقصودون بارساله إليهم و إلا فقد أتتهم رسل موسى
 عليه السلام، ثم رسل عيسى عليه الصلاة و السلام، و إن صح^٥ أمر
 خالد بن سنان / العبسي فيكون نيا غير رسول، أو يكون رسولا إلى قومه
 بنى عبس خاصة، فدعاؤه لغيرهم إن وقع فن باب الأمر بالمعروف عموما،
 لا الإرسال خصوصا، فيكون التقدير: نذير منهم عموما، و زيادة الجار
 في قوله: (من قبلك) تدل على الزمن القريب، و هو زمن الفترة،
 ١٠ و أما ما قبل ذلك فقد كانوا فيه على دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام
 حتى غيره عمرو بن لحي^٦ فقد أنذرهم في تلك الأزمان إبراهيم عليه الصلاة
 و السلام ثم إسماعيل عليه الصلاة و السلام ثم من بعدهم من صالحى
 ذريتهم إلى زمان عمرو بن لحي^٧، فهم لاجل عدم النذير عمى^٨، عن الهدى،
 سالكون سبيل الردى،^٩ أو قال^{١٠}: (لعلهم يتذكرون) لمثل^{١١} ما تقدم من
 ١٥ أنهم إذا قبلوا ما جئت به و تدبروه أذكركم^{١٢} إذكارا ظاهرا - بما أشار^{١٣} إليه

/ ٢٩

(١) في ظ و مد: عن (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الا (٣) في ظ:
 القريب - خطأ (٤) في ظ و مد: عمم (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع
 سيرة ابن هشام ١/ ٢٧ (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨) من ظ
 و مد، وفي الأصل: عموا (٩) في ظ و مد: سالكين (١٠-١٠) في ظ
 و مد: قال (١١) من ظ و مد، وفي الأصل: مثل (١٢) من مد، وفي
 الأصل و ظ: اذكروهم (١٣) في ظ و مد: ارشد.

الإظهار - ما في عقولهم من شواهد و إن كانت لا تستقل^١ بدونه -
 والله الموفق .

و لما كان اتقاء إنذارهم قبله عليه الصلاة والسلام نافيا للحجة في
 عذابهم بما أوجه الله - وله الحجة البالغة لا يستل عما يفعل - على نفسه
 الشريفة ، فضلا منه ورحمة ، ذكر أن إرساله بما لا بد منه لذلك فقال : ه
 (ولولا) أي ولولا^٢ هذا الذي ذكرناه ما أرسلناك لتذرم ، ولكنه
 حذف هذا الجواب لإجلاله صلى الله عليه وسلم عن المواجهة به^٣ ،
 وذلك الذي ختم الإرسال هو (ان تصيهم) أي في وقت من الأوقات
 (مصية) أي عظيمة (بما قدمت أيديهم) أي من المعاصي التي قضينا
 بأنها مما لا يعنى عنه^٤ (فقولوا ربنا) أي أيها المحسن إلينا^٥ (لولا) ١٠
 أي هل لا ولم لا (أرسلت إلينا) أي^٦ على وجه التشریف لنا ، لتكون
 على علم بأننا ممن يعنى^٧ الملك الأعلى به (رسولا) و أجاب التخصيص
 الذي شبهوه بالأمر لتكون كل منها باعنا على الفعل بقوله : (فتبع)
 أي فيتسبب^٨ عن إرسال رسولك^٩ أن تتبع (أيتك و تكون) أي
 كونا هو في غاية الرسوخ (من المؤمنين) أي^{١٠} المصدقين بك في كل ١٥
 ما أتى به عنك رسولك صلى الله عليه وسلم تصديقا بليغا ، فاذا قالوا

(١) زيد في الأصل : به ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ
 ومد ، وفي الأصل : لم لا (٣) سقط من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) في مد :
 عنها (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : بمعنى (٧) في ظ : تسبب (٨) في ظ
 و مد : ارسالك .

ذلك على تقدير عدم الإرسال قامت لهم حجة في مجارى عاداتهم وإن كانت لنا الحجة البالغة .

و لما كان التقدير : و لكننا أرسلناك بالحق لقطع حججهم هذه ،
 بنى عليه قوله : ﴿ فلما جاءهم ﴾ أى أهل مكة ﴿ الحق ﴾ الذى هو
 ٥ أعم من الكتاب و السنة و ما يقاس عليهما ، و هو فى نفسه جدير بأن
 يقبل لكونه فى الذروة العليا من الثبات ، فكيف و هو ﴿ من عندنا ﴾
 على ما لنا من العظمة ، و على لسانك و أنت أعظم الخلق ! ﴿ قالوا ﴾
 أى أهل الدعوة من العرب ٢ و غيرهم ٣ تعنتا كفرا به : ﴿ لولا اوتى ﴾
 ٣ من الآيات ٤ ، [أى هذا الآتى بما يزعم أنه الحق - ٤] ، و بنى للفعول
 ١٠ لأن القصد مطلق الإتياء لأنه الذى يترتب ٥ عليه مقصود الرسالة ، مع
 أن المؤتى معلوم ﴿ مثل ما اوتى موسى ٦ ﴾ أى من اليد و العصى
 و غيرها من الآيات التى ٦ لا يقدر على إتيانها إلا القادر على كل شئ .
 و لما كان الإتيان يمثل ما أتى به موسى عليه الصلاة و السلام
 لا يكون موجبا للإيمان على زعمهم [إلا بأن - ٤] يكون أعظم مما أتى
 ١٥ به محمد صلى الله عليه و سلم ، أو ٧ يكون الناس لم يتوقفوا فى الإيمان به ،
 و كان كل من الأمرين متنفيا ٨ بأن أهل زمانه كفروا به ، و هو ٩ لما سألوا

(١) زيد فى ظ و مد : أى (٢) فى ظ و مد : فى (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من
 ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : ترتب (٦) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : الذى (٧) فى ظ : بما (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٩) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : متيقنا (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : هولاء .

اليهود عن محمد صلى الله عليه وسلم وأسرهم أن يمتحنوه^١ بالروح
و قصص أهل الكهف وذى القرنين، / وجاء في كل من ذلك بما^٢ لزمهم
تصديقه، فامتنعوا وأصروا على كفرهم، وكان في ذلك كفرهم به
وبموسى^٣ عليهما الصلاة والسلام، فعلم أن التقدير: ألم يكفروا بما
أتاهم به من الآيات الباهرة مع أنه مثل [ما -^٤] أتى به موسى عليها
الصلاة والسلام، بل أعظم منه (أو لم يكفروا) أى العرب ومن بلغتهم
الدعوة من بنى إسرائيل أو من شاء الله منهم أو أبناء جنسهم ومن كان
مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى عليه السلام (بما أتى موسى) .
ولما كان كل من إتيانه وكفرهم لم يستغرق زمان القبل، أثبت
الجار فقال: (من قبل ع) أى [من -^٥] قبل مجيء الحق على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم إليهم . ولما كان كأنه قيل: ما كان كفرهم
به ؟ قيل: (قالوا) أى فرعون وقومه ومن كفر من بنى إسرائيل
كفارون ومن تبعه . ولما كان قد تقدم هنا قريبا أن المظاهر له أخوه،
فكان المراد واضحا، أضمرها فقال: (سحرن) أى هو وأخوه
(تظهرات^٦) أى أعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما معجزا ١٥
فقلبا^٧ جميع السحرة، وتظاهر الساحرين من تظاهر السحرين^٨ - على قراءة
الكوفيين^٩، ويجوز - وهو أقرب - أن^{١٠} يكون الضمير لمحمد وموسى^{١١}

(١) فى ظ : يمتحنوهم (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٣) فى ظ :
موسى (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ ومد: بلغته (٦) من ظ ومد،
وفى الأصل: فعلنا (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: السحرين (٨) راجع
نثر المرجان ١٨٧/٥ (٩) فى ظ: ما (١٠) فى ظ: لموسى .

عليها الصلاة والسلام، و'ذلك لانه' روى أن قريشا بعثت إلى يهود فسألوم عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروم أن نعته في كتابهم، فقالوا هذه المقالة، فيكون الكلام استثناء لجواب من كأنه قال: ما كان كفرهم بهما؟ فقيل: قالوا - أي العرب: الرجلان ساحران، أو^٥ الكتابان سحران، ظاهر أحدهما الآخر مع علم كل ذي^٢ لب أن^٢ هذا القول زيف، لانه لو كان شرط إعجاز السحر التظاهر، لكان سحر فرعون أعظم إعجازا. لانه تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر وعجزوا عن معارضة ما أظهر موسى عليه الصلاة والسلام من آية العصا، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا أهل الارض^٤ من الجن والإنس^٤ إلى معارضة كتابه وأخبرهم أنهم عاجزون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا.

ولما تضمن قولهم ذلك الكفر، صرحوا به في قولهم: ﴿وقالوا﴾ أي كفار قريش أو المتقدمون من فرعون وأضرابه: ﴿إنا بكل﴾ من الساحرين أو السحريين^٦ الذين^٦ تظاهروا بهما، وهما ما أتيا به من^٦ ١٥^٦ عند الله^٦ ﴿كفرون﴾ جرأة على الله وتكبيرا على الحق.

ولما قالوا ذلك، كان كأنه قيل: فما ذا فعل^٩؟ قال: ﴿قل﴾

(١-١) من ظ و مد، وفي الأصل: لذلك انه (٢) في ظ: أي (٣-٣) في ظ و مد: لسان - مصحفا (٤-٤) سقط ما بين الريقين من مد (٥) زيد في ظ: أي (٦) من مد، وفي الأصل و ظ: الذين (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: عن (٨-٨) في مد: عندنا (٩) في ظ: تفعل.

إلزامهم إن كنتم صادقين في أنى ساحر وكتاب سحر وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فأتوا بكتب﴾ وأشار^١ بالتعير في وصفه بعند دون لدن^١ إلى أنه يقنع منهم^٢ بكونه حكيماً خارقاً للعادة في حكته وإن لم يبلغ الذروة في^٣ الغرابة بأن^٣ انفك عن الإعجاز في نظمه كالتوراة فقال: ﴿من عند الله﴾ أى الملك الأعلى، ينطق بأنه من عنده أحواله^٥ وحكته^٤ وجلاله ﴿هو﴾ أى الذى أتيتم به ﴿اهدئ منها﴾ أى بما آتيت به وبما أتى به موسى ﴿اتبعه﴾ أى وأركها^٥.

ولما أمرهم بأمره^٦ بالإتيان، ذكر شرطه من باب التنزل، لإظهار النصفة، وهو في الحقيقة تهكم بهم^٧ فقال: ﴿ان كنتم﴾ [أيها الكفار! كونوا راحنا -^٨] ﴿صدقين﴾ أى فى أنا / ساحران، فاتوا ما ١٠ / ٣١ ألزمتكم به .

ولما [كان -^٩] شرط صدقهم، بين كذبهم على تقدير عدم الجزاء فقال: ﴿فان لم يستجيبوا﴾ [أى الكفار الطالبون للأهدى فى الإتيان به -^٨] . ولما كانت الاستجابة تتعدى بنفسها إلى الدعاء، وباللام^{١٠} إلى الداعى، وكان ذكر الداعى أدل على الاعتناء به والنظر إليه، قال ١٥

- (١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد، وفى ظ: بوصفه - موضع: فى وصفه .
 (٢) فى مد: منه (٣-٣) من ظ ومد، وفى الأصل: العراقة فان (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: عظمته (٥) فى ظ: انزلها (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: يامرهم (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: به (٨) زيد من ظ ومد .
 (٩) زيد من مد (١٠) فى ظ: بالكلام .

[مفردا لضيره صلى الله عليه وسلم لأنه لا يفهم المقايسة في الأهدوية
 غيره -] : (لك) أى يطلبوا الإجابة و يوجدوها في الإيمان أو الإتيان
 بما ذكرته لهم ودعوتهم إليه عما هو أهدى ، من القرآن والتوراة
 ليظهر صدقهم (فاعلم) أنت (انما يقبعون) أى بغاية جهدهم فيما هم
 عليه من الكفر والتكذيب (أهوآهم) أى دائما ، وأكثر الهوى
 مخالف للهدى فهم ظالمون غير مهتدين ، بل هم أضل الناس ، وذلك معنى
 قوله : (ومن أضل) أى منهم ، ولكنه قال : (بمن اتبع) أى بغاية
 جهده (هونه) تعليقا للحكم بالوصف ؛ والتقييد بقوله : (بغير هدى)
 أى بيان إرشاد (من الله) أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات
 الكمال دليل على أن الهوى قد يوافق الهدى ، والتعبير بالافتعال دليل على
 أن التابع وإن كان ظالما قد لا يكون أظلم .

ولما كانت متابعة الهوى على هذه الصورة ظلما ، وصل به قوله
 مظهرا لتلا يدعى التخصيص بهم : (ان الله) أى الملك الأعظم الذى
 لا راد لأمره (لا يهدى) وأظهر موضع الإضمار للتعميم فقال :
 (القوم الظالمين) أى وإن كانوا أقوى الناس لاتباعهم أهوآهم ، فالآية
 من الاحتك : أثبت أولا اتباع الهوى دليلا على حذفه ثانيا ، وثانيا
 الظلم دليلا على حذفه أولا .

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ و مد و (٣-٣) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : التورية والفرقان (٤) سقط من ظ و مد (٥) في ظ : جهدهم .
 (٦-٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : او رشاد (٧) في ظ : اظهار (٨) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : دليل .

و لما أبلغ في هذه الأساليب في إظهار الخفايا، وأكثر من نصب الأدلة على الحق وإقامة البراهين على وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا باعراضهم عن ذلك كله كأنهم منكرون^١ لأن يكون جاءهم شيء من ذلك، قال ناسقا على ما تقديره : فلقد أتيناك في هذه الآيات بأعظم البيئات، منها^٢ بحرف التوقع المقترن بأداة القسم على أنه هـ مما يتوقع هنا أن يقال : (ولقد وصلنا) أى^٣ على^٤ ما^٥ لنا من العظمة التي مقتضاها أن يكنى أدنى إشارة منها (لهم) أى خاصة، فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها (القول) أى أتبعنا بعض القول - الذي لا قول في الحقيقة سواه - بعضا بالإنزال منجما، قطعا بعضها في أثر بعض، لتكون جوابا لأقوالهم، وحلا لاشكاهم، فيكون ١٠ أقرب إلى الفهم، وأولى بالتدبر، مع تنويحه في وعد ووعيد، وأخبار ومواظ، وحكم ونصائح، وأحكام ومصالح، وأكثرنا^٦ من ذلك حتى كانت آياته المعجزات وبياناته الباهرات كأنها أفراس الرهبان، يوم استباق الأقران، في حومة الميدان، غير أن كلا منهما سابق في العيان .

و لما بكتهم بالتنبيه بهذا التأكيد على مبالغتهم في الكذب بالقول ١٥ أو بالفعل في أنه ما أتاهم ما يقتضى التذكير^٧ أتبع ذلك التوصليل عليه فقال : (لعلهم يتذكرون^٨) أى ليكون حالهم حال الذين يرجى لهم

(١) في ظ : منكرين (٢) من مد، وفي الأصل : منها، وفي ظ : مبهما .

(٣-٢) في مد : بما (٤) في ظ و مد : أكثر (٥) في ظ : التذكر .

أن يرجعوا إلى عقولهم فيجدوا فيما طبع^١ فيها ما يذكرهم بالحق تذكيرا^٢،
بما أشار إليه الإظهار .

ولما كان^٣ من التذكر ما دل^٤ عليه مجرد العقل ، ومنه ما انضم
إليه مع ذلك النقل ، وكان صاحب هذا القسم أجدر بأن يتبصر ، وكان
٥ كأنه قيل : هل تذكروا^٥ ؟ قيل : نعم ! أهل الكتاب الذين هم أهله

/ حقا تذكروا [حقا - °] ، وذلك معنى قوله : (الذين اتينهم) أى

بعضتنا التى حفظناهم بها (الكتب) أى العلم من التوراة والإنجيل
وغيرهما من كتب الأنبياء ، وهم يتلون ذلك حق^٦ تلاوته ، فى بعض

الزمان الذى كان (من قبله) أى القرآن (هم) أى خاصة
١٠ (به) أى القرآن ، لا بشيء مما يخالفه (يؤمنون) أى يوقنون

الإيمان به فى حال وصوله إليهم إيمانا لا يزال يتجدد ؛ ثم أكد
هذا المعنى بقوله : (واذا تبلى) أى تتجدد تلاوته (عليهم قالوا)

مبادرين : (امانا به) ثم عللوا [ذلك بقولهم - °] الدال على غاية
المعرفة ، مؤكدين لأن^٧ من كان على دين لا يكاد يصدق رجوعه عنه ،

١٥ فكيف إذا كان أصله حقا من عند الله : (انه الحق) أى التكامل
الذى ليس وراءه إلا الباطل ، مع كونه (من ربنا) المحسن إلينا ،

(١) فى ظ : طبعوا (٢) فى ظ : تذكر (٣ - ٣) فى مد : فى التذكير ما يدل .

(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تذكرون (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط

من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : بكل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد

فخذناها .

وكل من الوصفين موجب ' للتصديق و الإيمان ' به؛ ثم عللوا مبادرتهم إلى الإذعان منبهين على أنهم في غاية البصيرة من أمره بأنهم يتلون ما عندهم حق تلاوته، لا بألسنتهم فقط، فصح قولهم الذي دل تأكيدهم [له - ٢] على اغتباطهم^٢ به الموجب لشكوه: ﴿ انا كنا ﴾ أى كونا هو في غاية الرسوخ؛ وأشار إلى أن^٣ من صح إسلامه ولو في زمن يسير^٥ أذعن لهذا الكتاب، باثبات الجار، فقال: ﴿ من قبله مسلمين ه ﴾ أى مقادين غاية الاتقياد لما جاءنا من عند الله من وصفه وغير وصفه وافق هوانا^٥ وما أفناه أو خالفه، لا جرم كانت النتيجة: ﴿ اوائتلك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ يؤتون ﴾ بناه للفعول لأن القصد الإيتاء. و المؤتى معروف ﴿ اجرهم مرتين ﴾ لإيمانهم به غيبا و شهادة، أو بالكتاب^٦ ١٠ الأول ثم الكتاب الثاني ﴿ بما صبروا ﴾ على ما كان من الإيمان قبل العيان، بعد ما هزم^٧ إلى النزوع عنه ألف دينهم الذى كان، وغير ذلك من امتحان الملك الديان .

ولما كان الصبر لا يتم إلا بالاتصاف بالمحاسن والانخلاع من المساوى، قال عاطفا على " يؤمنون " مشيرا إلى تجديد هذه الأفعال ١٥ كل حين: ﴿ ويدرءون بالحسنة ﴾ من الأقوال و الأفعال ﴿ السيئة ﴾ أى من ذلك كله فيمحونها بها .

(١ - ١) من ظ و مد، وفي الأصل: للإيمان (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: احتياطهم (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: صوابا (٦) في ظ: الكتاب (٧) في ظ و مد: هزيبهم .

ولما كان بعض هذا الدرر لا يتم إلا بالجود قال: (وما رزقتهم)
 أى بعظمتنا، لا بحول منهم ولا قوة، قليلا كان أو كثيرا (ينفقون هـ)
 معتمدين في الخلف على الذى رزقه؛ قال البغوى: قال سعيد بن جبير:
 قدم مع جعفر رضى الله تعالى عنه من الحبشة أربعون رجلا، يعنى:
 هـ فأسلبوا، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا النبي صلى الله عليه
 وسلم فى أموالهم، فأتوا بها فواسوا بها المسلمين.

ولما ذكر أن السباح بما ترضى النفوس به من فضول الأموال من
 أمارات الإيمان، أتبعه أن خزن؛ ما تبذله الألسن من فضول الأقوال
 من علامات العرفان، فقال: (واذا سمعوا اللغو) أى ما لا ينفع فى
 ١٠ دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعبير ونحوه (اعرضوا عنه)
 تكرما عن الخنا (وقالوا) أى وعظا وتسميما لقائله: (لأ)
 أى خاصة (اعمالنا) لا تتابون على شئ منها ولا تتعاقبون (ولكم)
 أى خاصة (اعمالكم) لانطاب بشئ منها، فنحن لانشغل بالرد عليكم
 لأن ذمكم لنا لا ينقصنا شيئا من أجرنا ولا الاشتغال برده ينقصنا.

ولما كان / معنى هذا أنهم سالمون منهم، صرحوا لهم به فقالوا: ١٥ / ٣٣

(١) فى معالم التنزيل بهامش الباب ٤٧/هـ: (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ
 ومد (٣) فى ظ و مد: السماع (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: خزى.
 (ه-ه) فى ظ و مد: تبذله (٦) زيد فى الأصل: امارات و، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و مد لحدفتها (٧-٧) فى ظ و مد: دينا (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من
 مد (٩) سقط من ظ و مد.

(سلم عليكم) أي مناه. ولما جرت العادة بأن مثل هذا يكسر اللام، ويرد الباغي، أشاروا لهم إلى قبح حالهم، ردا على ضلالهم، بقولهم تعليلا لما مضى من مقالهم^٢: (إلا نبتغي) أي لا نكلف أنفسنا^٣ أن نطلب (الجهلين) أي نريد شيئا من أحوالهم أو أقوالهم، أو غير ذلك من خلالهم.

ولما كان من المعلوم أن نفس النبي صلى الله عليه وسلم - لما جبلت عليه من الخير والمجة لنفع جميع العباد، لاسيما العرب، لقربهم منه صلى الله عليه وسلم، لاسيما أقربهم منه صلة للرحم متأثر بسبق أهل الكتاب لقومه، وكان ربما ظن ظان أن عدم هدايتهم لتقصير في دعائه أو إرادته لذلك، وأنه لو أراد هدايتهم وأحباها، وعلق همته العلية بها لاهدوا،^{١٠} أوجب عن^٦ هذا بقوله تعالى في سياق التأكيد إظهارا لصفة القدرة والكبرياء والعظمة: (انك لاتهدى من احببت) أي نفسه أو هدايته بخلق الإيمان في قلبه، وإيمانا في يدك الهداية التي هي الإرشاد والبيان.

ولما كان ربما ظن من أجل الإخبار بتوصيل^٧ القول وتعليقه ونحو ذلك من أشباهه أن شيئا من أفعالهم يخرج عن القدرة، قال نافيا لهذا^{١٥} الظن مشيرا إلى الغلط في اعتقاده بقوله: (ولكن الله) المتردى برداء الجلال والكبرياء والتكامل وله الأمر كله (يهدى من يشاء ج) هدايته

(١) من مد، وفي الأصل وظ: عن (٢) في ظ ومد: تعليلهم - خطأ (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: نفسنا (٤) من ظ ومد، وفي الأصل «و» (٥) في ظ ومد: لسبق (٦) في ظ: من (٧) في ظ ومد: بتوصل.

بالتوفيق إلى ما يرضيه (وهو) أى وحده (اعلم بالمهتدين^٥) أى الذين
 أيام لتطلب الهدى عند خلقه لهم، فيكونوا عريقين فيه سواء كانوا من
 أهل الكتاب أو العرب، أقارب كانوا أو أبعاد^٢، روى البخارى فى
 التفسير^٢ عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه: قال لما حضرت
 ٥ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل
 وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال: أى عم! قل: لا إله إلا الله
 كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية:
 أرغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعرضها عليه و يعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر^٥ ما كلمهم^٥
 ١٠ على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: [و الله -^٦] لا استغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله
 عز وجل " ما كان للنبي و الذين آمنوا ان يستغفروا للشركين^٧ و لو
 كانوا اولى قربى^٧" و أنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم " انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء"
 ١٥ - الآية - انتهى . و قال فى كتاب التوحيد^٨: " انك لا تهدى من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لطلب (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) راجع
 صحيحه ٧٠٢/٢ (٤) سقط من مد (٥-٥) فى ظ و مد: هو، و ما فى الأصل مطابق
 للفظ الصحيح (٦) زيد من ظ و مد و الصحيح (٧-٧) سقط ما بين الرقنين
 من مد و انصحیح (٨) راجع باب المشية و الإرادة من الصحيح .

احبت^١ قال سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه : نزلت في أبي طالب، وفي مسلم^٢ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالتوحيد فقال: ^٣لولا أن^٤ تعيرنى نساء قريش لأقررت بها عينك فأزل الله الآية .

و لما عجب من حال قريش في طلبهم من الآيات مثل ما أوتى^٥ موسى عليه الصلاة والسلام ثم كفرهم به وبما هو أعظم منه، وختم بأنه أعلم بأهل الخير وأهل الشر، إشارة إلى الإعراض عن الأسف على أحد، والإقبال على عموم الدعاء للقريب والبعيد على حد سواء. / قال ٣٤ /
 دليلا على ذلك لأنهم إنما يتبعون أهواءهم، عاطفا على قالوا "لولا اوتى"
 ﴿ وقالوا ان تتبع ﴾ أى غاية الاتباع ﴿ الهدى ﴾ أى الإسلام فوحد ١٠
 الله من غير إشراك ﴿ معك ﴾ أى وأنت على ما أنت عليه من مخالفة
 الناس ﴿ تتخطف ﴾ أى من أى^٦ خاطف أردانا، لانا نصير قليلا^٧ فى
 كثير^٨. من غير نصير ﴿ من ارضنا ﴾ كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة
 العرب لنا، وليس لنا نسبة^٩ إلى كثرتهم ولا قوتهم^{١٠} فيسرعوا إلينا
 فيتخطفونا، أى يتقصدون خطفنا واحدا واحدا، فانه لا طاقة لنا على ١٥
 إدامة^{١١} الاجتماع وأن لا يشذ^{١٢} بعضنا عن بعض؛ قال البغوى^{١٣}:

(١) راجع صحيحه ٤٠/١ (٢-٢) فى ظ: لولا مثل، و ما بين الرقين ساقطة
 من مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ ومد (٥) فى
 ظ: سعة (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: قومهم (٧) فى ظ: اقامة (٨) من
 ظ ومد، وفى الأصل: لا يسد (٩) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٤٨/٥ .

و الاختطاف: الاتزاع بسرعة .

ولما كان التقدير في الرد على هذا الكلام الواهي : ألم نحمك ومن اتبعك منهم وقد جثموم من الخلاف بمثل ما يخالفونهم ، به العرب أو أشد ، ولا نسبة لكم إلى عدم ولا جلدكم ، عطف عليه قوله : (اولم نمكن) أى غاية التمكين (لهم) في أوطانهم ومحل سكنهم بما لنا من القدرة (حرما أمنا) أى إذا أمن يأمن فيه كل خائف حتى الطير من كواسرها ، والوحش من جوارحها ، حتى أن سيل الحل لا يدخل الحرم ، بل إذا وصل إليه عدل عنه ؛ قال ابن هشام في استيلاء كنانة و خزاعة على البيت : وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ، لا يعنى فيها أحد إلا أخرجه^١ - انتهى .
و كان الرجل يلقي قاتل أبيه وابنه فيها فلا يهيجه ولا يعرض له بسوء ؛ وروى [الأزرقي -^٢] في تاريخ مكة بسنده عن حويطب بن عبد العزى رضى الله عنه قال كانت في الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريه أحد ، فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه^٣ رجل فشلت يده^٤ .

(١ - ١) من مد ، وفي الأصل : يخالفونهم ، وفي ظ : يخالفونهم (٢) في ظ : على (٣ - ٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : في كواسيرها (٤) من مد ، وفي الأصل : سيل : سيل ، وفي ظ : سيل لكل - كذا (٥) راجع ١ / ٣٩ (٦ - ٦) من ظ ومد و السيرة ، وفي الأصل : لا تعرفها (٧) من ظ ومد و السيرة ، وفي الأصل : أخرجه (٨) زيد من ظ ومد (٩) راجع أخبار مكة ١٩ / ٢ (١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : فاحسه وفي الأخبار : فاجتذبه (١١) سقط من مد .

فلقد رأيت في الإسلام [وإنه -] لأشمل، وروى عن ابن جريج قصة العرب من غير قريش في أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن أعارتهم قريش ثيابا، فجاءت امرأة فطافت عراة، وكان لها جمال، فرأها رجل فأعجبته فدخل فطاف إلى جنبها، فأدنى عضده من عضدها، فالتزقت عضده بعضدها، فخرجا من المسجد هارين على وجوههما فرعين لما أصابها من العقوبة. فلقبها شيخ من قريش فأقتهما أن يعودا إلى المكان الذي أصابا فيه الذنب، فیدعوان ويخلصان أن لا يعودا، فدعوا وأخلصا النية، فافترقت أعضادهما فذهب كل واحد منهما في ناحية، وبسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ رجل ذود ابن عم له فأصابه في الحرم فقال: ذودي: فقال اللص: كذبت، قال: فاحلف، فخلف عند المقام. فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه يدعو، فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة: مالي، وللزود، مالي، وللفلان - رب الزود، فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الزود فدفعه إلى المظلوم، فخرج به ويق الآخر متولها حتى وقع من جبل قردى فأكلته السباع. وعن أيوب بن موسى أن امرأة في الجاهلية كان معها ابن عم لها صغير فقالت له: يا بني: إنى

(١) زيد من ظ ومد و الأخبار (٢) من أخبار مكة ١١٣/١، وفي الأصول: ابن جرير (٣) زيد في الأصول: لها جمال. ولم تكن الزيادة في الأخبار ١١٥/١ فحذفنا (٤-٤) سقط من مد (٥) في ظ: فيما (٦) من ظ ومد و الأخبار، وفي الأصل: اعضاؤها (٧) في ظ ومد: ناحيته (٨) راجع أخبار مكة ٢٠/٢ والرواية فيه بمفارقات بسيطة (٩) في الأخبار: بها (١٠) من ظ ومد و الأخبار، وفي الأصل: مد لها (١١) راجع الأخبار ٢١/٢.

أغيب / عنك و إني أعاف أن يظلمك أحد، فان جاءك ظالم بعدى فان لله
بمكة بيتا لا يشبه شئ من البيوت، وعليه ثياب ولا يثاربه مفسد،
فان ظلمك ظالم يوما فعذبه، فان له ربا سيمنعك، فجاءه رجل فذهب
به فاسترقه، قال: وكان أهل الجاهلية يعمرون أنعامهم فأعمر سيده ظهره،
ه فلما رأى الغلام البيت عرف الصفة فنزل^١ يشتد حتى تعلق بالبيت، وجاءه
سيده فد يده إليه ليأخذه، فبيست يده، فما الأخرى فبيست، [فاستقى^٢-
فاقتى أن ينحر عن كل واحدة من يديه بدته، ففعل فأطلقت يده^٣،
وترك الغلام و خلى سبيله . و عن عبد العزيز بن^٤ أبي رواد^٥ أن قوما
انتهوا إلى ذى طوى، فاذا ظبي قد دنا منهم، فأخذ رجل منهم بقائمة
١٠ من قوائمه فقال له أصحابه: ويحك! أرسله، فجعل يضحك و يأنى^٦ أن
يرسله، فبعر الظبي و بال^٧؛ ثم أرسله، فناموا^٨ في القائلة فانتبهوا^٩، فاذا
بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبي^{١٠}، فلم تنزل الحية عنه
حتى كان منه من الحديد مثل ما كان من الظبي . و عن مجاهد قال:
دخل قوم مكة نجارا من الشام فى الجاهلية فزلوا ذا طوى^{١١} فاخترزوا
١٥ ملة لهم ولم يمكن معهم إدام، فرمى رجل منهم ظبية من ظباء الحرم

(١) فى ظ : فترك (٢) زيد من ظ ومد والأخبار (٣) فى مد : يده (٤-٥) من
اخبار مكة ١١٧/٢، وفى الأصل : داود، وفى ظ ومد : رواد (٥) فى ظ :
ابى (٦) من ظ ومد والأخبار، وفى الأصل : باله (٧) من الأخبار، وفى
الأصول : فقاموا (٨)، الأخبار : فانتبه بعضهم (٩) هناك بعض الزيادات فى
الأخبار (١٠) تحت سمرة يستظلون بها - كما زيد فى الأخبار .

وهي حوّلهم ترعى^١ قماموا^٢ إليها فسلخوها وطبخوها [لمحها - ٣] ليأتدوا به ،
 فينما قدرهم على النار تغلى بلحمة إذ خرجت من تحت القدر غثق من
 النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا ولم تحترق ثيابهم ولا أمتعتهم
 ولا السمرات^٤ التي كانوا تحتمها ، وفي سيرة أبي^٥ الربيع بن سالم
 السكلاعى^٦ أن رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم له نخوة بالدعاء
 في الحرم^٧ ، فقال : هذه ناقى فلانة اركبها فاذهب إليه فاجتهد في الدعاء ،
 فجاء الحرم في الشهر الحرام فقال : اللهم إني أدعوك جاهدا مضطرا^٨ على
 ابن عمى فلان ترميه بداء لا دواء له ، ثم انصرف فوجد^٩ ابن عمه قدرى
 في بطنه فصار مثل الرق ، فما زال ينتفخ حتى انشق ، وأن عمر رضي الله عنه^{١٠}
 سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره ، فقال : يا أمير المؤمنين ا
 كنا بنى ضبعاء عشرة ، وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان يذكرنا
 بالله^{١١} وبالرحم^{١٢} ، فلما رأى أنا لا نكف عنه انتهى إلى الحرم في الأشهر
 الحرم فجعل يرفع يديه يقول :

لاهم^{١٣} أدعوك دعاء جاهدا اقل بنى الضبعاء إلا واحدا

(١) في ظ ومد : ترعى (٢) في ظ : فدنوا (٣) زيد من الأخبار (٤) في
 مد : السموات (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : ابن ، وقدم التعليق عليه .
 (٦) راجع أيضا أخبار مكة ١٩ / ٢ (٧) في مد : البيت ، والعبارة من بعده
 إلى « الحرم فقال » ساقطة منها (٨) في ظ ومد : مضرا (٩) من ظ ومد
 والأخبار ، وفي الأصل : فيجد (١٠) راجع أخبار مكة ٢٠ / ٢ (١١) في ظ ومد
 والأخبار : الله (١٢) في الأخبار : الرحم (١٣) أى اللهم ، كما في ظ
 ومد والأخبار .

ثم اضرب الرجل ودعه قاعداً أعمى إذا 'قيد يعي' القائدا
 قال: فمات إخوتى التسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد^٢، وبقيت
 أنا فعمية، ورماني الله عز وجل فى رجلى، فليس يلائمنى قائد^٣، فقال
 عمر رضى الله عنه: [سبحان الله إن هذا هو العجب -^٤]، جعل الله
 هذا فى الجاهلية إذ لا دين حرمة حرما و شرفها، ليشكب الناس عن انتهاك
 ما حرم محافة تعجيل العقوبة، فلما جاء الدين، صار الموعد الساعة،
 ويستجيب الله لمن يشاء، فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين - انتهى .
 وكأنه لمثل ذلك عبر بالتمكين و يتخطف الناس من حولهم كما يأتى
 تأكيد فى التى بعدها، / وقد كان قبل ذلك بقعة من بقاع الأرض
 لا مزية له على غيره بنوع مزية، فالتقدير: إنما فعلنا ذلك بعد سكنى
 إسماعيل عليه الصلاة والسلام، توطئة لما أردنا من الحكم والاحكام،
 أو ليس الذى قدر على ذلك و فعله لمن يعبد غيره بقادر على حماية من
 يدخل فى دينه، وقد صار من حزه بأنواع الحمايات، وإعلانه على
 كل من يناويه إلى أعلى الدرجات، كما فعل فى حمايتكم منهم و من
 ١٥ غيرهم من سائر المخالفين أعداء الدين .

ولما وصفه بالأمن، أتبعه ما تطلبه النفس بعده فقال: (يحبى آ)

أى يجمع و يجلب^٥ مما لا يرجونه و لا قدرة لهم على استجلابه^٦ (إليه)

(١-): فى الأخبار: ما قيدنى (٢) من ظ و مد و الأخبار، وفى الأصل:
 واحدا (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: قايدا (٤) زيد من الأخبار (٥) فى
 ظ و مد: بعد (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ و مد.

أى خاصة، دون غيره من جزيرة العرب (ثمرت كل شيء) من النبات الذى بأرض العرب من ممر البلاد الحارة كالبر و الرطب و الموز و التبق، و الباردة كالغلب و التفاح و الرمان و الخوخ، و فى تعبيره بالمضارع و ما بعده إشارة إلى الاستمرار 'و أنه' يأتى إليه بعد ذلك من كل ما فى الأرض من المال، ما لم يخظر لأحد منهم فى بال، و قد صدق الله فيما ه قال ' كما تراه' - و من أصدق من الله قىلا .

و لما كان مجموع ما رزقهم فى هذا الحرم من الأمن بأسبابه من الإسراع باصابة من آذى فيه بأنواع العقوبات، و جباية هذه الثمرات، فى غاية الغرابة فى تلك الأراضى اليابسة الشديدة الحر، المحفوفة من الناس بمن لا يدين ديننا، و لا يخشى عاقبة، و لا له ملك قاهر من الناس ١٠ يرد، و لا نظام من سياسة العباد يمنه، عبر عنه سبحانه مع مظهر العظمة بلدن فقال: ﴿رزقا من لدنا﴾ أى من أبطن ما عندنا و أغربه، لا صنع لأحد فيه كما تعلم ذلك كله أنت و من اتبعك و من فيه قابلية الهداية منهم، و كل ذلك إنما هو لأجلك [بحلولك - °] فى [هذا - °] الحرم مضمرا فى الأصلاح، و مظهرها فى تلك الشعاب، توطئة لنبوتك، و تمهيدا للمساتك، ١٥ و متى غبت عنهم غاب عنهم ذلك كله و سينظرون .

(١ - ١) فى ظ : فانه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٣) فى الأصول :
المجفوفة - خطأ، و العبارة من هنا إلى « و لا نظام » ساقطة من مد (٤) فى
ظ : عقوبة (٥) زيد من مد .

ولما كان هذا الذي أبدوه^١ عذرا عن تخلفهم عن الهدى يظنونه من نفائس العلم، رده تعالى نافيا عن من لم يؤمن منهم جميع [العلم -^٢] الذي بنفيه ينتق^٣ أن يكون هذا^٤ الفرد علما، فقال في أسلوب التأكيد لذلك : (ولئن أكثرهم) أى أهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له (لا يعلمون)^٥ أى ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا أنا نحن الفاعلون لذلك بترتيب أسبابه حتى^٦ تمكن ذلك وتم^٧ فلا قدرة لأحد على تغييره، وإنا قادرون على أن نمنعهم - إذا تابعوا أمرنا - ممن يريدهم، بل نسلطهم على كل من نواهم، كقدرتنا على ما مكنا لهم وهو خارج عن القياس على ما يقتضيه عقول الناس، وإنا قادرون على سلب ذلك كله عنهم لإصرارهم على الكفر، ولا بد أن نذيقهم ذلك^٨ أجمع بعد هجرتك ليعلموا أنه إنما نالهم^٩ ذلك ببركتك^{١٠}، ولو علموا ذلك لشكروا، ولكنهم جهلوا فكفروا، ولذلك أنذروا^{١١} " ولتعلن نباه بعد حين " .

ولما أخبر تعالى أنه قادر على التأمين والإنجاء والتسكين مع الضعفة، أتبعه الإعلام بقدرته على الإخافة والإهلاك مع القوة،
١٥ ترغيبا لهم - إن آمنوا - باهلاك أضدادهم، وترهيبا - إن أصروا -
^{١٢} من المعاملة^{١٣} بعكس مرادهم، فقال في مظهر العظمة عاطفا على معنى

(١) من ظ و مد، وفي الأصل : أبدوه (٢) زيد من ظ و مد (٣) في مد :
يبتنى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥-٥) من مد، وفي الأصل
و ظ : يمكن ذلك ويتم (٦) في ظ : تلك (٧-٧) في ظ و مد : بنبوتك .
(٨-٨) من ظ و مد، وفي الأصل : عن المعالجة .

الكلام: ﴿وكم أهلكنا﴾ ويجوز / أن يكون حالا من ضمير
 ٢٧ / «نمکن، أى فعلنا بهم» ما ذكرنا من النعمة^١ مع ضعفهم وعجزهم،
 والحال أنا كثيرا ما أهلكنا الأقوياء، وأشار إلى تأكيد التكثير مع
 تمييز المبهم بقوله: ﴿من قرية﴾، وأشار إلى سبب الإهلاك بقوله:
 ﴿بطرت معيشتها﴾ أى وقع منها البطر في زمان عيشها الرخى الواسع،^٥
 فكان حالهم كحالكم في الأمن وإدراار الرزق، فلما^٢ بطروا معيشتهم
 أهلكناهم، ومعنى بطروا لها^٢ أنهم شقوها^٢ بمجاوزة الحد في المرح،
 والأشر والفرح، إلى أن تعدوها^٤ فأفسدوها و كفروها^٤ فلم يشكروها،
 بل فعلوا في تلقيها فعل الخائر المدهوش، فلم يحسنوا رعايتها، وقل
 احتمالهم لحق النعمة فيها، فطفوا في القلب عند مصاحبته وتكبروا بها،^{١٠}
 وتمادوا في الغنى قولا وفلا، من أجل ما عمهم من الرفاهية عن
 تقييدها^٥ وساء احتمالهم للغنى بها، وطيب العيش فيها، فأبطلوها بهذه
 الخصال، وأذهبوها هدرا من غير مقابل، وذلك من قول أهل اللغة:
 البطرا: الأشر، وقلة احتمال النعمة، والدهش والخيرة والطغيان
 بالنعمة، والفعل^٦ من الكل^٦ كفرح، واطر الحق^٧ أن يتكبر^٧ عنه^{١٥}
 فلا يقبله، واطره كضره وضره: شقه، والبطور: الصخاب^٨ الطويل

(١-١) سقط ما بين الرقيين من مد، و وقع في ظ: ذكر - موضع: ذكرنا.

(٢) في ظ: فما (٣-٣) في ظ: ان شقاها، وفي مد: ان شقوها (٤-٤) في ظ:

فانيدوها وكفروها، وفي مد: فكفروها (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:

تقييد (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من مد (٧-٧) في مد: اى تكبر (٨) في ظ

ومد: الضجار.

اللسان، والمتأدى في النقي، وأبطره ذرعه : حمله فوق طاقته، وذهب
دمه بطرا - بالكسر، أى هدرا و بطرم لها أنهم عصوا من خولهم فيها،
تخالفوا أمره، وأنسام الكبير بما أعطاهم ذكره .

ولما تسبب عن هذا الإخبار^٢ تشوف النفس إلى آثار هذه

٥ الديار، سبب عنه الإشارة بأداة البعد إلى منازلهم، تبيها على كثرتها
وسهولة الوصول إليها في كل مكان، لكونها بحيث يشار إليها وعلى
بعد رتبها في الهلاك دليلا على الجملة التي قبلها فقال: (فلك مسكنهم).

ولما كان المعنى أنها خاوية^٣ على عروشها^٤ وصل به قوله: :

(لم تسكن) أى من ساكن ما مختار أو مضطر . ولما كان المراد

١٠ إفهام نفي قليل الزمان وكثيره، أثبت الجار فقال: (من بعدهم) بعد

أن طال ما تغالوا فيها وتمقوها، وزخرفوها^٥ وزوقوها^٦، وزفوا فيها

الابكار، وفرحوا بالأعمال الكبار، (الا) سكونا (قليل^٧) بالماراة

عليها ساعة من ليل^٨ أو من نهار، ثم تصير تبايا موحشة كالقفار، بعد أن

كانت متمنعة القبا^٩، بيض الصفاح و سمر القنا .

١٥ ولما صارت^{١٠} هذه الأماكن^{١١} بعد الخراب لا متصرف فيها ظاهرا^{١٢}

إلا الله، ولا حاكم عليها فيما تنظره العيون سواه، وكان هذا أمرا

(١) في ظ : بما (٢-٢) في مد : هذه الاخبار (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من

ظ و مد (٤-٤) في ظ : بها قولها (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من مد (٦) في

ظ : الليل (٧-٧) من ظ و مد، وفي الأصل : متمنعة القنا (٨) في ظ و مد :

كانت (٩) في ظ و مد : المساكن (١٠) في ظ و مد متظاهرا .

عظيما، وخطبا جسيما، لانه لا فرق فيه بين جليل وحقير، وصغير
 وكبير، وسultan ووزير، دل على ضخامته بقوله مكررا لمظهر العظمة:
 ﴿وكنا﴾ [أى - ١] أزلا و أبدا ﴿نحن﴾ لا غيرنا ﴿الوزئين ه﴾
 لم يستعص علينا أحد وإن عظم، ولا تأخر عن مرادنا لحظة وإن
 ضخم، فليت شعري! أين أولئك الجبارون وكيف خلا دورهم، وعطل ه
 قصورهم؟ المتكبرون أفتهم والله كؤوس الحمام منوعة^٢ أشربة المصاب
 العظام، وأذلتهم مصارع^٣ الأيام، بقوة العزيز العلام، فيا ويح من لم يعتبر
 بأيامهم، ولم يزدجر عن مثل آثامهم .

ولما أظهر سبحانه سوط العذاب بيد القدرة، دل على وهلا العدل

بشرة الغنى، ولكونه في سياق الرحمة بالإرسال عبر بالروية فقال: ١٠

﴿وما كان﴾ [أى - ١] كونا ما / ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بالإحسان
 ٢٨ / بارسالك إلى الناس ﴿مهلك القرى﴾ أى هذا الجنس كله مجرم وإن
 عظم ﴿حتى يبعث في آماها﴾ أى أعظمها وأشرفها، لأن غيرها تبع لها،
 ولم يشترط كونه من أمها فقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام من
 الناصرة، وبعث في بيت المقدس ﴿رسولا بتلوا عليهم﴾ أى أهل القرى ١٥
 كلهم ﴿ايتناج﴾ الدالة - بما لها من الجرى على مناهج العقول، على
 ما ينبغى لنا من الحكمة، وبما لها من الإعجاز - على تفرد الكلمة،
 وباهر العظمة، إلزاما للحجة، وقطعا للعدرة، لثلا يقولوا ”ربنا لو لا ارسلت

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: منزعه (٣) من ظ
 و مد، وفي الأصل: مصادع .

الينا رسولا“، ولذلك لما أردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول من أم القرى كلها، وهي مكة البلد الحرام، وفيها لأنها مع كونها مدينة تجرى فيها الأمور على قانون الحكمة [هي - ١] في بلاد البوادي تظهر فيها الكلمة، فجمعت الأمرين لأن المرسل إليها جامع، وحازت الأمرين لأن الختام به واقع، وكان السر في جعل المؤيد لدينه عيسى عليها الصلاة والسلام من البادية كثرة ظهور الكلمة على يديه .

ولما غي^٢ الإهلاك بالإرسال تخويفا، ضرب له غاية أخرى تخويبا^٣ للأمر وتعريفا، ولكونه في سياق^٤ التجرو^٥ من أهل الضلال، على مقامه العال، بانتهاك الحرمات، عبر بأداة العظمة فقال: ﴿ وما كنا ﴾ ١٠. أي بعظمتنا : غانا ﴿ مهلكي القرى^٦ ﴾ أي كلها، بعد الإرسال ﴿ إلا واهلها ظلمون^٧ ﴾ أي عريقون في الظلم بالعصيان، بترك ثمرات الإيمان. ولما اعتلوا في الوقوف عن الإيمان بخوف التخطف، فذكرهم نعمته عليهم باقامة أسباب الأمن وإدراك الرزق، وعرفهم انه هو وحده الذي^٨ تخشى سطواته، ويتقى أخذه لمن خالفه وبطشاته، وكان خوفهم ١٥ من عواقب المتابعة إما على أنفسهم وإما على ما بأيديهم من المتاع، علم من ذلك كله قطعا أن التقدير بما سبب التخويف من عواقب الظلم بمثل مصارع الأولين: فأفسدكم في خطر من^٩ خوف الهلاك من القادر عليكم كقدرته على من قبلكم بسبب التوقف عن المتابعة أشد من^{١٠} خطر

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفي الأصل و ظ ن غني (٣) من مد، وفي الأصل و ظ : تحذيرا (٤) في ظ : بيان (٥) من ظ و مد، وفي الأصل : التي (٦-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

الخوف من التخطف بسبب المتابعة، أو يكون التقدير: فما ختمت منه
التخطف غير ضاركم، وكفكم عن المتابعة لأجله غير مخلدكم، فما إهلاككم
على الله بأى وجه كان - بعزير، فعطف على هذا الذى أرشد السياق إلى
تقديره قوله: (وما أوتيقم) أى من [أى - '] مؤت كان (من شيء)
أى من هذه الأشياء التى بأيديكم وغيرها (فتاع) أى فهو متاع ه
(الحيوه الدنيا) وليس يعود نفعه إلى غيرها، فهو إلى فناء وإن طال
زمن التمتع به (وزيتهاج) أى وهو زينة الحياة الدنيا التى [هى - ']
كلها - فضلا عن زيتها - إلى فناء. فليست هى ولا شيء منها بأزلى
ولا أبدي (وما عند الله) أى الملك الأعلى بما تشره لكم المتابعة من
الثواب الذى وعدكموه^٢ فى الدار الآخرة التى دل عليها دلالة واضحة ١٠
إطباقكم على وصف هذه بالدنيا، ومن أصدق وعدا منه (خير) على
تقدير مشاركة ما فى الدنيا له فى الخيرية فى ظنكم، لأن الذى عنده أكثر
وأطيب وأظهر، وأحسن وأشهى، وأبهج وأزهى، (و) هو مع ذلك
كله (اتقى) لأنه وإن شارك متاع الدنيا فى أنه لم يكن أزليا فهو أبدي.
ولما بأن أنه لا يقدم على خطر المخالفة المذكور^٣ / خوفا من خطر المتابعة ١٥ / ٣٩
الموصوف عاقل، توجه الإنكار عليهم فى قوله تعالى: (أفلا تعقلون) .
ولما كان هذا سببا لأن ظهر كالشمس بون عظيم بين حال
المخالف والمؤلف، سبب عنه وأنتج قوله، مقررا لما ذكر من الأمرين
(١) زيد من ظ و مد (١) فى ظ: وعدتموه (٣) زيد فى الأصل: خوف من
خطر المخالفة المذكور، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذفناها .

موضحا لما لها من المانية، منكرها على من^١ سوى بينهما، فكيف بمن
ظن أن حال المخالف أولى: (افسن وعدته) على عظمتنا في الغي^٢
و القدرة و الصدق (وعدا) وهو الإثابة^٣ و الثواب (حسنا) لاشيء
أحسن منه^٤ في موافقته^٥ لآمنيته و بقاءه^٥ (فهو) بسبب وعدنا الذي
لا يخلف (لاقيه) أى مدركه و مصيبه لا محالة (كن متعنه) أى بعظمتنا
(متاع الحيوة الدنيا) فلا يقدر أحد غيرنا على سلبه منه بغير إذن منا،
و لا يصل أحد إلى جعله باقيا، و هو مع كونه فانبا و إن طال زمنه
مشوب بالأكدار، مخالط بالاقذار و الأوزار (ثم هو) مع ذلك كله
(يوم القيمة) الذى هو يوم التغابن، من خسر فيه لا^٦ يرج أصله،
١٠ و من ملك لا يمكن عيشه بوجه (من المحضرين^٥) أى المقهورين على
الحضور إلى مكان يود لو اقتدى^٧ منه بطلاع الأرض ذهابا، فان كل
من يوكل به لحضور أمر يتأكد^٨ على حسب مراتب التوكيل كائنا من
كان فى أى أمر كان .

و لما كان اليوم و إن كان واحدا يتعدد بتعدد أوصافه، بما
١٥ يقع فى أثنائه و أضعافه، على يوم القيامة [تهويلا لأمره، و تعظيما لحظره
و شره، قوله مقرر المعجز العباد، عن شيء من الإياه فى يوم العباد-^٩]:

(١) فى ظ و مد: ما (٢) فى ظ: المعنى (٣) فى ظ و مد: الانابة (٤) سقط
من ظ (٥-٥) فى ظ: الامنية و البقاء، و فى مد: الامنية (٦) فى ظ و مد:
لم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تقدى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل:
ينكد (٩) زيد من ظ و مد .

(و يوم يناديهم) أى ينادى الله هؤلاء الذين يغرون^١ [بين -^٢] الناس^٣
و يصدون عن السبيل ، و يتعللون فى أمر الإيمان ، و توحيد المحسن الديان
(ليقول) أى الله : (ابن شركاءى) أى من الأوثان و غيرهم ، ثم
[بين -^٤] أنهم لا يستحقون هذا الاسم بقوله : (الذين كنتم) أى
كونا أتم عريقون فيه (تزعمون) ليدفعوا عنكم أو عن أنفسهم . ٥
و لما كان اسم الشريك يقع على من سواه الإنسان بآخر فى شيء
من الأشياء ، و كان الاتباع قد سوا المتبعين الذين عبدوهم من الشياطين
و غيرهم بالله تعالى فى الخضوع لهم ، و الطواعية فى عبادة الأوثان ،
و معاندة الهداة و معاداتهم ، و الصد عن اتباعهم ، فكان اسم الشريك^٥
متاولا لهم ، و كان بطش من وقع الإشراك به يكون أولا بمن عد
نفسه شريكا ثم بمن أنزله تلك المنزلة ، فتشوفت^٦ النفس إلى مادرة الرؤساء
بالجواب خوفا من حلول العقاب^٧ بهم و زيادتهم^٨ بقيادتهم عليهم ، قيل :
قالوا - هكذا الأصل ، ولكنه أظهر إعلاما بالوصف الذى أوجب لهم
القول فقال : (قال الذين حق) أى ثبت و وجب (عليهم القول)
أى وقع عليهم معنى هذا الاسم و تناولهم ، و هو العذاب المتوعد به بأعظم ١٥
القول ، و هم أئمة الكفر ، و قادة الجهل . بانزاهم أنفسهم منزلة^٩ الشركاء ،
و أنهم باسقاط الأداة كعبادة أهل القرب و التعبير و وصف الإحسان

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : يعوون (٢) زيد من ظ (٣) سقط من مد .
(٤) زيد من ظ ومد (٥-٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : اسم لشريك (٦) فى ظ :
قشوف (٧-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : لهم و زيادته (٨) فى ظ : بمنزلة .

أنهم وصلوا بعد السجدة والكبر إلى غاية الترقق والذل ، فقال معبرا
 عن قولهم : ﴿ ربنا هؤلاء ﴾ إشارة إلى الاتباع ﴿ الذين اغويناه ﴾ أى
 أوقنا الإغواء ' أو هو الإضلال' بهم بما زينا لهم من الأقوال التى أعانا
 / على قبولهم أنها منا ، مع كونها ظاهرة العوار ، واضحة العار ، ما خولتنا
 / ٤٠
 فيه فى الدنيا من الجاه و المال ؛ ثم استأنفوا ما يظنون أنه يدفع عنهم
 فقالوا : ﴿ اغوينهم ﴾ أى فقروا باختيارهم ﴿ كما غويناه ﴾ أى نحن لما
 أغوانا بما زين لنا من فوقنا حتى تبعناهم ، لم يكن هناك إكراه منا ولا إجبار ،
 مع ما أتاهم من الرسل و لهم من العقول . كما غوينا نحن باختيارنا ، لم يكن
 من فوقنا إجبار لنا كما قال إبليس " وما كان لى عليكم من سلطان الا ان
 ١٥ دعوتكم فاستجبتم لى " - فالآية من الاحتباك : حذف أولا " فقروا "
 لدلالة " غوينا " عليه ، وثانيا " لما أغوانا " ، من قبلنا " لدلالة " أغويناهم "
 عليه و مرادهم ، بقولهم هذا الفساف أنه لا لوم علينا فى الحقيقة
 بسبيهم ، وهذا معنى قولهم : ﴿ تبرأنا اليك ذ ﴾ أى من أمرهم ، فلا يلزمنا
 عقوبة بسبيهم ، فهو تقرير لما قبل و تصريح به .

١٥ . لما كانوا يعلمون أنهم غير مؤمنين^٨ من أمرهم ، تبرؤوا من انفرادهم

(١) من ظ و مد ، وفى الأص : هؤلاء الضلال (٢) فى ظ و مد : فى .
 (٣) من ظ و مد ، وفى الأص : ايها (٤) - سورة ٤ ، آية ٢٢ (٥-٥) فى الأص : لما
 اغوينا ، وفى ظ و مد : كما اغوينا (٦) من ظ و مد ، وفى الأص : فهى .
 (٧) من ظ و مد ، وفى الأص : يستريح (٨) من ظ و مد ، وفى
 الأص : مريين .

باضلالهم، فقالوا لمن كأنه قال: ما وجه براءتكم؟ وقد أقررتم باغوائهم؟ (ما كانوا اباناً) أى خاصة (يعبدون) بل كانوا يعبدون بالاثان بما زيف لهم أهواؤهم وإن كان لنا فيه نوع دعاء لهم إليه وحث عليه، فأقل ما يزيد^٢ أن يوزع^٣ العذاب على كل من كان سبياً في ذلك كما في الآية الأخرى "فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء" هـ و ضل عن الجهلة أن هذا لا يعينهم^٤ عن الله^٥ شيئاً، فإن الكل في العذاب وليس يعنى أحد منهم عن أحد شيئاً. قال " لكل ضعف ولكن لا تعلمون " .

و لما لم يلتفت إلى هذا الكلام منهم بل عد دعماً، لأنه لا صائل تحته، أشير إلى الإعراض عنه لأنه لا يستحق جواباً كما قيل « رب قول جوابه ١٠ في السكوت، بقوله: (وقيل) أى ثانياً للاتباع تهكما بهم وإظهاراً لعجزهم الملزوم لتحسرم و عظم تأسفهم، و عبر بصيغة المجهول، إظهاراً للاستهانة بهم، و أنهم من الذل و الصغار بحيث يحميون كل أمر كأننا من كان: (ادعوا) أى كلكم (شركاءكم) أى الذين ادعيتهم جهلاً شركتهم ليدفعوا عنكم، . و أضافهم هنا إليهم إشارة إلى أنهم لم يستفيدوا ١٥ زعمهم أنهم شركاء الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - إلا أن

(١) في ظ: كان (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: فواتكم (٣) في مد: يزيد.

(٤) من ظ و مد، وفي الأصل: نوزع (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ

و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: لا.

أشركوم فيما صرفوا إليهم من أموالهم وأقوالهم، وأزمانهم وأحوالهم
 (فدعوم) تملا بما لا يقى، وتمسكا بما يتحقق أنه لا يجدى،
 لفرط الغلبة واستيلاء^٢ الحيرة والدهشة (ظ يستجيروا لهم) كما
 يحق لهم بما لهم من وصف عدم الإدراك، والعجز والهلاك (وراوا)
 ٥ أى كلهم (العذاب ع) عالين بأنه موافقهم^٤ لا مانع له عنهم، فكان
 الحال حينئذ مقتضيا لأن يقال من كل من يرام^٥ : (لو انهم كانوا)
 أى كونا هو لهم صفة راسخة (يهدون ه) أى يحصل منهم هدى ساعة
 من الدهر، تأسفا على أمرهم، وتمنيا^٦ لخلصهم، أو لو أن ذلك كان
 فى طبعم لنجوا من العذاب، أو لما رأوه أصلا، أو لما اتبعوهم .

١٠ ولما أشار إلى أنه لا خلاص من ذلك الردى إلا بالهدى، أتبعه
 الإعلام بأنه لا يمكن أحدا هناك أن يفعل ما [قد - ٧] يروج على
 سائله كما يفعل فى هذه الدار من إظهار ما لم يكن فقال مكررا لتحويل
 ذلك اليوم و تبشيعه و تعظيمه و تفضيحه ، سائلا عن حق رسله عليهم الصلاة
 والسلام / بعد السؤال عن حقه سبحانه ، متاديا بعجز الشركاء فى الأخرى
 ١٥ كما^٨ كانوا عاجزين فى الأولى^٩ (و يوم يناديهم) وهم بحيث يسمعون

/ ٤١

(١) العبارة من هنا إلى الحيرة والدهشة . ساقطة من مد (٢) فى ظ :
 لشرط (٣) من ظ . وفى الأصل : استعلاء (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ :
 موافقهم (٥) من مد ، وفى الأصل : رآهم ، وفى ظ : تراهم (٦) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : تيمنا (٧) زيد من ظ ومد (٨) سقط من ظ ومد .
 (٩) فى ظ ومد : الدنيا .

الداعي، و ينفذم البصر^١، قد برزوا لله جميعا من كان منهم عاصيا ومن كان مطيعا في صعيد واحد، قد أخذ بأنفاسهم الزحام، و تراكت الأقدام على الأقدام، و أجمهم العرق، و عمهم الغرق (فيقول ما ذآ) أى أوضخوا أو^٢ عينوا جوابكم الذى (اجتمه المرسلين) أى به، و لما لم يكن لهم قدم صدق و لا سابق حق بما أتتهم الرسل به من الحجج، و تابعت عليهم من الأدلة، لم يكن لهم جواب^٣ إلا السكوت، و هو المراد بقوله: (فعصيت) أى خفيت و أظلمت فى غواية و لجلاج (عليهم الانباء) [أى -^٤] الأخبار التى هى من العظمة بحيث يحق لها فى ذلك اليوم أن تذكر، و هى التى يمكن أن يقع بها الخلاص، و عداه بعلى إشارة إلى أن عماها^٥ وقع عليهم، فعم الكل العمى فصاروا ١٠ بحيث لا تهتدى^٦ الانباء لعماها^٧ إليهم لتجددها^٨، و لا يهتدون إليها لانتشار عماها إليهم، و هذا كله إشارة [إلى أنهم -^٩] لم يقدموا عملا فى إجابة الرسل بحق أن يذكر فى ذلك اليوم، بل أسلفوا من التكذيب و الإساءة ما يودون^{١٠} لو أن بينهم و بينه أمدا بعيدا، و قال: (يومئذ) تكريرا التخويف ذلك اليوم و تهويله، و تقريرا لتعظيمه و تبجيله. ١٥

(١) من مد، و فى الأصل: البصير، و فى ظ: السحر (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و هـ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جوابا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: عماهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يهتدوا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اعماها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ليجدوها. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يقوموا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يودن.

و لما تسبب عن هذا السؤال السكوت علما منهم بأنه ليس عند أحد منهم ما يعنى في جوابه من حسن القول و صوابه ، و أنهم لا يذكرون شيئا من المقال^١ إلا عاد عليهم بالوبال ، قال مترجما عن ذلك : ﴿ فهم لا يتساءلون ه ﴾ أى لا يسأل أحد منهم أحدا عن شيء يحصل به خلاص ، لعلمهم أنه قد عمهم الهلاك ، و لات حين مناص ، و لأن كل منهم أبغض الناس في الآخر .

و لما علم بهذه الآيات حال من أصر على كفره و عمل سيئا^٢ بطريق العبارة . و أشير إلى حال من تاب فوعد الوعد الحسن اللفظ إشارة تسبب عن ذلك [التثوف إلى -^٣] التصريح بحالهم ، فقال مفصلا مرتبا ١٠ على ما تقديره : هذا^٤ حال من أصر على كفره ﴿ فاما من تاب ﴾ أى عن كفره^٥ و قال : ﴿ و امن ﴾ تصريحاً بما علم التزاما ، فان الكفر و الايمان ضدان ، لا يمكن ترك^٦ أحدهما إلا بأخذ الآخر ﴿ و عمل ﴾ تصديقا لدعواه باللسان ﴿ صالحا ﴾ .

و لما كانت النفس نزاعة إلى النقائص ، مسرعة إلى الدنيا ، أشير ١٥ إلى صعوبة الاستمرار على طريق الهدى إلا بعظيم المجاهدة بقوله : ﴿ فسئى ﴾ أى فانه يتسبب^٧ عن حاله^٨ هذا الطمع فى ﴿ ان يكون ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ من المفاجين ه ﴾ أى الناجين من شر ذلك اليوم ، الظافرين

(١) فى ظ : المقام (٢) من مد ، و فى الأصل : شيئا ، و فى ظ : مساء (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى ظ : ان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسبب (٨) فى الأصل : حاته ، و فى ظ و مد : حال .

بجميع المراد، باستمرارهم على طاعتهم إلى الموت، وإنما لم يقطع^١ له بالفلاح وإن كان مثل ذلك في مجارى عادات الملوك قطعاً، إعلاما بأنه لا يجب عليه سبحانه شيء ليدوم حذره، و يتقى قضاؤه وقدره. فان الكل منه .

ولما كان كأنه قيل : ما لأهل القسم الأول لا يتوخون^٢ النجا من ه

ضيق ذلك البلا، إلى رجب^٣ هذا الرجا، وكان الجواب : ربك منهم من ذلك . أو ما له لم يقطع لأهل هذا القسم بالفلاح كما قطع لأهل القسم الأول بالشقاء ؟ وكان الجواب : إن ربك لا يجب عليه شيء عطف

عليه - إشارة إليه - قوله / ﴿ وربك ﴾ أى المحسن إليك، بمرافقة من ٤٢ /

واقفك^٤ ومخالفة من خالفك^٥ لحكم كبار، دقت عن فهم أكثر الأفكار ١٠

﴿ يخلق ما يشاء ﴾ من الهدى والضلال وغيرهما، لأنه المالك المطلق^٦

لامانع له من شيء من ذلك ﴿ ويختار^٧ ﴾ أى يوقع الاختيار^٨، لما يشاء

فيريد الكفر للأشرار، والإيمان للأبرار، لا اعتراض عليه . فربما ارتد

أحد ممن^٩ أظهر المتاب، لما سبق عليه من الكتاب، فكان من أهل التباب^٩

فلا تأس على من فاتك كائنا من كان، واعلم أنه^{١٠} ما ضر^{١١} إلا نفسه، ١٥

(١) ريد في الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها (٢) من ظ

و مد ، وفي الأصل : لا يوحون (٣) في ظ و مد : حب (٤) في ظ : يوافقك .

(٥) في ظ : يخالفك (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الملك ، وزيد بعده في ظ :

لأنه (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : الأختيار (٨) في ظ : من (٩) من ظ

و مد ، وفي الأصل : الثبات (١٠) في مد : ان (١١) في ظ و مد : اضر .

و من فاتنا يكفيه أنا فقوته .

و لما أفهم هذا أن غيره سبحانه إذا أراد شيئاً لم يكن إلا أن يوافق^١ مراده تعالى ، صرح به بقوله^٢ : (ما كان لهم الخيرة^٣) أى أن يفعلوا أو يفعل لهم كل ما يختارونه من إتيان الرسول بمثل ما أتى به موسى عليه الصلاة والسلام أو غيره ، اسم من الاختيار ، يقام مقام المصدر ، وهو أيضاً اسم المختار ، فهو تعبير بالمسبب عن السبب لأنه إذا خلى عنه كان عقيباً^٤ فكان عدماً ، قال الرازى فى اللوامع : وفيه دليل على أن العبد فى اختياره غير مختار ، فلهذا أهل الرضى حطوا الرحال بين يدى ربهم ، و سلوا الامور إليه بصفاء التفويض ، يعنى فان^٥ أمرهم أو نهام بادروا ، وإن أصابهم بسهام^٦ المصائب العظام صابروا ، وإن أعزهم أعزوا أنفسهم وأكرموا ، وإن أذلهم رضوا و سلوا ، فلا يرضيهم إلا ما يرضيه ، ولا يريدون إلا ما يريد به فيمضيه :

وقف الهوى بنى حيث انت فليس [لى-٧] متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة فى هواك لذيدة حبا لذكرك فليلنى اللوم^٨

١٥ 'وأهنتى' فأهنت نفسى صاغرا ما من يهون عليك بمن أكرم^٩.

و لما كان إيقاع شئ على غير مراده نقصاً ، و كان وقوع الشرك

(١) فى ظ و مد : وافق (٢) فى ظ : قوله (٣) فى ظ : عظيماً (٤) فى ظ : وان .

(٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (٧) زيد من ظ و مد .

(٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : اللوم (٩-٩) فى مد : فأهنتى (١٠) من مد ،

وفى الأصل و ظ : يكرم .

سفولا وعجزا، قال تعالى مشيرا إلى نتيجة هذه الآيات في نقي ذلك عنه:
 ﴿سبحن الله﴾ أى تنزه الجامع لصفات الكمال عن أن يختار أحد
 شيئا لا يريد فيصل إليه أو يقع بوجه عليه ﴿وتعالى﴾ أى علا علو
 المجتهد فى ذلك، فعلوه لا تبلغ العقول بوجه كنه هدها ﴿عما يشركون﴾
 لأنه لا إرادة لما ادعوم شركاء، ولو كانت لهم إرادة لتوقف إنقادها
 لمعجزم على إيجاد الخالق .

ولما كانت القدرة لا تسم إلا بالعلم، قال: ﴿وربك﴾ أى
 المحسن إليك 'التولى لتربيتك'، كما هو بالغ القدرة، فهو شامل العلم
 ﴿يعلم ما تكن﴾ أى تخفى وتستر ﴿صدورهم﴾ من كونهم يؤمنون
 على تقدير أن تأتيهم 'آيات مثل' آيات موسى أو لا يؤمنون، ومن ١٠
 كون ما ٢ أظهر من ٢ أظهر منهم الإيمان بلسانه خالصا أو مشوبا .
 ولما كان علم الحنفى لا يستلزم علم 'الجلي إما لبعده أو لنظ أو اختلاط
 أصوات يمنع تمييز بعضه عن بعض أو غير ذلك قال: ﴿وما يعلنون﴾
 أى يظهرون، كل ذلك لديه سواء، فلا يكون لهم مراد إلا بخلقه .

ولما كان علمه بذلك إنما هو لكونه إلها، وكان غيره لا يعلم ١٥
 من علمه إلا ما علمه، عبر عن ذلك بقوله: ﴿وهو الله﴾ أى المستأثر
 بالإلهية الذى لا سمي له، الذى لا يحيط / الوصف من عظمته باكثر
 من أنه عظيم على الإجمال، وأما التفاصيل كلها أو أقلها فهيات هيات؛

(١-١) فى ظ و مد : بتربيتك (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٣-٣) سقط
 ما بين الرقيين من مد ، و فى ظ : أظهر ما (٤) فى ظ : على (٥) فى ظ : تحلصه .

ثم شرح [معنى - ١] الاسم الأعظم بقوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^١) ثم علل ذلك بقوله: (له) أى وحده (الحمد) أى الإحاطة بأوصاف الكمال (فى الأولى والأخرة) وليس ذلك لشيء سواه أن آمنوا أو كفروا (وله) أى وحده (الحكم) أى إمضاء القضاء على الإطلاق، هـ فلو أراد لقسمهم على الإيمان (واليه) أى لا إلى غيره (ترجعون^٢) أى بأيسر أمر يوم النفخ فى الصور، لبعثرة القبور، بالبعث والنشور، مع أنكم الآن أيضا راجعون فى جميع أحكامكم إليه ومقصرون عليه، إن شاء أمضاها، وإن أراد ردها ولواها، فى الآيات غاية التقوية لقلوب المطيعين، ونهاية الزجر والردع للتمردين، بالتنبية على كونه قادرا ١٠ على جميع الممكنات، عالما بكل المعلومات، منزها^٣ عن النقائص والآفات^٤ يجزى الطائعين والعاصين بالقسط .

ولما قامت على القدرة الشاملة والعلم التام وأنه الإله وحده إن وحدوا أو الحدوا هذه الأعلام على هذا النظام، أقام دليلا دالا على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة، منها على ١٥ وجوب حده مفصلا لبعض ما يحمد عليه، فقال^٥ مقدا الليل لأن آيته عدمية، وهى أسبق: (قل) لمن ربما عاندا فى ذلك، منكر عليهم ملزما لهم، وعبر بالجمع لأنه أدل على الإلزام، أعظم فى الإلزام^٦،

١. زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد و القرآن الكريم، وفى الأصل: الله.
٢. من مد. وفى الأصل: وإن، وفى ظ «و» (٤) فى ظ ومد: مقصرون.
٣. من ظ ومد، وفى الأصل: منتزها (٦) فى ظ: الأوقات - كذا (٧) وقع فى ظ ومد بعد «هى أسبق» (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: الاتهام.

قال: ﴿ اريتم ﴾ أى أخبروني ﴿ ان جعل الله ﴾ أى الملك الاعلى نظرا إلى مقام العظمة والجلال ﴿ عليكم الليل ﴾ الذى به اعتدال حر النهار ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، وقال: ﴿ الى يوم القيمة ﴾ تنديها على أنه مما لا يتوجه إليه إنكار ﴿ من اله غير الله ﴾ العظيم الشأن الذى لا كفوه له.

ولما كان النور نعمة فى نفسه، ويعرف [به - ٢] خالقه، صرح به وطوى أثره فقال: ﴿ ياتيكم ضياءه ﴾ أى يولد نهارا تنتشرون فيه، ولقوة إعلامه بالقدرة وتعريفه بالله عبر بهذا دون يؤتيكم^٢ ضياء، ولما كان الليل محل السكون وجمع الحواس، فهو أمكن للسمع وأقذ للفكر، قال تعالى: ﴿ افلا تسمعون^٥ ﴾ أى^٤ ما يقال^٤ لكم إصغاء^{١٠} وتدبر، كما يكون لمن هو فى الليل فينتفع بسمعه من أولى العقل ﴿ قل اريتم ان جعل الله ﴾ أى الذى له الامر كله بجلاله وياهر كاله ﴿ عليكم النهار ﴾ الذى توازن حرارته رطوبة الليل فيتم بهما^{١٠} صلاح النبات، وغير ذلك من جميع المقدرات^٦ ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، من السرد، وهو المتابعة بزيادة الميم مبالغة فيه ﴿ الى يوم القيمة ﴾ أى^{١٥} الذى لا يسمع عاقلا إنكاره ﴿ من اله غير الله ﴾ الجليل الذى ليس له مثل^٧، وهو على كل شىء وكييل.

(١) سقط من ظ ا ٢ اريد من ظ ومد ٣ فى ظ ومد: ياتيكم (٤-٤) من ظ ومد. وفى الاصل بايقا - كذا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: بها.
(٦) فى ظ ومد: المقدورات (٧) فى ظ ومد: مثل.

ولما كان الظلام غير مقصود في نفسه ، وكان بعد الضياء في
 غايبة التعريف بموجده ، عدل عن اسمه فقال معبرا^١ لمثل ما مضى :
 ﴿ ياتيكم ليل ﴾^٢ أى ينشأ منه ظلام^٣ ؛ ثم بين بما يدل على ما حذفه
 من الأول فقال : ﴿ تسكنون فيه^٤ ﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الضياء
 أولا دليلا على حذف الظلام ثانيا ، والليل و السكون ثانيا دليلا على
 حذف النهار والانتشار أولا .

ولما كان الضياء مما^٥ ينفذ فيه البصر قال : ﴿ افلا تبصرونه ﴾
 أى بالبصر والبصيرة كيف تنقشع^٦ جلايب الظلام ، عن وجوه الضياء
 الغر الكرام ، / ثم تنقشع بسواد أردية الحياء ، وجوه الأنوار والضياء
 ١٠ [قال ابن هبيرة : قال المبرد : سلطان السمع في الليل و سلطان البصر
 في النهار^٧] .

ولما كان التقدير : فن حكته جعل لكم السمع و الأبصار ،
^٨ لتدبروا آياته ، و تبصروا^٩ في مصنوعاته ، عطف عليه : ﴿ ومن رحمته ﴾
 أى التى وسعت كل شىء لا من غيرها من خوف أو رجاء أو تعلق
 ١٥ غرض من الأغراض ﴿ جعل لكم الليل و النهار ﴾ آيتين عظيمتين دبر
 فيها^{١٠} و بهما جميع^{١١} مصالحكم ، و ادخر معظم رحمته^{١٢} إلى الآخرة ،
 (١) فى ظ و مد : مشيرا (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٣) فى ظ :
 بما (٤) فى ظ : تسع (٥-٥) فى ظ : الاحرار و الصبا - كذا (٦) زيد من ظ
 و مد (٧-٧) فى ظ و مد : لتدبر و آياته و تبصروا (٨) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : فيها (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد .

و محاً آية الليل ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أى فلا تسعوا فى معاشكم ﴿ و ﴾ جعل آية النهار مبصرة ٢ ﴿ لتبتغوا من فضله ﴾ بأن تسعوا فى معاشكم بجهدكم، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا السكون دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا، و الابتغاء ثانيا دليلا على حذف عدم السعى فى المعاش أولا .
 و لما ذكر هذه النعمة التى أسبغها من هذه الرحمة، و ذكر علة ٥ جعله لها على الصفة المذكورة، ذكر علة أخرى هى المقصودة بالذات لأنها نتيجة السمع و البصر اللذين ٣، قدم الحث على استعمالها فقال: ﴿ ولعلمكم تشكرون ٥ ﴾ أى و ليكون حالكم حال من يرجى منه الشكر بما يتجدد لكم بتقبلها من النعم المتوالية المذكورة بالمنعم ٤، و بما دبر لكم رققا بكم فيما كلفكم ٥ به فى دار الأسباب ٦ من أمر المعاش و المعاد من ١٠ الراحة بالسكون إثر ٧ ما أفادكم من الأرباح و المنح بالانتشار و التقلب، و أما الآخرة فلما كانت غير مبنية على الأسباب . و كان الجنة لا تعب فيها بوجه [من الوجوه - ٨]، كان لاحاجة فيها إلى الليل .

و لما ذكر ما للفلاح من الرجاء فى يوم الجزاء، و أتبعه الإعلام بان الهداية إلى الفلاح إنما هى ٩، و دل على ذلك إلى أن ذكر أيام ١٥ الدنيا المشتملة على ٩ الليل و ٩ النهار على وجه دال على وحدانيته، معلم بالقدرة

- (١) من مد، و فى الأصل و ظ : محى . (٢) زيدت انوا فى ظ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : الذين (٤) فى ظ و مد : بالنعم (٥) فى ظ و مد : كلفكم . (٦-٦) فى ظ و مد : فى دارى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : كماثو - كذا . (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) - سقط ما بين الرقمين من ظ .

على البعث بعد الموت بتكرير إجماد كل من الملون بعد إعدائه و تكرير
 إمامة الناس بالنوم، ثم نشرهم باليقظة، و ختم ذلك بالشكر إشارة إلى
 أنه سبب الفلاح، عاد إلى يوم الجزاء الذي تظهر فيه ثمرة ذلك كله،
 مقربا على الإشراف مع ظهور هذه الدلائل على التوحيد، و عدم شبهة
 قائمة على الشرك غير محض التقليد. فقال منها على عجزهم عن البرهان
 عند استحقاق البرهان في يوم التاد، لمحضر من الأشهاد، مع ما فيه من
 التأكيد للتهويل بالتكرير، و التاطيد^٢ للتهليل و التقرير^٣: ﴿ و يوم يناديهم ﴾
 أي هؤلاء الذين يظنون أنهم معجزون ﴿ فيقول ﴾ بلسان الغضب
 ' و الاخزاؤ' و التوبيخ و قد جمعوا جمعا: ﴿ اين شركاءي ﴾ و كرر الإشارة
 ١٠ إلى أن إشرافهم إنما هو بالاسم لا معنى فيه أصلا فقال: ﴿ الذين كنتم ﴾
 أي بغاية جهركم حتى صار لكم ذلك لمكة ﴿ تزعمون ﴾ بلا شبهة لكم
 في ذلك عند التحقق أصلا.

و لما ذكر الدليل الأول من الدليل على إبطال الشرك أن الشركاء
 لم يستجيبوا لهم، و لا كانت لهم قدرة على نصرهم و لا نصر أنفسهم.
 ١٥ و كان ربما قيل: إن ذلك شيء غير العجز، دل هنا على الإشراف
 لا شبهة دليل^٤ فقال [حارفا] نقول إلى مظهر التكلم بأسلوب العظمة لأنه
 مجرد فعال^٥ [زعا] أي أفردا بقوة؛ سطوة ﴿ من كل أمة شهيدا ﴾

(١) سقط من ظ و مد (٢) أي التوطيد، و وقع في الأصل: التأكيد، و في
 ظ: التاطنه، و أثبتاه هو من مد (٣) في ظ: التقدير (٤ - ٤) سقط ما بين
 الرقنين من مد (٥) سقط من مد (٦) في ظ و مد: التحقيق (٧) زيد من ظ و مد.

أى و هو رسولهم ، فشهد عليهم بأعمالهم و ما كانوا فيه من الارتباك فى
أشراك الإشراك .

و لما تسبب عن ذلك سؤالمهم عن ' سندهم فى إشراكهم قال ':

٤٥ / (فقلنا) أى للأمم : (هاتوا برهانكم) أى دليلكم القطعى الذى فزعتم
فى الدنيا إليه ، و عولتم فى شرككم عليه ، كما هو شأن ذوى العقول أنهم
لا يبتون شيئا على غير أساس (فعلوا) بسبب [هذا - ٢] السؤال
لما اضطروا ' ففتشوا و ' اجتهدوا فلم يجدوا لهم سندا أصلا (ان الحق)
أى ° فى الإلهية (لله) أى الملك الأعلى ° الذى له الأمر كله و لا
مكافى ° له ، لا شركة لشيء معه (و ضل) أى غاب و ' بطل غيبة
الشيء الضائع (عنهم ما كانوا) أى كونا ' هو كالجلة لهم ' (يفترون ع) ١٠
أى يقولونه قول الكاذب المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه و لا شبهة
موجبة للغلط فيه .

و لما دل على مجزم فى تلك الدار . و علمهم أن المتصرف فى جميع
الأقدار ، إنما هو الواحد القهار ، دل على أن ذلك له ° أيضا فى هذه
الدار بوقوع العلم به باهلاك أولى البطر ، و المرح و الأثر ، من غير أن ١٥
يغنوا عن اضلوا ، أى يعنى عنهم من أصلهم من ناطق ، و ما اضلهم من

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : على (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : فقال .
(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد . وفى الأصل : فيسوا أو .
(٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد . وفى الأصل : يكافى (٧ - ٧) فى
ظ و مد : هم راجعون فيه .

صامت، تطبيقاً لعموم "وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها" على بعض الجزئيات، تخويفاً لمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما من نسه إلى السحر، وإعلاماً بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقاطعون الأشقياء وإن^١ كانوا أقرب الأقرباء، لأنه سبحانه عذب قارون^٢ ومن كان معه بعباد لم يسبقهم فيه أحد، وهم من بني إسرائيل ومن أقرب^٥ بني إسرائيل إلى موسى عليه الصلاة والسلام، فعلم كل من كان اغتر بما أوتيته^٣ [أن - ^٤] الحق لله في كل ما دعت إليه رسله، ونظقت به كتبه، وضل عنهم ما كانوا يفترون، [ولم يغن عنهم شيئاً ما اعتمادوا عليه، فكان معبودهم في الحقيقة بما جمعه من حطام الدنيا فاعتقدوا أنهم نالوا به السعادة الدائمة والعز الباقي، فكان مثله - كما يأتي في التي بعده - كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً - ^٤] . وكل^٦ ذلك بمرأى من موسى عليه الصلاة والسلام^٥ حين كذبه ونسه إلى السحر وتكبر عليه، فلم يسأل الله تعالى فيه لخروجه باستكباره من الوعد بالمنة على الذين استضعفوا [في الأرض - ^٨]، وكان ذلك العذاب الذي [عذبوا به من جنس ما - ^٩] عذب به فرعون في الصورة من حيث أنه تعيب وإن كان ذلك في مائع، وهذا في صلب جامد . ليعلم أنه قادر على ما يريد، ليدوم

(١) سقط من مد (٢) في ظ و مد : قرون (٣) في ظ و مد : اوتيته .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : جمعهم (٦) في ظ و مد : كان (٧) زيد في ظ و مد : فعلم كل من كان اغتر بما أوتيته أن الحق لله في كل ما دعت إليه رسله .

منه الحذر، إفيما سبق^١ منه القضاء و القدر، و نزع موسى عليه الصلاة
و السلام من كل سبط من أسباط بني إسرائيل شهيدا من عصيهم و قال
لهم : هاتوا برهانكم [فيها -^٢] ، فعلوا بإبراق عصا هارون عليه الصلاة
و السلام دون عصيهم أن الحق لله في أمر الجبورة^٣ و في جميع أمره
فقال : (ان قارون) و يسمى في الثوراة قورح ، ثم بين سبب التأكيد ه
بقوله : (كان) أى كوننا متمكنا (من قوم موسى) تنبيها على أنه جدير
بأن ينكر؛ كونه كذلك لأن فعله معهم لا يكاد يفعله أحد مع قومه ،
و ذلك أنه كان من الذين آمنوا به و قلنا فيهم " و تريد ان نمن على الذين " -
إلى آخره ، لأنه ابن عم موسى عليه الصلاة و السلام^٤ [على ما -^٥]
حكاه أبو حيان^٦ و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما (فبني عليهم)^٧
أى تجاوز الحد فى احتقارهم بما خولناه فيه من هذا الخطام المتلاشى ،
و العرض الفانى ، فقطع ما بينه و بينهم من الوصلة ، و وصل ما بينه و بين
فرعون و أضرا به^٨ من القرعة ، / فأخرجه ذلك من حوزة المنة و الأمانة
و الوراة إلى دائرة الهلاك و العقارة^٩ و الحياة ، كما بنى عليهم فرعون ؛
و كان أصل 'بني' هذه : أراد ، لكن لما كان العبد لا ينبغي أن يكون ١٥

٤٦ /

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : يسبق (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من
ظ (٤) فى ظ : منكر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٦) تكرر فى
الأصل فقط (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٨ - ٨) فى ظ : عمه .
(٩) زيد من مد (١٠) راجع البحر المحيط ١٣١/٧ (١١) من ظ و مد ، و فى
الأصل : اصوابه (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقيين من مد .

له إرادة، بل الإرادة لسيده كما به عليه " ما كان لهم الخيرة "، جعلت إرادته تجاوز الحد، وعديت^٢ بـ'على' المقضية للاستعلاء تنبيها على خروجها عن أصلها .

ولما ذكر بفيه، ذكر سيه الحقيقي، فقال: (وايتنه) أى ومع كوننا أنعمنا عليه بجعله من حزب أصفياتنا آتينا. بعظمتنا (من الكنوز) أى الاموال المدفونة المدخرة^٢، فضلا عن الظاهرة التى هى^١ بصدد الإنفاق منها لما عساه يعرض من المهات (ما) أى الذى أو شيئا كثيرا لا يدخل تحت حصر حتى (ان مفاتحه) أى مفاتيح الإغلاق، التى هو مدفون فيما وراء أبوابها (لتوا) أى تميل بجهد و مشقة لثقلها ١٠ (بالعصبة) أى الجماعة الكثيرة التى^٥ يعصب - أى يقوى - بعضهم بعضا، وفى المبالغة بالتعبير بالكنوز و المفاتيح و النوو و العصبة الموصوفة ما يدل على أنه أوتى من ذلك ما لم يؤته أحد ممن هو فى عداده، وكل ذلك مما تستبعده^٦ العقول، فلذلك وقع^٧ التأكيد (اولى القوة) أى تيميلهم من أثقالتها إياهم، و النوو: الميل، قال الرازى: و النوو: الكوكب ١٥ مال^٤ عن العين عند^٩ الغروب، يقال: ناء بالحمل - إذا نهض به مثقلا، و ناء به الحمل - إذا أماله لثقله .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: عدت (٣) فى ظ و مد: المدخورة .
(٤) فى ظ: الارزاق (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الذين (٦) فى ظ و مد: تبعده (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: ومع (٨) فى ظ: قال (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: عنه .

ولما ذكر بغيره^١، ذكر وقته، والوقت قد يكون واسعا كما
 قول^٢: جرى كذا عام^٣ كذا، وفيه التعرض للسبب القريب فقال:
 ﴿اذ قال له﴾^٤ وقال^٥: ﴿قومه﴾ إشارة إلى تنامي بغيره باقتضائه
 وكبره على أقاربه الذين جرت العادة أن لا يغضب كلامهم ولا يؤرث
 التعزر عليهم ولا يحمل إلا على النصح والشفقة، وساعت نسبة القول ٥
 للسكل^٦ وإن^٧ كان القائل البعض، بدليل ما يأتي، إما عدا للساكت
 قائلا لرضاه^٨ به لانه^٩ بما لا ياباه أحد، وإما لأن أهل الخير^{١٠} هم
 الناس، ومن عدام عدم: ﴿لا تفرح﴾ أى لا تسر سرورا يحفر في
 قلبك فيتغلغل فيه فيحرفك إلى الأشر والمرح، فان الفرح بالعرض
 الزائل يدل على الركون إليه، وذلك يدل على نسيان الآخرة، وذلك ١٠
 على غاية الجهل والطيش وقلة التأمل للعواقب، فيجر إلى المرح فيجر
 إلى الهلاك، قال الرازي: ومن فرح بغير مفروح به استجلب حزنا
 لا انقضاء له. وعللوا نهيم له بما يفهم أشد الشفقة والمحبة فقالوا مؤكداين
 لاستبعاد من يرى تواصل النعم السارة على أحد أن يكون غير محبوب:
 ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات الكمال فلا شيء أجل منه، فيه ينبغى^{١٥}
 أن يفرح ﴿لا يجب﴾ أى لا يعامل معاملة المحبوب ﴿الفرحين ٥﴾ أى

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد فخذفناها (٢) فى
 الأصل: يقول (٣) فى ظ ومد: عرض (٤-٤) سقط ما بين الرقمن من
 مد (٥-٥) فى ظ ومد: فان (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لمرضاه .
 (٧) سقط من مد (٨) سقط من ظ ومد (٩) فى ظ ومد: فينبغى .

الراغبين في الفرح بما يقضى، فان فرحهم يدل على سفول المهمم .
 ولما كان ترك الفرح سببا للزهد، وهو سبب القرب^١ إلى الله،
 كان كأنه رقيق : وازهد فيه إن الله يحب الزاهدين (وابتغ) أى اطلب
 طلبا تجمدا^٢ نفسك فيه (فيما اتك الله) أى الملك الاعظم^٣ الذى له
 الامر / كله من هذه الاموال حال تمكنك (الدار الآخرة) بانفاقه
 فيما يحبه^٤ الله بحيث يكون ابتغاءك ذلك مطروفا له فيكون كالروح
 والموتى كالجسد ليكون حيا بذلك الابتغاء، فلا يكون منه شيء بغير
 حياة^٥، فان فعلك لذلك يذكرك أن هذه الدار دار قلعة وارتحال،
 وكل ما فيها إلى زوال^٦، وذلك يوجب الزهد فى جميع ما فيها من
 ١٠ الاموال .

ولما كان ذلك شديدا المشقة على النفوس مع ما فيه من شائبة
 الاتهام قالوا: (ولا تنس) أى ترك ترك التامى (نصيبك من الدنيا)
 ترك المنسى، بل استعمل^٧ المباحات من المآكل والملابس والمناجح
 والمسكن وما يلائمها، وليكن استعمالك لذلك - كما دل عليه السياق -
 ١٥ من غير إسراف ولا مخيلة توجب ترك الاتصاف بالإنصاف^٨؛ وعن

(١) فى ظ ومد: للبدل المقرب (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: محمد .

(٣) زيد فى ظ ومد: اى (٤) من ظ، وفى الأصل: حبه، وفى مد: يجب .

(٥) - (٦) سقط ما بين الرقنين من ظ ومد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقنين من

مد (٧) سقط من ظ .

على رضى الله عنه : ولا تنس صحتك و قوتك و نشاطك و غناك أن تطلب
به الآخرة .

و لما أطلق له الاقتصاد فى التمتع بالزاد ، و كانت النفس مجبولة
على الشره ، فاذا أذن لها 'من الدنيا فى تقير' جعلته أكبر^٢ كبير ، أتبعوا
ذلك ما لعله يكف من شرهما^٣ قالوا : (و احسن) أى أوقع الإحسان ه
بدفع المال إلى المحاويج ، و الإفتاق فى جميع الطاعات (كما أحسن الله)
أى^٤ الجامع لصفات الكمال ، المتردى برداء العظمة و الجلال (اليك)
بأن تعطى عطاء من لا يخاف الفقر كما أوسع عليك .

و لما كانت النفس من شأنها إن لم تزم بزمام الشرع الإسراف
و الإجحاف^٥ ، قالوا : (ولا تبغ) أى لا ترد^٦ إرادة ما (الفساد فى الارض^٧) ١٠
بتقير و لا تبذير ، و لا تكبر على عباد الله و لا تحقير ؛ ثم أتبع ذلك علته
مؤكداً لأن أكثر المفسدين يبسط لهم فى الدنيا ، و أكثر الناس يستبمد
أن يبسط فيها لغير محبوب ، فقيل : (ان الله) أى العالم بكل شئ ،
القدير^٨ على كل شئ (لا يجب المفسدين ه) أى لا يعاملهم معاملة من
يجبه ، فلا يكرمهم .

١٥

و لما كان^٩ بما^{١٠} قالوه أن الذى أعطاه ذلك إنما هو الله ، و كان قد

(١ - ١) فى مد : فى تقير من الدنيا (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد ،
و فى الأصل و ظ ؛ شرهما (٤ - ٤) فى ظ : الاشراف و الاخلاف - كذا .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاتر (٦) فى مد : القادر (٧) من مد ،
و فى الأصل و ظ : كانوا (٨) فى ظ : بما (٩) سقط من مد .

أبطرته النعمة حتى على خالقه [حتى - ١] حصل التشوف إلى جوابه
 فقيل في أسلوب التأكيد لأن كل أحد يعلم من نفسه العجز، و أن
 غيره ينكر عليه فيما يدعى أنه حصله بقوته : ﴿ قال إنما أوتيته ﴾ أي
 هذا المال ﴿ على علم ﴾ حاصل ﴿ عندى ﴾ فأنما مستحق لذلك، و ذلك
 العلم هو السبب^٢ في حصوله^٣، لا فضل لأحد على فيه - بما يفيد التعبير
 بانما، و بناء الفعل للجھول إشارة إلى عدم علمه بالموتى من هو، و قد
 قيل: إن ذلك العلم هو^٤ الكيمياء .

و لما كان التقدير: ألا يخاف أن يسلبه الله - عقوبة له على هذا -
 علمه و ماله [و نفسه - ١] ؟ ألم يعلم أن ذلك إنما هو بقدرة الله ؟ لاصنع
 ١٠ له في الحقيقة في ذلك أصلا، لأن الله قد أفقر من هو أجل منه حيلة
 و أكثر علما، و أعطى أكثر منه من لا علم له و لا قدرة، فهو قادر على
 إهلاكه، و سلب ما معه^٥ و إفائه، كما قدر على إتيائه^٦، عطف عليه قوله
 منكرا عليه: ﴿ او لم يعلم ان الله ﴾ أي بما له من صفات الجلال^٧
 و العظمة و الكمال ﴿ قد اهلك ﴾ و به على أنه لم يتعظ مـ مع مشاهدته
 ١٥ للهلكين الموصوفين مع قرب الزمان بإدخال 'من' في قوله: ﴿ من قبله ﴾
 و لو حذفها لاستغرق الإهلاك على ذلك الوصف جميع ما / تقدمه من

/٤٨

- (١) زيد من ظ و مد (٢-٢) في ظ و مد: لحصوله (٣) سقط من ظ و مد .
 (٤) زيد في الأصل: و اهلاكه، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لمخذفها .
 (٥) من مد، و في الأصل و ظ: إفائه (٦) من ظ و مد، و في
 الأصل: الجمال .

الزمان (من القرون) أى الذين^١ هم فى الصلاة كالقرون (من هو اشد منه) أى قرون (قوة) أى فى البدن، والمعانى من العلم وغيره، والانصار والمخدم (واكثر جمعا) فى المال والرجال، آخرهم فرعون الذى شاوره^٢ فى ملكه، وحقق أمره يوم [مهمم -^٣] هلكه، وكان يستعبده أمثاله ويسومهم سوء العذاب، ولم يعاملهم معاملة من يحبه ولا امتنع^٥ عليه ذلك لعل عند أحد منهم ولا جمع، بل أخذهم لبغيتهم وقبح تقلبهم وسعيهم.

ولما كانت عادة أهل الدنيا أنهم إذا غضبوا من أحد فارادوا إهلاكه عاتبوه، فتارة يحلف على نفي الذنب فيقبل منه وإن كان كاذبا، وتارة يكشف الحال عن [أن -^٣] باطن أمره على خلاف ما ظهر من شره. ١٠ فيكون له عذر خفي، أشار سبحانه إلى أن ذلك لا يفضله إلا جاهل بحقائق الأمور ومقادير ما يستحق على كل ذنب من العقوبة، وأما المطلع على بواطن الضمائر وخفايا السرائر ففتى عن^٦ ذلك، فقال تعالى ذاكرا لحال المفعول وهو "من": (ولا) أى أهلكتهم والحال أنهم لا يسألون- هذا الأصل، ولكنه قال: (يُسئل) أى من سائل ما (عن ذنوبهم المجرمون) ١٥ فأظهر لإفادة أن الموجب للاهلاك الإجماع، وهو قطع ما ينبغي

(١) فى ظ : الذى (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : شاهده (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد : لا (٥-٥) فى ظ : على أحدهم ، وفى مد : بل اخذهم لبغيتهم . (٦) فى ظ : من .

وصله^١ بوصل ما ينبغي قطعه، ولهذا^٢ سبب^٣ وعقب عن وعظهم
الحسن وجوابه الحشن قوله سبحانه دليلا على إجرامه، وطغيانه في آثامه:
(فخرج على قومه) أي الذين نصحوه^٤ في الاقتصاد في شأنه،
والإكثار في الجود على إخوانه، ثم ذكر حاله معظما لها بقوله:
○ (في زيتته^٥) أي التي تناسب ما ذكرنا من أمواله، وتماظه في كاله^٥،
من أفعاله وأقواله .

ولما كان كأنه قيل : ما قال قومه ؟ قيل : (قال الذين يريدون)
أي هم بحيث يتجدد منهم أن يريدوا (الحياة الدنيا) منهم لسفول الهمم^٦
وقصور النظر على الفاني، لكونهم أهل جهل وإن كان قولهم من
١٠ باب الغبطة لا من الحسد الذي هو معنى زوال نعمة المحسود:
(يليت لنا) أي تمنى تمنيا عظيما أن توت من أي موت كان وعلى
أنى وجه كان (مثل ما أوتي قارون لا) من هذه الزيتة وما تسببت^٧
عنه من العلم، حتى لا يزال أصحاب أموال؛ ثم عظموها بقولهم مؤكدين
لعدهم أن من يريد الآخرة ينكر عليهم : (انه لذو حظ) أي نصيب
١٥ ونجت في الدنيا (عظيمه) بما أوتيته^٨ من العلم الذي كان سببا له
إلى جميع هذا المال، ودل على جهلهم وفضل العلم الرباني وحقارة ما

(١) زيد في ظ : ما (٢) في ظ : كهذا (٣) في مد : سببه (٤) في مد : فضحوه .
(٥) في ظ و مد : حاله (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الهم (٧) في ظ و مد :
تسبب (٨) في ظ و مد : من (٩) في ظ و مد : أوتيته .

أوتى قارون من المال و العلم الظاهر الذى أدى إليه باتباعه قوله :
 ﴿ وقال الذين ﴾ وعظم الرغبة فى العلم بالبناء للفعول إشارة إلى أنه
 نافع بكل اعتبار [و باعتبار الزهد، و بالتعبير عن أهل الزهد به - ']
 فقال : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى من قومه ، فشرفت^٢ أنفسهم عن إرادة الدنيا
 علما بفتاها، زجرا لمن تمنى^٣ مثل حاله ، و شمرا^٤ إلى الآخرة لبقائها : ه
 ﴿ ويلكم ﴾ أى عجبا لكم ، أو حل بكم الشر حلولا ، و أصل 'ويل ، وى' ،
 قال الفراء : جىء بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمر نحو وى لك ،
 و^١ وى له ، أى عجبا لك وله ، ثم خلط اللام بوى لكثرة^٥ الاستعمال
 حتى صارت كلام الكلمة فصار معربا باتمامه ثلاثيا ، فجاز أن يدخل بعدها
 لام^٦ أخرى فى نحو ويلا لك ، لصيرورة الأول لام الكلمة ، ثم نقل ١٠
 إلى باب الابتدأ / قليل : ويل لك ، وهو باق على ما كان عليه فى حال
 النصب إذ الأصل فى ويل لك : هلكت ويلا ، أى هلاكا ، فرفعوه
 بعد حذف الفعل 'نقضا لغير' الحدوث ، وقيل : أصل ويل الدعاء
 بالهلاك ، ثم استعمل فى الزجر و الردع و البعث على ترك ما لا يرتضى
 كما استعمل لا أبالك - و أصله الدعاء على الرجل - فى الحث على الفعل ، ١٥
 فكأنهم^٧ قالوا : ما^٨ لنا يحل بنا الويل ؟ فأخبروهم بما ينبغى معرضين

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : فشرفت (٣) فى ظ و مد : تميز (٤) فى ظ
 و مد : سمعوا (٥) فى ظ و مد : و به (٦) فى ظ و مد : او (٧) فى ظ و مد :
 المكثرة (٨) فى مد : لاما (٩ - ٩) فى ظ و مد : حال النصب نقضا لغير .
 (١٠) فى ظ : وكانهم (١١) فى ظ : بما .

عما^١ استحقوا به الويل من التقى، تحميرا لما استفزهم حتى قالوه فقالوا:
 ﴿ثواب الله﴾ أى الجليل العظيم ﴿خير﴾ أى من هذا الخطام،
 ومن فاته^٢ الخير حل به الويل؛ ثم يتنوا مستحقه^٣ تعظيما له وترغيبا
 للسامع فى حاله فقالوا: ﴿لمن آمن وعمل﴾؛ أى تصديقا لإيمانه
 ﴿صالحا﴾ ثم بين سبحانه عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله مؤكدا
 لأن أهل الدنيا ينكرون كونهم غير صابرين: ﴿ولا يلقها﴾ أى لا يجعل^٤
 لاقيا لهذه الكلمات أو النصيحة التى قالها أهل العلم، أى عاملا بها
 ﴿الا الصبرون﴾ أى على قضاء ربهم فى السراء والضراء، والحاملون
 أنفسهم على الطاعات الذين صار الصبر لهم خلقا، وعبر بالجمع ترغيبا
 ١٠ فى التعاون إشارة إلى [أن -^٥] الدين لصعوبته لا يستقل به الواحد.
 ولما تسبب عن نظره هذا الذى أوصله إلى الكفر بربه أخذه
 بالعذاب، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿نخسفنا﴾ أى بما لنا من
 العظمة ﴿به وبداره﴾ أى وهى على مقدار ما ذكرنا من عظمته بأمواله
 وزينته، فهى أمر عظيم، تجمع خلقا كثيرا وأنانا عظيما، لتلا يقول
 ١٥ قائل: إن الخسف به كان للرجبة فى أخذ أمواله ﴿الارض﴾ وهو
 من قوم موسى عليه الصلاة والسلام وقريب منه جدا - على ما نقله
 (١) فى ظ: بما (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: مائة (٣) فى ظ: مستحقه،
 والعبارة من بعده إلى بين سبحانه - ساقطة من ظ ومد (٤-٤) وقع ما بين الرقين
 فى ظ ومد بعد «خير» (٥) فى ظ ومد: انهم (٦-٦) من مد، وفى الأصل
 و ظ: جبل (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: أى (٨) زيد من ظ ومد.
 أهل

أهل الاخبار - فإياكم يا أمة هذا النبي أن تردوا ما آتاكم من الرحمة برسالته فتهلكوا وإن كنتم أقرب الناس إليه فإن الأنبياء كما أنهم لا يوجدون الهدى في قلوب العدى، فكذلك لا يمتنعونهم^٢ من الردى ولا يشفعون لهم أبدا، إذا تحققوا أنهم من أهل الشقا (فا) أى قسب عن ذلك أنه ما (كان له) أى لقارون، وأكد النبي - لما استقر ه في الأذهان أن الأكبر منصورون - بزيادة الجار في قوله: (من قة) أى طائفة من الناس يكرون عليه بعد أن هالم ما دهمه، وأصل الفة الجماعة من الطير - كأنها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعتها إلى المكان الذى ذهبت منه (ينصرونه) .

و لما كان الله تعالى أعلى من كل شيء قال: (من دون الله^٣) ١٠
أى الحائز لصفات الكمال، المتردى بالعظمة والجلال، لأن من كان على مثل رأيه هلك، ومن كان من أولياء الله راقب الله فى أمره، فلم يسألوا الله فيه، وعلم هو أن الحق لله، و ضل عنه^٤ - كما فى الآية التى قبلها - ما كان يفترى (وما كان) أى هو (من المتصرين^٥)
لأنفسهم بقوتهم . ولما خسف به فاستبصر الجهال الذين هم كالبهائم ١٥
لا يرون إلا المحسوسات، عبر عن حالهم بقوله: (واصبح) أى^٦

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: انه (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: فذلك .

(٣) من مد، وفى الأصل: لا يمتنعوهم، وفى ظ: لا يمتنعوهم (٤) العبارة

من هنا إلى « ذهبت منه » ساقطة من مد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: سراعة .

(٦) من مد، وفى الأصل و ظ: عنهم (٧) سقط من ظ .

وصار، ولكنه عبر به لمقابلة الأمس، وإعلاماً بأن ما رأوا من حاله
ملاً صدورهم فلم يكن لهم هم سواه (الذين تمنوا) أى أرادوا إرادة
عظيمة بغاية الشغف^١ أن يكونوا (مكانه) أى يكون^٢ حاله و منزلته
في الدنيا لهم^٣ (بالأمس) أى الزمان الماضى القريب وإن لم يكن
٥ إلى يومهم الذى هم فيه من قبله (يقولون ويكأن) هذه الكلمة / والى
بعدها متصلة باجماع المصاحف، وعن الكسائى أنه يوقف على الياء من^٤
وى، وعن أبى عمرو أنه يوقف على الكاف: ويك، قال الرضى فى
شرح الحاجية: وى للتندم أو للتعجب، ثم قال: وهو عند الخليل وسيبويه
'وى' للتعجب، ركبت مع 'كأن' التى للتشبيه، وقال الفراء: كلمة
١٠ تعجب ألحق بها كاف الخطاب نحو ويك عنتر أقدم،^٥ أى من^٥ قوله فى
قصيدته الميمية المشهورة إحدى المعلقات السبع:

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
أى ويك [و-^٦] عجباً منك، وضم إليها 'أن' فالمعنى: ألم تر أنه،
ونقل ابن الجوزى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال الفراء:
١٥ ولما صار معنى^٢ ويكأن ألم تر، لم تغير كاف الخطاب للمؤنث والمثنى
والمجموع بل لزم حالة واحدة، وقال الجعبرى فى شرح الشاطبية:
وى صوت يقوله المتندم والمتعجب^٧، وويك أصله ويك، حذفت

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: السقف (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ
و مد (٤) وراجع لهذا البحث البحر المحيط ١٣٥/٧ أيضاً (٥-٥) من ظ
و مد، وفى الأصل: فى (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى ظ و مد: والمثنى
والمجموع بل لزم حالة واحدة.

'لامه تخفيفاً' لكثرة دوره؛ والكاف للخطاب وفتح^٢ 'أن' لإضمار العلم؛
وقال قطرب: لتقدير اللام، ونشأ^٣ من التركيب معنى: ندمنا على تفریطنا،
وتعجبنا^٤ من حالنا، وتحققنا خلاف اعتقادنا، ورسمت متصلة تنديها
على التركيب، وقال القزاز في ديوانه الجامع: ويك^٥ كلمة ينه بها
الإنسان، وقيل: معناها رحمة، ووى معناها التنبيه والإنكار، وقال ه
الإمام عبد الحق: وى كلمة تقال في التعجب والاستدراك، وقيل: وى
حزن، وقال قطرب: وى كلمة تفجع - انتهى . وقال سيويه في باب
ما ينتصب فيه الخبر بعد الأحرف الخمسة: وسألت الخليل عن هذه
الآية فزعم^٦ أنها وى^٧ مفصولة من كأن والمعنى وقع^٨ على أن القوم
اتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نبهوا فقبل لهم: أما يشبه أن يكون ١٠
هذا عندكم هكذا^٩ - والله تعالى أعلم، وأما المفسرون: فقالوا: ألم تر
أن الله . فالمعنى الذى يجمع الأقوال حينئذ: تعجبا أو وىلا أو تنديا
على ما قلنا في تبين^{١٠} غلطنا، و تنديها على الخطأ، أو هلاك لنا، أو إنكار
علينا، أو حزن لنا، أو تفجع علينا، أو استدراك علينا، أو رحمة لنا،
أو تنبيه منا، أو تنبيه لنا، ثم عللوا ذلك بقولهم: أن الله، أو يشبه^{١١} أن الله، ١٥

(١ - ١) من ظ و مد، وفى الأصل: كانه تخفيف (٢) من ظ و مد، وفى
الأصل: صحب (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: فشا (٤) من ظ و مد، وفى
الأصل: تعجيبا (٥) فى ظ و مد: وى (٦) راجع كتابه ١ / ٢٩٠ -
(٧-٧) فى مد: ان وى، وفى الكتاب: انها (٨) ليس فى الكتاب (٩) فى ظ:
هذا (١٠) من مد، وفى الأصل و ظ: تبين (١١) من ظ و مد، وفى
الأصل: بتشبيه .

أو ألم تر أيها السامع و الناظر أن الله، و قال الرازي : ' اسم سمي به القول، أي أعجب، و معناه التنبيه ؛ ثم ابتداء كأن (الله) أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله (يبسط الرزق) أي الكامل (لمن يشاء) سواء كان عنده ما يحتمل به على الرزق أم لا .

٥ ولما كانت القصة لقارون، و كان له من المكتة في الدنيا ما مضى ذكره، و كانت العادة جارية بأن مثله يطر و قد يؤدي إلى تأله^١، قال منها بالإيقاع به على الوجه الماضي أنه من جملة عبيده، لا فرق بينه و بين أضعفهم بالنسبة إلى قدرته : (من عباده^٢) .

و لما دل على أن البسط إنما هو منه، أتبعه قوله دليلاً آخر؛

١٠ على ربوبيته : (و يقدر) أي يضيق على من يشاء سواء كان فطناً أم لا،

لا يبسطه لأحد لكرامته عليه، و لا يضيق^٣ على أحد^٤ هوأنه عنده،

٥١ / ولا يدل البسط و القبض / على هوان و لا كرامة، و هذا دليل على

أنهم ظنوا صحة قول قارون أنه أوتيه^٥ على علم عنده، و أنهم إنما تمنوا عليه

الذي يلزم منه على اعتقادهم حصول المال على كل حال .

١٥ ولما لاح لهم من واقفته أن الرزق إنما هو بيد الله، أتبعوه ما

دل على أنهم اعتقدوا أيضاً^٦ أن الله قادر على ما يريد من غير الرزق كما

(١) زيد في الأصل : رأى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذفناها (٢) في ظ

و مد : تألفه (٣-٣) تقدم ما بين الرقيين في ظ و مد على «ولما كانت القصة» .

(٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و مد، و في الأصل : لأحد (٦) في ظ :

أوتيته (٧) زيد بعده في الأصل : على، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فخذفناها .

هو قادر على الرزق من قولهم : (لولا ان من الله) أى تفضل الملك الاعظم الذى استأثر بصفات الكمال (علينا) بجموده^١ ، فلم يعطنا ما تمنيناه من الكون على مثل حاله (نحسف^٢ بنا^٣) مثل ما نحسف به (ويكأنه) أى عجا أو ندما لانه ، أو يشبه أنه ، أو ألم تر أنه ، قال الرضى فى شرح الحاجية : كأن المخاطب كان يدعى أنهم يفلحون فقال ه لهم : عجا منك ، فسل : لم تتعجب منه ؟ فقال : لانه - إلى آخره ، فحذف حرف الجر مع ' أن ' كما هو القياس . (لا يفلح) أى يظفر بمراد (الكفرون^٤) أى العريقون فى الكفر لنعمة الله ، وقد عرف بهذا تنزيل المعنى على ما قالوه فى المراد من ويكأنه ، سواء وقف على وى أو ويك أو لا .

١٠

ذكر شرح هذه القصة : قال البغوى^٥ : قال أهل العلم بالآخبار : كان قارون أعلم بنى إسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام و اقراهم للتوراة و أجملهم و أغنصام فبغى و طغى ، و كان أول طغيانه و عصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة ، فى كل طرف منها خيطا أخضر بلون السماء^٦ ١٥ يذكرون^٧ به^٨ إذا نظروا إلى^٩ السماء^{١٠} و يعلمون أنى منزل منها كلامى ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجمودنا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : نحسف (٣) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٥١ ، و البقاعى سرد القصة ببعض الاختصار (٤) ليس فى ظ و مد و المعالم (٥) فى المعالم : كلون (٦-٧) من المعالم ، و فى الأصل : يذكرون ، و فى ظ و مد : يذكرون السماء (٧) من المعالم ، و فى الأصول : إليها (٨) -قط من ظ و مد .

فقال موسى : يا رب ! أفلا تأمرهم أن يحملوا أرواحهم كلها خضرا ، فإن
 بنى إسرائيل تحتقر هذه الخيوط ، فقال له ربه : يا موسى ! إن الصغير
 من أمرى ليس بصغير ، فإذا هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني
 في الأمر الكبير ، فدعاهم موسى بنى فأعلمهم ففعلوا واستكبر قارون ،
 فكان هذا بدء عصيانه^٢ وطغيانه^٣ وبنيه ، فلما قطع موسى بنى إسرائيل البحر
 جعل^٤ الحبورة لهارون عليه السلام وهي رئاسة المذبح ، فكان بنو إسرائيل
 يأتون بهديهم^٥ إلى هارون فيضعه على المذبح فتزل نار من السماء فتأكله ،
 فقال قارون : يا موسى ! لك الرسالة و لهارون الحبورة ، ولست في شيء
 وأنا أقرأ التوراة ، لا صبر لي على هذا ، فقال له موسى عليه الصلاة
 والسلام : ما أنا بالذي جعلتها في هارون ولكن الله جعلها له ، فقال
 قارون : والله لا أصدقك حتى أرى بيانه ، يعنى لجمع موسى عصى الرؤساء
 فخرمها^٦ وألقاها في قبه التي كان يعبد الله فيها و باتوا يحرسونها ،
 فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر ، وكانت من اللوز^٧ ، فقال
 قارون : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ، وذكر أمورا بما
 ١٥ كان يتعظم^٨ بها وأنه رمى موسى عليه الصلاة والسلام بعظيمة فينثذ
 غار الله لموسى عليه الصلاة والسلام فحسف^٩ به .

(١) في المعالم : فاذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد و المعالم (٣) في
 المعالم : جعلت (٤) في ظ : بهديتهم (٥) زبدت الواو في الأصول ، ولم تكن
 في المعالم لحدفتها (٦) في ظ : فخرتها (٧) من ظ و مد و المعالم ، وفي الأصل :
 اللون (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : يتعجب (٩) سقط من ظ و مد .

و الذى رأته أنا فى التوراة فى السفر الرابع^١ ما نصه : وكلم
 الرب موسى وقال له : كلم بنى إسرائيل و قل لهم : اعملوا خيوطا فى
 أطراف أرديتكم فى أحقابكم، ولكن الخيوط التى تعملون فى أطراف
 / أرديتكم من حرير، ولكن هذه الخيوط تذكركم وصايا الله لتعملوا^٢ بها
 و لاتضلوا^٣ بما فى^٤ قلوبكم، و لاتتبعوا آراءكم، بل اذكروا جميع وصاىي^٥
 و اعملوا بها، لتكونوا مقدسين لله ربكم، أنا الله [ربكم -^٦] الذى
 أخرجتكم من أرض مصر، لا يكون لكم إله غيرى، أنا الله ربكم . و من
 بعد هذه الامور شق قورح - وهو اسم قارون^٧ بالعبانية - بن^٨ يصهر
 ابن قاهت^٩ بن لاوى، و داثن و أيروم ابنا ألب، و أون بن^{١٠} قلب بن
 روبييل^{١١} العصى، و قاموا بين يدى موسى، و قوم من بنى إسرائيل عددهم
 مائتان^{١٢} و خمسون رجلا من رؤساء الجماعة مذكورون مشهورون بأسمائهم
 أبطال، هؤلاء [أجمعون -^{١٣}] اجتمعوا إلى موسى و هارون و قالوا لها:
 ليس^{١٤} حسبكما أن الجماعة كلها طاهرة و أنتما رئيسان عليها^{١٥} حتى تريدان^{١٦}
 أن تعظما على الجماعة كلها - أى يكون هارون هو الكاهن أى متولى

(١) راجع أواخر الأصحاح الخامس عشر (٢) من ظ و مد . وفى الأصل :
 لتعلموا (٣ - ٢) من ظ و مد، وفى الأصل : بما (٤) زيد من ظ و مد .
 (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : قارث ، وفى
 التوراة : قهات (٧ - ٧) فى التوراة : قالت بنوراويين (٨) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : مائتا (٩) فى ظ : اليس (١٠) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : عليهما (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : تريدان .

أمر القران والحكم على خدمة قبة الزمان - فسمع موسى ذلك و خر
ساجدا على وجهه، وكلم قورح^١ وجماعته كلها فقال لهم: سيظهر الرب
و يبين لمن الكهنوت و الرئاسة بكرة، و من كان طاهرا فليتقرب^٢ إليه .
و من يختار الرب يتقرب^٣؛ ثم أمرهم أن يقربوا قربانا ثم قال: يا بني
٥ لاوى أما^٤ تكتفون بما اختاره الله لكم من كل جماعة بنى إسرائيل
و قربكم إليه لتعملوا العمل فى بيت الرب و قربك أنت و جميع إخوتك^٥
معك إلا أن تزدوا الكهنوت أيضا، فلذلك أنت و جماعتك كلها
احتشدوا بين يدي الرب غدا، فأما هارون فمن هو حتى صرتم تقعون
فيه و تنذرون^٦ عليه، و أرسل موسى ليدعو^٧ داثن^٨ و أبيروم ابني ألب
١٠ فقالا: لا نصعد إليك، أما تكتفيان بما صنعنا أنكما أخرجتانا من الأرض
التي تغل السمن و العسل لتقتلانا فى هذه البرية حتى تبغظا علينا و تفخرا،
فأما ما وعدتنا به أنك تدخلنا الأرض التي تغل السمن و العسل فما
فعلت، و لم تعطنا مواريث المزارع و الكروم، فلو عيبت أعيننا لم نصعد
إليك . فشق ذلك على موسى جدا، و قال أمام الرب: لا تقبل قرايبتهم
١٥ يا رب لأنى لم أظلم منهم رجلا و لا أسأت إلى أحد منهم، ثم قال
لقورح: اجتمع أنت و أصحابك أمام الرب و هارون معكم بكرة،^٩ و ليأخذ
كل منكم^{١٠} بحجرته، و قام موسى و هارون أمام قبة الزمان و جمع قورح

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: قوروح (٢) من ظ و مد. و فى الأصل:
و قال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فليقرب (٤) زيد فى ظ و مد: ان .
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اخوانك (٦) من مد، و فى الأصل و ظ:
تدبرون (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: دابر (٨ - ٩) فى مد: لتأخذوا .

الجماعة كلها، و ظهر مجد^١ الرب للجماعة كلها، و كلم الرب موسى و هارون
و قال لها: تنجيا^٢ عن هذه الجماعة فاني مهلكها في ساعة واحدة، فخرا
ساجدين و قالوا: اللهم أنت إله أرواح كل ذى لحم،^٣ يحرم رجل واحد^٤
فينزل الغضب بالجماعة كلها؟ فكلم الرب موسى و قال له: كلم الجماعة
كلها و قل لهم: تنحوا عن خيم دائن و أيروم و قورح^٥، تنحوا عن خيم
هؤلاء الفجار، و لا تقربوا شيئا مما لهم لثلاثا تعاقبوا، و قال موسى: بهذه
الخلقة تعلمون أن الرب أرسلنى أن أعمل هذه الأعمال كلها، و لم أعملها
من تلقاء نفسى. إن مات^٦ هؤلاء، مثل موت كل إنسان أو نزل بهم الموت
مثل ما ينزل بجميع^٧ الناس فلم يرسلنى الرب، و إن فتحت الأرض فاما
^٨ و ابتلعتهم^٩ و ابتلعت كل شيء لهم نزلوا هم^{١٠} و كل شيء لهم إلى الجحيم^{١١}.
علمت أن هؤلاء قد / أغضبوا الرب. فلما أكمل موسى قوله هذا انفتحت
الأرض من تحتهم، و فقرت فاما فابتلعتهم و ابتلعت خيمهم و جميع
مواسيهم فنزلوا إلى الجحيم أحياء، ثم استوت الأرض فوقهم، و هرب
جميع بنى إسرائيل حيث سمعوا أصواتهم و رأوا ما قد صنع بهم، و قالوا:
لعل الأرض تبدلنا أيضا، و اشتعلت نار من قبل الرب فأحرقت المائتين^{١٢}

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بحر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:

انتجيا (٣ - ٢) سقط ما بين الرقنين من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل:

قورح (٥) فى ظ و مد: موت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: جميع.

(٧ - ٧) فى مد: فابتلعتهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم (٩) زيد فى

التوراة: أحياء.

والمحسنين زجلاً الذين كانوا يبخرون البخور، وتذمر جماعة بني إسرائيل من بعد ذلك اليوم على موسى و هارون فقالوا لهما: أنما قلتما جماعة شعب الرب، فأقبلوا إلى قبة الزمان و رأوا أن السحاب قد تغشى القبة و ظهر مجد الرب، و أتى موسى و هارون فقاما في قبة الزمان، و كلم الرب موسى و هارون^٥ و قال لهما: تنجيا عن هذه الجماعة لأنى مهلكها في ساعة واحدة، فخرأ ساجدين على وجوههما، و قال موسى لهارون: خذ بحجرة يديك و اجعل فيها نارا و بخورا، و انطلق مسرعا إلى الجماعة و استغفر لهم لانه^٥ قد نزل غضب الرب بالجماعة كلها، و بدأ موت الفجأة بالشعب، و أخذ هارون كما أمره موسى فأحضر إلى الجماعة و رأى أن الموت قد بدأ بالشعب، و بخر بخورا للرب و استغفر للشعب، و قام فيما بين الاموات و الأحياء، فكف موت الفجأة عن الشعب، و كان عدد الذين ماتوا فجأة أربعة عشر ألفا و سبعمائة رجل غير المخسوف بهم، و رجع هارون إلى موسى إلى قبة الزمان^٦ فكلم الرب موسى و قال له: كلم بني إسرائيل و خذ منهم عصا^٦ عصا من كل سبط، و اكتب

١٥ [امم-^٦] كل رجل على عصاه، و اكتب اسم هارون على عصا سبط لاوى، و اجعلها في قبة الزمان أمام تابوت الشهادة لأنزل إليكم إلى

(١) من مد و التوراة، و في الأصل و ظ: الرجل (٢) عندنا فراغ من آية ١١ حتى آية ٤٠ (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: او (٥) في ظ: لانهم (٦) و من هنا يتدنى الأصحاح السابع عشر (٧) زيد في مد: من (٨) زيد من التوراة.

هناك ، فالرجل الذي أحبه تضرعناه ، وأخلصك^١ من هتار بنى إسرائيل
و تدمرم^٢ ؛ ثم دخل موسى خبا الشهادة فرأى عصا هارون قد فضرت
وأخرجت أغصانا^٣ ، وأورقت و أمّرت لوزا^٤ ، وأخرج موسى العصى
كلها فنظروا^٥ إليها ، وقال الرب لموسى : رد قضيب هارون إلى موضع
الشهادة واحفظه آية لابناء المستخطين ليكف تدمرم^٦ عنى ولا يموتوا ، ه
ولا يعمل عمل قبة الزمان غير اللاوين^٧ - أى سبط لاوى ، فأما بنو
إسرائيل - أى باقيهم - فلا يقربوا^٨ إلى قبة الزمان لثلا يعاقبوا ويموتوا^٩ ؛
ثم ذكر وفاة هارون عليه السلام فى هور الجبل^{١٠} ، وولاية إليعازر ابنه
مكانه أمر الكهنوت - انتهى . وهو نحو مما فعل الله لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فى حنين الجذع ، وتخيير النبى صلى الله عليه وسلم له^{١١} أن
يبعده الله تعالى^{١٢} إلى أحسن ما^{١٣} كان وهو^{١٤} حتى أو يجعله فى الجنة ،
فاختار أن يكون فى الجنة ، وكذا أمر سراقه بن مالك بن جعشم حيث
لحقه صلى الله عليه وسلم فى طريق الهجرة ليرده فحسف بقوائم حصانه
حتى نزل إلى بطنه ثلاث مرات غير أن النبى صلى الله عليه وسلم لما كان
نبى الرحمة لم يكن القاضية ، فكفى بذلك شره . وأسلم بعد ذلك عام الفتح ، ١٥

(١) فى ظ : اخلصها ، وفى مد : اخلصها (٢) فى ظ : اغصانها (٣) فى ظ ومد :
أثمار اللوز (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فنظر (٥) من مد ، وفى الأصل
وظ : ترميرهم (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : لاوين (٧) فى ظ ومد : فلا يقربوا .
(٨) فى ظ ومد : لا يموتوا (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : الحيلة . وراجع أواخر
الأصحاح العشرين من السفر الرابع (١٠) فى ظ ومد : الى (١١) سقط من مد .
(١٢) من مد ، وفى الأصل وظ : بما (١٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : هى .

و بشره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه^١ يلبس سواري كسرى فكان
 كذلك^٢، و شر من الخسف الذي يغيب [به - ٢] المخسوف به و أنكأ
 و أشنع و أخزى قصة الذي ارتد فقصم و دفن فلفظته الأرض -
 روى البيهقي في آخر الدلائل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :
 كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة و آل عمران، و كان يكتب
 لرسول الله / صلى الله عليه وسلم ، فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب،
 فرفموه^٣ و أعجبوا^٤ به، فما لبث أن قصم الله عنقه^٥ فحفروا له فواروه،
 فأصبحت الأرض قد نبذته^٦ على وجهها^٧ [٨ - ٩] ثم عادوا فحفروا^٨ له
 فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته^٩ على وجهها^{١٠} [فركوه منبوذاً،
 ١٠ و قال : رواه مسلم في الصحيح^{١١}، و عن أنس رضى الله عنه مثله أيضا
 في رجل نصراني لفظته الأرض ثلاث مرات ثم تركوه . و قال رواه
 البخارى في الصحيح^{١٢} .

/٥٤

و لما قدم سبحانه أن المفلح من تاب و آمن و عمل صالحا، و هو
 الذى أشار أهل العلم إلى أن له ثواب الله، و كان^{١٣} ذلك للآخرة^{١٣}

(١) فى ظ و مد : انه (٢) فى ظ : لذلك (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد فى صحيح
 مسلم : قالوا : هذا قد كان يكتب لمحمد (٥) فى ظ : بعجبوا (٦) زيد فى الصحيح :
 فيهم (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد (٨) زيد ما بين الحزين من ظ ،
 و مد و الصحيح (٩-٩) فى مد : حفروا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقنين من ظ
 و موضعه فى مد : وهكذا (١١) راجع ٢ / ٣٧١ : صفات المناقب و أحكامهم .
 (١٢) راجع ١ / ٥١١ : علامات النبوة فى الإسلام - المناقب (١٣ - ١٣) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : هذا هو الآخرة .

سيا و مسيا، و مر فيها لا بد منه حتى ذكر قصة قارون المعرّة^١ - و لا بد -
 بأن^٢ هذه الدار للزوال، لا يبقى فيها رجال و لا مال، و أن الآخرة
 للدوام، و أمر فيها^٣ بأن يحسن^٤ الابتغاء في أمر الدنيا، و ختم بأن هذا
 الفلاح مسلوب عن الكافرين، فكان موضع استحضار الآخرة، مع أنه
 قدم^٥ قريبا من ذكرها و ذكر موافقتها^٦ ما ملا^٧ به الأسماع، فصيرها حاضرة^٨
 لكل ذى فهم، معظمة عند كل ذى علم، أشار إليها سبحانه لكلا
 الأمرين: الحضور و العظم^٩، فقال: ﴿ تلك ﴾ أى الأمر المنظور بكل
 عين، الحاضر في كل قلب، العظيم الشأن، [البعيد -^{١٠}] الصيت، العلى
 المرتبة، الذى سمعت أخباره، و ظنت على الآذان أوصافه و آثاره
 ﴿ الدار الآخرة ﴾ أى التى دلالتها^{١١} أكثر من أن تحصر^{١٢}، و أوضح من ١٠
 أن^{١٣} تبين و تذكر^{١٤}، من أعظمها تعبير كل أحد عن حياته بالدنيا و التى
 أمر قارون بابتغائها فأبى إلا علوا و فسادا ﴿ نجعلها ﴾ بعظمتنا ﴿ للذين ﴾
 يعملون^{١٥} ضد عمله .

و لما كان المقصود " الأعظم طهارة القلب الذى " عنه ينشأ^{١٦}

عمل الجوارح، قال: ﴿ لا يريدون ﴾ و لم يقل: يتعاطون - مثلا، ١٥

- (١) من ظ و مد، و فى الأصل: المعروفة (٢) فى مد: من ان (٣-٢) فى مد:
 يحسن (٤-٤) فى ظ: قريبا من ذكر هذه و موافقتها، و فى مد: هذا قريبا
 و ذكر من موافقتها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المعظم (٦) زيد من ظ
 و مد (٧) فى مد: دليلها (٨) فى مد: يحصر (٩-٩) فى مد: يبين و يذكر .
 (١٠) فى ظ و مد: عملوا (١١) فى مد: القصد (١٢-١٢) فى ظ: ينشأ عنه .

تعظيماً لضرر الفساد بالتفكير من كل ما^١ كان منه تسبب، إعلاما بأن النفوس ميالة إليه نزاعة له فيها رتمت قريبا منه اقتحمته لاحالة ﴿علوا﴾ أى شيئا من العلو ﴿فى الارض﴾ فانه أعظم جارا إلى الفساد، وإذا أرادوا شيئا^٢ من ذلك فيما يظهر لك^٣ عند أمرهم بمعروف أو نهيم عن منكر، كان مقصودهم به علو كلمة الله للإمامة فى الدين لا علوم ﴿ولا فسادا﴾ بعمل ما يكره الله، بل يكونون على ضد ما كان فيه فرعون وهامان وقارون، من التواضع مع الإمامة لأجل حمل الدين عنهم ليكون لهم مثل أجر من اهتدى بهم، لا لحظا دنوي، وعلامة العلو لأجل الإمامة لا الفساد، ألا يتخذوا^٤ عباد الله خوفا، ولامال الله ١٠ دولا، والضابط العمل بما يرضى الله والتعظيم لأمر الله^٥ والعزوف عن الدنيا.

ولما كان هذا شرح حال الخائفين من جلال الله تعالى، أخبر سبحانه أنه^٦ دائما يجعل ظفرهم آخرا، فقال معبرا بالاسمية دلالة على الثبات: ﴿والعاقبة﴾ أى الحالة الاخيرة التى تعقب جميع الحالات لهم ١٥ فى الدنيا والآخرة، هكذا الأصل، ولكنه أظهر تعميما وإعلاما بالوصف الذى أتم لهم ذلك فقال تعالى: ﴿للتقين﴾ أى دائما فى كلا الدارين، لا عليهم، فن اللام يعرف أنها محمودة، وهذه الآية^٧ يُعْرِفُ

/ ٥٥

(١) فى مد: من (٢ - ٢) فى ظ و مد: فيما يظهر من ذلك (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: حظ (٤ - ٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لاتتخذوا - كذا. (٥ - ٥) فى ظ: العروض عن، وفى مد: الزهد فى (٦) سقط من ظ و مد. (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: الاسبار.

أهل الآخرة من أهل الدنيا، فمن كان زاهدا في الأولى مجتهدا في الصلاح،
 'وكان محتفا في أول أحواله مظفرا في مآله'، فهو من أبناء الآخرة^٢،
 وإلا فهو للدنيا .

٣ ولما^٢ تحمر الفرق بين أهل الدارين، وكان لا بد من إتيان الآخرة،
 و علم أن الآخرة إنما هي جزاء الأعمال، وتقرر من كونها للخائفين^٥ ه
 أنها على الآمنين، فاستؤنف تفصيل ذلك جوابا^٦ لمن كأنه قال: ما^٧ لمن
 أحسن ومن أساء عند القدوم؟ بقوله: (من جاء) أي في الآخرة
 أو الدنيا^٨ (بالحسنة) أي الحالة الصالحة (فله) من فضل الله
 (خير منها) من عشرة أضعاف إلى سبعين إلى سبعمئة إلى ما لا يحيط به^٩
 إلا الله تعالى (ومن جاء بالسيئة) وهي ما نهى الله عنه، ومنه^{١٠} إغافة
 المؤمنين (فلا يحزى) من جاز ما، وأظهر ما في هذا الفعل من الضمير
 العائد على 'من' فقال: (الذين عملوا السيئات) تصويرا لحالهم تقيحا لها
 وتنفيرا من عملها، ولعله جمع هنا وأفرد أولا إشارة إلى أن المسيء
 أكثر (إلا) مثله سواء عدلا منه تعالى، هكذا كان الأصل، ولكنه
 قال: (ما كانوا) أي بجميع مهمهم (يعملون) مبالغة في المثلية، هذا ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من مد (٢-٢) في مد: للآخرة (٣-٣) من ظ
 و مد، وفي الأصل: فلما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، وفي الأصل:
 إلا (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: وجوبا.
 (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ، وفي مد: وكذا الدنيا (٩-٩) من ظ
 و مد، وفي الأصل: يحيطه (١٠) في ظ: من .

في الآخرة، وزادت الآية الإشارة إلى أنه يفعل في الدنيا مثل ذلك
وإن خفي، فسيخافون في حرمهم بما أخافوا المؤمنين فيه وقد جعله الله
للأمن^٢، فاعتلوا عن الدخول في دينه بخوف التخطف من أرضهم،
فيسير^٣ عدم دخولهم فيه سببا لخوفهم وتخطفهم من أرضهم فيعلون
ه أن ما كانوا فيه من الأمن إنما هو بسبك، ثم يصيرون يوم الفتح^٤
في قبضتك .

ولما قرر ذكر الآخرة التي هي المرجع وكرره، وأثبت الجزاء
فيها، وأن العاقبة للنتقين، أتبعه ما هو في بيان ذلك كالعلة، فقال مستأنفا
مقررا مؤكدا لما تقرر في أذهانهم من إنكار الآخرة وما يقتضيه حال
١٠ خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة المشرقة من^٥ استبعاد رده إليها:
(ان الذي فرض) أى أوجب (عليك القرآن) أى الجامع لما
تفرق من المحاسن، المفصل لما التبس من جميع المعاني، أى فرض^٦
عليك جميع ما في هذا الكتاب المشتمل على الجمع والفرق بما يظهر
حسن تلقيه من تلاوة وإبلاغ وتحد وعمل وازمك فيه وغيرك هذه
١٥ الملازم، وكلفكم تلك التكاليف التي منها^٧ المقارعة بالسيوف (لرآدك)
١٠

(١ - ١) من ظ و مد، وفي الأصل: فيقولون فيخافون في حرمهم بما .
(٢) في ظ و مد: الامن (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فيسير (٤) من
ظ و مد، وفي الأصل: النفخ (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد، وفي
الأصل: ثم (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: عرض (٨) من ظ و مد،
وفي الأصل: فيها .

أى بعد الموت لأجل صعوبة ما كلفك به و الزمك من مشقته
 (الى معاد^١) أى مرجع عظيم ياله من مرجع ! يجزى فيه كل أحد
 بما عمل ، فيبعثك ربك فيه ثوابا على إحسانك فى العمل مقاما محمودا
 يغبطك فيه^٢ الاولون و الآخرون ، بما عانيت فى أمره من هذه المشقات
 التى لا تحملها الجبال ، و لولا الرد إلى هذا المعاد لكنت هذه التكاليف هـ
 - التى لا يعمل أكثرهم بأكثرها و لا يجازى على المخالفة فيها - من العبث
 المعلوم^٣ أن العاقل من الآدميين متنزه^٤ عنه فكيف بأحكم الحاكمين !
 فاجتهد فيما أنت فيه لعز ذلك اليوم فان العاقبة لك ، و الآية مثل قوله
 تعالى ” و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله^٥ “ ، [و ثم اليه ترجعون^٦ ،
 الى الله -^٧] مرجعكم^٨ ، إلى غير ذلك من الآيات ، و يجوز أن يقال : إلى ١٠
 معاد أى معاد^٩ ، أى مكان^{١٠} هو لعظمته / أهل لأن يقصد العود إليه
 كل من خرج منه و هو مكة المشرفة : وطنك النبوى ، كما فسرها
 بذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنها كما رواه^{١١} عنه البخارى^{١٢} ، و عود
 هو لجلالته أهل لأن يذكر لدخولك إليها فى جنود يعز بها الإسلام ،
 و يذل [بها -^{١٣}] الكفر و أهله^{١٤} على الدوام ، و اللجنة المزخرفة : ١٠

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منزه (٣) - سورة ٢ آية ٢٨١ .

(٤) - سورة ٢ آية ٢٨ (٥) زيد من ظ و مد (٦) - سورة ٥ آية ٤٨ (٧-٧) من ظ

و مد ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : روى (٩) راجع

باب قوله تعالى : ان الذى فرض عليك القرآن ، من تفسير سورة القصص .

(١٠-١٠) فى ظ و مد : الكفار .

وطنك الاخرى، على أكل الوجوه وأعلاها، وأعزها وأولاهها،
 فلا تظن أنه يسلك بك سبيل أبويك عليهما الصلاة والسلام: إبراهيم
 في هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها،
 وإسماعيل في العلو به من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها،
 بل يسلك بك سبيل أخيك موسى عليه الصلاة والسلام - الذي أنزل
 عليه الكتاب كما أنزل عليك الكتاب القرآن الفرقان، والذي
 أشركوك به في قولهم "لولا أوتى مثل ما أوتى موسى" - في إعادته
 إلى البلد الذي ذكر في هذه السورة - توطئة لهذه الآية - أنه خرج
 منه خائفا يترقب - وهي مصر - إلى مدين في أطراف بلاد العرب،
 على وجه أهلك فيه أعداءه، أما من كان من غير قومه فبالإغراق في
 الماء، وأما من كان من قومه فبالخسف في الأرض، وأعز أوليائه
 من قومه وغيرهم، كما خرجت أنت من بلدك مكة خائفا يترقب إلى
 المدينة الشريفة غير أن رجوعك - لكونك نبي الرحمة، وكون خروجك
 لم يكن مسيئا عن قتل أحد منهم - لا يكون فيه هلاكهم، بل عزهم
 وأمنهم وغناهم وثباتهم، واختير لفظ القرآن دون الكتاب لما فيه
 من الجمع من لازم النشر - كما مضى في الحجر، فناسب السياق الذي
 هو للنشر والحشر والفصل من بلده ثم الوصل، فانه روى أن هذه

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ ومد (٣) سورة ٢٨ آية ٤٨ (٤-٤) من ظ
 ومد، وفي الأصل: بالماء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ ومد (٦) ف
 ظ ومد: سبيا (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: غيرهم (٨) من ظ ومد،
 وفي الأصل: النشر (٩) راجع روح المعاني ٦ / ٢٨٩ .

الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في الجحفة وهي في طريق الهجرة .
 ولما فهم من الإبلاغ في هذا التأكيد أن تم من يبائع في النبي
 والإنكار على حسب هذا التأكيد في الإثبات فيقول : إن الأمر ليس
 كذلك ، ولا يعود إلى مكة المشرفة و مناعين تطرف ، قال مهديا على طريق
 الاستئناف على لسانه صلى الله عليه وسلم لكون ' الإنكار تكذيبا له ه
 كما كذب موسى صلى الله عليه وسلم حين أجاب بمثل ذلك كما تقدم :
 ﴿ قل ﴾ ^٢ أى لهؤلاء المنكرين لما أخبرتك به ^٢ : ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى
 ﴿ اعلم ﴾ أى من كل أحد .

ولما كانت هذه قصة مسلمة لا نزاع فيها لعامل ثبت الخالق ،
 وكانوا يقولون : ^٢ من ادعى رجوعه فهو ضال ، توجه السؤال عن المهدي ^{١٠}
 إلى الصواب والضال ، بما يشهد به فتح مكة عند الإقبال في أولئك
 الضراغمة الأبطال ، والسادة الأقيال ، فقال في أسلوب الاستفهام لإظهار
 الإنصاف والإبعاد من الاتهام ^١ : ﴿ من جاء بالهدى ﴾ أى الذى لا أبن
 منه ، أنا فيما جئت به من ربى بهذا الكلام الذى يشهد الله لى بمعجازه ^١
 أنه من عنده أم أنتم فيما تقولون من عند أنفسكم ؟ ﴿ و من هو فى ضلل ﴾ ^{١٥}
 أى أنتم فى كلامكم الظاهر العوار العظيم العار أم أنا ﴿ ميين ه ﴾ أى بين

(١) فى ظ و مد : لتأكيد (٢) فى ظ : يكون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين
 من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : احياء (٥) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : ثبتت (٦) فى ظ : المهدين (٧) فى ظ : الابهام (٨) زيد فى مد :
 فى كلامكم .

في نفسه مظهر لكل أحد ما فيه من خلل وإن اجتهد التابع له في ستره .

/ ٥٧

ولما كان الجواب لكل من أنصف : هم في ضلال / مبين لأنهم ينتحون من عند أنفسهم ما لا دليل لهم عليه ، وأنت جئت بالهدى لأنك آتيت به عن الله ، نبى عليه قوله : ﴿ وما ﴾ و يجوز أن تكون الجملة^٥ حالا من الضمير في ” عليك “ وما بينها اعتراض للاهتمام بالرد على المنكر للعاد ، أى فرضه عليك و الحال أنك ما ، ويجوز أن يقال : لما كان رجوعه إلى مكة في غاية البعد لكثرة الكفار وقلة الأنصار ، قربه بقوله معلما أن كثيرا من الأمور تكون على غير رجاء ، بل وعلى خلاف القياس : وما ﴿ كنت ترجوا ﴾ أى في سالف الدهر بحال من الأحوال ﴿ ان يلقى ﴾^٢ أى ينزل على وجه لم يقدر على رده ﴿ اليك الكتب ﴾ أى بهذا الاعتقاد ولا بشئ منه ، ولا كان هذا من شأنك ، ولا سمعه أحد منك يوما من الأيام ، ولا تأهبت لذلك أمهته العادية من تعلم خط أو مجالسة عالم ليتطرق^٣ إليك نوع اتهام ، كما يشير إليه قوله تعالى في ١٥ التي بعدها ” وما كنت تتلوا [من -] قبله من كتب “ - الآية ، واختير هنا لفظ الكتاب لأن السياق للرحمة التي^٤ من ثمراتها الاجتماع

(١) سقطت الواو من مد (٢) زيد في مد : فيه (٣-٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : علم ليتطرف (٤) زيد من ظ و مد والقرآن الكريم سورة العنكبوت آية ٤٨ (٥) زيد في ظ و مد : يعيدها .

المحكم، و ذلك مدلول الكتاب : ثم قال : (الا) أى لكن ' التى
إليك الكتاب ' (رحمة) أى لاجل رحمة عظيمة لك و لجميع الخلائق
بك، لم تكن ترجوها (من ربك) أى المحسن إليك يجعلك مصطفى
لذلك، بالدعاء إليه و قصر الهمم عليه، و عبر بأداة الاستثناء المتصل
إشارة إلى أن؛ حاله قبل النبوة من التنزه عن عبادة الاوثان و عن القرب ه
منها و الحلف بها و عن الفواحش جميعا، و من الانقطاع إلى الله بالخلوة
معه و التعب له^٦ توفيقا من الله كان حال من يرجو ذلك .

و لما تسبب عما تقدم الاجتهاد فى [تحريك الهمم إلى العكوف
على -^٨] أمر الله طمعا فيما عنده سبحانه من الثواب، و شكرا على إنزال
الكتاب، قال فى سياق التأكيد لأن الطبع البشرى يقتضى إدراك^{١٠} مظاهره
الكفار لامر^{١٠} من التوفيق عظيم، لكثرتهم و قوتهم و عزتهم :
(فلا تكون) [إذ ذاك -^٨] " بسبب اتصافهم لك لكثرتهم " (ظهيرا)
أى معينا (للكافرين) بالمكث بين ظهرايتهم، أو بالفتور عن الاجتهاد
فى دعائهم، ياسا منهم لما ترى من بدهم من الإجابة و إن طال إندارك،
لا أمل انت كما لم نمل نحن، فقد وصلناهم القول، و تابعنا لهم الوعظ ١٥

(١) زيد فى ظ : الذى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : كتابا (٣) من ظ
و مد، و فى الأصل : عظمته (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : عادة (٦-٧) فى
ظ و مد : جميع الفواحش (٧) زيدت الواو فى مد (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) سقط من ظ و مد (١٠) من مد، و فى الأصل : الابقسر، و فى ظ :
الامعبر - كذا (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد .

و القص، و نحن قادرون على إهلاكهم في لحظة، و هدايتهم في أقل لحظة،
و كما أن موسى عليه الصلاة و السلام بعد الإنعام عليه لم يكن ظهيرا
للجرمين، و هذا تدريب^١ من الله تعالى لأئمة الأمة في الدعاء إلى^٢ الله عند
كثرة المخالف، و قلة الناصر الملازم المخالف^٣.

و لما كان التواني في النهي عن المنكر إعراضا عن الأوامر و إن
كان المتواني مجتهدا في العمل، قال مؤكدا تنبيها على شدة الأمر لكثرة
الاعتداء و تتابع الإيذاء و الاعتداء: ﴿ و لا يصدنك ﴾ أي الكفار
بمبالغتهم في الإعراض و قولهم ” لولا أوتى مثل ما أوتى موسى “ و نحوه
﴿ عن آيت الله ﴾ أي عن الصدع^٤ بها و هي من المتصف بصفات الكمال،
١٠ في الأوقات الكائنة ﴿ بعد اذ انزلت ﴾ أي وقع^٥ إنزالها عن تعلمه
منتها ﴿ اليك ﴾ عما^٦ ترى من أوامرها و نواهيها، و لقد^٧ بين هذا
المعنى قوله: ﴿ و ادع ﴾ أي / أوجد الدعاء للناس ﴿ الى ربك ﴾ أي
المحسن إليك لإحسانه إليك، و إقباله دون الخلق عليك، و أعراه من
التأكيد اكتفاء بالمستطاع فان الفعل ليس للبالغة فيه جدا. إشارة إلى أن
١٥ جلب المصالح أيسر خطبا من دره المفسد، فان المطلوب فيه النهاية
محدود^٨ بالاجتناب.

/ ٥٨

(١) في ظ: تدرب (٢) من ظ و مد، و في الأصل: عند (٣) في ظ و مد:
الموافق (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الصد (٦) في ظ
و مد: اوقع (٧) من مد، و في الأصل و ظ: بما (٨) في ظ و مد: قد.
(٩) من ظ و مد، و في الأصل: لانها محدودة.

ولما كان الساكت عن فاعل المنكر شريكاً له، قال مؤكداً تبييناً
على الاهتمام بـ"دوره المفسد"، وأنه لا بد فيه من بلوغ الغاية:
(ولا تكون من المشركين^٤) أى معدوداً في عدادهم بترك فهمهم عن
شركهم وما يتسبب عنه ساعة واحدة.

ولما كان الكائن من قوم موصوفاً بما اتصف به كل منهم، وكانت
مشاركتهم^٥ بالفعل أبعد من مشاركتهم بالسكوت، قال من غير تأكيد:
(ولا تدع مع الله) أى الجامع لجميع صفات الكمال (الها) ولما
كانت النكرة في سياق النهى تعم كما لو كانت في سياق النفي، وكان
المشركون قد تعتوا لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو باسم الله

واسم الرحمن كما ذكر آخر الإسراء، قال: (آخر^٦) [أى -^٧] غير الله ١٠
حقيقة دون أن يغير في الاسم دون الذات، ومضى^٨ في آخر الحجر،
ويأتى إن شاء الله تعالى في الذاريات ما يتضح به هذا المعنى، والمراد
بهذا كله المبالغة في الإنذار إعلالاً بأن تارك النهى عن المنكر مع القدرة
شريك للفاعل^٩ وإن لم يباشره، والنبي صلى الله عليه وسلم قادر لحراسة الله

تعالى له؛ ثم علل ذلك بقوله: (لا اله الا هو^{١٠}) أى حتى يستحق أن
يشغل به عبداً؛ ثم علل وحدانيته بقوله: (كل شيء هالك) أى

(١ - ١) في مد: كان يشاركونهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد،
وفي الأصل: معنى (٤) راجع آية ٥١ (٥) في ظ: للعامل (٦) من مد،
وفي الأصل و ظ: عنه.

هو في قوة الهلاك والفناء [و-] مستحق لذلك لأنه يمكن (الوجهه) أي هو، فهو الباقي لأنه الواجب الوجود، ووجود كل موجود إنما كان به، ولعله عبر عن الذات بالوجه ليشمل ما قصد به من العمل الصالح مع ما هو معروف من تسويغه^١ لذلك بكونه أشرف الجملة، ويكون النظر إليه هو الحامل على الطاعة بالاستجاء وما في معناه؛ ثم علل ذلك بقوله: (له) أي لله وحده فالضمير استخدام (الحكم) أي العمل المحكم^٢ بالعلم الناقد على كل شيء، ولا حكم لشيء عليه (وإليه) وحده (ترجعون) في جميع أحوالكم: في الدنيا بحيث أنه لا ينفذ لأحد مراد إلا بإرادته، وفي الآخرة بالبعث فيجازى المحسن^٣ بإحسانه والعاصي^٤ بمصائبه، ولا شك أن هذه الأوامر والنواهي وإن كان خطابها متوجها إليه صلى الله عليه وسلم فالمقصود بها أتباعه، ولعلها إنما وجهت إليه صلى الله عليه وسلم عليه لأن أمر الرئيس أدعى لاتباعه إلى القبول، وقد اتضح بهذا^٥ البيان، في هذه المعاني الحسان، أن هذا الكتاب أمين، وبإفادته إرادته سبحانه وتعالى في تقوية أهل الضعف من بني إسرائيل دون ما أراد فرعون وقارون وأتباعها من أهل العلو بطاعة الماء والتراب وما جمع العناصر من اليد والعصا أن له^٦ وحده الحكم^٧

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، وفي الأصل: تسويغه، وفي ظ: توسيعه (٣) زيد في ظ و مد: الصالح (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: للحسن (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: توجهت (٦) في مد: في هذا (٧-٧) في مد: الحكم وحده.

على ما يريد 'و يختار'، فصح أن إليه الرجوع 'يوم المعاد يوم لا تكلم
نفس إلا بأذنه'، فقد انطبق 'آخر السورة على أولها'، و انشرح
بجملها بمفصلها .



(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ و مد (٢ - ٢) في الأصل : أول السورة
على آخرها، وفي ظ و مد : آخرها على أولها .

سورة العنكبوت

مقصودها الحث على الاجتهاد في الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر،
 والدعاء إلى الله تعالى وحده من غير فقرة، كما ختمت به السورة
 الماضية، من غير تعرج على غيره سبحانه أصلاً، لئلا يكون مَثَلُ الفرج^٢
 عند المتعوض عوضاً منه مَثَلُ العنكبوت، فهي سورة^٣ ضعف الكافرين
 وقوة المؤمنين، وقد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت^٤، وأنه دال على مقصودها
 (بسم الله) الذي أحاط بجميع القوة فأعز جنده (الرحمن) الذي
 شمل جميع العباد بنعمة الامر والنهي (الرحيم) الذي أزم أهل
 العرفان ذروة الإحسان.

١٠ لما ختم السورة الماضية بالحث على العمل للدار الآخرة، وأن كل
 أحد من محسن ومسيء مجزى بعمله، وبالإخبار بأنه سبحانه عالم بالسر
 والعلن، وبالامر بالاجتهاد في الدعاء إليه وقصر الهمم عليه وإن أدى
 ذلك إلى الملال، وذهاب النفس والأموال^٥، معللاً بأن له الحكم
 سبحانه لأنه الباقي بلا زوال، وكل ما عداه فإلى تلاش واضمحلال،
 ١٥ وأنه لا يفوته شيء في حال ولا مال، قال أول هذه: (الْمَجَّ) إشارة
 بالألف الدال على القائم الأعلى المحيط ولام الوصلة وميم التمام

(١) التاسعة والعشرون من سور القرآن، مكية مع الخلاف في ذلك، وهي
 تسع وتسعون آية بالإجماع كما قال الداني والطبرسي - راجع روح المعاني
 ٦ / ٢٩٢ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: العرج (٣ - ٣) في مد: فهو
 صورة (٤) سقط من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦) زيد في مد: قال .

بطريق الرمز إلى أنه سبحانه أرسل جبريل إلى محمد عليها الصلاة والسلام
لهدو الناس بالقرآن الذي فرض عليه إلى الله، لتعرف بالدعوة مراتبهم
ويتميز بالتكاليف 'مجتهم وعاكرم' " ولبلونكم حتى نعلم المجتهدين
منكم والصبرين ونبلوا اخباركم".

ولما عبر بهذه الإشارة لاهل الفطنة 'والبصائر'، قال منكرا على
من ظن أن مدعى الإيمان لا يكلف البيان، ومفصلا لما ختمت به
تلك من جميع هذه المعاني، باننا على ما أشارت إليه الأحرف لآلى'
العرفان: (احسب الناس) أى كافة، فان كلا منهم يدعى أنه مؤمن
لمعنى أنه يقول: إنه على الحق، ولله عبر بالحسبان 'والتوس' إشارة
إلى أن فاعل ذلك مضطرب العقل منحرف المزاج.

ولما كان الحسبان، لا يصح تعليقه بالمفردات، وإنما يعلق بمضمون
الجملة^٢، وكان المراد إنكار حسان مطلق الترك، كانت 'أن' مصدرية
عند جميع القراء، فعبر عن مضمون نحو: تركهم^٤ غير مفتونين لقولهم
آمنا، بقوله^٥: (ان يتركوا) أى فى وقت ما بوجه من الوجوه،
و لو رفع الفعل لأفهم أن المنكر حسان الترك المؤكد، فلا يفيد إنكار^{١٥}
ما عرى عنه، وقد مضى فى المائة ما ينفع هنا (ان) أى فى أن

(١-١) فى مد: مخبرهم (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٣) سقط
من ظ و مد (٤) فى مد: لأهل (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) فى ظ: تعليق.
(٧) من مد، وفى الأصل و ظ: الجمل (٨) فى ظ و مد: تحركهم (٩) من
ظ و مد، وفى الأصل: لقوله.

(يقولوا) ولو كان ذلك على وجه التجديد والاستمرار: (أمانوم) أبى والحال أنهم (لا يفتونهم) أى يقع فتنتهم بمن له الأمر كله وله الكبرياء فى السماوات والأرض، مرة بعد أخرى بأن يختبر^٢ صحة قولهم أولاً^١ بأرسال الرسل وإزالة الكتب ونصب الأحكام، وثانياً بالصبر على البأساء والضراء عند الابتلاء بالمدعويين إلى الله فى التحمل لآذام والتجرع لبلاياهم وغير ذلك من الأفعال، التى يعرف بها مرتبة الأقوال، فى الصحة والاختلال^٤.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت / سورة القصص بذكر

/٦٠

امتحان نبي إسرائيل بفرعون وابتلائهم بذبح آبائهم وصبرهم^٥ على عظيم تلك المحنة، ثم ذكر تعالى حسن عاقبتهم وثمرة صبرهم، وانجرت مع ذلك مما هو منه لكن انفصل عن عمومها بالقضية امتحان أم موسى

بمرافقة حال الطفولية وابتداء الرضاع وصبرها على ألم ذلك المذاق حتى رده تعالى إليها أجمل رد وأحسنه، ثم ذكر ابتلاء موسى عليه الصلاة والسلام بأمر القبطى وخروجه خائفاً يترقب وحسن عاقبه وعظيم رحمته، وكل هذا ابتلاء أعقب خيراً، وختم برحمة ثم بضرب آخر من

الابتلاء أعقب محنة وأورث شراً وسوء فنة، وهو ابتلاء قارون بماله واقتناها^٦ به^٧، فحسبنا به وباداره الأرض، فحصل بهذا^٨ أن الابتلاء فى

(١) فى ظ ومد: بكرة (٢) فى ظ ومد: نخبير (٣) من ظ ومد، وفى

الأصل: ولا (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الاختلاف (٥) من ظ

ومد، وفى الأصل: صبر (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: اقتناه (٧) سقط

من مد (٨) فى ظ ومد: من هذا.

غالب الامر سنة، وجرت منه سبحانه في عباده ليز الخبيث من
الطيب، وهو المنزه عن الافتقار إلى تعرف أحوال العباد بما يتلهم به
إذ قد علم كون ذلك منهم قبل كونه إذ هو موجد وخالق خيرا
كان^١ أو شرا، فكيف يغيب عنه أو يفترق تعالى إلى بيانه بتعرف أحوال
العباد^٢ أو يتوقف عليه على سبب لا يعلم من خلق^٣ وهو اللطيف الخبير^٤،
ولكن^٥ هي سنة في عباده^٦ ليظهر لبعضهم من بعض عند الفتنة^٧ والابتلاء^٨
ما لم يكن ليظهر^٩ قبل ذلك حتى يشهدوا على أنفسهم، وتقوم الحجة عليهم
باعترافهم، ولا افتقار به تعالى إلى شيء من ذلك، فلما تضمنت سورة
القصص هذا الابتلاء^{١٠} في الخير والشر، وبه وقع افتاحتها واختتامها،
هذا وقد أنجز بحكم الإشارة أولا خروج نبينا صلى الله عليه وسلم^{١٠}
من بلده ومنشأته ليأخذه عليه الصلاة والسلام بأفرحظ مما ابتلى به
الرسل [و الأنياء من مفارقة الوطن وما يحرز لهم الأجر المناسب لعل
درجاتهم عليهم السلام -]، ثم بشارته صلى الله عليه وسلم آخرا
بالعودة والظفر "ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" فأعقب
سبحانه هذا بقوله معلما للعباد ومنها أنها سنته فيهم فقال "احسب^{١٥}
الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون" أي أحسبوا ان يقع

(١) سقط من ظ و مد (٢-٢) من مد؛ وفي الأصل و ظ : كان
خيرا (٣-٣) سقط ما بين الرقين من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ و مد (٥-٥) في مد : يظهر (٦-٦) في مد : هذه الابتلاءات .
(٧) زيد من ظ و مد .

الاكتفاء بمجرد استجابتهم، و ظاهر إنايتهم، و لما يقع امتحانهم بالشدايد
و المشقات، و ضروب الاختبارات " و لنبونكم بشيء من الجوع و الخوف
و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات " فاذا وقع الابتلاء فن فريق
يتلقون ذلك تلقى العليم أن ذلك من عند الله ابتلاء و اختبارا، فيكون
تسخيرا لهم و تخليصا، و من فريق يقابلون ذلك بمرضات الشيطان،
و المسارعة إلى الكفر و الخذلان " و من جاهد فانما يجاهد لنفسه " ثم
اتبع سبحانه هذا بذكر حال بعض الناس من يدعى الإيمان، فاذا أصابه
أذى من الكفار صرفه ذلك عن إيمانه، فكان^١ عنده^٢ مقاوما
بعذاب الله الصارف لمن ضربه عن الكفر و المخالفة فقال تعالى " و من
الناس من يقول امنا بالله فاذا اؤذى في الله جعل فتنه الناس كعذاب
الله^٣ " فكيف حال هؤلاء في تلقى ما هو أعظم من الفتنة، و أشد في
المحنة، ثم^٤ اتبع سبحانه ذلك بما^٥ به يتأسى الموقف^٦ من صبر الانبياء
عليهم / الصلاة و السلام و طول^٧ مكابدتهم من قومهم، فذكر نوحا
و إبراهيم و لوطا و شعيبا عليهم الصلاة و السلام، و خص هؤلاء بالذكر
لأنهم من أعظم الرسل مكابدة و أشد ابتلاء، أما نوح عليه السلام فلبث^٨
في قومه - كما أخبر الله تعالى - ألف سنة إلا خمسين عاما و ما آمن
(١) من ظ و مد، و في الأصل: و كان (٢) سقط من ظ و مد.
(٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل:
ما (٥-٥) في مد: هو يتأسى الموقف (٦) من ظ و مد، و في
الأصل: فكث.

معه إلا قليل، وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فرمى بالمنجنيق في النار فكانت عليه بردا وسلاما، وقد نطق الكتاب العزيز بخصوص المذكورين عليهم الصلاة والسلام بضروب من الابتلاءات^١ حصلوا على ثوابها، وفازوا من عظيم الرتبة النبوية العليا بأسمى نصابها، ثم ذكر تعالى أخذ المكذبين من أممهم فقال "فكلا أخذنا بذنبه" ثم وصى نبيه صلى الله عليه وسلم وأوضح حجته، وتتابع اتساق الكلام إلى آخر السورة - انتهى .

ولما كان التأسى من سنن الآدميين، توقع المخاطب بهذا الأمر^٢ الخبر عن حالهم في ذلك، فقال مؤكدا لمن يظن أن الابتلاء لا يكون، لأن الله غنى عنه فلا فائدة فيه جاهلا^٣ بما فيه من الحكمة^٤ .
 بإقامة الحججة على مقتضى عوائد الخلق : (ولقد) أى أحسبوا والحال أنا قد (فتنا) أى عاملنا بما لنا من العظمة معاملة المختبر (الذين) .
 ولما كان التأسى بالقرب^٥ من الزمان أعظم، أثبت الجار في قوله : (من قبلهم) أى من قبل هؤلاء الذين أرسلناك إليهم من أتباع الأنبياء حتى كان الرجل منهم يمشط لحيه بأمشاط الحديد ما يرده ذلك عن دينه، ومن رؤسهم صاحب أكثر السورة الماضية موسى عليه الصلاة والسلام، ففي قصته حديث طويل عن ابن عباس رضى الله عنها يقال له حديث القتون وهو في مسند أبي يعلى، ومن آخر ما ابتلى به

(١) في ظ و مد : الابتلاء (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : بأسا - كذا .
 (٣) زيد في الأصل و ظ : الكربة، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها (٤) في ظ و مد : جاعلا (٥) في ظ و مد : الحكم (٦) سقط من مد .

أمر قارون و أتباعه .

ولما كان الامتحان سببا لكشف مخبات الإنسان بل الحيوان ،
 فيكرم عنده أو يهان ، و أرشد السياق إلى ^١ أن المعنى : فلنفتنتهم ، نسق
 به قوله : ﴿ فليعلنن الله ﴾ [أى الذى له الكمال ظه - ^٢] ، بقتة خلقه ،
 ٥ علما شهوديا كما كان يعلم ذلك علما غيبيا ، و يظهره لعباده ولو بولوج في
 ستره ، و عبر بالاسم الأعظم الدال على جميع صفات الكمال التفاتا عن
 مظهر العظمة إلى أعظم منه تنبيها للناقصين - و هم أكثر الناس - على
 أنه منزه عن كل شائبة نقص ، و أكد إشارة إلى أن أكثر الناس
 يظن الثبات عند الابتلاء و أنه إذا أخفى عمله لا يطلع عليه أحد
 ١٠ ﴿ الذين صدقوا ﴾ في دعوائهم الإيمان ولو كانوا في أدنى مراتب الصدق ،
 و ليعلن الصادقين ، و هم الصابرون الذين يقولون عند البلاء " هذا
 ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله " فيكون أحدهم عند
 الرخاء براشكورا ، و عند البلاء حرا صبورا ، و ليعلن الذين كذبوا
 في دعوائهم ﴿ و ليعلنن الكذابين ٥ ﴾ أى الراسخين في الكذب الذين يعبدون
 ١٥ الله على حرف ، فان أصابهم خير اطمانوا به و إن أصابهم فتنه انقلبوا
 على وجوههم ، فظنوا ، فيكون لكل من الجزاء على حسب ما كشف

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الاصل المعنى ان ، و زيد فيه بعده : الامتحان
 سببا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : على (٤) سقط من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ و مد : خفى
 عليه (٦) زيد فى ظ : أى (٧) فى ظ و مد : الرجاء (٨) سقط من مد (٩) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : حبيب .

٦٢ /

منه البلاء، و التعمير بالمضارع لتحقق^١ الاختبار، على تجدد الأعصار،
 'لجعى الإخيار' و الأشرار^٢، فن لم يجاهد نفسه عند الفتنة / فيطبع^٣ [في -^٤]
 السراء و الضراء كان من الكافرين فكان في جهنم "ليس في جهنم مشوى
 للكافرين" و من جاهد كان من المحسنين، و الآية من الاحتباك : دل^٥
 بالذين صدقوا على الذين كذبوا، و بالكاذبين على الصادقين، ذكر الفعل ه
 أولا دليلا على تقدير ضده ثانيا، و الاسم ثانيا دليلا على حذف
 ضده أولا .

و لما أثبت سبحانه بهذا علمه الشامل و قدرته^٦ التامة في الدنيا،
 عادله بما يستلزم مثل ذلك في الآخرة^٧، فكان حاصل ما مضى من
 الاستفهام : أحسب الناس أنا لانتقد عليهم و لا نعلم أحوالهم في الدنيا ١٠
 أم حسبوا أن ذلك لا يكون في الآخرة، فيذهب ظلمهم في الدنيا و تركهم
 لامر الله و تكبرهم على عباده مجانا، فيكون خلقناهم عبثا لاحكمة فيه؛
 بل الحكمة في تركه، و هذا الثاني هو معنى قوله منكر^٨ 'أم حسب'
 أو يكون المعنى أنه لما انكر على الناس عموما ظنهم الإهمال، علم أن
 أهل السئات أولى بهذا الحكم، فكان الإنكار عليهم أشد، فنادل الهمزة ١٥
 بام في سياق الإنكار كما عاد لها بها^٩ في قوله " اتخذتم عند الله عهدا "

(١) من ظ و مد، و في الأصل : لتحقيق (٢ - ٢) في مد : للاشرار (٣) في ظ
 و مد : فيضيع (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ
 و مد (٦) من ظ و مد، و في الأصل : القدرة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين
 من ظ (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد، و في الأصل : بهذا .

الآية^١، قال : (ام حسب) أى ظن ظنا^٢ يمشى له^٣ و يستمر [عليه -^٤]،
 فلايين له جهله فيه بأمر يحسبه فلا يشته عليه بوجه (الذين يعملون السيئات)
 أى التى^٥ منعنهم^٦ بأدلة النقل المؤيدة^٧ ببراهين العقل - منها بالنهى عنها،
 و وضع موضع المفعولين ما اشتمل على مسند و مسند إليه من قوله :
 (ان يسبقونا^٨) أى يهوتونا فوت السابق لغيره^٩ فيعجزونا فلا تقدر
 عليهم فى الدنيا بامضاء ما قدرناه عليهم من خير و شر فى أوقاته التى
 ضربناها له ، و فى الدار الآخرة بأن نحبيهم بعد أن نمتهم ، ثم نحشرهم
 إلى محل^{١٠} الجزاء صغرة داخرين ، فنجازيهم على ما عملوا و^{١١} نقتص لمن
 أساءوا إليه منهم ، و يظهر تحلينا بصفة العدل فيهم .

١٠ و لما أنكر هذا ، عجب ممن يحوك ذلك^{١٢} فى صدره تعظيما لإنكاره

قال : (ساء ما يحكمون^{١٣}) أى ما أسوأ هذا الذى أوقعوا الحكم به
 لأنفسهم لأن أضعفهم عقلا لا يرضى لعييده أن يظلم بعضهم بعضا ثم
 لا ينصف بينهم فكيف يظنون بنا ما لا يرضونه لأنفسهم .

و لما خوف [عباده -^{١٤}] "المحسنين و المسيئين" ، و ضربهم بسوط

١٥ القهر أجمعين ، أشار إلى^{١٥} التلويح تهديد^{١٦} الكاذبين فى التصريح بتشويق

(١) آية ٨٠ - سورة ٢ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٣) زيد من ظ و مد .

(٤) فى ظ : الذين (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنفناهم (٦) فى ظ و مد : اللويد .

(٧) فى ظ : لتغير ، و الكلمة ساقطة من مد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ

و مد : أو (١٠) فى ظ و مد : هذا (١١-١١) فى ظ و مد : المسيئين و المحسنين .

(١٢-١٢) فى مد : التهديد بتلويح .

الصادقين فقال ' على سبيل الاستنتاج ' مما مضى : (من كان يرجوا) عبر
به لان الرجاء كافٍ عن ' الخوف منه ' سبحانه (لقاء الله) أى الجامع
لصفات الكمال ، فلا يجوز عليه ترك البعث فانه ' نقص و منابذ للحكمة ،
و شبه البعث باللقاء لانكشف كثير من الحجب به و حضور الجزاء .
و لما كان المنكر للبعث كثيرا ، أكد فقال موضع : فانه آت ٥
فليحذر و ليشر ، تفخيا للأمر و تثبيتا و تهويلا : (فان اجل الله)
أى الملك الأعلى الذى له الفنى المطلق و جميع صفات الكمال المحتوم لذلك
(لآت) لا يحصى عنه . فانه لا يجوز عليه [وقوع - ٧] إخلاف الوعد ،
و لذلك عبر بالاسم الأعظم ، و للإشارة إلى أن أهوال اللقاء لا يحيط
بها العد ، و لا يحصرها حد ، فليعتد لذلك بالمجاهدة و المقاتلة لنفسه من ١٥
ينصحها ، و قال تعالى : (وهو) أى وحده / (السميع العليم) حثا
على تطهير الظاهر و الباطن فى ' العقد و ' القول و الفعل .

٦٣ /

و لما حث على العمل ، بين ' أنه ليس إلا لنفع العامل ، لئلا يخاطر
فى خاطر ما يوجب تعب الدنيا و شقاء الآخرة من اعتقاد ما لا يليق
بجلاله تعالى ، فقال عاطفا على ما تقديره : فن أراح نفسه فى الدنيا فانما ١٥

(١) فى ظ و مد : و قال (٢) فى مد : الاستفتاح (٣) من مد ، وفى الأصل
و ظ : فى (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنه (٥) من ظ و مد ، وفى
الأصل : كأنه (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ
و مد ، وفى الأصل : نصحتها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقنين من مد (١٠) فى
ظ و مد : تبين .

نصر نفسه : (ومن جاهد) أى بذل جهده حتى كانه يسابق آخر في
 الأعمال الصالحة (فانما يجاهد نفسه) لأن نفع ذلك له 'فتيحها ليربحها،
 ويشقيها ليسعدها، ويميتها ليجيها'، وعبر بالنفس لأنها الأماورة بالسوء،
 وإنما طوى ما أدمى تقديره لأن السياق للجاهدة ؛ ثم علل هذا الحصر
 بقوله : (ان الله) أى المتعالى عن كل شائبة نقص (لغنى) وأكد
 لأن كثرة الأوامر وبما أوجبت للجاهل ظن^٢ الحاجة، وذلك نكتة
 الإتيان بالاسم الأعظم، و بين أن غناه الغنى المطلق بقوله 'موضع' عنه^٣،
 (عن الغلبي^٥) فلا تنفمه طاعة ولا تضره معصية .

ولما كان التقدير : فالذين كفروا و عملوا السيئات لتجزينهم أجمعين،
 ١٠ ولكنه طواه لأن السياق لأهل الرجاء، عطف عليه قوله :
 (والذين آمنوا و عملوا) تصديقا لإيمانهم (الصلحت) فى الشدة
 و الرجاء على حسب طاقتهم، و أشار بقوله : (لتكفرن عنهم سيئاتهم)
 إلى أن الإنسان و إن اجتهد لا بد أن يزل لأنه مجول على النقص،
 فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم يوث الكبار، و الجمعة إلى
 ١٥ الجمعة و رمضان إلى رمضان و نحو ذلك مما وردت به الأخبار عن النبي
 المختار صلى الله عليه و سلم، و زاده فضلا و شرفا لديه؛ قال البغوى :
 و التكفير إذهاب السيئة بالحسنة، أو لغفرن لهم الشرك و ما عملوا فيه،

(١ - ١) فى مد : تعبها لربحها و شقاوها اسعدها و موتها حياتها (٢) فى ظ :

خلق - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمن من مد (٤) زيد فى ظ : من (٥) راجع

معالم التنزيل بهامش لباب التأويل / ١٥٦ .

و أكد لأن الإنسان مجبول على الانتقام من أساء و لو بكلمة و لو
 بالامتنان [بذكر العفو فلا يكاد يحقق غير ما طبع عليه و لما بشرم بالعفو
 عن العقاب، أمم البشرى بالامتنان - ١] بالثواب، فقال عاطفا على ما
 تشكره: و لثبتن لهم حسناتهم (و لجزينهم) أى فى الإسلام
 (أحسن الذى كانوا) أى تكونا يحملهم على أمم رغبة (يعملون) أى
 أحسن جزاء ما عملوه فى الإسلام و ما قبله و فى طبعهم أن يعملوه .
 و لما ذكر سبحانه أنه لا بد من الفتنة ، و حذر من كفر ، و بشر
 من صبر ، قال عاطفا على " و لقد فتنا " مشيراً إلى تعظيم خربة الوالد
 حيث جعلها فى سياق تعظيم الخالق ، و إلى أنها أعظم فتنة : (و وصينا)
 على ما لنا من العظمة (الانسان) أى الذى أعناه على ذلك بأن
 جعلناه على الأنس بأشكاله لاسيما من أحسن إليه ، فكيف بأعز الخلق
 عليه ، و ذلك فتنة له (بوالديه) .

و لما كان التقدير: فقلنا له: افعل بهما (حسناً) أى فعلا ذا حسن
 من برهما و عطف عليهما، عطف عليه قوله: (و ان جاهدك) أى
 فعلا معك فعل المجاهد مع من يجاهده فاستفرغا مجهودهما فى معالجتك ١٥
 (لتشرك) و ترك مظهر العظمة للنص على المقصود فقال: (بى) و نبه
 على طلب البرهان فى الأصول إشارة إلى خطر المقام لعظم المرام، فقال
 استعمالا للعدل، مشيراً بنفى العلم إلى انتفاء المعلوم: (ما ليس لك به علم)

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: عن (٣) من ظ و مد، و فى الأصل:
 تسيراً (٤) سقط من مد (٥) فى ظ: عن (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ
 و مد: مصالحتك .

أصلا بأنه يستحق الشركة فان من عبد ما لم يعلم استحقاقه للعبادة فهو
 كافر (فلا تطعها^١) فانه لا طاعة لمخلوق - وإن عظم - في معصية
 الخالق، / وهذا موجب^٢ لثلايقع^٣ من أحد شرك أصلا، فانه لا ويب
 أصلا في أنه لا شبهة تقوم على أن غيره تعالى يستحق الإلهية، فكيف
 ٥ بدليل يوجب علما، والمقصود من سياق الكلام إظهار النصفة^٤ والتنبيه
 على النصيحة، ليكون أدعى إلى القبول؛ ثم علل ذلك بقوله: (إلى مرجعكم)
 أى جميعا: من آمن ومن أشرك بالحشر يوم القيامة؛ ثم سبب عنه
 قوله: (فانبئكم) أى أخبركم إخبارا عظيما مستقصى بليغا (بما كنتم)
 أى برغبتكم (تعملون^٥) أى قفقوا عند حدودى، وأركوا ما تزينه لكم
 ١٠ شهواتكم، واحذروا مجازاتى على قليل ذلك وكثيره، عبر سبحانه بالسبب
 الذى هو الإنباه [لأنه لامثنوية فيه -^٦] عن^٧ المسبب الذى هو الجزاء،
 مطلقا للعبارة^٨، وتهديدا بليغا على وجه الإشارة، وطوى ذكره لانه
 قد يدخله العفو^٩، وهذه الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله
 عنه، أسلم وكان بارا بأمه، فخلقت: لا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن
 ١٥ دينه أو تموت فيغير بها ويقال قاتل أمه، فمكثت يومين بلياليهما فقال:
 يا أماء، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا [نفسا -^{١٠}] ما تركت

(١ - ١) فى ظ: هو موجب، وفى مد: هو الموجب (٢) من ظ ومد،
 وفى الأصل: تقع (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: النصف (٤) زيد من
 ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: على (٦ - ٦) من مد، وفى
 الأصل: تطلقا للعبادة، وفى ظ: تطلقا للعبادة (٧) من ظ ومد، وفى
 الأصل: العفو.

دنى فكلى ، وإن شئت فلا تأكلى ! فلما أيست^١ منه أكلت و شربت -
و أصل القصة فى الترمذى^٢ .

و لما كان التقدير : فالذين^٣ أشركوا و عملوا السيئات لدخلتهم فى
المفسدين ، ولكنه طواه لدلالة السياق عليه ، عطف عليه [زيادة فى
الحث على الإحسان إلى الوالدين -]^٤ قوله : (و الذين آمنوا و عملوا)^٥
فى السراء و الضراء (الصلحت) .

و لما كان الصالح فى الغالب سىء الحال فى الدنيا ناقص الحظ منها ،
فكان عدوه ينكر أن يحسن^٦ حاله أشد إنكار ،^٦ أكد قوله : (لدخلتهم)
أى بوعده لا خلف^٧ فيه (فى الصالحين)^٨ و ناهيك به من مدخل ، فانه
من أبلغ صفات المؤمنين .

١٠

و لما كانت ترجمة ما مضى من قسم الراجى و المجاهد و العامل
للصالح^٩ : فن الناس - كما أشير إليه - من يؤمن بالله ، فاذا أودى فى
الله صبر و احتسب انتظارا^٩ للجزاء من العلى الأعلى ، ولكنه حذف
من كل جملة ما دل عليه بما ذكر فى الأخرى ، عطف عليه : (و من الناس)
أى المذبذبين^{١٠} (من يقول)^{١١} أى بلسانه دون طمأنينة من قلبه : ١٥
('أنا بالله')^{١٢} أى الذى اختص بصفات الكمال ، و أشار - بعد الإيمان^{١٣}

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فايست (٢) راجع ٣٩١ / ٢ : تفسير
سورة العنكبوت (٣) فى مد : و الذين (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى مد :
يصلح (٦ - ٦) فى مد : قال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانخف (٨) من
ظ و مد ، و فى الأصل : للصالح (٩ - ٩) فى مد : أحسن الانتظار (١٠) فى
ظ و مد : المذبذبين (١١) فى ظ و مد : الإيمان .

إلى كثرة هذا الصنف بالإسناد إلى ضمير الجمع - إلى أن الأذى في هذه الدار ضربة لازب لا بد منه، بقوله بأداة التحقيق : (فاذا أودى) أى فته له و اختبارا من أى مؤذ كان (فى الله) أى بسبب كونه فى سبيل [الله - '] الذى لا يدانيه فى عظمته و جميع صفاته شىء ، يلاءه .
 ٥ . يسلط به عباده عليه (جعل) أى ذلك الذى ادعى الإيمان (فته الناس) أى له بما يصيبه من أذاهم فى جسده الذى إذا مات انقطع أذاهم عنه (كعذاب الله) أى المحيط بكل شىء ، فلا يرجى الانفكاك منه ، فيصرف المعذب بعد الشياخة والكبر إلى الخضوع والذل ، لأنه لا كفؤ له ولا مجير عليه ، فلا يطاق عذابه ، لأنه على كل من الروح ١٠ . والجسد ، لا يمكن مفارقتة لهما ولا لواحد منهما بموت ولا بجماعة إلا بإرادته حتى يكون عمل هذا المعذب عند عذاب الناس له الطاعة لهم فى جميع ما يأمرون به ظاهرا و باطنا ، فيقبن حيثئذ أنه كان كاذبا فى دعوى الإيمان ، و قصر الرجاء على الملك الديان ، و أشار إلى أن الفته ربما استمرت إلى الممات و طال / زمنها بالتعبير بأداة الشك ، و أكد ١٥ . لاستبعاد كل سامع أن يقع من أحد بهت فى قوله : (و لئن جاء نصر) أى لحزب الله الثابتى الإيمان .

/ ٦٥

ولما كان الإحسان منه إنما هو محض امتنان ، فلا يجب عليه لأحد

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : يعنى لثلا .

(٣-٣) فى ظ : الذى ذلك (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : بصيبيهم (٥) من

ظ و مد ، وفى الأصل : العذاب (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : عنه .

شيء، عبر بما يدل على ذلك مشيرا إلى انه يفعله لأجله صلى الله عليه
وسلم فقال: ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بنصر أهل دينك، تصديقا
لوعدك لهم، وإدخلا للسرور عليك،

ولما كانت هذه حالة رخاء^١، عبر بضمير الجمع إشارة إلى نحو

قول الشاعر:

وما أكثر الإخوان حين تعدم ولكنهم فى النائبات قليل
فقال: ﴿ليقولن﴾ أى هؤلاء الذين لم يصبروا^٢، خداعا للتؤمنين خوفا
ورجاء، وعبر فى حالة الشدة بالافراد لتلا يتوم أن الجمع قيد، وجمع
هنا دلالة على أنهم لا يستحيون من الكذب ولو على رؤس الاشهاد،
وأكدوا عليهم^٣ أن قولهم ينكر لانهم كاذبون فقالوا: ﴿انا كنا معكم﴾^٤
أى لم نزايلكم بقلوبنا وإن أطعنا أولئك بالستنا.

ولما كان التقدير: أليس أولياؤنا المتفرسون بأحوالهم^٥ عالمين؟ عطف
عليه منكرا قوله: ﴿او ليس الله﴾ المحيط بعلم الباطن كما هو محيط بعلم
الظاهر ﴿باعلم بما فى صدور العالمين﴾ أى كلهم^٦ منهم^٧ فلا يخفى عليه
شيء من ذلك إخلاصا كان أو نفاقا، بل هو أعلم من أصحاب^٨
الصدور بذلك^٩.

ولما أنكروا عدم العلم، صرح بالعلم فقال واعدت متوعدا^{١٠}، عاطفا

- (١) من ظ، وفى الأصل ومد: الرجاء (٢) فى ظ ومد: الأصحاب (٣) فى
مد: لم تصبروا - كذا (٤) فى ظ ومد: بعلهم (٥) زيد فى ظ ومد: بهم .
(٦) سقط من مد (٧) سقط من ظ ومد (٨) فى مد: متواعدا .

على ما أفهمه السياق من نحو: فقد علم الله جميع ما أخفوا وما أعلنوا:
 ﴿ وليعلن الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة فى عالم الشهادة حتى يكشف
 ذلك لديكم كما هو عالم به فى عالم الغيب ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى وقع^٢
 منهم إيمان. و ليعلن المؤمنين^٣ إيمانا صادقا [بما -^٤] يواله عليهم من
 المحن، وهم لا يزدادون إلا تسليما ورضى، و^٥ أكده لما قدم من أن
 الناس حسبوا أنهم لا يفتنون ﴿ وليعلن ﴾ الذين ناققوا و ليعلن
 ﴿ المنفقين^٥ ﴾ بمثل ذلك من الزلازل و الفتن التى يميلون معها كيفما
 ميلتهم، حتى يعلم كل^٦ من له لب أنه لا إيمان لهم^٧ كما أنه لا إيمان لهم^٧،
 و لاشك أنه يعامل كلا من التريقين بما يستحق على حسب ما يعلم
 ١٠ من^٨ قلبه، و الآية^٩ من الاحتباك^٩ كما مضى [عند -^{١٠}] ” و ليعلن الله
 الذين صدقوا^{١١}“ .

و لما كان السياق للفتنة و الأذى فى الله المحقق أمره باذا دون^{١٢} إن^{١٣}
 و كان الكفار يفتنون من أسلم^{١٤} فى أول الأمر، ذكر سبحانه بعض
 ما كانوا يقولون^{١٥} لهم عند الفتنة جهلا بالله و غرورا^{١٦}، فقال معجبا منهم^{١٧}،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: علم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
 اوقع (٣) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٤) زيد من ظ و مد (هـ) فى ظ و مد: أكد ما (٥) سقط من ظ و مد.
 (٦-٧) سقط ما بين الرقين من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عن.
 (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: احتباك (١٠) زيد تمشيا مع السياق .
 (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الله (١٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ،
 و لم تكن فى مد فحذفناها .

عاطفا على " و من الناس من يقول " : (و قال الذين كفروا)
اغترارا منهم بالله و جرأة على حماه المتبع (للذين) أى لطائفة من
يقول بلسانه : آما بالله ، وهم الذين (آمنوا) أى حقيقة ، جهلا منهم
بما خالط قلوبهم من بشاشة الإيمان ، و أنوار العرفان : (اتبعوا) أى
كلفوا أنفسهم بأن تتبعوا (سينا) أى طريق ديننا ، و عطفوا
و عدمهم فى مجازاتهم على ذلك بصيغة الامر على أمرهم باتباعهم للدلالة على
أنه محقق لا شك فيه فقالوا : (و لنحمل خطيكم) بوعد صادق و أمر
محتوم جازم ، إن كان ما تقولون^٢ حقا إنه لا بد لنا من معاد توأخذ فيه
بالخطايا ، و لودروا لعمري ما الخبر ، يوم يقولون : لا مفر ، ما عرضوا
أنفسهم لهذا الخطر ، يوم يود كل امرئ^٣ لو اقتدى / بماله و بنه ، و عرسه ١٠ / ٦٦
و أخيه ، و صديقه و آيه ، و يكون كلامهم - و إن كان أمرا - بمعنى الخبر^٤
لأنه وعد كذبه سبحانه لأن معناه : إن كتب عليكم إثم حملناه عنكم بوعد^٥
لا خلف فيه^٦ (و ما هم) أى الكفار (بحملين) ظاهرا و لا باطنا
(من خطيهم) أى المؤمنين (من شيء^٧) و هم يقدرون أن لا يحملوا ،
أو حملا يخفف عنهم العذاب ، أى أنهم إذا عاينوا تلك الأحوال^٨ ، ١٥
و طاشت عقولهم فى بحار هاتيك الأحوال^٩ ، التى لا يقوم لها الجبال ،

(١) فى مد : اعتزازا (٢) فى مد : يقولون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل :
احد (٤) فى ظ و مد : الجد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يوم (٦) زيد
فى الأصل و ظ : فقال ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) فى مد :
الاهوال (٨) فى مد : الأحوال .

تبرأوا من قالوا له هذا المقال ، فقد أخبروا بما لا يطابق الواقع^١ ، ويجوز أن يكونوا تعمدوا الكذب حال الإخبار إن^٢ كانت نيتهم أنهم لا يفون^٣ على تقدير تحقق الجزاء .

و لما علم من هذا كذبهم بكل حال سواء تعمدوا أو لا ، صرح^٤ به تأكيدا لمضمون ما قبله ، مؤكدا لأجل ظن^٥ من غرره^٦ صدقهم في قوله [مستأنفا - ^١] : (انهم الكذوبون ه) .

و لما كان كل من أسلك أحدا طريقا كان شريكه في عمله فيها ، فكان عليه مثل^٧ رزقه إن كانت طريق ردى ، و له مثل^٨ أجره إن كانت سبيل هدى ، قال تعالى مؤكدا لإنكارهم الآخرة و كل ما فيها :
 ١٠ (وليحملن) أى الكفرة (ائقلمن) التى حملوا أنفسهن الضعيفة بما اكتسبوا (و ائقلا) أخرى غيرهم (مع ائقلمن ذ) بما تسبوا به^٩ من إضلال غيرهم ، و من تاصيل السنن الجائرة^{١٠} الجارية بعدهم ، فمن^{١١} سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل^{١٢} بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص أحدهم من حمل^{١٣} الآخر شيئا^{١٤} .

١٥ و لما كان للسؤال^{١٥} على طريق الازدراء و الإذلال ، من الرعب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواقع (٢) من ظ و مد . و فى الأصل :
 بيان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يفون - كذا (٤) -قط من مد .
 (٥) زيدت الواو فى مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : بمثل (٨) فى ظ
 و مد : فيه (٩) فى ظ و مد : الجائزة (١٠) من مد ، و فى الأص و ظ : بمن .
 (١١) فى مد : يعمل (١٢) من ظ و مد . و فى الأصل : شئ (١٣) من مد ،
 و فى الأصل و ظ : السؤال .

في القلب ما ليس للافعال قال: (وليستلن) أى من كل من أمره المولى بسؤالهم (يوم القيمة) أى الذى هم به مكذبون، وله مستهينون^١، والتأكيد إما لإنكارهم ذلك اليوم، أو لظن أن العالم لا يسأل عما يعمل^٢، (عما كانوا) أى بغاية الرغبة (يفرون ع) أى يتعمدون كذبه، و يُعمَلون أفكارهم في ارتكابه [و يواظبون عليه -^٣]، والتعبير بصيغة ٥ الافتعال يدل على أنهم كانوا يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ويتعمدون الكذب في وعدم لمن غرره .

ولما كان السياق للبلاء والامتحان، والصبر على الهوان، وإثبات علم الله وقدرته على إنجاء الطائفة وتعذيب العاصي، ذكر من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام من طال صبره على البلاء، ولم يفتر ١٠ عزمه عن نصيحة العباد [على -^٤] ما يعاملونه به من الأذى، تسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم ولتأبيه رضى الله تعالى عنهم وتثبيتاً لهم وتهديداً لقريش. فقال عاطفاً على " ولقد فتنا الذين من قبلهم " ما هو كالشرح له، وله نظر^٥ عظيم إلى " ولقد وصلناهم القول " وأكدته دفعا لوم من يقول: إن القدرة على التصرف في القلوب مغنية عن الرسالة ١٥ في دار التسيب: (ولقد أرسلنا) أى على ما لنا من العظمة المغنية عن الرسالة إجراء للأمر على ما تقتضيه هذه الدار من حكمة التسيب

(١) في مد: امر (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: مستهينون (٣) في مد: يعمله (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٦) زيد من مد (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: نظير .

(نوحا) أى أول رسل الله إلى الخائفين من العباد، وهو معنى (الى قومه) فان الكفر كان قد عم أهل الارض، وكان صلى الله عليه وسلم أطول الانبياء بلاء بهم. ولذلك قال مسيبا عن ذلك ومعقبا: (فلبث فيهم) أى بعد الرسالة يدعوم إلى الله. وعظم الامر / بقوله: (الف) فذكر رأس العدد الذى لا رأس أكبر منه، وعبر بلفظ (سنة) ذما لأيام الكفر، وقال: (الاخمين) فحقق أن ذلك الزمان تسعمائة وخمسون من غير زيادة ولا نقص مع الاختصار والعذوبة، وقال: (عاما) إشارة إلى أن زمان حياته عليه الصلاة والسلام بعد إغراقهم كان رغدا واسعا حسنا بإيمان المؤمنين وخصب^٢ الارض.

/ ٦٧

١٠. و لما كان تكرير الدعاء مع عدم الإجابة أدل على الامثال وعدم

الملال، قال مسيبا عن لث فيهم ودعائه لهم ومعقبا له^٣: (فاخذم) أى

كلهم بالإغراق أخذ قهر وغلبة (الطوفان) أى من الماء، لأن الطوفان

في الأصل اكل فاش^٤ طام محيط غالب بمتلى^٥ كثرة وشدة وقوة من

سيل أو ظلام أو موت أو غيرها، والمراد هنا الماء (وهم ظالمون^٦)

١٥ أى عريقون في هذا الوصف، وهو وضع الأشياء في غير مواضعها فعل^٧

من يمشى في أشد الظلام، بتكذيبهم رسولهم، وإصرارهم على كفرهم،

وهو ملازم لدعائهم ليلا ونهارا لم يرجع منهم عن الضلال إلا ناس

(١) من مد، وفي الأصل وظ: الخائفين (٢) من ظ ومد، وفي الأصل:

خصيب (٣) زيد في ظ ومد: ومعقبا لهم (٤) من ظ ومد، وفي الأصل:

فاس (٥) في ظ: هذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: قتل.

لقلتهم

(١٠١)

٤٠٤

لقلتهم لا يعدون؛ و دل عليهم مسياً عن ذلك بقوله: ﴿ فأنجيتهم ﴾ أي
نوحاً عليه السلام بما لنا من العظمة التي لا يغلبها شيء. ﴿ واصحب السفينة ﴾
من أولاده و أتباعه، من الفرق، و ما ذا يبلغ مقدار أهل سفينة واحدة
في العدة و الكثرة ﴿ وجعلناها ﴾ أي الفعلة أو السفينة أي نفسها
و جنسها، بتلك العظمة ﴿ آية ﴾ أي علامة على قدرة الله و علمه و إنجائه ه
للطائع^١ و إهلاكه للعاصي^٢ ﴿ للعالمين ه ﴾ فانه لم يقع في الدهر حادثة أعظم
منها ولا أغرب ولا أشهر في تطبيق الماء؛ جميع الأرض، بطولها و العرض،
و إغراق جميع من^٣ عليها من حيوان: إنسان^٤ و غير إنسان^٥، و إنجاء
ناس فيهم بما هيأ^٦ قبل الفعل من سبب ذلك المستمر نفعه على تكرار^٧
الاحقاب و تعاقب الأزمان، و كونها آية أما^٨ للآدميين الذين كانوا في ١٠
ذلك الزمان فالأمر فيهم واضح، و أما غيرهم من الحيوان فقد عرفوا^٩
لمعرفتهم بالجزئيات المشاهدة أن ذلك الماء لا ينجي منه "في دار الأسباب"
إلا هذه السفينة، فالهداية إلى فعلها للنجاة قبل وقوع سبب الهلاك دالة^{١٠}
على تمام العلم و شمول القدرة، و أن من اهتدى إليه دون أهل ذلك

- (١) من ظ و مد، و في الأصل: او (٢) في مد: الطائم (٣) في مد: العاصي.
(٤) من ظ و مد، و في الأصل: المال (٥) في ظ و مد: ما (٦) من ظ
و مد، و في الأصل: انساني (٧) من ظ و مد، و في الأصل: مضى (٨) من
ظ و مد، و في الأصل: تكرير (٩) من ظ و مد، و في الأصل: الا (١٠) من
ظ و مد، و في الأصل: عرفوا (١١-١٢) في ظ: دار الأسباب، و في مد:
من الأسباب (١٢) في الأصل: قال، في ظ و مد: دال .

العصر كلهم إنما اهتدى باعلام الله له دون غيره، و نصف الآية الأولى
الأول [من هذه القصة - ١] تسلية و تعزية دليلاً على آتني الفتنة أول
السورة، و نصفها الثاني 'تحذير و توفية'، [و فيه - ٤] دليل على الآية
الثالثة، و الآية الأخرى تبشير 'و ترجية'، [و فيه - ٤] دليل على ما بعد .
و لما كان بلاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام عظيماً في قذفه في
النار و إخراجه من بلاده، اتبعه به فقال: ﴿ و ابراهيم ﴾ أى و لقد
أرسلنا إبراهيم، و يجوز أن يكون التقدير: و اذكر إبراهيم أباك الأعظم
لتأسى به و تسلى و 'تعظ قومك' بقصته، لكن قوله " و الى مدين "
يرجح الأول، و دل على مبادرته للامتثال بقوله: ﴿ اذ ﴾ أى حين،
١٠ و هو بدل اشتمال على التقدير الثاني لاشتمال الاحيان على ما قبلها
﴿ قال لقومه ﴾ الذين هو منهم: ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم بما
يأمركم به من طاعته ﴿ و اتقوه ﴾ أى خافوه فى أن تشركوا به شيئاً
فانه يعذبكم ﴿ ذلكم ﴾ أى الامر العظيم / الذى هو إخلاصكم فى عبادتكم
له و تقواكم ﴿ خير لكم ﴾ أى من كل شئ . ﴿ ان كنتم ﴾ أى بما لكم
١٥ من الغرائز الصالحة ﴿ تعلمون ﴾ أى [إن كنتم - ١] فى عداد من يتجدد
(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ ، و فى الأصل :
تولية ، و سقط من مد (٤) زيد من مد (٥) فى مد : دلالة (٦ - ٦) - سقط ما
بين الرقيين من مد (٧ - ٧) فى مد : تتعظ (٨) فى ظ و مد : فيها (٩) تكرر
فى الأصل قبل « أى بما لكم » .

له علم فأنتم تقولون: إنه خير، أى 'تعتقدون ذلك فتعملون' به، وإن لم تعملوا ذلك فأنتم في عداد الحيوانات العجم، بل أضل، فانها تهتدى لما ينفعها فتقبل^٢ عليه، وتسمى بجهدها^٣ إليه.

ولما أمرهم بما تقدم، ونفى^٤ العلم عن جهل خيريته، دل عليه بقوله: ﴿انما تعبدون^٦﴾ ولما كان الله أعلى من كل شيء قال: هـ (من دون الله) أى الذى لاشبيه له ولا نظير، [ولا ثانى^٧] ولا وزير، وقال: ﴿اوثانا﴾ إشارة إلى تفرق الهم بكثرة^٨ العبود، والكثرة يلزمها الفرقة ولاخير فى الفرقة. ومادة 'وثن' بجميع تقاليها واوية ويائية مهموزة^٩ تدور على الزيادة والكثرة، ويلزمها الفرقة من اختلاف الكلمة، فيلزمها حينئذ الرخاوة فيأنى العجز، وتراكيها تسعة: فى الواوى ١٠ ثلاثة: وثن ثوثون^{١١}، وفى الياثى ثلاثة: ثنى نثى ثين، و^{١٢} فى المهموز ثلاثة: أنت أن نأث، فمن الزيادة: الوثن، قال القزاز: قال أبو منصور: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن^{١٣} كل ما^{١٤} كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة [أو ذهب -^{١٥}] أو جوهر أو غيره ينحت^{١٦} فينصب فيعبدها^{١٧}،

(١) من مد، وفى الأصل و ظ : ان (٢) فى ظ : فتعملون (م) من ظ و مد، وفى الأصل: لتقبل (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: جهدها (ه) من ظ و مد، وفى الأصل: مصى (٦) من ظ و مد والقرآن الكريم. وفى الأصل: يصدون (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد: لكثرة (٩) زيد فى ظ و مد: وغير مهموزة (١٠) فى مد. نوث (١١) سقطت الواو من ظ. (١٢-١٣) من مد. وفى الأصل و ظ: كلما (١٣) زيد من مد (١٤-١٥) من ظ و مد، وفى الأصل: وينصب و يعبد.

و الصنم الصورة التي بلا جثة، و منهم من جعل الوثن صنما - انتهى . و قال عبد الحق : قال الهروي : قال ابن عرفة : ما كان له صورة من جص أو حجارة أو غير ذلك فهو وثن - انتهى . فقد علم من ذلك أنه لا بد فيه من صورة أوجته، و على كل تقدير فهو ثان لما شابه صورته

١٠ . أوجته^٢ و زائد عليه . و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي^٣ في كتاب الزينة : الصنم تمثال من حجارة على صورة الإنسان، فإذا كان من خشب فهو وثن، و يتخذ أيضا من جص، و ربما صوروا في الحائط أيضا صورة إنسان^٤ تسمى تلك الصورة أيضا وثنا . و النصارى يفعلون ذلك و يصورون في بيعهم صورة المسيح و صورة مريم و يسجدون لها؛

١٠ . و استوثن المال : سمن، فزاد لحمه، و استوثن من المال : استكثر، و النحل^٥ : صارت فرقتين صفارا و كبارا، و الإبل : نشات^٦ أولادها معها، و أوثن زيدا : أجزل عطيته، و الواثن : الشيء الثابت الدائم في مكانه، فالزيادة فيه بالنسبة إلى زمانه، و يمكن أن يكون من الرخاوة، فانه لا يثبت على

(١) من ظ و مد، و في الأصل : غابه (٢) من ظ و مد، و في الأصل : جسه - كذا (٣) ذكره ابن حجر في لسان الميزان ١ / ٦٤ . و لم يذكر تصانيفه، و أما كتاب الزينة فنسبه في كشف الظنون إلى أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٤-٤) من ظ و مد . و في الأصل : و تسمى ذلك، و العبارة من بعده إلى « في بيهم » ساقطة من مد (٥) في ظ و مد و القاموس : النخل، و في التاج : و الصواب بالحاء المهملة (٦) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل : نشات - كذا .

هذه الصورة إلا ما لا قدرة له على حركة. ومن الفرقة: ثنا الحديث -
 بتقديم النون - بثوه وبتثيه - يأتي وواوي: اشاعه وحدث^١ به،
 والشيء^٢: فرقه وأذاعه، وأثى: اغتاب وأف من الشيء، ولا يؤنف^٣
 منه إلا على تقدير نشره^٤، والتوينا - كالتوينا: الرقيق يفرش^٥ تحت
 الرغيف^٦ ليسوى ويعدل لأن يكون ظلمه^٧، والتاون: الاحتيال^٨
 والحديعة، فانها لا تكون إلا عن^٩ جمع فكر وتثيه^{١٠} نظر، وهي
 أيضا لا تكون إلا من عاجز عن الأخذ جهارا، ومن ذلك^{١١} تارن
 للصيد^{١٢} - إذا جاءه مرة عن يمينه وأخرى^{١٣} عن يساره، والثنى من
 كل شيء [ما - ١١] يثنى بعضه على بعض، ومن الوادي: منعطفه^{١٤} واثنوني:
 انعطف، / و الثناء - ككتاب: عقال البعير، وهو جبل مثنى يعقل به ١٠ / ٦٩
 يد البعير فثنى، والفناء لأنه^{١٥} يكثر انتباهه^{١٦} و التردد إليه^{١٧}، وأثناء الشيء:
 قواه وطاقاته، والاثنان: ضعف الواحد، والمؤنث ثنتان. وأصله ثنى،

- (١١) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: حذف (٢) في مد: اثنى - كذا .
 (٣) في ظ ومد: لا يوثق (٤-٤) في ظ ومد: تقديره (٥-٥) من ظ ومد
 والقاموس. وفي الأصل: لدقيق يفرق (٦-٦) -قط ما بين الرقيقين من مد .
 (٧) من ظ ومد. وفي الأصل: بمن (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: تثنة .
 (٩-٩) من ظ ومد والقاموس، وفي الأصل: ثناوى للبعيد (١٠) في مد:
 مرة (١١) ريد من ظ ومد (١٢) من مد والقاموس. وفي الأصل و ظ:
 معطفه (١٣) من ظ، وفي الأصل: لا (١٤-١٤) من ظ، وفي الأصل: اثنايه
 والردد - كذا (١٥) العبارة من « والفناء » إلى هنا ساقطة من مد .

والاثنين^١ والثى كالى : يوم فى الاسبوع ، وثيته عن وجهه : رددته ،
فصار له رجوع بعد ذهاب ، وثيت الرجلين : صرت^٢ ثابتهما^٣ وأنت أحدهما ،
ولا يقال : ثبت فلانا ، ولكن يقال : صرت له ثانيا ، والثانى : القرآن
أو ما ثنى منه مرة بعد مرة ، أو الحمد ، أو البقرة إلى براءة - هكذا عبر
٥ فى القاموس^٤ ، وفى مختصر العين : ويقال : سور أولها البقرة وآخرها
براءة ، وذكر فى القاموس^٥ فى ذلك أقوالا أخرى ، ومن أوتار العود
[الذى بعد -^٦] الأول واحدها مثنى ، ومثنى الأيادى : إعادة المعروف
مرتين فأكثر ، والثنية : العقبة أو طريقها أو الجبل^٧ أو الطريقة^٨ فيه -
لأنها بطوعها ونزولها أو تعاريجها كأنها ثبتت مرتين ، والثنايا من
١٠ الأسنان : الأربع التى^٩ فى مقدم الفم : ثنتان من فوق ، وثنان^{١٠} من
أسفل ، والناقة الطاعنة^{١١} فى السادسة ، والبعير ثنى^{١٢} ، والفرس الداخلة
فى الرابعة^{١٣} والشاة [فى الثالثة -^{١٤}] كالبقرة ، وكأن ذلك كله من عرض

- (١) كذا فى الأصل وظ ، وفى مد : يوم الاثنين ، وفى القاموس : الاثنان .
(٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : صرتا (٣) فى مد : ثانيا لهما (٤) من القاموس ،
وفى الأصول «و» (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد من القاموس .
(٧) من ظ ومد و القاموس ، وفى الأصل : الحين (٨) فى مد : الطريق .
(٩) من ظ ومد و القاموس ، وفى الأصل : الذى (١٠) من ظ ومد و القاموس ،
وفى الأصل : اثنتان (١١) من مد و القاموس ، وفى الأصل وظ : الطاغية
(١٢) من القاموس ، وفى الأصل : الثالثة ، وفى ظ ومد : السادسة (١٣) زيد
من ظ ومد و القاموس .

يعرض لثنية الحيوان، و الثنية: النخلة المستناة من المساومة، و الثنية و الشاء: وصف بمدح أو ذم، أو خاص بالمدح، و ذلك لأنه يكرر، و الثين بالكسر: من يستخرج الدر من البحر، لأنه يكرر الغوص حتى يجد و يفارق مكانه لذلك و يفرق الدر من مكانه، و الثين أيضا: مثقب اللؤلؤ، لأن الثقب يفرق بين أجزائها [و - ١] لأن المثقب نفسه ٥ يحرك فيكثر^٢ من حركته إذا فعل به ذلك . و من مهموزه: نأث عنه: بعد، و المأث - بالضم، المبعد، و الأثين: الأصيل^٣. لأنه ثان لاصله، و^٤ من الرخاوة الأثى خلاف الذكر، و الأنيث من الحديد الرخو و هو ما لم يكن ذكرا، و المؤث: المخذ^٥، و الأثيان: الحصيتان و الأذنان، [و - ٦] أرض أنيته و مثاث^٦: سهلة، و سيف مثاث: كهام أى^٧ قليل ١٠ لا يقطع - فقد تحمر أن المادة كلها دائرة على ما لا ينبغي^٨ لرتبة الإلهية من الكثرة [و - ١٠] الفرقة و الرخاوة، و لذلك أتى بصيغة الحصر، و هو قصر قلب لسلب ما اعتقدوه فيها من الإلهية .

ولما أشار لهم إلى عدم صلاحيتها لتلك الرتبة العلية، و الغاية الشاء السنية، بكثرتها^٩، أشار إلى قصورها أيضا بتصويرها فقال بصيغة المضارع ١٥

- (١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ليكثر (٣) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: الاصل (٤) من ظ و مد، و في الأصل: او
- (٥) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: المحفف (٦) زيد من ظ و مد و القاموس (٧) من ظ و مد و القاموس، و في الأصل: منشات (٨) - سقط من ظ و مد (٩) من ظ، و في الأصل: لم ينبغي، و في مد: ينبغي (١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من مد .

إشارة إلى ما يرى في كل وقت من تجديد حدوثها: ﴿وتخلقون﴾ أى تصورون بأيديكم ﴿افكاه﴾ أى شيئا مصروفا عن وجهه، فانه مصنوع وأنتم تسمونه باسم الصانع، و مروب و أنتم تعدونه ربا، و عبد و أنتم تقيمونه معبودا، او تقولون في حقها أنها آلهة كذبا .

و لما كان الإنسان محتاجا أبدا، فكان لا يزال متوجها إلى من

ينفعه، وكان قد أشار سبحانه إلى نقص معبوداتهم بنفى الخير عنها،

صرح ببعجزها، وأثبت اختصاصه بالخير. لينتج استحقاقه^١ للعبادة دونها

و أكدته ردا لما كانوا يتوهمونه^٢ من نفعها و ضررها فقال:

﴿ان الذين تعبدون﴾ ضللا و عدولا عن الحق الواضح

﴿من دون الله﴾ المحيط / بصفات الكمال، المنزه عن شوائب الاختلال

١٧٠

[الذى لا يمكن أن يملأ جميع ما تحت رتبته شيء فكيف برتبته الشاه،

و حضرته العليا - ^٣] ﴿لا يملكون لكم﴾ أى و أنتم تعبدونها فكيف

بغيركم ﴿رزقا﴾ أى شيئا من الرزق الذى لا قوام لكم بدونه، فتسبب

عن ذلك قوله: ﴿فابتغوا﴾ و أشار بصيغة الاقتعال إلى السعى فيه،

١٥ لأنه أجرى عاداته سبحانه أنه فى الغالب لا يؤتبه إلا بكد من المرزوق^٤

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: تجديد (٣) فى ظ و مد: تعبدونه (٤) من

ظ و مد، و فى الأصل: وكان (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يتبعه

وقد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اختصاصه (٧-٧) سقط ما بين الرقين

من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يتهمون (٩) زيد من ظ

و مد (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: به من الرزق .

و جهد ، إما فى العبادة و التوكل ، وإما فى السعى الظاهر فى تحصيله
بأسبابه الدنيوية و العاجز من أتبع نفسه هواها ' و تمنى على الله الامانى ' .
و لما أشار إلى ذلك ، أشار إلى الإجمال فى الطلب ، و أن لا يعتقد
أنه لا محالة فى السبب ، و إنما الأمر مع ذلك بيده ، إن شاء أنجح و إن
شاء خيب ، بقوله : (عند الله) أى الذى له ' كل صفة ' كمال (الرزق) ٥
أى كله ، فانه لا شىء منه إلا و هو بيده ، و قد دخل فيه كل موجود ، فان
الكل خلق لذلك ، فأحكمت صنعته و ربطا بعضه ببعض ، فلو نقص منه
شىء لا اختل النظام ، فنبطل الأحكام (و اعبده) أى عبادة يقبلها ،
و هى ما كان خالصا عن الشرك ، فان من يكون كذلك يستحق ذلك
و يثيب العابد له ، و يعاقب الزاهد فيه ، فلا يشغلكم ابتغاء الرزق ١٥
بالأسباب الظاهرة عن عبادته ، فانها هى الأسباب الحقيقية ، فربما حرم
العبد الرزق بالذنب يصيبه (و اشكروا) أى أوقعوا الشكر (له) خاصة
على ما أفاض عليكم من النعم : ثم علل ذلك بقوله : (إليه) أى
وحده (ترجعون) أى معنى فى الدنيا و الآخرة بأنه لا حكم فى الحقيقة
لأحد سواه ، و حسا بالنشر و الحشر بعد الموت بأيسر أمر فيثيب ١٥
الطائع و يعذب العاصى فى الدارين .

(١-١) سقط ما بين الرقمن من مد (٢-٢) فى ظ و مد : صفة كل (٣) لمن
ظ و مد ، و فى الأصل : رد على (٤) فى مد : كذلك (٥) فى ظ و مد : يثبت
(٦) فى ظ و مد : أيضا (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ : بمعنى (٩-٩) من
ظ و مد ، و فى الأصل : بالحشر و النشر (١٠) فى مد : فيثبت .

ولما كان التقدير: فان تصدقوا فهو حظكم في الدنيا والآخرة،
عطف عليه قوله: ﴿وان تكذبوا﴾ والذي دلنا على هذا المحذوف هذه
الواو العاطفة على غير معطوف معروف ﴿فقد﴾ أى فيكفيكم في الوعظ
والتهديد معرفتم بأنه ﴿كذب امم﴾ في الازمان الكائنة ﴿من قبلكم﴾
كثيرة، كعاد و ثمود وقوم نوح وغيرهم، لجرى الامر فيهم على سنن
واحد لم يختلف قط في نجاة المطيع للرسول و هلاك العاصي له، ولم
يضر ذلك الرسول شيئاً و ما ضرروا به^٢ إلا أنفسهم ﴿و ما على الرسول﴾
أن يقهركم^٣ على التصديق، بل ما عليه ﴿الا البلغ المبين﴾ الموضح
- مع ظهوره في نفسه - للأمر بحيث لا يبقى فيه شك، باظهار المعجزة،
١٠ وإقامة الأدلة على الوحداية .

ولما كان التقدير: ألم تروا إلى مصارعهم؟ و اتساق الجال في
أمرهم؟ فيكفيكم ذلك زاجرا، عطف^٤ عليه للدلالة على الرجوع إليه
منكرا^٥ قوله: ﴿او لم يروا﴾ بالخطاب^٦ في قراءة حمزة و الكسائي
و [في -^٧] رواية عن أبي بكر عن عاصم جريا على النسق السابق،
١٥ و بالغيب للباقيين^٨، إعراضا للايدان بالغضب ﴿كيف يدعى الله﴾ أى الذى
له كل كمال ﴿الخلق﴾ أى يحدد إبداءه في كل لحظة، و هو بالضم من
أبدأ، و قرئ بالفتح من بدأ، و هما معا بمعنى الإنشاء من العدم؛ قال

(١) من ظ و مد، و في الأصل: اهلاك (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد،
و في الأصل: يقهرهم (٤) في مد: عظيما عطفا (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع
نثر المرجان ٥ / ٢٣٣ (٧) زيد من ظ و مد .

القزاز: أبدأت^١ الشيء أبدته إبداء^٢ - إذا أنشأته ، والله المبدئ^٣ أى الذى بدأ الخلق^٤ ، يقال: بدأهم و أبداهم ، و فى القاموس : بدأ الله الخلق : خلقهم كأبداء^٥ . و رويهم للإبداء موجودة / فى الحيوان و للإبداء و الإعادة فى النبات ، و لافرق فى الإعادة^٦ بين شىء و شىء فىكون قوله - (ثم يعيده^٧) أى يجدد إعادته فى كل لمحّة - معطوفا على " يبدئ " و لو لم يكن كذلك لكان عطفه عليه من حيث أن مشاهدة حال الابتداء جعلت مشاهدة لحال الإعادة من حيث أنه لا فرق ، و لا حاجة حينئذ إلى تكلف عطفه على الجملة من أولها . ثم حقر^٨ أمره بالنسبة إلى عظيم قدرته ، فقال ذاكرة نتيجة الأمر^٩ السابق : (ان ذلك) أى الإبداء و الإعادة ، و أكد لأجل إنكارهم^{١٠} (على الله يسيره) لأنه الجامع لكل كمال ، المنزه ١٠ عن كل شائبة نقص .

و لما ساق العزيز الجليل هذا الدليل ، عما حاج به قومه الخليل ، انتهزت الفرصة فى إرشاد نبيه من إسماعيل عليهما الصلاة و السلام ' و التحية و الإكرام ، و ذلك أنه لما استدل عليه السلام^{١١} على الوحدانية المستلزمة للقدرة على المعاد بابطال إلهية معبوداتهم المستلزم لإبطال كل ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابدت (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابداه (٣-٤) سقط ما بين الرقنين من مد (٤) من القاموس ، و فى الأصل : كما بدأ ، و فى ظ و مد : كأبداهم (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى مد : القدرة . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : خص (٨) فى ظ و مد : الكلام (٩) فى ظ و مد : انكاره (١٠ - ١١) سقط ما بين الرقنين من مد .

ما شاكلها، فحصل الاستعداد للتصريح بأمر المعاد، فصرح به، كان ذلك
 غفرا عظيما، ومفصلا بينا جسيما، لإقامة الحجج على قريش وسائر العرب،
 فاتهزت فرصته^١ واقتحمت لجته، كما هي عادة البلغاء، ودأب الفصحاء
 الحكماء^٢، لأن ذلك كله إنما سبق تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعظا
 ٥ لقومه قعيل: ﴿قل﴾ [أى -^٣] يا محمد لهؤلاء الذين تقيدوا بما تقلدوا
 من مذاهب آبائهم من غير شبهة على صحته أصلا: قد ثبت أن هذا
 كلام الله لما ثبت من معجزكم عن معارضته، ثبت أن هذا الدليل كلام
 أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأنتم مصرحون بتقليد الآباء غير^٤
 متحاشين من معرفته^٥ ولا أب لكم أعظم من إبراهيم عليه الصلاة والسلام،
 ١٠ فاذا قلتم من لا يفارقه^٦ في عبادة ما لا يضر ولا ينفع من غير شبهة
 أصلا تقلدوا آبائكم الأعظم في عبادة الله وحده لكونه أبائكم. ولما أقام
 على ذلك من الأدلة التي لا مرأ فيها^٧ قال: أو^٨ ﴿سيروا﴾ إن
 لم تقلدوا بأبيكم إبراهيم عليه السلام، وتأملوا ما أقام من الدليل القاطع
 والبرهان الساطع ﴿في الارض﴾ إن لم يكفكم النظر في أحوال بلادكم.
 ١٥ ولما كان السياق لإثبات الإلهية التي تجب المبادرة إلى تفرغ الفكر
 وتوجيه كل الذهن إلى الاستدلال عليها، عبر بالفاء المعقبة فقال:

(١) في مد: محرى (٢) في ظ و مد: فرصة (٣) سقط من مد (٤) زيد من
 ظ و مد (٥ - ٥) في مد: تقلدوا (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد،
 وفي الأصل: معرفته (٨) في ظ و مد: لا يقاربه (٩) من ظ و مد، وفي الأصل:
 فيما (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل «و».

(فانظروا) أى نظر اعتبار (كيف بدأ) أى ربكم الذى خلقكم و رزقكم
 (الخلق) من الحيوانات^١ و النبات من الزروع^٢ و الأشجار، و غيرها بما
 تضمنته الجبال و السهول^٣ و الأودار^٤، و هذا يدل على أن الأول^٥ فيها
 هو^٥ أعم من الحيوان، فقيرهم على الإعادة فيه حسن .

ولما كان المقصود بالذات بيان الإعادة التى هى من أجل مقاصد ه
 السورة، لإظهار ما مضى أولها من العدل يوم الفصل، و كانوا بها
 مكذبين، بين الاهتمام بأمرها بابرز الاسم الأعظم بعد تكريره فى هذا
 السياق غير مرة، و أضمره فى سياق البداية لإقرارهم له بها، إشارة إلى
 أنه باطن فى هذه الدار، ظاهر بجميع الصفات فى تلك، فقال: (ثم الله)
 أى الحازر لجميع صفات الكمال فلا يفوته شيء، المتردى بالجلال، فآخشوا ١٠
 سطوته، و اتقوا^٦ عقوبته و نعمته (ينشئ النشأة الأخرى^٧) بعد النشأة
 الأولى ٠ / ثم علل ذلك بقوله مؤكدا تنزيلا لهم منزلة المنكر لإنكارهم
 البعث: (ان الله) فكرر ذكره^٨ تنبيها بعد التيمن به على ما ذكره^٩ و على
 أنه فى كل أفعاله لاسيما هذا مطلق غير مقيد بجهة من الجهات،
 و لا مشروط بأمر من الأمور (على كل شيء قدير^{١٠}) لأن نسبة الأشياء ١٥
 كلها^{١١} إليه واحدة .

(١) فى ظ و مد : الحيوان (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : الزرع (٣) من
 ظ و مد، وفى الأصل : بما (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥-٥) من
 مد، وفى الأصل و ظ : فى (٦) فى ظ : هذا (٧) فى ظ و مد : فآخشوا (٨) فى
 ظ و مد : ذلك (٩) فى ظ و مد : ذكر (١٠) سقط من ظ و مد .

ولما ثبت ذلك، أنتج ' لا محالة قوله، مهددا بعد البيان الذي ليس
بعده إلا العناد: (يعذب) ببدله (من يشاء) أى منكم و من غيركم
فى الدنيا و الآخرة، فلا يقدر أحدٌ بشفاعه و لا غيرها على الحماية منه
(ويرحم) بفضله (من يشاء ج) فلا يقدر أحد على^٢ أن يمسه بسوء
٥ (و إليه) أى وحده (تقبلون ه) أى بعد موتكم بأيسر سعى .

ولما 'لم يبق' للقدرة على إعادتهم مانع يدعى إلا ممانعتهم منها،
أبطلها على تقدير ادعائهم لها فقال: (و ما أنتم) أى أجمعون العرب^٦
و غيرهم (بمعجزين) أى بواقع إعجازكم فى بشاكم و تعذيبكم
(فى الارض) كيفما تقلبتم فى ظاهرها و باطنها .

١٠ ولما كان الكلام هنا له أتم نظر إلى ما بعد البعث، وكانت الأحوال

هناك خارجة عما يستقل به العقل، و كان اثر القدرة أتم و أكمل،

و أهم و أشمل، و كان بعض الأرواح يكون فى السماء بعد الموت قال:

(و لا فى السماء) [أى - ١] لو فرض أنكم وصلتتم إليها بعد الموت

بالحشر أرقبه، لأن الكل بعض ملكه، فكيف يعجزه من فى ملكه،

١٥ و يمكن أن يكون له نظر إلى قصة نمرود فى نائه الصرح الذى أراد به

التوصل إلى السماء لاسيما و الآيات مكتتفة بقصة إبراهيم عليه الصلاة

و السلام من قبلها و من بعدها .

(١) زيد فى مد: ذلك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: واحد (٣) سقط من

ظ و مد (٤-٤) فى ظ و مد: نبى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: العربى

انتم - كذا (٦) زيد من ظ و مد .

ولما أخبرهم 'انهم مقدور' عليهم، وكان ربما بقي احتمال أن غيرهم
ينصرم، صرح بفيه^٢ فقال: ﴿ وما لكم ﴾ أي أجمعين أنتم وغيركم
أيها المحشورون، وأشار إلى سفول رتبة كل ما سواه بقوله: ﴿ من دون الله ﴾
أي الذي هو أعظم من كل عظيم؛ [وأكد النفي بآيات الجار
فقال -^٣]: ﴿ من ولي ﴾ أي قريب يحميكم لاجل القرابة ﴿ ولا نصير ﴾^٤ ه
لشيء غير ذلك^٥ لأنه لا كفوء له .

ولما كان التقدير: فالذين آمنوا بآيات ربهم ولقائه أولئك يرجون
رحمتي وأولئك لهم نعيم مقيم، وكان قد أمرهم بالاستدلال^٦، وهددهم
ليرجعوا عن الضلال، بما أبقى 'للرجال بعض' المحال، أتبعه ما قطعه،
فقال عاطفا على ذلك المقدر: ﴿ والذين كفروا ﴾ أي ستروا ما أظهرته^٧
لهم أنوار العقول ﴿ باينت الله ﴾ أي دلائل الملك الأعظم المرئية
والمسموعة التي لا أوضح منها^٨ ولقائه^٩ بالبعث بعد الموت الذي
أخبر به وأقام الدليل على قدرته عليه بما لا أجلى منه^{١٠} ﴿ أو آتاك ﴾ أي البعداء
البيضاء^{١١} البعيدو الفهم^{١٢} المحطوطون عن رتبة الإنسان، بل رتبة مطلق الحيوان
﴿ يسوا ﴾ أي تحقق بأسهم من الآن^{١٣}، بل من الأزل، لأنهم لم يرجوا^{١٤}

(١-١) في ظ: أنهم مقدورون، وفي مد: انه مقدور دل (٢) من ظ ومد،
وفي الأصل: بنفسه (٣) سقط من ظ ومد (٤) زيد من ظ ومد (٥-٥) في
مد: غيره (٦) زيد في الأصل: به، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها .
(٧-٧) في ظ ومد: للرجاء بعد (٨) زيد في ظ ومد: بسبب (٩) زيد في
الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (١٠-١٠) سقط ما بين
الرقين من مد (١١) من ظ ومد، وفي الأصل: الامان .

لقاء الله يوما، ولا قال أحد منهم "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين".
 ولما كان أكثرهم متعنتا، بين أن المتكلم بهذا الكلام، العالى عن
 تناول الأناام، هو الله المنوه باسمه في هذا النظام، بالالتفات إلى أسلوب
 التكلم، تنبيها لفتاة السامعين بما ملاء الصدور وقصم الظهور فقال:
 ٥ (من وحتى) أى من أن' أفعل بهم من الإكرام بدخول الجنة وغيرها
 فعل الراحم؛ وكرر الإشارة تفخيما للأمر فقال: (و اولئك) أى
 الذين ليس بعد بعدهم بعد، و تهكم بهم فى التعبير بلام الملك التى يغلب
 استعمالها فى المحجوب فقال: (لهم عذاب اليم) / أى مؤلم بالغ لإيلامه
 فى الدنيا والآخرة.

/ ٧٣

١٠ ولما ختم سبحانه هذه الجملة الاعترافية بما ابتدأها به وبما ختم
 به ما قبلها من كلام الخليل عليه الصلاة والسلام، وزاد هذا ما ترى
 من التهديد الشديد، شرع فى إكمال قصته عليه الصلاة والسلام دالا على
 أنه لا أحد يعجزه، ولا يقدر على نصر أحد من عذابه الأليم، مشيرا
 إلى أنهم سييوا^١ عن قوله ضد ما يقتضيه إيدانا بالعناد، والإصرار على
 ١٥ سوء الاعتقاد، فقال: (فما كان جواب قومه) أى الذين يرجى قبولهم

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: الايام (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
 بأسهم (٣) كذا، وفى ظ و مد: لعاب وربما يكون «لعاة» (٤) سقط من ظ
 و مد (٥) زيد فى الأصل: لهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦) فى ظ
 و مد: بعد (٧) فى ظ: الجمل (٨) فى ظ و مد: بداها (٩-٩) سقط ما بين الرقين
 من ظ و مد (١٠) فى مد: يشيوا (١١) فى ظ و مد: بالعناد.

لصحة علمنا منهم بوفور شفقتة و عظم ' أماته و نصيخته (الآن قالوا) بأعظم فظاظة ' (اقلوه) أى بالسيف (او حرقوه) أى بالنار .
 و لما استقر رأى الجميع على هذا الثانى ، و لم يكن له فيهم نصير ، أشار إليه سبحانه بقوله ناسقاه على ما تقديره : [فأبى المعظم القتل لانه عذاب مألوف لمن يستحقه ^٢ من المجرمين ، و هو قد عمل عملة مفردة فى هـ الدهر فالذى ينبغى أن يخص العذاب عليها بعذاب لم يعهد مثله و هو الإحراق على هيئة غريبة ، فرجعوا عن القتل و استقر رأبهم على الإحراق -]
 فجمعوا له خطابا إلى أن ملاء ما بين الجبال ، و أضرموا فيه النار حتى أحرقت ما دنا منها بعظيم الاشتعال ، و قذفوه فيها بالمنجنيق (فأنجمه الله) بما له من كمال العظمة إنجاء و حيا^٣ من غير احتياج إلى تدرج (من النار)^٤ ١٠
 أى من إحراقها و أذاها ، و نفعته بأن أحرقت و ثابته .

و لما اشتملت قصته بهذا السياق على دلائل و اضحات ، و أمور معجزات ، عظم أمرها سبحانه بقوله مؤكدا لمزيد التنويه بذكرها ، و تنزيلا لهم فى توقفهم عما دعت إليه الآيات الظاهرة من الإيمان منزلة المنكر لها :
 (ان فى ذلك) أى ما ذكر من أمره و ما خللت به قصته من الحكم ١٥
 (لايت) أى براهين قاطعة و الدلالة على جميع أمر الله من تصرفه فى الأعيان و المعانى . لكون النار لم تحرقه و أحرقت و ثابته و كل ما

(١) فى ظ و مد : بعظيم (٢) من ظ و مد . وفى الأصل : فظاعة (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : حيا (٦) فى ظ و مد : بمنزلة .

مر عليها^١ من طائر، و مع رؤية ذلك لم يؤمنوا و لم يقدرُوا على ضرره
بشيء غير ذلك .

و لما كان ما للشيء إنما هو في الحقيقة ما ينفعه، و كان قد حجبا
سبحانه بالشهوات و الحظوظ الشاغلة^٢ عن استعمال نور العقل، قال:
﴿لقوم يؤمنون﴾^٥ أي يقبلون على استعمال نور العقل الذي وهبموه الله
فيصدقون بالغيب حتى صار الإيمان - بكثرة ما وصلوا مرآئ قلوبهم
بالنظر في أسبابه^٦ - لهم خلقا بحيث أنهم في كل لحظة يحددون الترقى
في مراتبه، و التنقل^٧ في أخيبته و مضاربه .

و لما تقدم سلبه النفع عن هذه الأوثان، أشار هنا إلى نفع يعقب
١٠ من الضر ما لا نسبة له منه . فليس حيثئذ بنفع، فقال تعالى: ﴿وقال﴾
أي إبراهيم عليه الصلاة و السلام غير هائب لتهديهم بقتل و لا غيره،
مؤكدًا لأجل ما أشار إليه مما ينكرونه من ضعف شركائهم و عجزها:
﴿انما اتخذتم﴾ أي أخذتم باصطناع و تكلف . و أشار إلى عظمة الخالق
و علو شأنه بقوله: ﴿من دون الله﴾ أي الذي كل شيء تحت قهره،
١٥ و لا كلفة - في اعتقاد كونه ربا - باحتياج إلى مقدمة جعل و صنعة^٨
و لا غير ذلك،^٩ و قال^{١٠}: ﴿اوثانًا لا﴾ إشارة إلى تكثيرها^{١١} الذي هو مناف^{١٢}

(١) في ظ و مد: عليه (٢) من ظ و مد: وفي الأصل: الشاغلة (٣) في ظ:
خلقًا (٤) في ظ: الثقل، و في مد: النقل (٥) من ظ، و في الأصل: صفة،
و في مد: صيغة (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) في ظ و مد: فقال (٨-٨) من
ظ، و في الأصل: إلى ما هو مناف، و في مد: المناف .

لرتبة الإلهية؛ وأشار إلى ذلك النفع بقوله: ﴿مودة﴾ أى لأجل مودة - عند من نصب سواء ترك التنوين وهم حمزة وحفص عن عاصم وروح عن يعقوب أو نون وهم الباقون^١ ﴿بينكم﴾ / من خفضه على الاتساع ورفع "مودة" وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب^٢ كان المعنى: هي مودة البين الجامع لكم بمعنى مودتكم على وجه أبلغ، لأن ه المودة إذا كانت لبين جامع الناس^٣ كانت لأولئك الناس بطريق الأولى، ومن خفضه ونصبها وهم حمزة وحفص عن عاصم وروح عن يعقوب فالمعنى: لأجل المودة، ومن نصبها ونون وهم نافع وابن عامر وأبو جعفر وشعبة فالبين عنده ظرف ﴿في الحياة الدنيا﴾ بالاجتماع عندهما والتواصل في أمرها بالتناصر^٤ والتعاقد كما يتفق ناس على مذهب ١٠ فيكون ذلك سبب تصادقهم، وهذا دال على أن جمع^٥ الفسوق لأهل الدنيا هو العادة المستمرة، وأن الحب في الله والاجتماع له عزيز جدا، لما فيه من قطع علائق الدنيا وشهواتها التي زينت للناس، بما^٦ فيها من الإلباس، وعظيم البأس.

ولما أشار إلى هذا النفع الذي هو في الحقيقة ضر، ذكر ما يعقبه ١٥ من الضر^٧ البالغ، فقال معبرا^٨ بأداة البعد^٩ إشارة إلى عظيم ذلك اليوم،

(١) راجع نثر المرجان ٥/٢٢٧ و ٢٢٨ (٢) في ظ و مد: للناس (٣) في ظ و مد «و» (٤) في ظ: بالناصر، والكلمة ساقطة من مد (٥) في ظ و مد: جميع. (٦) في مد: العبادة (٧) في ظ و مد: على ما (٨) في ظ و مد: الضرر (٩-٩) في مد: الأداة البعدية.

و إلى أنه جعل لهم في الحياة أمدا يمكنهم فيه ' السعى للتوفى ' من شر ذلك اليوم : (ثم يوم القيمة) ساقه مساق ما لانزاع فيه لما قام عليه من الأدلة (يكفر بعضكم ببعض) فينكر^٢ كل منهم ' محاسن أخيه ، و يتبرأ منه يلعن الاتباع القادة ، و لعن^٥ القادة الاتباع ، و تنكرون كلكم عبادة الأوثان تارة إذا تحققتم أنها لا ضرر^٦ ولا نفع لها ، و تقرون بها أخرى طالين نصرتها راجين منفعتها ، و تنكر الأوثان عبادتكم و تجمد منفعتم (و يلعن بعضكم بعضا) على ما ذكر (و ماونكم) جميعا أنتم و الأوثان (النار) تزيد في عذابكم و يزداد بغضكم لها (و ما لكم) و أعرق في النفي فقال : (من نصرين قلا) أصلا يحمونكم منها ، و يدخل ١٠ في هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصي أو البطالة على الرذائل ليعدوه^٧ حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات ، أو^٨ خوفا من أن يصفوه بكثافة الطبع و سوء الصحة ، و لقد عم هذا لعمرى أهل الزمان ليوصفوا بموافاة^٩ [الإخوان و مضافة -^{١٠}] الخلان ، معرضين عن رضى الملك الديان .

١٥ و لما كان في سياق الابتلاء ، و ذكر من الأنبياء من طال ابتلاؤه ،

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : في (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : المتوفى .
 (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : فيذكر (٤) في ظ و مد : منكم (٥) من مد ،
 وفي الأصل و ظ : يلعن (٦ - ٦) في ظ و مد : ضر (٧) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : ليعدوه ، وفي ظ : ليعيدوه (٨) في مد « و » (٩) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : بموافاة (١٠) زيد من مد .

بين أنه لم يكن لهم من أهمهم^١ تابع يقدر على نصرهم ، وأن الله سبحانه
تولى كفايتهم فلم يقدر واحد على إهلاكهم ، و أهلك أعداءهم ، فلم يكن
لهم^٢ من ناصرين فقال : ﴿ فإمن له ﴾ أى لأجل دعائه له مع ما رأى
من الآيات ﴿ لوط ٢ ﴾ أى ابن أخيه هاران^٣ وحده ، وهو أول من صدقه
من الرجال ﴿ وقال ﴾ أى إبراهيم عليها الصلاة والسلام مؤكدا لما هو
جدير بالإنكار من الهجرة لصعوبتها : ﴿ انى مهاجر ﴾ أى خارج من
أرضي وعشيرتي على وجه الهجر لهم فنتقل ومنجاز ﴿ الى ربى ﴾ أى إلى
أرض ليس بها أنيس ولا عشير ، ولا من ترجى نصرته ، ولا من تنفع
مودته ، فيثبذ يتبين^٤ الرضى بالله وحده ، والاعتماد عليه دون ما سواه ،
فهاجر^٥ من كوثي^٦ من سواد الكوفة إلى حران^٧ ثم منها إلى الأرض
المقدسة ، فكانت له هجرتان . وهو أول من هاجر في الله ، قال مقاتل^٨ :
وكان^٩ إذ ذاك ابن^{١٠} خمس / و سبعين سنة . ثم علل ذلك بما يسليه عن
فراق أرضه وأهل وده من ذوى رحمه وأنسابه وأولى قربه ، فقال مؤكدا
تسكيننا لمن عساه يتبعه و تهوينا عليه الفراق ما ألفت النفوس من أنه

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) فى مد : ماران ، و الصواب ما
فى الأصل و ظ إذ ورد فى روح المعاني ٦ / ٤٠٦ : و لوط على ما فى جامع
الأصول ابن أخيه هاران بن تارح (٣) فى مد : بين (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين
من مد (٥) فى ظ و مد : حرارة (٦) فى ظ و مد : و قال (٧) راجع معالم
التنزيل بهامش الباب ٥ / ١٥٩ (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ادارك
اثن - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبعون .

لا عز إلا به من العشائر و الأموال و المعارف : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده
 ﴿ العزيز ﴾ أى فهو جدير باعزاز من انقطع إليه ﴿ الحكيم ﴾ فهو إذا
 أعز أحدا منعه حكته من التعرض له باذلال ، بفعل أو مقال ، كما
 صنع بي حين أراد إدلالى من كان جدرا باعزازى من عشيرتى و أهل
 قري ، و بالغ فى أذى عن كان حقيقا بنفعى من ذوى رحى و حى .
 و لما كان التقدير : فأعزناه كما ظن بنا إعزازا أحكمناه حتى استمر
 فى عقبه إلى القيامة ، عطف عليه قوله : ﴿ و هبنا له ﴾ أى بجليل قدرتنا
 شكرا على هجرته ﴿ اسحق ﴾ من زوجته سارة عليها السلام التى جمعت
 إلى العقم فى شبابها اليأس بكبرها ، و عطفه لهبته له بالواو دليل على
 ١٠ ما سيأتى إن شاء الله تعالى فى الصفات من أن الذبيح إسماعيل عليه
 الصلاة و السلام لتعقيبه للهبة هناك على الهجرة بالفاء ﴿ و يعقوب ﴾
 من ولده إسحاق عليهما الصلاة و السلام .

و لما كان السياق فى هذه السورة الامتحان ، و كان إبراهيم عليه
 الصلاة و السلام قد ابتلى فى إسماعيل عليه الصلاة و السلام بفرافقه مع
 ١١ أمه رضى الله عنهما . وضعهما فى قضبة من الأرض لا أنيس بها ،
 لم يذكره تصريحاً فى سياق الامتحان . و أفرد إسحاق عليه الصلاة و السلام
 لانه لم يتل فيه شىء من ذلك ، و لأن لفته به - ' تكون أمه ' عجوزا
 و عقيا - اكبر' و اعظم لأنها ' أعجب ، و ذكر إسماعيل عليه الصلاة

(١) راجع آية ١٠٠ (٢-٢) سقط ما بين الرهين من ظ و مد (٣) كذا . و ليس
 واضحاً فى (٤-٤) فى مد : لأن أمه كانت (ه) فى ظ : أكثر (٦) فى ظ و مد :
 لأنه . ٤٢٦ . و السلام

و السلام تلويحا في قوله: ﴿ وجعلنا ﴾ أى بعزتنا و حكمتنا ﴿ في ذريته ﴾ من ولد إسحاق وإسماعيل عليهما الصلاة و السلام ﴿ النبوة ﴾ فلم يكن بعده بى أجنبي عنه، و متى صحت هذه المناسبة لزم قطعا أن يكون الذبيح إسما عيل عليه الصلاة و السلام فانه أعرى ذكر هذه السورة منه، و يكون كأنه قيل: إنا بشرناه بما يسر [به - ١] من إسحاق بعد أن أمرناه بما ه يضر^٢ من إسماعيل عليهما السلام فصبّر^٣ في محنة الضراء، و شكر في محنة السراء ﴿ و الكتب ﴾ فلم ينزل كتاب إلا على أولاده، و أفرد له ليدل - مع تناوله بالجنسية الكتب الأربعة - على أنه لا شيء يستحق أن يكتب إلا ما أنزل فيها، أو كان راجعا إليه، و لو جمع لم يفد هذا المعنى ﴿ و آتيته اجره ﴾ على هجرته ﴿ في الدنيا ﴾ بما خصصناه به بما لا يقدر ١٠ عليه غيرنا من سعة الرزق، و رغد العيش، و كثرة الخدم، و الولد فى الشيخوخة، و كثرة النسل. و الثناء الحسن، و المحبة من جميع الخلق، و غير ذلك.

و لما كان الكافر يعتقد - لإنكاره البعث - انه نكد حياته بالهجرة نكدًا لا تدارك له، اقتضى الخال التأكيد فى قوله: ﴿ و انه فى الآخرة ﴾ ١٥ أى التى هى الدار و موضع الاستقرار ﴿ لمن الصالحين ه ﴾ الذين خصصناهم بالسعادة و جعلنا لهم الحسنى و زيادة.

و لما كان - كما مضى - السياق للابتلاء، خص بالبسط فى القص

(١) ريد من م (٢) فى ظ و مد: بصير (س) من مد، و فى الأصل رظ: بصير.

(٤) من مد، و فى الأصل رظ « و ».

من لم يكن له ناصر من قومه، أو كان غريبا منها، ولذلك أتبع الخليل عليه الصلاة والسلام ابن أخيه الذي أرسله الله إلى أهل سدوم: / ناس لا قرابة له فيهم ولا عشيرة، فقال: ﴿ولو طأ﴾ أي أرسلناه، وأشار إلى إسرعه في الامتثال بقوله: ﴿اذ﴾ أي وأرسلناه حين ﴿قال لقومه﴾ أهل سدوم الذين سكن فيهم وصاهرهم، وانقطع إليهم فصاروا قومه، حين فارق عمه إبراهيم الخليل عليها الصلاة والسلام، منكرا بما رأى من حالهم، وقبيح فعالهم، مؤكدا له إشارة إلى أنه - مع كونه يرويه من أعرف المعارف - جدير بأن ينكر: ﴿انك لتاتون فاحشة ذك﴾ [أى - ٧] المجاوزة للحد في القبح، فكانها لذلك لا فاحشة غيرها. ١٠ ثم علل كونها فاحشة استئنافا بقوله: ﴿ما سبقكم﴾ أو هي حال مينة لعظيم جرأتهم على المنكر، أى غير مسبوقين ﴿بها﴾ وأعرق في النفي بقوله: ﴿من احد﴾ وزاد بقوله: ﴿من الغلبين ه﴾ أى كلهم فضلا عن خصوص الناس؛ ثم كرر الإنكار تأكيدا "لتجاوز قبحها" الذى ينكرونه فقال: ﴿انكم لتاتون الرجال﴾ إتيان الشهوة، وعطف عليها ١٥ ما ضموه إليها من المناكر، بيانا لاستحقاق الذم من وجوه. فأوجب حالهم ظن أنهم وصلوا من الخبث إلى حد "لا مطمع" في الرجوع عنه مع

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: سيدوم (٢) في ظ و مد: توبة (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: قال (٤) في ظ: صاهرهم (٥) في ظ و مد: كونهم. (٦) في ظ و مد: ان (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: «و» (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١١) في الأصل: تجاوز حدودها، وفي ظ و مد: لمجاوزة قبحها (١١-١٢) من ظ و مد، وفي الأصل: لم يطمع.

ملازمته لدعاتهم من غير ملل ولا ضجر، قال: (و تقطعون السيل لا) أي 'بأذى الجلايين' و المارة .

و لما خص هذين الفاسدين ، عم دالا على المجاهرة فقال :
 (و تاتون في ناديكم) أي المكان الذي تجلسون فيه للتحدث بحيث
 يسمع بعضكم نداء بعض من مجلس المؤانسة ، وهو ناد ما دام القوم فيه ،
 فاذا قاموا عنه لم يسم بذلك (المنكر) أي هذا الجنس ، وهو ما تنكره
 الشرائع و المروءات و العقول ، لاتحاشون عن شيء منه في المجتمع الذي
 يتحاشى فيه الإنسان من فعل خلاف الأولى ، من غير أن يستحي بعضكم
 من بعض ؛ و دل على عنادهم بقوله مسييا عن هذه النصائح بالنهي عن
 تلك الفصائح : (فما كان جواب قومه) أي الذين فيهم قوة و نجدة .
 بحيث يخشى شرم ، و يتقى أذاهم و ضرهم ، لما أنكر عليهم ما أنكر
 (إلا ان قالوا) عنادا و جهلا و استهزاء : (اتتنا بعذاب الله) و عبروا
 بالاسم الأعظم زيادة في الجرأة . و لما كان الإنكار ملزوما للوعيد
 بأمر صار قالوا : (ان كنت) أي كونا متمكنا (من الصدقين)
 أي في وعيدك و إرسالك ، إلهابا و تهيجا .

١٥

و لما كان كأنه قيل : بهم أجابهم ؟ قيل : (قال) أي لوط عليه
 الصلاة و السلام معرضا عنهم ، مقبلا بكتبه على المحسن إليه : (رب)

(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : بأيدي الخلايين (٢) كما ذكره في لسان
 العرب - راجع مادة [ندى] (٣) في ظ و مد : الفصائح (٤) من ظ و مد ،
 و في الأصل : لا يخشى (٥) في ظ و مد : ثم .

ولما لم يبق^١ بعد هذا إلا خبر الرسل مع لوط عليه الصلاة والسلام، قال عاطفا على ما تقدیره: ثم فارقه^٢ ومضوا إلى المدينة التي فيها لوط عليه السلام، مفهباً بالعدول عن الفاء إلى الواو أن بين المكانين [بعدا -^٣]: (ولمّا) وأثبت [ما صورته صورة -^٤] الحرف المصدرى لما اقتضاه مقصود السورة، وأكثر سياقاتها بين التسليك في مقام الامتحان والاجتهاد في النهي عن المنكر، [ولذا ذكر هنا في قصة إبراهيم عليه السلام القتل والإحراق، واتمت بشراه باهلاك القرية الظالمة -^٥]، فقال^٦: (ان جاءت رسلنا) أي المعظمون بنا (لوطاً) بيانا لانه (سبيء) أي حصلت له المساءة (بهم) أول^٧ أوقات مجيئهم إليه وحين قدومهم عليه، فاجآته المساءة من غير ريب لما رأى من حسن أشكالم، وخاف من تعرض قومه لهم، وهو يظن أنهم من الناس، وذلك أن [أن -^٨] في مثل هذا^٩ صلة [وإن كان أصلها المصدر -^{١٠}] لتؤكد^{١١} وجود الفعلين مرتبا وجود أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: لم يبين (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: فارقوا (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: معها (٤) زيد بعده في الأصل: ما، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فخذفناها (٥) في ظ ومد: الكاذبين - كذا. (٦) زيد من ظ ومد (٧) في ظ ومد: قال (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: المعلوم (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: لهم (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: أي (١١) زيد من مد (١٢) من ظ ومد، وفي الأصل: هذه. (١٣) من مد، وفي الأصل وظ: تؤكد.

[فانها وجدا -^١] في جزء واحد من الزمان، [قال ابن هشام في المغني ما معناه أن علة ذلك أن الزائد يؤكد معنى ما جرى به لتأكيده، ولما تقيد وقوع الفعل الثاني عقيب الأول وترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك -^٢]. (وضاق بهم) أي بأعمال الحيلة في الدفع عنهم (ذرعاً) أي ذرعة طاقته^٣ كما بين / وأشبع القول فيه في سورة هود عليه السلام، ه / ٧٨ / والأصل في ذلك أن من طالت ذراعه نال ما لا يتاله قصرها، فضرب مثلاً في العجز والقدرة، وذلك أنهم أتوه في صورة مردان ملاح جداً، وقد علم أمر أهل القرية في [مثل -^٢] ذلك ولم يعلم أنهم رسل الله . ولما كان التقدير: فقالوا له: يا لوط! إنا رسل ربك، خفض عليك من هذا الضيق الذي نراه بك فانا^٤ ما أرسلنا إلا لإهلاكهم، ١٠ عطف عليه قوله: (وقالوا) أي لما رأوا ما لقي في^٥ أمرهم: (لا تخف) [أي -^٢] من أن يصلوا إلينا [أو -^٢] من أن تهلك أنت أو أحد من أهل طاعتك (ولا تخزن قلب) أي على أحد بمن^٦ نهلكه فانه ليس^٥ في أحد منهم خير يوسف عليهم بسية؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين في التأكيد الاغناء به عن جمل طوال، إشارة إلى أن الوقت أرق فهو ١٥ لا يحتمل التطويل: (أنا منجوك) أي مبالغون في إجمائك (واهلك) أي ومهلكوا أهل [هذه -^٢] القرية، فلا يقع^٨ في ضميرك أنهم يصلون

(١) زيد من ظ ومد إلا أن في مذ «واحد» مكان «وجدا» (٢) زيد من ظ ومد (٣-٣) في ظ: ذرعه أي طاقته (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: قصرهما . (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: فانا (٦) في ظ ومد: من (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: بما (٨) في مد: فلا يكن .

إلينا ، وقالوا : ﴿ الا امراتك ﴾ تنصيحا على كل فرد منهم سواها ؛
ثم دلوا على هلاكها بقولهم جوابا لمن كأنه قال : ما لها ؟ قليل ؛
﴿ كانت من الغبرين ه ﴾ أى كأن [هذا - ه] الحكم فى أصل خلقتها .
ولما أفهمت العبارة كما مضى إهلاكهم ، صرحوا به فقالوا معنيين
نوعه ، معلنين لما أخبروه به ، مؤكدين إعلاما بأن الأمر قد فرغ منه
قطعا لأن يشفع فيهم ، جريا على عادة الأنبياء فى الشفقة على أمهم :
﴿ انا منزلون ﴾ أى لا محالة ﴿ على اهل هذه القرية رجزا ﴾ أى عذابا
يكون فيه اضطراب شديد يضرب منه من أصابه كائنا من كان
﴿ من السماء ﴾ فهو عظيم وقعه ، شديد صدعه ﴿ بما كانوا ﴾ أى كونا
١٠ راسخا ﴿ يفسقون ه ﴾ أى يخرجون فى كل وقت من دائرة العقل والحياء .
ولما كان التقدير : ففعلت رسلنا ما وعدوه به من إنجائه
وإهلاكه جيع قراهم ، وتركناها ، كأن لم يسكن بها أحد قط ،
عطف عليه قوله مؤكدا إشارة إلى فضيلة المخاطبين بهذه القصة من العرب
وغيرهم ، و أنه ليس بينهم وبين الهدى إلا تفكرهم فى أمرهم مع
(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : نفسا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) سقط
من مد (٤) زيد من مد (٥ - ٥) فى ظ : اصل خلقها ، وفى مد : الأصل خلقها .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : إهلاكه (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ
و مد : يضرب (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : صرعه (١٠) فى مد : يكسبون .
(١١) فى ظ و مد : الفعل (١٢-١٢) فى ظ : فإهلاك (١٣) فى مد : قتراها
(١٤ - ١٤) فى ظ و مد : لم يسكنها (١٥ - ١٥) من ظ و مد ، وفى الأصل :
غفلتهم (١٦-١٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان لا تفكروا - كذا .

الانخلاع من الهوى: ﴿ ولقد تركنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ منها ﴾ أي من تلك القرية^١ ﴿ آية ﴾ أي علامة على قدرتنا على كل ما نريد ﴿ بينه ﴾ وهو الماء الأسود المنن الذي غمر قراهم كلها بعد الحسف بها وهو مابين^٢ لجميع مياه الأرض لكونه ماء السخط لمن^٣ باينوا بفعلهم الخلق مع اشتهاه كونه على الحسف .

ولما كان سبحانه قد حجب عن الأبصار كثيرا من الناس قال : ﴿ لقوم يعقلون ﴾ فعد [من^٤] لم يستبصر بها غير عاقل ولا شاعر بأنها آية ولا فيه أهلية القيام بما يريد^٥ .

ولما كان [السياق -^٦] لإثبات^٦ يوم الدين وإهلاك الفسدين ،

ولمن^٧ طال ابتلاؤه من الصالحين ولم يجد له ناصرا من قومه ، إما ١٠ لغرته عنهم ، وإما لقله عشيرته وعدم^٨ أتباعه ، وكان شعيب عليه السلام ممن استضعفه قومه^٩ واستقلوا عشيرته لتسميتهم^{١٠} لهم رهطا ، والرط ما

دون العشرة أر من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة / نفر ، فكان^{١١} عليه السلام كذلك في هذا العدد ، عقب قصة لوط بقصته

عليه الصلاة والسلام [فقال -^{١٢}] : ﴿ والي ﴾ أي ولقد أرسلنا إلى ١٥

(١) في ظ و مد : القرى (٢) سقط من مد (٣) في ظ و مد : باين (٤) في مد : يكونه (٥) في ظ و مد : على من (٦) زيد من ظ و مد (٧) في مد : نريد (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : باثبات (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : لما (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : قلة (١١) -قط من ظ و مد (١٢) في مد : لتسميته . (١٣) في ظ و مد : كان (١٤) زيد نظرا إلى السياق السائد في هذا الكتاب .

(مدین اخام) أى من النسب و البلد^١ (شعيا) .

[و لما كان مقصود السورة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير قرة، عبر بالفاء فقال -^٢]: (فقال) أى قسب عن إرساله و تعقبه أن قال: (يقوم اعبدوا الله) أى الملك الاعلى وحده،
 ٥ ولا تشركوا به شيئا، فان العبادة التى فيها شرك عدم، لان الله تعالى اغنى الشركاء^٣ فهو لا يقبل إلا ما كان [له -^٤] خالصا .

و لما كان السياق لإقامة الأدلة على البعث الذى هو من مقاصد السورة قال: (وارجوا اليوم الآخر) أى حسن الجزاء فيه لتفعلوا ما يليق بذلك (ولا تتشوا فى الارض) حال كونكم (مفسدين^٥)
 ١٠ أى متعمدين الفساد .

و لما تسبب عن هذا النصح و تعقبه [تكذيبهم قسب عنه و تعقبه -^٦]
 إهلاكهم، تحقيقا لأن أهل السيات لا يسبقون قال: (فكذبوه فاخذتهم)
 أى لذلك أخذ قهر و غلبة (الرجفة) أى الصيحة التى زلزلت بهم فأهلكتهم (فاصبحوا فى دارهم) أى محالهم^٧ التى كانت دائرة بهم
 ١٥ و كانوا يدورون فيها (إجشمن^٨) أى واقعين على صدورهم، لازمين مكانا واحدا، لا يقدررون على حركة أصلا، لأنه لا أرواح لهم .

و لما كان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الامم بعضا فى الخير والشر على نسق، و الجرى بهم فى إهلاك المكذبين

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الولد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: الشرك (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مخالفتهم .

وإنجاء المصدقين طبقاً عن طبق . وكان إهلاك عاد و ثمود - لما اشتهروا به من قوة الأبدان ، و متانة الأركان - في غاية القرابة^١ ، و كان معنى ختام قصة مدين : فأهلكناهم ، عطف على ذلك المعنى قوله : ﴿ و عاداً ﴾ أى و أهلكتنا أيضاً عاداً ﴿ و ثموداً ﴾ مع ما كانوا فيه من العتو ، و التكبر و العلو ﴿ و قد تبين لكم ﴾ أى ظهر بنفسه غايبة الظهور أيها العرب ٥ أمرهم ﴿ من مسكنهم ﴾ أى ما وصف من هلاكهم^٢ ، و ما^٣ كانوا فيه من شدة الأجسام ، و سعة الأحلام ، و علو الاهتمام ، و ثقوب الأذهان ، و عظيم الشأن ، عند مروركم بتلك المساكن ، و نظركم إليها في ضربكم^٤ في التجارة إلى الشام ، فصرفوا أفكارهم في الإقبال على الاستمتاع بالعرض الفانى من هذه الدنيا ، فأملوا بعيداً ، و بنوا شديداً ، و لم يفطن عنهم شئ^٥ . ١٠ من ذلك شيئاً من أمراقه ﴿ و زين لهم ﴾ في غاية التزيين ﴿ الشيطان ﴾ أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ، بقوة احتياله ، و محبوب ضلاله و محاله ﴿ أعمالهم ﴾ أى الفاسدة . فأقبلوا بكليتهم عليها^٦ مع العدو المبين ، و أعرضوا عن الهداة الناصحين .

و لما تسبب عن هذا^٧ التزيين منعهم لعام^٨ عن انصراف المستقيم ١٥ قال : ﴿ فصدتم عن السبيل ﴾ أى منعهم عن سلوك الطريق الذى لا طريق إلا هو ، لكونه يوصل إلى النجاة ، و غيره يوصل إلى الهلاك^٩ ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرابة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلاكهم - كذا خطأ (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقبتين من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦-٦) فى مد : همهم .

فهو عدم بل العدم خير منه . ولما كان ذلك ربما ظن أنه لفرط غباوتهم
قال : (وكانوا) أى فعل بهم الشيطان ما فعل من الإغواء و الحال
أنهم كانوا كونا^٢ هم فيه^٣ فى غاية التمكن (مستبصرين لا) أى معدودين
بين الناس من البصراء العقلاء جدا لما فاقوهم^٤ به عما يعلمون^٥ من ظاهر
الحياة الدنيا ، ولم يسبقونا ، بل أوقعتناهم بعملهم السيئات فيما أردنا من
أنواع الهلكات ، فاحذروا مثل مصارعهم فانكم لا تشابهونهم^٦ فى القوة ،
ولا تقاربونهم فى العقول .

١٨٠ / ولما كان فرعون و من ذكر معه من العتو بمكان لا يخفى ، / لما أوتوا^٧
من القوة بالأموال و الرجال قال : (وقارون) أى أهلكناه^٨ و قومه
١٠ لأن وقوعه فى أسباب الهلاك أعجب ، لكونه من بنى إسرائيل ، و لأنه
ابتلى بالمال و العلم ، فكان ذلك [سبب إعجابه ، فتكبر على موسى و هارون
عليهما السلام فكان ذلك -^٩] سبب هلاكه (و فرعون و هانئ^{١٠}) و وزيره
الذى أوقد له على الطين ، فلا هو نجما^{١١} " أو لا كان^{١٢} " رأسا فى الكفر ، بل
باع سعادته بكونه^{١٣} ذنبا لغيره .

١٥ / ولما كان هلاكهم مع رؤية الآيات أعجب ، فكان جديرا بالإنكار ،
١٢ إشارة إلى أن رؤية الآيات جدرة بأن يلزم عنها الإيمان قال :

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من مد .
(٤) فى ظ : بوقهم ، وفى مد : توهم (٥) فى ظ و مد : يعملون (٦) من مد ،
وفى الأصل و ظ : لانعشرونهم (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : اتوا (٨) فى ظ :
اهلكناهم (٩) زيد من ظ و مد (١٠ - ١١) فى ظ : لان (١١) من ظ و مد ،
وفى الأصل : لكونه (١٢) زيدت الواو فى ظ و مد .

(ولقد جاءهم موسى بالبينت) أى التى لم تدع لبسا قسيبوا^١ عما يقتضيه من الاستبصار الاستكبار^٢ (فاستكبروا) أى طلبوا أن يكونوا أكبر من كل كبير بأن كانت أفعالهم أفعال من يطلب ذلك (فى الارض) بعد مجيء موسى عليه الصلاة والسلام إليهم [أكثر - ٩] عما كانوا قبله .

ولما كان من يتكبر - وهو عالم بأنه مأخوذ - أشد لوما ممن هـ
 يجهل^٥ ذلك قال : (وما كانوا) أى الذين ذكروا هذا كلهم ،^٦ كونا ما^١ (سبقين بـ) أى فاتين ما^٢ نريدن ، بأن يخرجوا من قبضتنا ، بل هم فى القبضة كما ذكرنا أول السورة وهم عالمون بذلك (وكلا) أى قسب عن تكذيبهم وعصيانهم أن كلا منهم (اخذنا) أى بما لنا من العظمة (بذبح ج) أخذ عقوبة ليعلم أنه لا أحد يعجزنا^{١٠} (فمنهم من ارسلنا عليه ج) إرسال عذاب ياله من عذاب ا (حاصبا) أى ربحا ترمى لقوة عصفها وشدة قصعها بالحجارة كعاد وقوم لوط (ومنهم من اخذته) اخذ هلاك و غضب و عذاب ، [وعدل عن أسلوب العظمة ثلا يوم الإسناد فى هذه إليه صوتا^{١١} ليقع فى مصيبة التشبيه - ٩] (الصيحة ج) التى تظهر شدتها^{١١} لربح الحاملة لها الموافقة^{١٥}

(١) من ظ ومد و القرآن الكريم ، وفى الأصل : و (٢) من مد . وفى الأصل و ظ : فـ يـ و ا م ا زيد فى الأصل : قال . ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحدفاها (٤) اريد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : يشهد . (٦-٦) فى مد : ما كانوا (٧-٧) فى ظ و مد : كائنين ، أن (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى مد : احد (١٠) من مد ، وفى ظ : قوتا (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من مد .

لقصدهما^١ فترجف لعظمتها الأرض كمدين و تمود (و منهم من)
 [و أعاد أسلوب العظمة^٢ الماضي لسلامته من الإيهام المذكور في الصيحة
 و للتنبيه على أنه لا يقدر عليه غير الله سبحانه فقيه من الدلالة على
 عظمته ما يقصر عنه الوصف فقال -^٣]: (خسفنا به الأرض ج) بأن^٤
 ٥ غيبناه فيها كفقارون و جماعته (و منهم من اغرقناه ج) بالغمر في الماء
 كقوم نوح و فرعون و جنوده، و عذاب قوم لوط صالح للعد في
 الإغراق و العد في الخسف، فتارة نهلك بريح تقذف بالحجارة من السماء
 كقوم لوط، أو من الأرض كعاد، و أخرى بريح^٥ تفرع بالصرخة
 الأسماع فيزلزل^٦ القلوب و البقاع، و مرة نبيد^٧ بالغمس في الكيف^٨
 ١٠ و كرة^٩ بالغمر في اللطيف - فنه در الناظرين في هذه الأوامر النافذة،
 و المنفكرين^{١٠} في هذه الأفضية الماضية، ليعلموا حقيقة قوله "و ما أنتم
 بمعجزين في الأرض و لا في السماء" - [الآية -^٢].

و لما كان ذلك ربما جر لأهل التعنت شيئاً مما اعتادوه في^١ عنادهم
 قال: (و ما كان الله) أي الذي لا شيء من الجلال و الكمال إلا و هو
 ١٥ له (ليظلمهم) أي مريدا ليعاملهم^{١٠} معاملة الظالم الذي يعاقب من
 لا جرم له، أو من أجرم و لم يتقدم إليه بالنهي عن إجرامه ليكشف

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ و مد: اي (٤) من ظ
 و مد، وفي الأصل: فيتنزل (٥) في ظ و مد: يفسد (٦-٧) في ظ: بالكشف.
 (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: كثرت (٨) في ظ و مد: للمفكرين (٩) في
 ظ و مد: من (١٠ - ١٠) في ظ: اي مريدا ليعاملهم، وفي مد: تعالى الله ان
 يعاملهم.

فيسلم ، أو يتهادى فيهلك^١ لأنه^٢ لا تقع يصل إليه سبحانه من إهلاكهم ، ولا ضرر يلحقه عز شأنه من^٣ إبقائهم (ولكن كانوا) أي [م - ٤] لا غيرهم (انفسهم) لا غيرها (يظنون .) بارتكابهم^٥ ما أخبرناهم غير مرة أنه يفضنا و أنا نأخذ من فعله ، فلم يقبلوا النصح مع عجزهم ، ولا خافوا العقوبة على ضعفهم ، و أما ما عبده و رجوا نصره لهم^٥ و أملاه فأضغف منهم ، و لكون شيء منه لم يفن عن أحد منهم شيئاً فلم تحتل^٦ سنة الله في أولياته و أعدائه في قرن / من القرون [و لا عصر من العصور - ٧] ، بل جرت على أقوم نظام ، و أتقن إحكام ، وصل بذلك قوله تعالى على وجه الاستتاج^٨ : (مثل الذين) .

٨١ /

- و لما كان دعاء غير الله مخالفاً لقويم العقل ، و صريح النقل ، و سليم^{١٠} الفطرة^٩ [و صحيح الفكرة - ١] فكان ذلك^{١١} يحتاج إلى [تدرب على - ٤] الجلالة ، و تطبع في الكثافة ، قال : (اتخذوا) أي تكلفوا أن أخذوا . و لما كانت الرتب تحت رتبة سبحانه لا تحصى ، و كل الرتب^{١٢} دون رتبته^{١٣} ، قال [منها على ذلك بالجار - ٤] : (من دون الله) أي الذي لا كفؤ له ، فرضوا بالدون ، عوضاً عن لا تكيفه الأوهام و الظنون (أولياء)^{١٥}

(١) في ظ و مد : فيها (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : انه (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : عن (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : بما ارتكابهم (٦) سقط من ظ ، وفي مد : فله يختلف (٧) زيد من مد (٨) في ظ و مد : الاستفتاح (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : الفطر (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : لذلك (١١-١٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، وفي مد : و ان علت لا تداني .

ينصرونهم بزعمهم من معبودات وغيرها، في الضعف والوهى
 (كثل العنكبوت على) الدابة المعروفة ذات الأرجل الكثيرة الطوال؛
 ثم استأنف ذكر وجه الشبه وعبر عنها بالتأنيث وإن كانت تقال
 بالتذكير تعظيماً لضعفها، لأن المقام لضعف ما تبينه فقال: (أتخذت بيتاً)
 أي تكلفت أخذه في صنعها له ليقبها الردى، ويحيمها البلا، كما تكلف
 هؤلاء اصطناع^٢ أربابهم لينفعمهم، ويحفظوهم بزعمهم ويرفعوهم، فكان
 ذلك البيت مع تكلفها في أمره^٢، وتعبها الشديد في شأنه، في
 غاية الوهن.

ولما كان حالها في صنعها حال من ينكر وهنه^٢، قال مؤكداً:
 ١٠ (وان) [و-°] واوه للحال من ضمير - "أتخذت" أي والحال
 أنه أوهن^١ - هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر للتعميم فقال:
 (اوهن البيوت) أي أضعفها (لبيت العنكبوت^٢) التي عانت في حوكه^١
 ما عانت وقاست في نسجه^١ ما قاست، لأنه لا يكن من حر،
 ولا يصون من برد، ولا يحصن عن طالب، كذلك ما اتخذ هؤلاء من
 ١٥ هذه الأوثان، وهذا الدين الذي لا أصل له فهو^١ أوهن

(١) من مد وفي الأصل وظ : ليها (٢) من ظ ومد، وفي الأصل؛
 اصطناعهم (٣) من ظ ومد، وفي الأصل : امرها (٤) في ظ : وهنها (٥) زيد
 من ظ ومد (٦) من ظ ومد، وفي الأصل : وهن (٧) من مد، وفي
 الأصل : حركه، وفي ظ : حراه (٨) من ظ ومد، وفي الأصل : نسيه .
 (٩) زيد في الأصل : من . ولم تكن الزيادة في ظ ومد فخذناها .

الاديان 'وأهونها' (لو كانوا يعلمون هـ) أى لو كان لهم نوع ما من العلم لا تنفعوا به فعلوا أن هذا مثلهم ، فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله .
 و لما اتقى نفعهم بعلمهم ، صح نفيه ، فكانوا وإياها على حد سواء ،
 ليس لفرق بينهما^١ شيء مما^٢ نوى ، فإياها من صفقة خاسرة ، وتجارة كاسدة باثرة^٣ . و لما كان ضرب المثل للشيء لا يصح إلا من العالم بذلك الشيء ، هـ
 وكان النصير على شيء لا يمكن أن يتوجه إلى معارضته^٤ إلا إن كان يعلمه و يعلم مقدار قدرته^٥ ، و عدة جنوده . وصل بذلك أن هذا شأنه سبحانه و أن شركاءهم في غاية البعد عن ذلك ، فكيف يعلقون^٦ بنصرهم آمالهم ، و زاد ذلك حسنا تعقيه لنفى العلم عنهم ، فقال إشارة إلى جهلهم في إنكارهم أن يقدر أحد على إهلاك آلهتهم التى [هى -^٧] أرى الأشياء : ١٠
 (إن الله) [أى -^٨] الذى له صفات الكمال (يعلم) بما له من تلك الصفات (ما) أى الذى (يدعون) أى الذين ضرب لهم المثل ، أو أنتم - فى قراءة الفوقانية^٩ التفاتا إلى أسلوب الخطاب إيدانا بالغضب (من دونه) إشارة إلى سفول رتبته ، و أكد العموم بقوله : (من شيء^{١٠})
 أى سواء كان بجها أو صنما أو ملكا أو جنينا أو غيره ، وهم 'لا يعلمونه'^{١١} ١٥
 و لا يعلمون شيئا مما يتوصلون^{١٢} إليه ، فكيف يشفعون عنده أو ينصرون

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و مد . وفى الأصل : منها .

(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بأيدة

(٥) فى ظ : معاوضة (٦) زيد فى ظ : مقدار (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :

يعلقون (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذى (١٠) اراجع

نثر المرجان ٢٥١/هـ (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٢) من ظ و مد ،

وفى الأصل : يتوصلونه .

منه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وهو العزيز﴾ أي عز^١ أن يعله / شركاؤهم
 أو يحيط به أحد علما، أو يتمتع عليه شيء يريد؛ وجوزوا أن تكون
 'ما' نافية، أي شيئا يعتد به . ولما كان ذلك ربما أفهم أنه لا يعلم أصلا
 قال: ﴿الحكيم هـ﴾ أي البالغ العلم، الواضع كل شيء يريد في أكل
 مواضعه، فأبطن نفسه بكبريائه وجلاله حتى لا باطن سواه، وأظهرها
 بأفعاله وما كشف من جماله حتى لا ظاهر في الحقيقة غيره، وهو يغلب
 من شاء بعزته^٢، ويمهله إن شاء بحكمته، فلا يقتر أحد بامهاله فيظن^٣
 أنه لإمهاله .

ولما فرغ من مثلهم وما^٤ تتوقف صحته عليه، كان كأنه قيل
 ١٠ على وجه التعظيم لهذا المثل: هذا مثلهم، فطفت^٥ عليه قوله إشارة إلى
 أمثال القرآن كلها تعظيما لها وتنبها على جليل قدرها وعلى^٦ شأنها:
 ﴿وتلك الامثال﴾ أي العالية عن أن تنال بنوع احتيال؛ ثم استأنف قوله:
 ﴿نضربها﴾ بما لنا من العظمة، يانا ﴿للناس﴾ تصويرا للمعانى المعقولات
 بصور^٧ المحسوسات، لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها، [وهكذا -^٨]
 ١٥ حال التشبيهات كلها في طرق للافهام إلى المعانى المحتجبة في الاستار،
 تبرزها وتكشف عنها وتصورها .

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: عز (٢) من مد، وفي الأصل وظ: يكون.
 (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: بقدرة (٤) في ظ: يظن (٥) في ظ: ما.
 (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: بهذا (٧) في ظ: عطف (٨) في ظ: علو.
 (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: تصوير (١٠) زيد من ظ و مد.

ولما كانوا يتهمون بما رأوه^١ من الأمثال المذكورا به الذباب
و البعوض و نحوهما قال بجملاهم : ﴿ وما يعقلها ﴾ أى حق عقلها
فيتنفع بها ﴿ الا العالمون ﴾ أى الذين هبتوا للعلم و جعل طبعاهم بما
بث^٢ فى قلوبهم من أنواره . و أشرق فى صدورهم من أسراره ، فهم^٣
يضعون الأشياء مواضعها ؛ روى الحرب^٤ بن أبى أسامة عن جابر رضى الله
تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العالم الذى عقل عن الله
فصيل^٥ بطاعته و اجتنب محضه . قال البغوى : و المثل كلام سائر يتضمن
تشبيه الآخر بالأول^٦ .

ولما قدم أنه لا معجز له سبحانه ، و لا ناصر لمن أخذه ، و صحح ذلك
بالمشاهدة^٧ فى القرون^٨ البائدة ، و قربه إلى الأذهان بالمثل المستولى على
غاية البيان ، و ختم ذلك أنه حجب فهمه عن أكثر خلقه ، دل على ذلك
كله بقوله مظهرا لقوته و سائر صفات كماله^٩ ، بعد ما حقق أن أوليائهم
فى أنزل مراتب الضعف : ﴿ خلق الله ﴾ أى الذى لا يدانى فى عظمة^{١٠}
و لاجلال ، و لا جمال و لا كمال ﴿ السنوت و الارض بالحق ﴾ أى الأمر
الذى يطابقه الواقع ، أو بسبب [إظهار أن الواقع يطابق أخباره ،
أو بسبب -] إثبات الحق و إبطال الباطل . فلا تجد أحدا يفهم عنه

(١) فى ظ : ترونه ، و فى مد : يرونه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبت .

(٣) سقط من ظ (٤) من معالم التنزيل بهامش الباب ٦١/٥ : و فى الأصول :

الحرث (٥) من ظ و مد و العالم ، و فى الأصل : يعمل (٦) من ظ و مد

و العالم ، و فى الأصل : بالآخر (٧ - ٧) فى ظ : بانقرآن (٨) فى ظ : الكمال .

(٩) من ظ و مد : و فى الأصل : عظمته (١٠) زيد من ظ و مد .

حق النهم مع تساويهم في الإنسانية إلا وهو من أهل السكينة، والإخبات^١ والطمأنينة، ولا يعجزه أحد يريد أخذه، ولا يفلح أحد عصى أنبياءه، فبانت عزته، وظهرت حكمته، فطابق^٢ الواقع ما أخبر به، وأيضاً فالأمثال إنما تكون بالمحسوسات، وهي إما سماوية أو أرضية، فإيجاد هذه الموجودات إنما هو لأجل العلم بالله تعالى.

و لما كان المراد بالعالم قد يخفى، بينه بقوله مشيراً بالتأكيد إلى أن حالهم في عدم الاتقاع بالنظر فيها حال من ينكر أن يكون فيها دلالة: (ان في ذلك) / أى الأمر العظيم من تأملهم لمطابقة الواقع^٣ لإخباره سبحانه، فلا يخبر بشيء إلا كان الواقع منهما أو بما فيها يطابقه سواء بسواء ١٠ (لآية) أى دلالة مسعدة^٤ (للمؤمنين^٥) أى الذين هم العالمون^٦ في الحقيقة، حادهم^٧ عليهم بما في الكونين من المنافع المترتبة على النظام المعروف مع ما في 'خلقها أنفسها' مع كبر الأجرام وبديع الإحكام، على الإيمان بجميع ما أخبر به حتى لم يكن عندهم نوع شك، وصار لهم صفة لا تفك. و لما أفاد هذا الخبر كله القرآن الذى لاحق أحق منه، و دل على أن

١٥ فهم أمثاله يحتاج إلى مزيد علم، وأن مفتاح العلم به سبحانه رسوخ الإيمان، خاطب رأس أهل الإيمان لانه أعظم الفاهمين^٨ له ليقضى به الاتباع فقال:

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الاحتساب (٢) في ظ: و طابق (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: معدة (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: عالمون (٦) في ظ: هداهم (٧-٧) في ظ و مد: خلقها أنفسها (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: العالمين.

{ اتل ما } أى تابع قراءته ؛ ودل على شرفه لاختصاصه به بقوله :
 { اوحى اليك } إذ الوحي الإلقاء سرا { من الكتب } [أى - ١]
 الجامع لكل خير ، فانه المفيد للإيمان ، مع أنه 'أحق الحق الذى خلقت
 السماوات و الأرض لأجله ، و الإكثار فى تلاوته يزيد بصيرة فى أمره ،
 و يفتح كنوز الدقائق من علمه ، و هو أكرم من أن ينيل ' قارئه فائدة ، ه
 و أجل من أن يعطى قياد فوائده ' و يرفع الحجاب عن جواهره و فرائده
 فى أول مرة ، بل كلما رده القارئ بالتدبر حياة ' بكنز من أسراره ،
 و مهما زاد زاده [من - ١] لوامع أنواره ، إلى أن يقطع بأن عجائبه لاتعد ،
 و غرائبه لا تحدد .

ولما أرشد إلى مفتاح العلم ، دل على قانون العمل ' الذى لا يصح ١٠
 إلا بالقرآن ، و هو ما يجمع المهم ' ، فيحضر القلب ، فيشرح الصدر ،
 فينبعث الفكر فى رياض علومه ، فقال : { و اقم الصلوة ' } أى التى هى
 أحق العبادات ، ثم علل ذلك بقوله دالا بالتأكيد على نغامة أمرها ،
 و أنه مما يخفى على غالب الناس : { ان الصلوة تنهى } أى توجد النهى
 و تجدده ' للواظب على إقامتها بجميع حدودها { عن الفحشاء } أى ١٥
 الخصال التى تبلغ قبجها { و المنكر } أى الذى فيه نوع قبج و إن دق ،
 و أقل ما فيها من النهى النهى عن تركها الذى هو كفر ، و من انتهى

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ و مد : و هو (٣) فى ظ و مد : من (٤) فى
 ظ : لا يقبل - كذا (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : فرايده (٦) فى ظ و مد :
 حياه (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : العلم (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
 الفهم (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : تجدد .

عن ذلك اشرح صدره، واتسع فكره، فعلم من أسرار القرآن ما لا يعلمه غيره "واقفوا الله و يعلمكم الله".

ولما كان الناهي في الحقيقة إنما هو ذكر الله، أتبع ذلك الحث

على روح الصلاة و المقصد الأعظم منها، وهو المراقبة لمن يصلى [له - ٢] حتى كأنه يراه ليكون بذلك في أعظم الذكر بقوله: (ولذكر الله) أى و لأن ذكر المستحق لكل صفة كمال (أكبر) أى من كل شيء، فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء سواه "إن عبدى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه" أو يكون المراد أن من واطب على الصلاة ذكر الله، ومن ذكره أبشك أن يرق قلبه، ومن رق قلبه استنار له، فأوشك أن ينهائ هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عن المعصية، فكان ذكر الذاكر له سبحانه أكبر نهياً له عن المنكر من نهى الصلاة له، وكان ذكره له سبحانه كبيراً، كما قال تعالى "فاذكرونى اذكركم" وإذا كان هذا شأن ذكر العبد / لمولاه، فما ظنك بذكر مولاه له كلما أقبل عليه بصلاة فانه جدير بأن يرفعه إلى حد لا يوصف، و يلبسه من أنواره ملابس لا تحصر.

١٨٤

(١) - سورة ٢ آية ٢٨٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى ظ و مد: كانتك تراه لتكون (٤) فى ظ و جامع الترمذى ٤٤٣/٢: الذى (٥) من ظ و مد و الجامع، وفى الأصل: يذكرنى (٦-٦) فى الجامع: وهو ملاق (٧) فى ظ و مد: وكان (٨) فى ظ: كبير (٩) سورة ٢ آية ١٥٢ (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: شأنه (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ.

و لما كان ذلك يحتاج إلى علاج لمعوج الطباع و منحرف المزاج ،
و تمرن على شاق الكلف ، و رياضة لجاح النفوس ، و كان صلى الله عليه
و سلم قد نزه عن ذلك^١ كله بما جبل عليه من أصل الفطرة؛ ثم [بما -^٢
غسل به قلبه من ماء الحكمة ، [و غير ذلك -^٣] من جليل النعمة ، عدل
إلى خطاب الاتباع بمنهم^٤ على المجاهدة فقال^٥ : (و الله) أى المحيط
علما و قدرة (يعلم) أى فى كل وقت (ما تصنعون) من الخير
و الشر ، معبرا بلفظ الصنعة الدال على ملازمة العمل تنديها على أن إقامة
ما ذكر تحتاج إلى تمرن عليه و تدرب ، حتى يصير طبعا صحيحا ،
و مقصودا صريحا^٦ .

و لما انتهى الكلام إلى روح الدين و سر اليقين بما لا يبلى حتى ١٥
عليه إلا العلماء بالكتب السأوية و الأخبار الإلهية ، و كان^٧ العالم يقدر
على إيراد الشكوك و ترويج الشبه ، فربما أضل بالشبهة الواحدة النيام
من الناس ، بما له عندهم من القبول ، و بما للنفوس من النزوع إلى الأباطيل ،
و بما للشيطان فى ذلك من التزيين ، و كان الجدال يورث الإحن ، و يفتح
أبواب المحن ، فيحمل على الضلال ، قال تعالى عاطفا على " اتل " مخاطبا ١٥
لمن ختم الآية بخطابهم تنزيها لمقامه صلى الله عليه و سلم عن المواجهة بمثل
ذلك تنديها على أنه لا يصب^٨ مته الشريفة^٩ إلى مثل ذلك ، لأنه ليس

(١) فى ظ و مد : هذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل :
لحهم (٤) فى ظ و مد : بقوله (٥) فى ظ : ربيضا ، وفى مد : مريحا (٦) فى ظ :
بما (٧ - ٧) فى ظ : فان (٨) فى ظ : لا يصرف (٩) من ظ و مد ، وفى
الأصل : الترعية .

في طبعه المجادلة، و الماراة و المغالبة : (ولا يجادلوا اهل الكتب)
 أى اليهود و النصرى ظنا منكم أن الجدل ينفع الدين، أو يزيد في اليقين،
 أو يرد أحدا عن ضلال مبين (الا بالتي) أى بالمجادلة التى (هى احسن بلى)
 أى بتلاوة الوحي الذى أمرنا رأس العابدين بإدامة تلاوته فقط ، و هذا
 ٥ كما تقدم عند قوله تعالى في "سبحان" و "قل لعبادى يقولوا التى
 هى احسن" .

ولما كان كل من جادل منهم في القرآن ظلما . كان من الواضح
 أن المراد بمن استثنى في قوله تعالى : (الا الذين ظلموا منهم) أى
 تجاوزوا في الظلم بنفى صحة القرآن و إنكار إعجازة . مثلا و أن يكون
 ١٠ على اسباب الكتب المتقدمة ، أو مصدقا لشيء منها ، أو بقولهم " ما
 أنزل الله على بشر من شيء " و نحو هذا من أقرانهم . فان هؤلاء يباح
 جدالهم و لو ادى إلى جلادهم بالسيف . فان لذين يعلمو و لا يعلى عليه .
 و لما نهى عن موجب الخلاف . مر بالاستعطاق . فقال :
 (و قولوا آمنا) أى أوقفنا الإيمان (بالذى أنزل البنا) أى من هذا
 ١٥ الكتاب المعجز (و أنزل اليكم) من كتبكم . معنى فى نسخة من اصله حق
 و إن كان قد نسخ منه ما نسخ . و ما حدثوكم^١ به من شيء ليس عندكم
 (١) سقط من ظ (٢) آية ٥٣ (٣-٣) سقط ما بين الرقن من ظ و مد (٤) فى
 ظ و مد: القديمة (٥) سورة ٦ آية ٩ (٦) من ظ و مد و القرآن الكريم . و فى
 الأصل : علينا (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد وى الاصل : حدثوكم .
 (٩) زيدت الواو بعده فى الاصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفها .

ما يصدقه ولا ما يكذبه فلا تصدقوه ولا تكذبوه، فان هذا ادعى إلى الإنصاف، وأنقى للخلاف .

و لما لم يكن هنذا جامعا للفريقين، أتبعه بما يجمعهما فقال:

٨٥ /

(و الهنا / و الهكم) ولما كان من المعلوم قطعا أن المراد به الله، لأن المسلمين لا يعبدون غيره، وكان جميع الفرق مقرين بالإلهية ولو بنوع إقرار^٥ لم تدع [حاجة -^٢] إلى أن يقول "اله"، كما في بقية الآيات فقال:
(واحد) أى لا إله لنا غيره وإن ادعى بعضكم عزيرا والمسيح (و نحن له)^٤ خاصة (مسلمون^٥) أى خاضعون متقادون أم أنقياد فيما يأمرنا به بعد الأصول من الفروع^٦ سواء كانت موافقة لفروعكم كالوجه بالصلاة^٧ إلى بيت المقدس، أو ناسخة كالوجه إلى الكعبة، ١٠ ولا تتخذ الأجار والرهبان أربابا من دون الله^٨ لتأخذ ما يشرعونه لنا مخالفا لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فنكون حينئذ قد خضعنا لهم وتكبرنا^٩ عليه فإوتعنا^{١٠} الإسلام في غير موضعه ظلما .

ولما كان التقدير تعليلا للأمر بهذا القول: إنا أنزلنا كتبهم إلى

رسلمهم، عطف عليه قوله مخاطبا للرأس تخصيصا^{١١} له لئلا يتطرق لمتعت طعن ١٥

(١) فى ظ: ابقى (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الله (٥) فى الأصل: وقال، وسقط من ظ ومد (٦-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: من الأصول بعد الفروع (٧) فى ظ: فى الصلاة . (٨-٩) فى ظ ومد: بدوئه (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: تكبر (١٠) فى ظ: وإوتعنا (١١) من ظ ومد، وفى الأصل: تخضيعا .

إلى عموم أو اتهام^١ في المزل عليه: (وكذلك) أي ومثل ذلك
 الإنزال الذي أنزلناه إلى أنبيائهم (انزلنا إليك الكتاب) أي هذا
 القرآن الذي هو الكتاب في الحقيقة، لا كتاب غيره في طوكاله^٢،
 في نظمه و مقاله، مصداقا لما بين يديه: (فالذين) أي تسبب عن
 ٥ "انزالنا له"^٣ على هذا المنهج أن الذين (انينهم) [أي -] إيتاء يليق
 بعظمتا، فصاروا يعرفون الحق من الباطل (الكتب) أي من^٤ قبل
 (يؤمنون به) أي بهذا الكتاب حقيقة كعبداق بن سلام ومخبريق
 رضى الله عنها، أو مجازا بالمعرة به مع الكفر كحي بن أخطب وخلق
 كثير منهم (ومن هؤلاء) أي^٥ العرب (من يؤمن به) أي كذلك
 ١٠ في الحقيقة و المجاز في المعرة بالباطن بأنه حق لما أقامه من البرهان على
 ذلك بجزم عن معارضته مع الكفر به، وأدل^٦ دليل على^٧ ما أردته
 من الحقيقة و المجاز قوله: (وما يحمده) أي^٨ ينكر من الفريقين
 بعد المعرة، قال البغوى^٩: قال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرة.
 (بأينتنا) التي حازت أقصى غايات العظمة حتى استنحت الإضاءة إلينا
 ١٥ (إلا الكفرون) أي العريقون^{١٠} في ستر المعارف بعد ظهورها طمعا
 في إطفاء نورها.

(١) في ظ و مد، ايها (٢) في ظ: حاه (٣-٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
 انزاله (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل:
 اول (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: غير (٨) من مد، وفي الأصل: و
 وفي ظ: او (٩) في معالم التنزيل بهامش باب التأويل ١٦٣/٥ (١٠) من
 ظ و مد، وفي الأصل: العريقين.

ولما أشار إلى أن المنكر لأصل الوحي متوغل في الكفر، دل على ذلك بحال المنزل إليه^١ صلى الله عليه وسلم فقال مسلياً له: ﴿وما﴾ أى أنزلناه إليك والحال أنك ما ﴿كنت تتلوا﴾ أى تقرأ مواصلاً مواظباً في وقت ما .

ولما كان المراد نفي التلاوة عن كثير الزمن الماضى و قليله، أدخل ه الجار فقال: ﴿من قبله﴾ أى هذا الكتاب الذى أنزلناه إليك؛ وأكده استغراق الكتب فقال: ﴿من كتب﴾ أصلاً ﴿ولا تخطه﴾ أى تجدد وتلازم خطه؛ وصور الخط وأكدده بقوله: ﴿ييمينك﴾ أى^٢ التى [هى -^٣] أقوى الجارحين، و عبر بذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الزبية^٤ في أمره لعاقل إلا بالمواظبة لمثل ذلك مواظبة [قوية -^٥] ينشأ عنها ملكة، فكيف إذا لم يحصل [أصل الفعل -^٥]، ولذلك قال: ﴿إذا﴾ أى إذ لو كان شيء من هذه المواظبة في التلاوة أو الخط التى يحصل بها^٦ الدرجة المورثة للملكة ﴿لارتاب﴾ / أى لساغ أن تكلف أنفسهم [لدخول -^٥] ٨٦ / في الريب أى الشك ﴿المبتلون ه﴾ أى هؤلاء الذين ينكرون الوحي إليك من أهل الكتاب ومن العرب، ويقولون: هو مجمع^٧ وكهانة وشعر ١٥ وأساطير الأولين، العريقون في وصف^٨ الإبطال، [أى -^٥] الدخول

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: عليه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد، وفي الأصل: الرتبة (٥) زيد من ظ ومد (٦) في مد « و » (٧) في مد: في (٨) زيد في الأصل: كذا، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٩) زيد في الأصل: أى، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها .

في الباطل ، فكانوا يحدون مطعنا ، فتقول العرب : لعله أخذه من كتب
 الأقدمين ، و يقول الكتائبون : المبشر به عندنا أمي . و لكنه لم يكن شيء
 من قراءة و لا خط كما هو معروف من حالك فضلا عن المواظبة لشيء .
 منها ، فلا رية في صدقك في نسبه إلى الله تعالى ، و إذا اتفت الرية
 ٥ من أصلها صح نفي ما عندهم منها ، لأنه [لما - ١] لم يكن لهم في الواقع
 شبهة ، عدت ريبتهم عدما ، و سموا مبطلين على تقدير هذه الشبهة ، لقيام
 بقية المعجزات القاطمة بالرسالة ، الفاضية بالصدق ، كما قضت ' بصدق
 أنبيئهم [مع - ١] أنهم يكتبون و يقرأون ، و كتبهم لم تنزل للاعجاز ،
 فصح أنهم^٢ يلزمهم الاتصاف بالإبطال بالارتباب على كل تقدير من
 ١٠ تقديري الكتابة و القراءة و عدمهما ، لأن العمدة على المعجزات .

و لما كان ' تتقدر : و لكنهم^١ لا رية لهم أصلا و لا شبهة . لقولهم :
 إنه باطل ، قال : (بل هو) أي القرآن الذي جئت به ، ارتابوا فيه
 فكانوا^٢ مبطلين لذلك على كل تقدير (أيت) أي دلالات (بينت)
 أي ، اصححت جدا في الدلالة على صدقك^٣ (في صدور الذين) و لما
 ١٥ كان المقصود المناقعة في تعظيم العلم ، بل للعقول ، أظهر ما كان أصله
 الإضمار فقال : ارتابوا العلم . دلالة على أنه العلم الكامل النافع . فلا يقدر
 أحد على تحريف شيء منه لبيان الحق لديهم ، و في ذلك إشارة
 إلى [أن خفاءه عن غيرهم لا أثر له . و لما كان المراد بالعلم النافع ، قال
 (١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ . قضيت (٣) في ظ و مد : (٤) في ظ
 و مد : لكنه (٥) في ظ . و كانوا (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : صدقه .
 إشارة

إشارة إلى - ١] أنه في صدور غيرهم عربيا عن النفع : (وما يحدد)
 وكان الأصل : به ، ولكنه أشار إلى عظمته فقال : (باينتنا) أى
 ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها إلينا [والبيان الذى
 لا يحدده أحد - ١] (الا الظلمون) أى الراسخون في الظلم الذين لا ينتفعون
 بنورهم في وضع كل شىء في محله ، بل هم - في وضع الأشياء في غير محالها ه
 - كالمشى في الظلام الذى تآر عن وصفهم أولا بالكفر الذى هو
 تغطية أنوار العقول .

ولما كان التقدير : فحدوها [بما لهم من الرسوخ في الظلم - ١]
 أصلا ورأسا ، ولم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات ، عطف عليه
 قوله : (وقالوا) موهمين مكررا ' إظهار النصفة ' بالاكتفاء بأدنى ما يدل
 على الصدق : (لولا) أى مالا (انزل عليه) أى على أى وجه كان
 من وجوه الإزال (آية) أى واحدة تكون بحيث تدل قطعا على صدق
 الآتى بها (من ربه) أى الذى يدعى إحسانه إليه كما أنزل على الأنبياء
 قبله من نحو ناقة صالح عصى موسى ونحوهما ، لتستدل به على صدق
 مقاله . وصحة ما يدعيه من حاله هذا على قراءة [ابن كثير و - ٢] ١٥
 حمزة والسكسائي و ابى بكر بالإفراد . و جمع غيرهم دلالة على أن فريقا
 آخر قالوا : إن مثل هذا المهم العظيم لا يثبت إلا بآيات متعددة ، وأوهموا

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : اظهار للنصفة .

(٣) سقط من ظ ا ؛ زيد من ظ و مد ونثر المرجان ٢٥٧/٥ (٥) من ظ و مد .

وفي الأصل : وهو .

مكابرة و عنادا أن ذلك لم يقع ، وإن وقع ما يسمى آية .

ولما كان هذا "إنكارا للشمس" بعد شروقها ، و مكابرة فيما تحدى

به من / المعجزات بعد حقوقها ، أشار إليه بقوله : ﴿ قل ﴾ أي لهم

إرخاء للعنان حتى كأنك ما أتيتهم بشيء : ﴿ إنما أنزلت عند الله ﴾

أي الذي له الأمر كله فلا يقدر على إنزال شيء منها غيره ، فانما الإله

هو لاسواه ﴿ وإنما أنا نذير ﴾ أقوم لكم بما حملني وكلفني من النذارة ،

دالا عليه بما أعطيت من الآيات ، و "نواقض المطردات" وليس لي أن

أقترح [عليه - °] الآيات ، على أن المقصود من الآية الدلالة على الصدق ،

وهي كلها في حكم آية واحدة [في ذلك - °] ، ولم يذكر البشارة

١٠ لأنه ليس أسلوبها ﴿ مبین ٥ ﴾ أي أوضح ما أتى به من ذلك بعد أن

أوضح صحة كوني نذيرا ، فليس إلى إنزال الآيات و لا طلبها اقتراحا

على الله ، فهو قصر قلب فيها ، خوطب به من لزمه ادعاء أن إنزال

الآيات إليه صلى الله عليه و سلم و "أن أمره" الإتيان بما يريد

أو يطلب منه .

١٥ و لما أفرحهم بما كأنه تسليم لدعائهم ، و كان من الين أن لسان

الحال يقول : ألم يكفهم ما اجتتهد [به - °] من الآيات المرثيات و المسموعات ،

و عجزوا عن الإتيان بشيء منها ، عطف على ذلك قوله منكرا على جهلهم

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : لم (٢-٢) في ظ : انكار الشمس (٣) في ظ :

في (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : المطردات - كذا (٥) زيد من ظ و مد .

(٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الدالة (٧-٧) من ظ و مد ، و في الأصل :

ازارته - كذا (٨) في ظ : منهم .

- و عنادهم : (او لم يكفهم) أى إن كانوا طالبين^١ للحق غير متمتعين
 آية يفته مغنية^٢ عن كل آية (انبأ انزلنا) بعظمتنا (عليك الكتب)
 أى الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلقا لك غالبا عسى حركاتك
 وسكناتك (يتلى عليهم^٣) أى يتجدد متابعة قراءته عليهم شيئا بعد شيء
 فى كل مكان و كل زمان من كل تالٍ مصدقا لما فى الكتب القديمة
 من نعتك^٤ وغيره من الآيات الدالة على صدقك ، يتحدثون بكل شيء
 نزل منه مع تحديدهم بما قبله من آياته^٥ صباح مساء^٦ ، يصفعون بذلك
 مدى الدهر فى أفتاتهم و يدفعون ، فكما أرادوا التقدم ردوا عجزا إلى
 ورائهم ، فأعظم به آية باقية ، إذ كل آية سواء منقضية ماضية ، [و قال
 الشيخ أبو العباس المرسي^٧ : خشع بعض الصحابة رضى الله عنهم من سماع
 اليهود بقراءة التوراة فعتبوا إذ تخشعوا من غير القرآن ، وهم إنما تخشعوا
 من التوراة و فى كلام الله فا ظنك بمن^٨ أعرض عن كتاب الله و تخشع
 بالملاهي والغناء -^٩] .

ولما كان هذا أعظم من كل آية يقترحونها ولو توالى عليهم

- إتيانها كل يوم لدوام هذا على مر^٩ الأيام والشهور ، حتى تفتى ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظالمين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 معيبة (٣) فى ظ و مد : بعثتك (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الآيات .
 (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : صباحا و مساء (٦) هو أحمد بن عمر
 المرسي أبو العباس شهاب الدين ، فقيه متصوف ، من أهل الإسكندرية ، أصله
 من مرسية فى الأندلس : الأعلام ١/ ١٧٩ (٧) من مد ، و فى ظ : من (٨) زيد
 ما بين الحاجزين من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : شر .

الازمان و الدهور، أشار تعالى إلى هذه العظمة، مع ما فيها من
 النعمة، بقوله مؤكدا تنبيها على جهلهم فيما لزم^١ من كلامهم الأول من
 إنكار أن يكون في القرآن آية تدلهم على الصدق: ﴿ان في ذلك﴾
 أي إزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المثال^٢ البديع المثال^٣ (لراحة)
 لهم لصقله صدا القلوب في كل لحظة، و تطهيره^٤ خبث النفوس في
 كل لحظة (و ذكرى) أي عظيمة مستمرا [تذكرها - ٥].

ولما عم بالقول، خص من حيث النفع فقال: ﴿لقوم يؤمنون﴾
 أي يمكن أن يتجدد لهم إيمان، ليس من همهم التعنت، قال^٦ الحرالي
 في كتاب له في أصول الدين: ولما كان القرآن لسان^٧ إحاطة لم يف
 ١٠ بالقيام به خلق من خلق الله، لأنه^٨ ببناء على^٩ كلية أمر الله حتى أن
 السورة الواحدة منه لما كان موقع الخطاب بها^٩ من مدد بنائه^{١٠} على
 إحاطة أمر الله لا يستطيعها [أحد من الخلق، وإذا كان الأقل من كلام
 العالم لا يستطيعه - ٥] من دون رتبته، فعجز الخلق عن^{١١} كلام الله أحق
 وأولى، ثم كل ناظر فيه - من أتى وجه نظره - أدرك بمقتضى علوه على
 ١٥ رتبته وجها من العجز فيه، إن كان فصيحاً بليغاً فن جهة البلاغة،
 ومعناها بلوغ الكلام / في مطابقة أنبائه و يسمى الفصاحة، و حسن نظم

/ ٨٨

(١) في ظ: الزم (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: المثال (٣) من ظ و مد،
 وفي الأصل: المثال (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: تطهير (٥) زيد ما بين
 الحائزين من ظ و مد (٦-٦) في مد: الغزالي في كتابه (٧) في ظ: لبيان.
 (٨-٨) في ظ: بناء عن، وفي مد: فبا عن (٩) سقط من ظ (١٠) في مد:
 نبيه (١١) في ظ: من.

حروف كتابته ويسمى الجزالة، وكال^١ انتظام كتابته وآياته، ويسمى حسن
النظم - إلى أنهى^٢ غايته وأتم نهاياته، وإن كان عالما بأخبار الأولين فيصحة
مقتضاها فيه، وإن كان حكيمًا فيالإعلام الآتم بوجه تقاضى المتربات،
و بالجملة فإ يكون^٣ لاحد أصل من عقل وحظ من علم - أى علم كان -
إلا ويمجد له موقعا في القرآن، يبق له بحظ بيان علوم مرتبة أنبائه على نهاية^٥
مدركه منه بمقدار لا يرتاب في وقوعه فوق طور الخلق، فكان^٤ آية
باقية دائمة لم يتفاوت في تلقيه أول سامع له من آخر سامع في وجه سماعه،
فكل نبى فقدت آيته بفقدته أو بفقد وقت ظهورها على يديه، وآية محمد
صلى الله عليه وسلم باقية ببقاء الله، فجهاث ظهور إعجازه تأتي^٦ على حظوظ
أصناف الخلق من وجوه الإدراك، لا يتعين لظهور^٦ الإعجاز فيه جهة،^{١٠}
ولا يفقد ناظر فيه حظا يتطرق بمقدار إدراكه منه إلى يقين^٧ وجه إعجازه،
و ذلك لما كان محيطا بكل تفصيل و كل إجمال، و لم يفرط فيه من شيء،
و كان تفصيلا لكل شيء و لإحاطته باثبات كل رتبة من رتب^٨
حكمة الله تعالى لم يقدر أحد من الخلق في التوقف عن الإيمان به من
الجن و الإنس و الأحمر و الأسود و جميع خلق الله، من يعرفه الناس^{١٥}
منهم و من لا يعرفونهم بمن أحاط بهم^٩ علم العالمين بأعلام الله، و من

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: اكالم (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اعنى .
(٣) زيدت الواو في ظ ومد (٤) في ظ: و كان (٥) زيدت في الأصل و ظ:
على ظهور تأتي، و لم تكن الزيادة في مد فخذناها (٦) من ظ ومد، وفي
الأصل: لظهورها (٧) في ظ ومد: تعين (٨) في ظ: رتبة (٩) في ظ ومد: به .

حكم إحاطة كتابه كان يمكننا من عالية كل آية جاء بها نبي قبله من شاهد ذلك منه حاضروا، ونقله نقل التواتر والاستفاضة حمله العلم خلفا عن سلف، ثم رتب قياسا على إنبات النبوة فقال: [إن - ٢] - محمد صلى الله عليه وسلم ذو آية هذا القرآن المشهود، وهذا القرآن المشهود معجز كل ذي إدراك، وأبشرى من كل جهة من جهات معانيه وبلاغته، فذو آية هذا القرآن نبي، فمحمد صلى الله عليه وسلم [نبي - ٢]، أما أن محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آية فبالتجربة السمعية المتينة المسماة بالتواتر، و [أما - ٢] أن هذا القرآن معجز فيما يجده كل ناظر في معناه المشتمل على تمام الحكمة فيما هو كائن ونبا ما كان من قبل وخبر ما يكون بعد المتيقن بوقوع أوائله ووقوع جملته وصحة خبره، وبذلك يتضح أن ذو آية نبي، ثم بما تضمنته من شهادته لذى آية وتصريحه بذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم، فصح أن محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آية، وأنه نبي - صلى الله عليه وسلم - والمستعمل في ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم تحدى بهذا القرآن [العرب - ٢] الفصحاء واللد البلاغاء، فلما لجأوا للحرب ١٥ وضح أنهم فروا لذلك لما وجدوه في أنفسهم من العجز، وإذا عجز أولئك فمن بعدهم أحق بالعجز، فلما شمل العجز الكل من الخلق،

(١) في ظ : حاله (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفي الأصل : مجد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، وفي الأصل : يكون (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : التيقن (٨) في ظ و مد : فوضح . (٩) من ظ و مد، وفي الأصل : جاوا (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل : عجزوا . (١١) في ظ : لكل .

وجب العلم بأن هذا القرآن حق ، و المتحدى به نى جاء بالصدق ، و حاصله :
للم تعجز العرب ^١ لم تحارب لمكان ثقل الحرب و خفة المعارضة لو
استطاعوها ، و لم يعارضوا و حاربوا / فقد عجزوا ، ثبت بذلك أنه نبي
صلى الله عليه و سلم - انتهى .

٨٩/

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون : نحن لا نصدق أن هذا الكتاب ه
من عند الله فضلا عن أن نكتفى^٢ به ، قال : ﴿ قل ﴾ أى جوابا لما قد
يقولونه^٣ من نحو هذا : ﴿ كفى بالله ﴾ أى الحائز لجميع العظمة و سائر
الكالات ، الذى شهد لى بالرسالة فى كتابه الذى أثبت أنه كلامه عجز
الخلق عن^٤ معارضته .

و لما كانت العناية فى هذه السورة بذكر الناس ، و تفصيل أحوالهم ،
ابتدأ بقوله : ﴿ بينى و بينكم ﴾ قبل قوله : ﴿ شهيداج ﴾ بخلاف الرعد^٥
و الانعام^٦ ، ثم وصف^٧ الشهيد أو علل كفايته بقوله : ﴿ يعلم ما فى السموات ﴾
أى كلها . و لما لم يكن للأرض^٨ غير هذه التى يشاهدونها ذكر فى إتيان
الوحى و القرآن منها ، أفرد فقال : ﴿ و الارض ﴾ أى لا يخفى عليه^٩ شىء
من ذلك^{١٠} فهو عليم بما ينسبونه إلى^{١١} من القول عليه : بما أنسبه أنا إليه ١٥

(١) فى ظ : القرب (٢) من مد ، و فى الأصح : ظ : يكتبى (٣) فى ظ :
يقولوه ، و فى مد : يقولوه (٤) فى ظ : من (٥) راجع آية ٤ (٦) راجع آية ٩ ،
(٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فوصف (٨) من مد ، و فى الأصل
و ظ : الارض (٩-٩) سقط ما بين الرقنين من ظ (١٠) من ظ و مد ،
و فى الأصل : إليه .

من هذا القرآن الذى شهد لى به عجزكم عنه فهو شاهد لى ، والله فى الحقيقة هو الشاهد لى ، بما فيه من الثناء على ، والشهادة لى بالصدق ، لانه قد ثبت بالعجز عنه أنه 'كلامه و سيتحقق' بالعقل لإبطال المبطل منا .
 ولما كان التقدير : و أنتم تعلمون أنه قد شهد لى بأن^٢ على الحق ،
 ٥ و أن كل ما خالف ما جئت به فهو باطل ، فالذين آمنوا بالحق وكفروا بالباطل فأوائك هم الفأزون ، عطف عليه قوله : (و الذين آمنوا بالباطل) أى الذى لا يجوز الإيمان به من كل معبود سوى الله (وكفروا بالله لا) الذى يجب الإيمان به و الشكر له ، لأن له الكمال كله و كل ما سواه هالك ليس له من ذاته إلا العدم (أولئك) البعداء البغضاء (هم)
 ١٠ أى خاصة (الخسرون) أى الغريقون^٥ فى الخسارة ، فانهم خسروا أنفسهم أبدا .

ولما كان قولهم مرة واحدة " لولا انزل عليه آية " عجبا . أتى بعد إخباره بخسارتهم باعجب منه ، و هو استمرار استعجابهم بما لا قدرة لهم على شىء منه من عذاب الله فقال : (و يستعجلونك) أى يطلبون
 ١٥ تعجيلك فى كل وقت (بالعذاب^٦) و يجعلون تأخره عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب (و لولا أجر مسمى) قد ضرب لوقت عذابهم لا تقدم فيه ، لا تأخر (لجاءهم العذاب^٦) وقت استعجابهم ، لأن القدرة تامة و العلم محيط .

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : ان (٢) فى ظ : سيحقق (٣) فى ظ : انى .
 (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : الغريقون (٦) سقط من ظ .

ولما أفهم هذا أنه لا بد من إتيانه، صرح به في قوله مؤكدا رداً على استهزائهم المتضمن للإنكار: ﴿ و ل يأتينهم ﴾ ثم هوّله بقوله: ﴿ بقتة ﴾ وأكد معناها بقوله: ﴿ و هم لا يشعرون ﴾ بل هم في غاية الغفلة عنه والاشتغال بما ينسبه، ثم زاد [في - ٢] التعجب من جهلهم بقوله مبدلاً: ﴿ يستعجلونك بالعذاب ﴾ أى يطلبون منك إيقاعه بهم ناجزاً ولو كان في غير وقته الأليق [به - ١]، فلو علموا ما هم سائرون إليه لتمنوا أنهم لم يخلقوا فضلاً عن أن يستعجلوا، ولا عملوا جميعاً جهدهم في الخلاص منه .

ولما كان دخولهم النار لا بد منه لإحاطة القدرة بهم، قال مؤكداً

/ لإنكارهم الآخرة باثبات أخص منها: ﴿ و إن جهنم ﴾ التى هى من عذب ٩٠ / ١ الآخرة ﴿ لمحيطة ﴾ أى بما هى مهيأة له، لأنه لا يفوتها شيء منه، لأن الذى أعدها عليهم قدير، وقال: ﴿ بالكافرين ﴾ موضع ' بهم ' تفيها على ما استحقوا به عذابها، و تعميماً لكل من اتصف به .

ولما كان هذا كله دليلاً على إنكارهم قال: ﴿ يوم ﴾ أى يعلمون

ذلك [يوم - ١] ﴿ يغشهم العذاب ﴾ أى يلحقهم و يلقى بهم ما لا لا بدع لهم شيئاً يستعدون به، ولا أمراً يستلذونه. و نه على عدم استغراق

(١) ن مد، وى الأصل و ظ: هول (٢) زيد من ظ و مد: فى مد:

التعجب (٤) فى ظ و مد: ونو (٥) من ظ و مد، وى الأصل: من (٦) فى

ظ: بجميم (٧) فى ظ: كان (٨) زيد بعده فى الأصل: دأ، ولم تكن اليردة

فى ظ و مد فعدتها (٩) فى ظ و مد: دالا .

جهة الفوق مع استعلائه عليهم باثبات الجار فقال : ﴿ من فوقهم ﴾
 ولما أفهم ذلك الإحاطة بما هو أدنى من جهة الفوق، صرح به فقال :
 ﴿ من تحت أرجلهم ﴾ فلم بذلك إحاطته بجميع الجوانب، وصرح
 بالرحل تحقيقاً للآدمي^٢ ﴿ ويقول ﴾ أى الله فى قراءة نافع^٣ وعاصم^٤
 وحمزة والكسائى بالتحثانية جرياً على الأسلوب الماضى، أو نحن بعظمتنا^٥
 فى قراءة الباقرين بالنون^٦ ترويحاً بالالتفات إلى مظهر العظمة^٧ : ﴿ ذوقوا ﴾
 ما سيه لكم ﴿ ما كنتم ﴾ بغاية الرغبة ﴿ تعملون ﴾ أى فى ذلك اليوم
 تعلمون^٨ ذلك حق اليقين بمد علمكم له عين اليقين^٩ بسبب تكذيبكم^{١٠}
 بعلم اليقين .

١٠ ولما أبلغ فى الإنذار، وحذر من الأمور الكبار، ولم يهمل
 الإشارة إلى الصغار، وكانت هذه الآيات فى المعتنين من الكفار، وكان
 قد كرر أن هذه المواعظ إنما هى للؤمنين، قال مخاطباً لهم معرضاً عن
 سواهم إذ^{١١} كانت أسماعهم ليلغ هذه المواعظ قد أصغت، وقلوبهم
 جليل هذه الإنذارات قد استيقظت، التفاتاً على^{١٢} قراءة الجمهور إلى

(١) فى ظ ومد : اوهم (٢) فى ظ ومد : الامر (٣-٣) سقط ما بين الرقنين
 من ظ ومد، وراجع أيضاً نثر المرجان ٢٦١/٤ فى الأصل وظ : جارياً (٥) فى
 ظ ومد و « (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : فعظمتنا (٧-٧) سقط ما بين
 الرقنين من مد (٨) من ظ، وفى الأصل ومد : يعلمون (٩-٩) من ظ ومد،
 وفى الأصل : سبب تكذيبهم (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل : « (١١) من
 ظ ومد، وفى الأصل : إلى، وراجع أيضاً نثر المرجان ٢٦١/٥ .

التلذيد فى المناجاة بالإفراد والإبعاد من مداخل التعت : (يعبادى)
فترفهم بالإضائة ، و لكنه لما أشار بأداة البعد إلى أن فيهم من لم يرسخ ،
حقق ذلك بقوله : (الذين آمنوا) أى [وإن - ١] كان الإيمان باللسان
مع أدنى شعبة من القلب .

و لما كان نزول هذه [السورة - ١] بمكة ، وكانوا بها مستخفين ه
بالعبادة^٢ خوفا من الكفار ، وكانت هجرة الأهل و الأوطان شديدة ، قال
مؤكدًا تنبيها على أن حال من ترك الهجرة حال من يظن أن الأرض
ضيقة : (إن ارضى واسعة) أى فى الذات و الرزق و كل ما تريدون
من الرفق ، فان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم فى دينكم
و يمنعونكم من الإخلاص [إلى - ١] فى أرضكم و الاجتهاد فى عبادتى حتى ١٠
يصير الإيمان لكم وصفا ، فهاجروا إلى أرض تتمكنون فيها^٣ من ذلك .
و لما كانت الإقامة بها قبل الفتح مؤدية^٤ إلى الفتنة ، و كان المفتون
ربما طواع بلسانه ، و كان ذلك و إن كان القلب مطمئنا بالإيمان فى صورة
الشرك قال : (فايأى) أى خاصة بالهجرة إلى أرض تأمنون فيها اعبدوا
و قنبهوا (فاعبدون .) بسبب ما دبرت لكم من المصالح من توسيع ١٥
الأرض و غيره ، عبادة لاشرك فيها ، لا باللسان و لا بغيره و لا استخفافا
بها و لا مراعاة لمخلوق فى معصيته ، و لا شيء يجر إليها بالهرب ممن بمنعكم
من ذلك إلى من يعينكم عليه .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : مؤول (٣) فى ظ :
عبادة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : بها (٦) من ظ
و مد ، وفى الأصل : يوده .

ولما كانت / الهجرة شديدة المرارة لأنها مرت في المعنى من حيث كونها مفارقة المألوف^١ المحبوب من العشير والبلد^٢ والمال، وكان في الموت ذلك كله بزيادة، قال^٣ مؤكداً بذلك مذكراً به^٤ مرهاً من ترك الهجرة: (كل نفس ذائقة الموت) أي مفارقة كل ما ألفت حتى بدأنا . طالما لابسته، وآنسها وآنتسه، فإن أطاعت ربها أنجحت نفسها ولم تنقصها الطاعة من الأجل شيئاً، وإلا أوبقت نفسها ولم تزد لها المعصية في الأجل شيئاً، فإذا قدر الإنسان أنه مات سهلت عليه الهجرة. فانه إن لم يفارق بعض مألوفه^٥ بها فارق كل مألوفه [بالموت -^٦]، وما ذكر الموت في عسير إلا يسره، ولا يسير إلا عسره وكدره .

١٠ ولما هوّن أمر الهجرة، حذر من رضى في دينه بنوع نقص لشيء من الأشياء حثاً على الاستعداد بغاية الجهد في الزود للمعاد فقال: ﴿ثم اليأس على عظمتنا، لا إلى غيرنا﴾ (تجعون) على أيسر وجه، فيجازى كلا منكم بما عمل^٧.

ولما كان التقدير: فالذين آمنوا فلبسوا إيمانهم بنوع نقص لنقصتهم في جزائهم، والذين كفروا لتركسنتهم^٨ في جهنم ذرّات تحت ذرّات

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: المألوفات (٢) في ظ ومد: الوادع-م) في ظ ومد: مذكراً بذلك (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: لا (٥) في ظ: ما أوفاته (٦) زيد من ظ ومد (٧-٧) من مد، وفي الأصل: على علمه، في ظ: بما عمله - كذا (٨) من مد، وفي الأصل وظ: تركسنتهم - كذا (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: وذرات.

فتبس مشوى الظالمين، ولكنه لما تقدم ذكر العذاب قريبا، وكان القصد هنا الترغيب فى الإيمان كيفما كان، طواه ودل عليه بأن عطف عليه قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ أى كلها.

ولما كان الكفار يتكبرون البعث، فكيف ما بعده، أكد قوله: هـ ﴿لنبوئتهم﴾ أى لنسكنتهم فى مكان هو جدير بأن يرجع إليه من حسنه وطيبه من خرج منه لبعض أغراضه، وهو معنى ﴿من الجنة غرقا﴾ أى بيوتا عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية، وقريب من هذا المعنى قراءة حمزة والكسائى^٢ بالثاء المثلثة من ثوى بالمكان - إذا أقام به.

ولما كانت العلالى لا تروض^٥ إلا بالرياض قال: ﴿بحرى﴾ ولما ١٠ كان عموم الماء لجهة التحت بالعذاب أشبه^٦، بعضه فقال: ﴿من تحتها الأنهر﴾ ومن المعلوم أنه لا يكون فى موضع أنهار، إلا كان به^٧ بساتين كبار، وزروع ورياض وأزهار - فيشرفون عليها من تلك العلالى.

ولما كانت بحالة لا نكد فيها^٨ يوجب هجره فى لحظة ما، كنى عنه بقوله: ﴿تخلدين فيها^٩﴾ أى لا يغون عنها حولا؛ ثم عظم أمرها، ١٥ شرف قدرها، بقوله: ﴿نعم اجر العملين﴾ ثم وصفهم بما يرغب فى الهجرة، فقال معرفا بجماع الخير [كله -^٩] الصبر وكونه على جهة التفويض لله،

(١ - ١) فى ظ: اكده بقوله (٢) فى ظ: عليه (٣) راجع نثر المرجان ٥/٢٦٢.
(٤) من مد، وفى الأصل وظ: كان (٥) من ظ ومد. وفى الأصل: لاترون.
(٦) من ظ ومد؛ وفى الأصل: شبه (٧) سقط من ظ ومد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بها (٩) زيد من ظ ومد.

منها على أن الإنسان لا ينفك عن أمر شاق ينبغي الصبر عليه :
 (الذين صبروا) أى أوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت
 بحجة لهم، فأوقعوها على كل شاق من التكاليف من هجرة وغيرها .
 و لما كان الإنسان إلى المحسن إليه أميل، قال مرغبا في الاستراحة
 ٥ / ٩٢ بالفويض إليه : (و على ربهم) أى وحده لا على / أهل و لا وطن
 (يتوكلون .) أى [يوجدون التوكل إيجادا مستمر التجديد عند كل مهم
 يعرض لهم -]^١ فى إرزاقهم بعد الهجرة وغيرها^٢ و جهاد أعدائهم و غير
 ذلك من أمورهم .

و لما أشار بالتوكل إلى أنه الكافى فى أمر الرزق فى الوطن و الغربة ،
 ١٠ لا مال و لا أهل ، قال عاطفا على ما تقديره : فكأى من متوكل^٣ عليه كفاه ،
 و لم يحوجه إلى أحد سواه ، فليادر من أنقذه من الكفر و هداه إلى
 الهجرة طلبا لرضاه : (و كان من دآبته) أى كثير من الدواب العاقلة
 و غيرها (لا تحمل) أى لا تطيق أن تحمل (رزقها)^٤ و لا تدخر
 شيئا لساعة أخرى ، لأنها قد لا تدرك^٥ قمع ذلك ، و قد تدركه
 ١٥ و تتوكل ، أو لا تجد .

و لما كان موضع أن يقال : فمن يرزقها؟ قال جوابا له : (الله)
 أى المحيط علما و قدرة ، المتصف بكل كمال (يرزقها) و هى لا تدخر
 (و اياكم) و أنتم تدخرون ، لافرق بين ترزيقه لما على ضعفها و ترزيقه لكم

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيها (٣) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : توكل (٤) سقط من ظ .

على قوتكم وادخاركم، فان الفريقين تارة يحدون وتارة لا يحدون،
فصار الادخار وعدمه غير معتد به ولا منظورا إليه .

ولما كان أهم ما للحيوان الرزق، فهو لا يزال فى تديره بما يهجر^١

فى ضميره وبنطق به إن كان ناطقا ويهمهم به إن كان صامتا، أما العاقل^٢

فأمور كلية، و أما غيره فبأشياء جزئية وحدانية، وكان العاقل ربما قال: هـ

إنى لا أقدر على قطع العلائق من ذلك، قال تعالى: (وهو السميع)

أى لما يمكن أن يسمع فى أمره وغير أمره (العليم هـ) أى بما يعلم من

ذلك، وبما يصير إليه أمركم وأمر عدوكم، فهو لم يأمركم بما أمركم به

إلا وقد أعد له أسبابه، وهو قادر على أن يسبب لما اعتمد عليه الإنسان

من الأسباب المتجة عنده ولا بد ما يعطله، وعلى أن يسبب للتوكل ١٠

القاطع للعلائق ما يغنيه، ومن طالع كتب التصوف وتراجم القوم

وسير السلف - فنعنا الله بهم - وجد كثيرا من ذلك بما يبصره

ويسليه ويصبره .

ولما هوّن سبحانه أمر الرزق بخطابه مع المؤمنين بعد أن [كان

قد - ٢] أبلغ فى تنبيه الكافرين بايضاح المقال، وضرب الامثال، ولين ١٥

المحاورة فى الجدل، ولما كان الملك لا يتمكن غاية التمكّن من رزيق من فى

غير مملكته، قال [عاطفا على نحو: فلئن سألتهم عن ذلك لصدقك - ٣]

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يهجر (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:

الغافل (٣) زيد من ظ و مد .

عائدا إلى استعطاف المرصنين، و اللطف بالعاقلين، نالجا في تفتين الوعظ
 - أعنى طرق الحكمة، فان التبيد إذا كان له عبدان: مصلح و مفسد، يتعجب
 المفسد، فان لم يسمع التفت إلى المصلح، إعراضا عنه قائلا: فذا لا يستحق
 الخطاب، فاسمع أنت و لاتكن مثله، فكان قوله متضمنا نصح المصلح
 ٥ و فجر المفسد، ثم إذا سمع وعظ أخيه كان ذلك محركا منه بعد
 التحريك بالإعراض و الذم بسوء النظر لنفسه و قلة الفطنة، فاذا خاطبه
 بعد هذا وجدته متهيئا للقبول، نازعا إلى الوفاق، مستهجنا للخلاف:
 ﴿ و لئن سألتهم ﴾ أى "المؤمنين و غيره، و أغلب القصص له:
 ﴿ من خلق السموات و الارض ﴾ و سواهما على هذا النظام العظيم
 ١٠ ﴿ و سخر الشمس و القمر ﴾ لإصلاح الآفات، و معرفة الأوقات،
 و غير ذلك / من المنافع .

/ ٩٣

و لما كان حالهم فى إنكار البعث حال من ينكر أن يكون
 [سبحانه - ١] خلق هذا الوجود، أكد^٢ تنبيها على أن الاعتراف بذلك
 يلزم منه قطعا الاعتراف بالبعث فقال: ﴿ ليقولن الله ج ﴾ أى الذى له
 ١٥ [جميع - ١] صفات الكمال لما قد تقرر فى فطرتهم من ذلك و تلقفوه عن
 آباؤهم موافقة للحق فى نفس الأمر .

و لما كان حال من صرف المهمة^٤ عنه عجبا يستحق أن يسئل عنه

(١) فى ظ : بالخطاب (٢) فى ظ : و كان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : الغبطة (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المؤمنين وغيرهم
 و اطلب (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : أكره (٨) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : التهمة .

على وجه التعجب منه إشارة إلى أنه لا وجه له، قال: (فاني) أى فكيف و' من أى وجه (يؤفكونه) أى يصرّف من صارف ما من لم يتوكل عليه أو [لم - ٢] يخلص له العبادة فى كل أحواله، وجميع أحواله وأفعاله، عن الإخلاص له مع إقرارهم بأنه لاشريك له فى الخلق فيكون وجهه إلى قفاه فينظر الأشياء على خلاف^٢ ما هى عليه فيقع فى هـ خبط^٣ العشواء وحيرة العجباء^٤.

ولما كان قد يشكل على ذلك التفاوت فى الرزق عند كل^٥ من لم يتأمل [حق التأمل - ٢] فيقال: بكل الخلق والرزق له، فما بالهم متفاوتين فى الرزق؟ قال: (الله) أى بما له من [العظمة و - ١] الإحاطة بصفات الكمال (يبسط الرزق) بقدرته التامة (لمن يشاء من عباده) على ٦٠ حسب ما يعلم من بواطنهم (و يقدر) أى يضيق .

ولما كان [ذلك - ٢] إنما هو لمصالح العباد وإن لم يظهر لهم وجه حكمته قال: (له^٦) أى لتظهر من ذلك قدرته وحكمته، وأنت ترى الملوك وغيرهم من الأقوياء يفاوتون^٧ فى الرزق بين عمالهم بحسب ما يعملون^٨ من علمهم الناقص بأحوالهم، فما ظنك بملك الملوك العالم علما لا تدنو من ساحته ظنون ولا شكوك، وهذه الآية نتيجة ما قبلها .

ولما كان سبحانه يرزق^٩ الناس، ويمكن لهم بحسب ما يعلم من

- (١) سقطت الواو من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: غير.
 (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و مد: وفى الأصل: يتفاوتون (٨) فى ظ: يعملون.
 (٩) فى ظ: رزق.

ضمائرهم أنه لاصلاح إلا فيه^١ ، قال معللا لذلك ومؤكدا ردا على من يعتقد أن ذلك إنما هو من تقصير بعض العباد و تسمير بعضهم ، معلنا بأنه محيط العلم فهو محيط القدرة [فهو -^٢] الذى سبب تعجز بعضهم^٣ و طاقة الآخرين للآزمة القدرة العلم : (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (بكل شئ) [أى -^٤] من المرزوقين و من الارزاق و كيف تمنع أو تساق و غير ذلك (عليم) فهو على ذلك كله قدير ، يعلم ما يصلح العباد من ذلك و ما يفسدهم ، و يعطيهم بحسب ذلك إن شاء ، و كم رام بعض الأقويا إغناء فقير و إفقار غنى ، فكشف الحال عن فساد ما راموا من الانتقال .

١٠ و لما ثبت بهذا شمول علمه ، لزم تمام قدرته كما برهن عليه فى ظهـ ، فقال مشيرا إلى ذلك ذاكرة السبب القريب فى التزيق^٤ بعد ما ذكر البعيد^٥ ، فان الاعتراف بأن هذا السبب منه يستلزم الاعتراف بأن المسبب^٦ أيضا منه : (و لمن سألهم من نزل^٧) بحسب التدرج على حسب ما [فعل -^٨] فى التزيق ، [و لما كان ربما ادعى مدع أنه استنبط ماء فأنزله ١٥ من جبل و نحوه ، ذكر ما يختص به سبحانه سالما عن دعوى المدعين فقال -^٩] : (من السماء ماء) بعد أن كان مضبوطا فى جهة العلو

(١) فى ظ : به (٢) زيد من ظ و مد (٣-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بعض عجزهم (٤) زيد فى الأصل : ماء ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفها . (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : العبيد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : السبب (٨) تكرر فى الأصل ققط (٩) فى ظ : من .

(فاجبا) [ولما كان أكثر الأرض يجي بماء المطر من غير حاجة إلى سقى، قدم الجار فقال -^١]: (به الأرض) الغبراء، وأشار بآيات الجار إلى قرب الإنبات^٢ / من زمان المات، [وإلى أنهم لا يعلمون إلا الجزئيات الموجودة المحسوسة، ولا تنفذ عقولهم إلى الكليات^٣ المعقولة فتوذ أهل الإيمان ليعلموا أن ما أوجده سبحانه^٤ بالفعل في وقت فهو موجود إما بإيجاده إذا أراد، فالأرض حية بأحيائه سبحانه^٥ بسبب المطر في جميع الزمن الذى هو بعد الموت بالقوة كما أنها حية في بعضها بالفعل -^١] فقال: (من بعد موتها) فصارت خضراء تهتز بعد أن لم يكن بها شيء من ذلك، وأكد لئلا ما تقدم من التنبيه على أن حالهم في إنكار البعث حال من ينكر أن يكون الله صانع ذلك، بللزمة القدرة عليه القدرة^{١٠} على البعث [بقوله -^١]: (ليقولن الله^٦) وهو الذى الكمال كله، فلزمهم توحيد.

فلما ثبت أنه الخالق بدما وإعادة كما يشاهد في كل زمان، قال منها على عظمة صفاته اللازم من إثباتها صدق رسوله صلى الله عليه وسلم: (قل) معجبا منهم في جودهم حيث يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم ١٥ لا يوحدون: (الهد) أى الإحاطة بأوصاف الكمال كلها (الله^٦) الذى لا سمي له وليس لاحد غيره إحاطة بشيء من الأشياء، فلزمهم^٧ الحججة بما

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: اسات - كذا (٣) غير واضح في ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ: المثل (٦-٦) من ظ و مد، وفي الأصل: إنكارهم في حال - كذا (٧) في مد: فلزمهم.

أقروا به من إحاطته، وهم لا يثبتون ذلك باعراضهم عنه
 ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ [أى لا يتجدد لهم عقل، بعضهم مطلقا لأنه
 مات كافرا - ١] حيث هم مقرون بمعنى الحمد من أنه الخالق لكل شيء
 بدءا و إعادة ثم يفعلون ما يناق ذلك فيشركون به غيره مما هم معترفون
 ٥ بأنه خلقه و لا يتوكلون في جميع الأمور برا و بحرا عليه و يوجهون العباداة
 خالصة إليه، فهم لا يعرفون معنى الحمد حيث لم يعملوا به، [و منهم من
 آمن بعد ذلك فكان فى الذروة من كمال العقل فى التوحيد الذى يتبعه
 سائر الفروع، و منهم من كان دون ذلك، فكان نقي العلم عنه مقيدا
 بالكمال - ١] .

١٠ و لما تبين بهذه الآيات أن الدنيا مبنية على الفناء و الزوال، و القلعة
 و الاحتمال، و صرح أن السرور بها فى غير موضعه فلذلك قال تعالى
 مشيرا بعد سلب العقل عنهم إلى أنهم فيها كالبهائم يتهارجون :
 ﴿و ما هذه الحيوثة الدنيا﴾ فخرها بالإشارة و لفظ الدناءة مع الإشارة
 إلى أن الاعتراف بهذا الاسم كافٍ فى الإلزام بالاعتراف بالآخرى .
 ١٥ و لما كان مقصود السورة الحث على الجهاد و النهى عن المنكر،

وكان فى معرض سلب العقل عنهم، قدم اللهو لأن الإعراض عنه يحسم
 مادة الشرفانه الباعث عليه فقال : ﴿الاهو﴾ أى شيء يلهى عما ينفع

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من مد،
 و فى الأصل و ظ : بوجيون (٤) فى ظ : الانتقال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ
 و مد، و فى الأصل : بالآخرة .

(و لعباً^١) يشتغل به صيدان العقول، وكل غافل و جهول، فان اللهو كل شيء من شأنه أن يعجب النفس كالغناء و الزينة من المال و النساء و غيره، فيحصل به فرح و زيادة سرور، فيكون سبباً للقفلة و الذهول و النسيان و الشغل عن استعمال العقل في اتباع ما ينجى في الآخرة فينشأ عنه الضلال - على ما أشارت إليه آية لقمن^٢ "ليشترى لهو الحديث ه ليضل عن سبيل الله" و منه اللعب، و هو فعل ما يزيد النفس في دنياها سرورا كالرقص بعد السماع و ينقضى بسرعة لأنه ضد الجد و مثل الهزل، و [هو -^٣] كل شيء سافل، و كل باطل يقصد به زيادة البسط و الترويح و التهادى في قطع الزمان فيما يشتهى من غير تعب، و اللعبة - بالضم: التمثال، و ما يلعب به كالشطرنج، و الأحق يسخر به، و لعب لعباً: ١٠ مرح، و في الأمر و الدين: استخف به^٤.

و لما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت، أخبر على سبيل التأكيد أنه

لاحياة غيرها فقال: (و ان الدار الآخرة لهي) أى خاصة (الحيوان^٥)

أى الحياة التامة الباقية العامة / الوافية نفسها من حيث أنه لاموت فيها و لافناء لشيء من الأشياء، و لذلك اختير هذا البناء الدال على المبالغة، ١٥ و حركته مشمرة بما في الحياة من مطلق الحركة و الاضطراب، فلا انقضاء^٦ لشيء من لعبها و لا لهوها الذى [لا-^٧] يوافق ما في الدنيا إلا في الصورة فقط

(١) في الأصل فقط: لعب - خطأ (٢) العبارة من هنا إلى ه و ينقضى

بسرعة ه سافطة من مد (٣) آية ٦ (٤) في ظ: بعده (ه) زيد من ظ و مد .

(٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: انفصال .

لا^١ في المعنى، لأنه ليس فيها شيء ساقط لا في الباعث ولا في المبعوث^٢ إليه، بل كل ذلك بالتسبيح والتقدس وما يترتب عليه من المعانف و^٣ البسط والترويح، و^٤ الانشراح والانس والتفريح.

• ولما كانوا [قد - ^٥] غلطوا في الدارين كليهما فانزلوا^٦ كل واحدة منها غير منزلتها، فهدوا الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة والآخرة عدما، لا وجود لها بوجه، قال: (لو كانوا) [أى - ^٧] كوننا هو كالجبلية (يعلمون) أى لهم علم ما لم يغلطوا في واحدة منها فلم يركبوا مع إثارهم للحياة وشدة فقرتهم من الموت، لاعتقادهم أن لا قيام بعدهم إلى الدنيا، مع أن أصلها عدم الحياة الذى هو الموتان.

١٠ ولما ختم هذه الآية بما أفهم أنهم لا يعلمون، والتى قبلها بأن أكثرهم لا يعقلون، سبب عن ذلك قوله: (فاذا) أى قسب عن عدم عقولهم المستلزم لعدم علمهم أنهم إذا (ركبوا) أى البحر (فى الفلك) أى السفن (دعوا الله) أى الملك الأعلى المحيط بكل شيء إذا أصابتهم مصيبة^٨ خافوا منها الهلاك (مخلصين) بالتوحيد

١٥ (له الدين) بالإعراض^٩ عن شركائهم بالقلب واللسان، لما هم له محققون أنه لا منجى^{١٠} عند تلك الشدائد غيره (فلما مجئهم) أى الله سبحانه، موصلا [لهم - ^{١١}] (الى البر اذا هم) أى حين الوصول إلى البر

(١) فى ظ: الا (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: البعوث (٣) فى ظ: فى (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى النسخ: فزلوا، والسياق يقتضى ما أثبتناه (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ ومد: معرضين (٨) فى ظ: لا يتجى (٩) زيد من مد.

- (يشركون لا) فصح أنهم لا يعلمون ، لأنهم لا يعتقدون ، حيث - ^١ون
بعبز آلتهم و يشركونها معه ، ففى ذلك أعظم التهم بهم ؛ قال البغوى^٢ :
قال عكرمة : كانوا إذا ركبوا البحر حملوا [معهم]^٣ الأصنام ، فإذا اشتدت
بهم الريح أقوها فى البحر و قالوا : يا رب ا يا رب . و قال الرازى فى
اللوامع : و هذا دليل على ان معرفة الرب فى فطرة كل إنسان ، و أنهم ه
إن غفلوا فى السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه فى حال الضراء - انتهى .
فلم أن الاشتغال بالدنيا هو الصادق عن كل خير و [أن -]^٤ الاقتطاع عنها
معين للفطرة [الأولى المستقيمة ، و هذا نجد الفقراء أقرب إلى كل خير .
و لما كانوا مع هذا الفعل -]^٥ - الذى لا يفعله إلا ما سلب العقل -
يدعون أنهم أعقل الناس و أبصرهم بلوازم الأفعال و ما يشين الرجال ،
١٠ و كان فعلهم هذا كفرا للنعمة ، مع ادعائهم أنهم أشكر الناس للمعروف ،
قال مينا أن عادتهم مخالفة لاعادة المؤمنين فى [جعلهم نعمة النجاه سببا
لزيادة طاعاتهم ، فلم أنه ما كان إخلاصهم فى البحر إلا صورة لاحقية
لها -]^٦ : (ليكفروا بما آتيتهم لا) على عظمتنا من هذه النعمة التى يكفى
فى عظمتها أنه لا يمكن غيرنا أن يفعلها ما أشركوا إلا لاجل هذا الكفر ،
١٥ و إلا لكانوا فاعلين لشيء عن غير قصد ، فيكون ذلك فعل من لا عقل
له أصلا و هم يخشون عن مثل ذلك (و ليمتعوا و الله) بما يجتمعون
(١) فى ظ و مد : عظيم (٢) فى معالم التنزيل بهامش باب التأويل ١٦٦ / ٥ .
(٣) زيد من المعالم (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : ان (٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : يفعلوا (٧) فى ظ و مد : من .

عليه في الإشراف من التواصل و التعاون^١ ، و عند من سكن اللام
 - و هم ابن كثير و حمزة و الكسائي و قالون عن نافع^٢ - يكون معطوفا
 تهديدا على مقدر هو ، فليكفروا، أو على " ليكفروا" السابق ، على
 أن لامة للامر ، و سيأتي في / الروم^٣ إن شاء الله تعالى ما يؤسده
 ٥ ﴿ فسوف يعلمون ﴾ بوعد^٤ لاخلف فيه ما يحل بهم بهذا الفعل الذي هو
 دائر بين كفر و جنون .

و لما كان قد فعل بهم سبحانه من الأمن الشديد المديد في البر دون
 سائر العرب عكس ما ذكر من حال خوفهم الشديد في البحر ، و كان
 قادرا على إخافتهم في البر كما قدر على إخافتهم في البحر ليدوم إخلاصهم ،
 ١٠ و كان كفرهم عند الأمن بعد الإخلاص^٥ عند الخوف - مع أنه أعظم
 النقص - [هزلا -^٦] لايفعله^٧ إلا من أمن مثل تلك المصيبة في البر ،
 توجه^٨ الإنكار في نحو أن يقال : ألم يروا أنا قادرون على إخافتهم
 و إهلاكهم في البر كما نحن قادرون على ذلك في^٩ البحر كما فعلنا بنعيم ،
 فطفت عليه قوله : ﴿ أو لم يروا ﴾ [أي -^{١٠}] بعيون بصائرهم^{١١}
 ١٥ ﴿ انا جعلنا ﴾ أي بعظمتنا لهم ﴿ حرما ﴾ و قال تعالى : ﴿ ائمانا ﴾ لانه
 لاخوف على من دخله ، فلما أمن كل حال به كان كأنه هو نفس^{١٢} الأمن ،

(١) في ظ : ائتعارف (٢) راجع نثر المرجان ٥/ ٢٦١ (٣) آية ٣٤ (٤) في ظ و مد :
 بوعيد (٥) في ظ و مد : الخلاص (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد ، و في
 الأصل و ظ : لايفعل (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : بوجه (٩) سقط من
 ظ (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ ، بصائرهم (١٢) في ظ و مد : نفسه .

وهو حرم مكة المشرفة، وأمنه موجب للتوحيد والإخلاص،
 رغبة في دوامه، و خوفا من انصرامه، [كما كان الخوف في البحر موجبا
 للإخلاص خوفا من دوامه، ورغبة في انصرامه - ٢] (و) الحال أنه
 (يتخطف) و بناه للفعول لأن المقصود الفعل لا فاعل معين .

و لما كان التخطف غير خاص بناس دون آخرين، بل كان جميع ٥
 العرب يغزو بعضهم بعضا، و يغير بعضهم على بعض بالقتل و الأسر
 و النهب و غير ذلك من أنواع الأذى، قال : (الناس من حولهم)
 أى من حول من فيه من كل جهة تخطف الطيور مع ' قلة من ' بمكة
 و كثرة من حولهم، فالذى خرق العادة في فعل ذلك حتى صار على هذا
 السنن قادر على أن يعكس الحال فيجعل ٦ من بالحرم متخففا ٧ من ١٠
 حوله آمنا، أو يجعل الكل في الخوف على منهاج واحد .

و لما تبين أنه لا وجه لشركهم و لا لكفرهم هذه النعمة الظاهرة
 المكشوفة، تسبب الإنكار في قوله : (اقبال باطل) أى خاصة ٨ من الأوثان ٩
 و غيرها (يؤمنون) و الحال أنه لا يشك عاقل في بطلانه، و جاء الحصر
 من حيث أن من كفر بالله تبعه الكفر ١١ بكل حق ١٢ و التصديق بكل ١٥
 باطل (و بنعمة الله) التى أحدثها لهم من الإنجاء و غيره ١٣ (يكفرون)

(١) فى ظ: بمكة (٢) فى ظ: موجبة (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: كخطف.
 (٥-٥) من ظ ومد، وفى الأصل: قلته (٦) من ظ ومد، وفى الأصل:
 حوله (٧) من ظ ومد. وفى الأصل: بحمل (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى
 ظ ومد: فوجه (١٠-١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: بالأوثان (١١-١١) من
 ظ ومد، وفى الأصل: بحق (١٢) فى ظ: غيرهم .

حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة شركهم بعبادة غيره .

ولما كان الظلم وضع الشيء في غير محله . و كان وضع الشيء في موضع لا يمكن أن يقبله [أظلم - ٢] الظلم ، كان فعلهم هذا الذي هو إنزال ما لا يعلم شيئا ولا يقدر [على شيء في منزلة من يعلم كل شيء و يقدر - ٢] على كل مقدور أظلم الظلم ، فكان التقدير : فمن أظلم منهم في ذلك ، عطف عليه قوله : (و من اظلم) أى أشد وضعا للأشياء في غير مواضعها ، لأنه لا نوزله بل هو في ظلام الجهل يخبط (بمن افترى) أى تعمد (على الله كذبا) أى أى كذب كان من الشرك و غيره كما كانوا يقولون إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها (او كذب بالحق) من هذا القرآن المعجز المبين ، على لسان هذا الرسول الأمين الذى ما أخبر خيرا إلا طابقه / الواقع (لما) أى حين (جاءه) من غير إمهال ، إلى أن ينظر و يتأمل فيما جاءه من الأمر الشديد الخطر .

/ ٩٧

ولما كان التقدير : لا أحد أظلم منه ، بل هو أظلم الظالمين ، فهو كافر و مراءى جهنم . و كان من المعلوم أنهم يقولون عنادا : ليس الأمر كذلك ، قال إنكارا عليهم . و لأن فعلهم فعل المنكر ، و تقريرا لهم لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي كانت للتقرير ، عدا له بمنزلة ما

- (١) في ظ و مد : موضعه (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : موضعه .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ : من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : اشر (٧) زيد في ظ : قالوا (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : اجمال .
 (٩) في ظ : مقررا .

لا نزاع فيه أصلاً: ﴿ ليس في جهنم مثوى ﴾ أى منزل و موضع إقامة و حبس له و قد ارتكب هذا الكفر العظيم - هكذا كان الأصل، ولكنه لقصد التعميم و تعليق الفعل بالوصف قال: ﴿ للكافرين ﴾ أى الذين يغطون أنوار الحق الواضح، أو ليس هو من الكافرين؟ أى أن كلا من المقدمتين صحيح إلا إنكاراً فيه، و لا ينتظم إنكارهم إلا بافساد هـ إحداهما، أما كفره للنعم بعد إنجائه من الهلاك حيث عبد غيره فلا يسع عاقلاً إنكاره، و أما كون جهنم تسعة بعد إخبار القادر به فلا يسع مقراً بالقدرة إنكاره، فالقدمتان بما لا مطعن فيه عندهم، فأتجتنا أن مشواه جهنم، [و صار القياس هكذا: عابد غير من أنجاء كافر، و كل كافر مشواه جهنم، فعابد غير من أنجاء مشواه جهنم - ١٠] .

و لما كان هذا كله في الذين قتلوا فلم يجاهدوا أنفسهم، كان المعنى: فالذين قتلهم فوجدوا كاذبين ضلوا فصاروا لا يعقلون و لا يعلون، لكونهم لم يكونوا من المجاهدين، فعطف عليه قوله: ﴿ و الذين جاهدوا ﴾ أى أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة ﴿ فينا ﴾ أى بسبب حقنا و مراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار و غيرهم ١٥

(١-١) في ظ و مد: في أصله (٢) من ظ و مد، و في الأصل: هكذا (٣) زيد في ظ: إذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و في الأصل: التقديمين . (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: الإنكار (٧) من مد، و في الأصل و ظ: أحدهما (٨) من ظ و مد، و في الأصل: للنعم (٩) في ظ: ممن (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) في ظ و مد: فإن (١٢) في ظ و مد: المفاعلة (١٣) تكرر في الأصل فقط بعده و الذين جاهدوا .

من^١ كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء، ومخالفة
الهوى عند هجوم الفتن، وشدائد المحن، مستحضرين لعظمتنا .
ولما كان الكفار ينكرون فلاحهم و كان المفلح والظافر في
كل شيء هو المهتدى، قال معبرا بالسبب عن المسبب: (لنهديتهم)
٥ بما نجعل^٢ لهم من النور الذي لا يضل من صحبه، هداية يليق بعظمتنا
(سبلنا^٣) التي لا سبيل غيرها، علما وعملا، ونكون معهم بلطفنا ومعونتنا،
لأنهم أحسنوا المجاهدة فهنيئا لمن قاتل في سبيل الله ولو فواق ناقة لهذه^٤
الآية وقوله تعالى "والذين قاتلوا في سبيل [الله - °] فلن يضل
اعمالهم سيديهم ويصلح بالهم^٥"، ولهذا كان سفيان بن عيينة يقول:
١٠ إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الغزو .

ولما كان المحسن كلما^٦ توفر حظه في مقام الإحسان نقص حظه
من الدنيا، فظن الأغبياء أنه ليس لله به عناية، عظم التأكيد في قوله،
[لافتا الكلام عن أسلوب الجلال إلى أجلّ عنه بما زاد من الجمال^٧]
﴿وان الله﴾ أى بعظمته وجلاله وكبريائه وجميع كماله لمعهم -
١٥ هكذا كان الأصل، ولكنه اراد الإعلام باحسانهم وتعليق الحكم

(١) في ظ و و (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: العمل (٣) في ظ و مد:
جعل (٤) من ظ و مد. وفي الأصل: هذه (٥) زيد من ظ و مد والقرآن
الكريم سورة ٤٧ آية ٤؛ وأما «قاتلوا» فقد قرأ بها غير حفص وأبي عمرو
ويعقوب (٦) العبارة إلى هنا سائطة في ظ من «فلن يضل» وفي مد من
«ويصلح» (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: قلما (٨) زيد من ظ و مد.

بالوصف

بالوصف و التعميم فاطهر قائلا: (منع لمحسنين) أى كلهم بالنصر
و المعونة فى دنياهم^١، و الثواب و المغفرة فى عقباهم، بسبب جهادهم لانه
شكر يقتضى الزيادة، و من كان معه سبحانه فاز بكل مطلوب، و إن
رأى الجاهل خلاف ذلك، فانه يجعل عزم من وراءه ذل و يستر غناهم
بساتر فقر، حماية لهم مما^٢ يجر إليه دائم^٣ العز من الكبر، و يحمل
٩٨ / عليه عظيم الغنى من الطغيان، و ما أحسن ما نقل الأستاذ أبو القاسم
القشيرى^٤ فى الرسالة عن الحارث المحاسى^٥ أنه قال: من صحح باطنه بالمراقبة
و الإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة و اتباع سنة . و الآية من الاحتباك:
أثبت أولا الجهاد دليلا على حذفه ثانيا، و ثانيا أنه مع المحسنين دليلا
على حذف المعية و الإحسان أولا، فقد عاق أول^٦ السورة هذا الآخر، ١٠
و كان إليه أعظم ناظر، فسأل الله لعافية من الفتن، و المجاهدة إن كان
لا بد من المحن .^٧ أو إليه امام^٨.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الدنيا (٢) من مد، و فى لأصل وظ: ما .
(٣) فى ظ: ثم (٤) ريد فى الأصل: من . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد
فقدفناه ١٥٠ هو عبد الكريم بن هوارن بن عبد الملك بن طلحة النيسابورى
لقشيرى، و من مؤلفاته « الرسالة القشيرية » - راجع الأعلام ٤ / ١٨٠ .
(٥) هو الحارث بن أسد المحاسى أبو عبد الله، من أكبر الصوفية - راجع
لأعلام ٢ / ١٥٣ (٧) سقط من ظ (٨-١٨) سقط ما بين الرقبن من ظ و مد .

خاتمة الطبع

لقد تم - وإلحده الله - طبع الجزء الرابع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى ، يوم الجمعة السابع من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ = الرابع من مايو سنة ١٩٧٩ م ، تحت إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - ببارك الله جهوده ، وضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمي الانصارى العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندى القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادما للعلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الخامس عشر بإذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الروم . و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسل على من علم فوائحه الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحمل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية